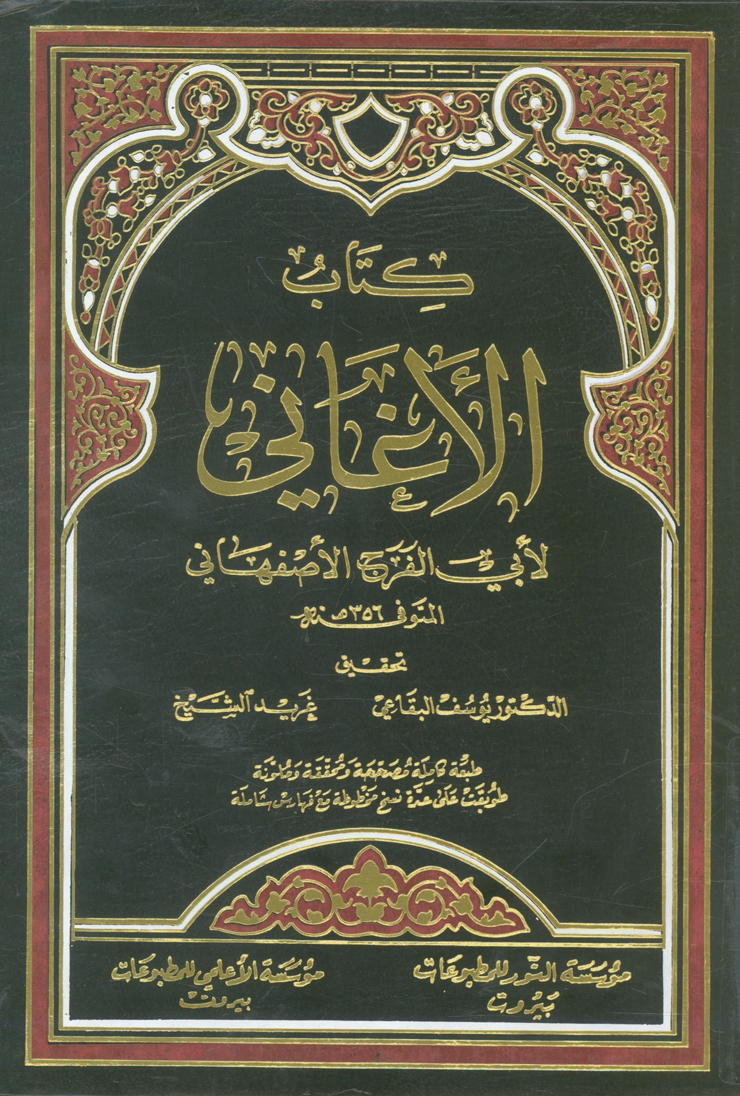
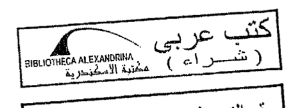
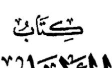


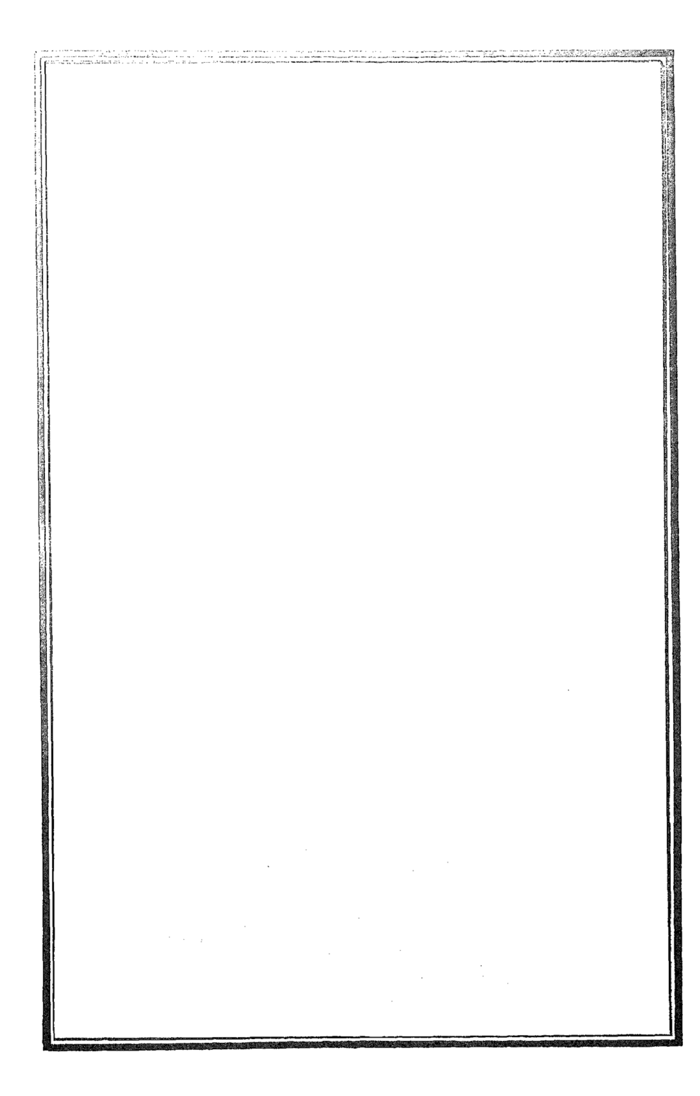
كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت


كتب عربى
(شـــراء)
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

رقم التسجيل ٥٨٦٢٩







كتاب
الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي — غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء التاسع

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الأعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ذكر أخبار كُثَيِّر ونسبه

[٠٠ ـ ١٠٥ هـ/ ٠٠ ـ ٧٢٣ م]

[نسبه وطبقته ونحلته]

هو، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ، أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمٰن بن الأسود بن عامر بن عُوَيمر بن مَخْلَد بن سعيد بن سُبَيْع بن جِعْثِمَةَ بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو وهو خُزاعة بن رَبيعة وهو يحيى بن حارثة بن عمرو، وهو مُزَيْقِيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القيس البِطْريق بن ثَعْلبة البُهْلول بن مازِن بن الأَزْد وهو دَرْء ـ وقيل دِرَاء ممدوداً ـ ابن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان.

وأخبرنا أبو عبد الرحمٰن أحمد بن محمد بن إسحاق الحَرَميّ قال: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حَدّثنا أبو صخر بن أبي الزَّعْراء الخُزاعيّ عن أُمّه ليلى بنت كُثَيِّر قالت: هو كثيِّر بن عبد الرحمٰن بن الأسود بن عامر بن مَخْلَد بن سُبَيْع بن سعد بن مُلَيْح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر، وأمّه جُمُعة بنت الأَشْيَم بن خالد بن عُبيد بن مُبَشِّر بن رِيَاح بن سيالة بن عامر بن جِعْثِمةَ بن كعب بن عمرو بن رَبيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر. وكانت كنية الأَشْيَم جَدِّه أبي أمّه أبا جُمُعة؛ ولذلك قيل له ابن أبي جُمُعة.

وكان له ابن يقال له ثَوَاب من أشعر أهل زمانه، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له.

ومات كُثَيِّر سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك، وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلى. ولليلى بنته ابنٌ يكنى أبا سَلَمة شاعر، وهو الذي يقول:

صوت

[الطويل]

وكـان عَـزِيـزاً أَنْ تَـبِـيـتِـي وبَـيْـنَـنـا حِجَابٌ فقد أَمْسَيْتِ مِنِّي على شَهْرِ
ففي القُرْبِ تَعْذِيبٌ وفي النَّأْيِ حَسْرَةٌ فيا وَيْحَ نَفْسِي كيفَ أصنعُ بِالدَّهْرِ

في هذين البيتين غناء لمقاسة، ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حَبَش.

ويكنى كُثَيِّر أبا صخر، وهو من فحول شعراء الإسلام، وجعله ابن سَلاّم في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريراً والفرزدق والأخطلَ والرَّاعي، وكان غالياً في التَّشَيُّع يذهب مذهب الكَيْسانية[1]، ويقول بِالرَّجْعَةِ والتَّنَاسُخِ، وكان مُحَمّقاً مشهوراً بذلك؛ وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يُغَيّرهم ذلك لِجَلالته في أعينهم ولطف محلّه في أنفسهم وعندهم. وكان من أَتْيَهِ النَّاس وأذهبهم بِنفسه على كلِّ أحد.

أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثني هارون بن عبد الله الزُّهْرِيّ قال: حَدّثني سليمان بن فُلَيْح قال: سمعت محمد بن عبد العزيز (يعني ابن عمر بن عبد الرحمٰن بن عوف) يقول: ما قَصَّدَ القَصِيدَ ولا نعتَ الملوكَ مِثلُ كُثَيِّر.

أخبرني الحَرَميُّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثني الزبير بن بَكّار قال: كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي، حَدّثني إبراهيم بن سعد قال: إني لأروي لِكُثَيِّر ثلاثين قصيدة لو رُقِيَ بها مجنون لأَفاقَ.

أخبرني الحرميّ قال: حَدّثني الزبير قال: حَدّثني بعض أصحاب الحديث قال: كنّا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النّفس، فنسأله عن شعر كثيّر فتطيب نفسه ويحَدّثنا.

أخبرني الحرميّ قال: حَدّثنا الزبير قال: حَدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمَّليّ عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال: مَنْ لم يجمعْ من شعر كُثَيِّر ثلاثين لامِيَّةً فلم يجمعْ شِعْره؛ قال الزبير قال المؤمَّليّ: وكان ابن أبي عُبَيدة يُمْلِي شِعرَ كُثَيِّر بثلاثين ديناراً. قال وسُئِلَ عَمِّي مصعب: مَنْ أشعرُ الناس؟ فقال: كُثَيِّر بن أبي جمعة، وقال: هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي، وعامّتهم (يعني الشعراء) لم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كُثَيِّر.

---

(١) الكيسانية: فرقة من الشيعة الإمامية وهم أصحاب كيسان مولى علي بن أبي طالب.

أخبرني أبو خَليفة الفضل بن الحُبَاب إجازةً قال: حَدّثنا محمد بن سَلاّم الجُمَحِيّ قال: كان كُثَيِّر شاعر أهل الحجاز، وهو شاعر فَحْلٌ، ولكنه منقوصٌ حَظّه بالعراق.

أخبرني أبو خَليفة قال: أخبرنا ابن سَلام قال: سمعت يونس النّحويّ يقول: كُثَيِّر أشعرُ أهلِ الإِسلام. قال ابن سَلاّم: وسمعت ابن أبي حَفْصة يُعْجِبه مذهبه في المديح جدّاً، ويقول: كان يستقصي المديح، وكان فيه مع جودة شعره خَطَلٌ[1] وعُجْبٌ.

أخبرني الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حَدّثنا محمد بن إسماعيل الجَعْفَريّ قال: أخبرني إبراهيم بن إبراهيمَ بن حسين بن زيد قال: سَمِعْتُ المِسْوَر بن عبد الملك يقول: ما ضَرَّ مَنْ يروي شِعرَ كثيِّر وجميلٍ ألاّ تكون عنده مُغَنِّيتان مُطْرِبتان.

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا: حَدّثنا عمر بن شبة قال: حَدّثنا إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوَقَّاصِيّ قال: رأيت كُثَيِّراً يطوف بالبيت، فَمنْ حَدَّثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكَذِّبْهُ؛ وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول: طَأْطِىءْ رأسَك لا يُصِبْه السّقف.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حَدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جدّه عن جدّ أبيه عبد العزيز وأُمّه جمعة بنت كثيِّر قال: قال جرير لكثيِّر: أَيُّ رجلٍ أنتَ لولا دَمَامتك! فقال كثيِّر: **[الطويل]**

إنْ أَكُ قَـصْـداً فـي الـرِّجـالِ فَـإِنَّـنـي ... إذا حَـلَّ أَمْـرٌ سَـاحَـتِـي لَـطَـوِيـلُ[2]

[الحزين الديلي يهجوه]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا: حَدّثنا عمر بن شَبة قال: حَدّثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائنيّ عن الوَقّاصيّ قال: وأخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزبير بن بكّار قال: حَدّثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الدِّيلِيّين قال: التقى كُثَيِّر والحَزِين الدِّيليّ بالمدينة في دار ابن أَزْهَر

(١) الخَطَل: السرعة والخفّة.

(٢) الرّجل القَصْد: الذي ليس بالجسيم ولا النحيف فهو الرّبعة من الرجال.

في سوق الغنم، فضمّهما المجلس، فقال كُثيِّر للحزين: ما أنت شاعرٌ يا حزين، إنما تُوصل الشيء إلى الشيء، فقال له الحزين: أتأذن لي أن أهجوَكَ؟ قال: نعم. وكان كثيِّر قال قبل ذلك وهو ينتسب إلى بني الصَّلْت بن النَّضْر بن كِنانة: [الطويل]

أليس أبي بالنَّضْر أو ليسَ إخْوَتي بكُلِّ هِجَانٍ مِنْ بَنِي الصَّلْتِ أَزْهَرَا[١]
فإنْ لم تَكُونوا مِنْ بَنِي الصَّلْتِ فاتْرُكوا أَرَاكاً بأَذْيَالِ الخَمائلِ أَخْضَرا[٢]

قال: فلما أَذِنَ كُثيِّر للحَزين أن يهجوه قال الحَزين:

لقد عَلِقَتْ زُبَّ الذُّبَابِ كُثَيِّراً أَسَاوِدُ لا يُطْنِينَهُ وأَرَاقِمُ[٣]
قَصِيرُ القَمِيصِ فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ يَعَضُّ القُرَادُ بِاسْتِهِ وَهْوَ قَائِمُ[٤]
ومَا أَنْتُمُ مِنَّا ولَكِنَّكُمْ لَنَا عَبِيدُ العَصَا ما ٱبْتَلَّ في البَحْرِ عَائِمُ
وقد عَلِمَ الأَقوامُ أَنَّ بَنِي اسْتِها خُزَاعَةَ أَذْنَابٌ وأَنَّا القَوَادِمُ
ووالله لَوْلاَ اللهُ ثمَّ ضِرَابُنا بِأَسْيَافِنَا دَارَتْ عَلَيْهَا المَقَاسِمُ
ولولا بنو بكر لَذَلَّتْ وأُهلِكتْ بِطَعْنٍ وأَفْنَتْها السُّيوفُ الصَّوارِمُ

قال: فقام كثيِّر فحمل عليه فلَكَزه، وكان الحزين طويلاً أَيِّداً[٥]، فقال له الحزين: أنتَ عن هذا أعجز، واحتمله فكان في يده مثلَ الكُرَةِ، فضربَ به الأرضَ، فخلَّصَه منه الأزهريّون، فبلغ ذلك أبا الطُّفيل عامر بن واثِلة وهو بالكوفة؛ فأقسم لَئِنْ ملأ عينيه من كثيِّر ليضربنّه بالسيف أو ليَطعننّه بالرمح. وكان خِنْدِفٌ الأَسديّ صديقاً لأبي الطُّفيل؛ فطلب إلى أبي الطفيل في كثيِّر واستوهبه إيّاه فوهبه له. والتقيا بمكة وجلسا جميعاً مع عمر بن عليّ بن أبي طالب، فقال: أَمَا والله لولا ما أعطيتُ خِنْدِفاً من العهد لَوَفَيْتُ لكَ، فذلك قول كُثَيِّر في قصيدته التي يرثي فيها خِنْدِفاً: [الطويل]

يَنَالُ رِجَالاً نَفْعُهُ وهو مِنْهُمُ بعِيدٌ كَعَيُوقِ الثُّرَيَّا المُحَلِّقِ[٦]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا: حَدّثنا

---

(١) رجلٌ هجان: كريم حسيب.
(٢) الأراك: شجر معروف، والخمائل: جمع الخميلة: السهل المنخفض من الأرض.
(٣) الأساود: الحيّات التي فيها سواد، ولا يطنينه: لا يبقين عليه. والأرقم: أخبث الحيّات.
(٤) القُراد: حشرة صغيرة تتعلّق بالدواب والطيور.
(٥) الأيِّد: القويّ.
(٦) العَيُوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريّا ولا يتقدّمها.

عمر بن شَبّة قال: قال كُثَيِّر: في أيّ شعرٍ أعطى هؤلاء الأحوصَ عشرةَ آلافِ دينار؟ قالوا: في قوله فيهم: [الطويل]

وما كانَ مَالِي طَارِفاً مِنْ تِجَارةٍ ... وما كَانَ مِيرَاثاً مِنَ المَالِ مُتْلَدَا
ولَكِنْ عَطَايَا مِنْ إمامٍ مُبَارَكٍ ... مَلاَ الأَرْضَ مَعْرُوفاً وجُوداً وسُودَدَا

فقال كثيِّر: إنه لَضَرِعٌ[1] قَبحهُ اللَّهُ! ألا قال كما قلتُ:

صوت

دَعْ عَنكَ سَلْمَى إذْ فَاتَ مَطْلَبُها ... واذْكُرْ خَلِيلَيْكَ مِنْ بني الحَكَمِ[2]
ما أَعْطَيَانِي ولا سَأَلْتُهُمَا ... إلاّ وَإنّي لَحَاجِزِي كَرَمِي
إنِّي مَتَى لا يَكُنْ نَوَالُهُمَا ... عِنْدِي بِمَا قَدْ فَعَلْتُ أَحْتَشِمِ
مُبْدِي الرِّضَا عَنْهُما ومُنْصَرِفٌ ... عَنْ بَعْضِ ما لو فَعَلْتُ لَمْ أُلَمِ
لا أَنْزُرُ النَّائِلَ الخَلِيلَ إذا ... ما اعْتَلَّ نَزْرَ الظُّؤورِ لم تَرَمِ[3]

عروضه من المُنْسرِح، غنّى في هذا الشعر يونس ثانيَ ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وغَنّى فيه الغَرِيض ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة، وفيه لحن من الثقيل الأوّل يُنسب إلى مَعْبَد، وليس بصحيح له؛ قال الزُّبير بن بكّار في تفسير قوله: «لا أنزر النائل الخليل» يقول: لا أُلِحُّ عليه بالمسألة؛ يقال: نَزَرْتُهُ أَنْزُره إذا ألححتَ عليه. والظُّؤور: المُتَعَطِّفة على غيرِ أولادها.

أخبرني الحرميّ قال: حَدّثني الزُّبير قال: حَدّثنا المؤمَّليّ عن أبي عُبيدة، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا: حَدّثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال: دخل كثيّر على عبد الملك بن مَرْوان فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ أرضاً لك يقال لها غُرَّب[4] ربما

(١) الضَّرِعُ: المتذلّل الخاضع.
(٢) الخليلان هنا هما: عبد الملك وعبد العزيز ابنا مروان بن الحكم.
(٣) لم تَرَمِ: لم تَرْأَمْ، وسهِّلت الهمزة ثم حُذِفت منعاً لالتقاء الساكنين.
(٤) غُرَّب: اسم يطلق على عدة مواضع منها ماء بنجد أو اسم جبل في ديار بني كلب (معجم البلدان ٤: ١٩٢)

أتيتُها وخرجت إليها بولدي وعِيالي فأصبنا من رُطَبها وتَمْرها بشراءٍ مرّة وطُعْمة مرّة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُعَمِّرَنيها[1] فعل. فقال له عبد الملك: ذلك لكَ. فَنَدَّمه الناس وقالوا له: أنت شاعرُ الخليفة ولك عنده منزلة، فَهلاّ سألتَ الأرض قَطيعةً!. فأتى الوليدَ فقال: إنّ لي إلى أمير المؤمنين حاجةً فأَجْلِسْني قريباً من البِرْذَوْن، فلما استوى عليه عبد الملك قال له: إيهٍ! وعَلِمَ أنّ له إليه حاجةً، فقال كُثَيِّر: [الطويل]

جَزَتْكَ الجَوَازِي عَنْ صَدِيقِكَ نَضْرَةً ... وَأَدْنَاكَ رَبِّي في الرَّفِيقِ المُقَرَّبِ[2]
فَإِنَّكَ لا يُغْطَى عَلَيكَ ظُلامَةً ... عَدُوٌّ ولا تَنأى عَنِ المُتَقَرِّبِ
وإِنَّكَ ما تَمنَعْ فَإِنَّكَ مَانِعٌ ... بِحَقٍّ، وما أَعْطَيْتَ لم تَتَعَقَّبِ[3]

فقال له: أترغَب غُرَّباً؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: اكتبوها له، ففعلوا.

أخبرني الحرميّ قال: حَدّثني الزُّبير قال: حَدّثنا عمر بن أبي بكر المؤمَّلي قال: حَدّثني عبد الله بن أبي عُبيدة قال: كان الحزين الكِنَانيّ قد ضربَ على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر، منهم ابنُ أبي عتيق. فجاءه لأخذ درهميه على حمارٍ له أَعْجف[4] قال: وكُثَيِّر مع ابن أبي عتيق ـ فدعا ابنُ أبي عتيق للحزين بدرهمين، فقال الحزين لابن أبي عَتيق: مَنْ هذا معك؟ قال: هذا أبو صخر كثيِّر بن أبي جمعة ـ قال: وكان قصيراً دميماً ـ فقال له الحزين: أتأذَن لي أن أهجوه ببيت من شعر؟ قال: لا! لَعَمري لا آذَنُ لك أن تهجو جليسي، ولكني أشتري عِرْضَهُ منكَ بدرهمين آخرين ودعا له بهما، فأخذهما ثم قال: لا بدَّ من هجائه ببيت، قال: أوْ أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين، ودعا له بهما، فأخذهما ثم قال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه، قال: أَوْ أشتري ذلك منك بدرهمين، فقال له كُثَيِّر: ايذَنْ له، ما عسى أن يقول في بيت! فَأذِنَ له ابن أبي عتيق. فقال:

قَصِيرُ القَمِيصِ فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ ... يَعَضُّ القُرَادُ بِاسْتِهِ وهو قَائِمُ

قال: فوثب كُثَيِّر إليه فلكزَهُ، فسقط هو والحمار، وخلّص ابنُ أبي عتيق

(١) يجعلها لي طول عمري.
(٢) جزتكَ الجوازي: أي وجدت الجزاء الحسن على حسن عملك.
(٣) لم تتعقّب: لم تَتّبع.
(٤) حمار أعجف: مهزول.

بينهما، وقال لِكثيِّر: قبحكَ اللَّهُ! أتأذَنُ له وتَسْفَهُ عليه! فقال كُثَيِّر: أوَ أنا ظننتُه أن يبلُغ بي هذا كلَّه في بيت واحد!.

[ادعاؤه أنّه قرشيّ]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عمر بن شبّة ولم يتجاوزه، وأخبرني الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حَدّثنا عبد الرحمٰن بن الخضر الخُزَاعيّ عن ولد جُمعة بنت كثيِّر أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كُثَيِّر: أنّ عبد الملك بن مروان قال له: ويحكَ! الْحَقْ بقومك من خُزاعة؛ فأخبرَ أنه من كِنَانة قريش، وأنشد كثيِّر قولَه: [الطويل]

أَليس أبي بِالصَّلْتِ أَمْ ليسَ إِخْوَتي ... بِكُلِ هِجَانٍ مِنْ بَنِي النَّضْرِ أَزْهَرا
فإنْ لم تكونوا من بَنِي النَّضْرِ فاتْرُكُوا ... أَرَاكاً بِأَذنَابِ القَوَابِلِ أَخْضَرا
أَبَيْتُ الّتي قد سُمْتَني ونَكِرتُها ... ولو سُمْتَها قبلي قَبِيصَةَ أَنْكَرَا[1]
لَبِسْنا ثِيابَ العَصْبِ فَاخْتَلَطَ السَّدَى ... بِنا وبهم والحَضْرَمِيَّ المُخَصَّرا[2]

فقال له عبد الملك: لا بُدَّ أن تُنشدَ هذا الشعر على مِنْبَري ـ الكوفة والبَصْرة، وحمله وكتب إلى العراق في أمره، قال عمر بن شَبّة في خبره خاصّة: فأجابته خُزاعة الحِجَازِ إلى ذلك وقال فيه الأحوص ـ ويقال: بل قاله سراقة البارقيّ ـ:

[الطويل]

لَعَمْري لقد جَاءَ العِراقَ كُثَيِّرٌ ... بِأُحدوثةٍ مِنْ وَخيِهِ المُتَكَذِّبِ
أَيَزْعُمُ أَنِّي مِنْ كِنَانَةَ أَوّلِي ... ومَا لِيَ مِنْ أُمٍّ هُنَاكَ ولا أَبِ
فَإنْ كُنْتَ حُرّاً أو تَخافُ مَعَرَّةً ... فَخُذْ ما أَخَذْتَ مِنْ أَمِيرِكَ وَاذْهَبِ

فقال كثيِّر يُجيبه ـ وفي خبر الزُّبير: قال هذا لأبي عَلْقَمة الخُزاعيّ ـ: [الطويل]

أَيَا خُبَثُ أَكْرِمْ كِنَانَةَ إِنَّهُمْ ... مَوالِيكَ إنْ أَمْرٌ سَمَا بِكَ مَغْلَقُ

ـ وفي رواية الزُّبير: «أبا عَلْقَمٍ» ـ

---

(١) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي من الصحابة، وُلِدَ في حياة النبي (ت ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م) ترجمته في: (تهذيب الأسماء ٢: ٥٦، والأعلام ٦: ٢٦).

(٢) العَصْب: ضرب من البرود سُمِّيَ بذلك لأن غزله يُعْصَب أي يُجمع ويشدّ، وأكثر ما تشتهر به اليمن. والسَّدَى من الثوب: ما مُدَّ من خيوطه طولاً.

بَنُو النَّضْرِ تَرْمِي مِنْ وَرائِكَ بِالحَصَى أُولُو حَسَبٍ فِيهِم وَفَاءٌ ومَصْدَقُ
يُفيدونَكَ المَالَ الكَثِيرَ ولم تَجِدْ لِمُلْكِهِمُ شِبْهاً لَوَ انَّكَ تَصْدُقُ
إذا رَكِبُوا ثَارَتْ عَلَيْكَ عَجَاجَةٌ وفي الأرضِ مِنْ وَقْعِ الأَسِنَّةِ أَوْلَقُ[1]

فأجابه الأَحْوَص بقوله: [الطويل]

دَعِ القَوْمَ مَا حَلُّوا بِبَطْنِ قُرَاضِمٍ وحَيْثُ تَفَشَّى بَيْضُهُ المُتَفَلِّقُ[2]
فإنَّكَ لَوْ قَارَبْتَ أو قُلْتَ شُبْهَةً لِذِي الحَقِّ فِيها والمُخَاصِمِ مَغْلَقُ[3]
عَذَرْنَاكَ أو قُلْنَا صَدَقْتَ وإنَّمَا يُصَدَّقُ بِالأقوالِ مَنْ كَانَ يَصْدُقُ
سَتَأْبَى بَنُو عَمْرٍو عَلَيكَ ويَنْتَمي لَهُمْ حَسَبٌ في جِذْمِ غَسَّانَ مُعْرِقُ[4]
فإنَّكَ لا عَمْراً أَبَاكَ حَفِظْتَهُ ولا النَّضْرَ إن ضَيَّعْتَ شَيْخَكَ تَلْحَقُ
ولم تُدْرِكِ القَوْمَ الَّذِينَ طَلَبْتَهُمْ فَكُنْتَ كَمَا كَانَ السِّقَاءُ المُعَلَّقُ[5]
بِجِذْمَةِ سَاقٍ لَيْسَ منه لِحَاؤُهَا ولم يَكُ عَنْهَا قَلْبُهُ يَتَعَلَّقُ[6]
فأَصْبَحْتَ كَالمُهْرِيقِ فَضْلَةَ مَائِهِ لِبَادِي سَرَابٍ بِالمَلاَ يَتَرَقْرَقُ[7]

قال: فخرج كثيّر فأتى الكوفةَ، فرُمِيَ به إلى مسجد بارِق. فقالوا له: أنتَ من أهل الحجاز؟ قال: نعم. قالوا: فأخبِرْنا عن رجل شاعر ولدِ زِناً يُدعى كُثَيِّراً. قال: سبحان اللّه! أمَا تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان! قالوا: هو ما قاله لنفسه، فانْسَلَّ منهم وجاء إلى والي الكوفة حسّان بن كَيْسان، فطيّره على البريد. وقال عمر بن شَبّة في خبره: إنّ سُرَاقة البارقيّ هو المُخَاطِب له بهذه الشتيمة وإنه عَرَفَهُ وقال له: إن قلتَ هذا على المنبر قَتَلْتُكَ قَحْطان وأنا أوّلهُم؛ فانصرف إلى منزله ولم يَعُدْ إلى عبد الملك.

---

(١) الأولق: الجنون.

(٢) قراضم: اسم موضع بالمدينة (معجم البلدان: ٤: ٣١٦) وفي الديوان «تَقَشّى» بدل «تفشّى». وتقشّى: تقشّر. والمتفلّق: المشقوق.

(٣) المَغْلَق: ما يُتَعلَّقُ به من أمر.

(٤) الجِذم: الأصل. وبنو عَمرو: هم ذهل بن عمرو، ووداعة بن عمرو، وعمران وحارثة ومالك وكعب أبناء عمرو. ومُعْرِق: عريق أصيل.

(٥) السِّقاء: وعاء من جلد يُسْقَى به الماء.

(٦) الجِذْمة: القطعة، واللِّحاء: القشرة في الشجرة.

(٧) هرق الماء: أراقه. والملا: الصحراء.

وكان سُراقةُ هذا شاعراً ظريفاً، فأخبرني عمِّي قال: حَدّثني الكُرَانيّ عن النَّضْر بن عمر عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن الأعمش عن إبراهيم قال: كان سُرَاقة البارقيّ من ظُرَفاءِ أهل العراق، فأسَرَهُ المختار يومَ جَبَّانة السَّبِيع[١]؛ وكانت للمختار فيها وقعةٌ مُنْكرة، فجاء به الذي أسرَه إلى المختار فقال له: إنّي أسرتُ هذا. فقال له سُرَاقة: كذَبَ! ما هو الذي أسرني، إنما أسرَني غلامٌ أسود على بِرْذَوْن أبْلَقَ عليه ثيابٌ خضرٌ، ما أراه في عسكرك الآن، وسلّمني إليه. فقال المختار: أما إنّ الرجل قد عاين الملائكةَ! خَلُّوا سبيلَه فَخَلَّوْه؛ فهرَب فأنشأ يقول:

[الوافر]

ألاَ أَبْــلِــغْ أبــا إِسْــحَــاقَ أَنّــي ... رَأَيْـتُ الـبُـلْـقَ دُهْـمـاً مُـصْـمَـتـاتِ[٢]

أُرِي عَـيْـنَـيَّ مـا لَـمْ تُـبْـصِـرَاهُ ... كِـلاَنَـا عَـالِـمٌ بِـالـتُّـرَّهَـاتِ[٣]

كَـفَـرْتُ بِـدِيـنِـكُـمْ وجَـعَـلْـتُ نَـذْراً ... عَـلَـيَّ قِـتَـالَـكُـمْ حَـتَّـى الـمَـمَـاتِ

[تشيّعُهُ وشعره في محمد بن الحنفيّة]

أخبرنا الحرميّ قال: أخبرنا الزُّبير قال: أخبرنا عمرو ومحمد بن الضّحاكِ قالا: كان كثيِّر يتشيّعُ تشيّعاً قبيحاً، يزعم أنّ محمد بن الحنفيَّة لم يمت. قال: وكان ذلك رأيَ السّيِّد[٤]؛ وقد قال فيه (يعني السيِّد) شعراً كثيراً، منه: [الوافر]

ألاَ قُـلْ لِـلْـوَصِـيِّ فَـدَتْـكَ نَـفْـسـي ... أَطَـلْـتَ بِـذَلِـكَ الـجَـبَـلِ الـمُـقَـامَـا

أَضَـرَّ بِـمَـعْـشَـرٍ وَالَـوْكَ مِـنَّـا ... وَسَـمَّـوكَ الـخـلِـيـفَـةَ والإِمَـامَـا

وعَـادَوْا فـيـكَ أَهْـلَ الأَرْضِ طُـرّاً ... مُـقَـامُـكَ عَـنْـهُـمْ سِـتِّـيـنَ عَـامَـا

ومـا ذَاقَ ابـنُ خَـوْلَـةَ طَـعْـمَ مَـوْتٍ ... ولا وَارَتْ لَـهُ أَرْضٌ عِـظَـامَـا[٥]

---

(١) جبّانة السبيع: محلة بالكوفة مضافة إلى السبيع رهط أبي إسحاق السبيعي وفيها وقعة المختار بن أبي عبيد الثقفي حين خرج للثأر من قتلة الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام (معجم البلدان ٣: ١٨٧).

(٢) البُلق: جمع الأبلق: ما كان في لونه سواد وبياض. والدُّهم: جمع الأدهم: الأسود. والمُصمتات: جمع المصمت: لا يخالطه لون آخر.

(٣) التُّرهات: جمع التُّرّهة: الأباطيل والدواهي.

(٤) السيّد: هو السيد الحميري الشاعر المعروف وكان يتعصّب لبني هاشم تعصّباً شديداً (ت ١٧٣ هـ/ ٧٨٩ م) له ديوان مطبوع.

(٥) خولة: بنت جعفر الحنفية أم محمد بن الحنفية.

لَقَدْ أَوْفَى بِمُورِقٍ شِعْبِ رَضْوَى تُرَاجِعُهُ المَلائِكَةُ الكَلامَا[١]
وإنَّ لَهُ بِهِ لَمَقِيلَ صِدْقٍ وأَنْدِيَةً تُحَدِّثُهُ كِرَامَا[٢]
هَدَانَا اللَّهُ إذ جُرْتُمْ لأَمْرٍ بِهِ وَلَدَيْهِ نَلْتَمِسِ التَّمَامَا
تَمَامَ مَوَدَّةِ المَهْدِيِّ حَتَّى تَرَوْا رَايَاتِنَا تَتْرَى نِظَامَا[٣]

وقال كُثَيِّر في ذلك: [الوافر]

أَلاَ إنَّ الأئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وُلاةَ الحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءُ
عَلِيٌّ والثَّلاثَةُ مِنْ بَنِيهِ هُمُ الأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ[٤]
فَسِبْطٌ سِبْطُ إيمانٍ وبِرٍّ وسِبْطٌ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلاءُ[٥]
وسِبْطٌ لا تَرَاهُ العَيْنُ حَتَّى يَقُودَ الخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللِّواءُ
تَغَيَّبَ لا يُرَى عَنْهُمْ زماناً بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ ومَاءُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا الحارث بن محمد عن المَدَائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال:

كان عبد الله بن الزُّبَير قد أُغْرِي ببني هاشم يتبعهم بكلّ مكروه ويُغْرِي بهم ويخطُبُ بهم على المنابر ويُصَرِّحُ ويُعَرِّض بذكرهم. فربّما عارضه ابن عبّاس وغيره منهم. ثم بدا له فيهم فحبس ابنَ الحنفيّة في سجن عارِمٍ[٦]، ثم جمعه وسائر مَنْ كان بحضرته من بني هاشم، فجعلهم في مَحْبِسٍ وملأه حطباً وأضرم فيه النّار. وقد كان بلغه أنّ أبا عبد الله الجَدَلِيّ[٧] وسائر شيعة ابن الحنفيّة قد وَافَوْا لِنُصْرَتِه ومحاربة ابن الزبير؛ فكان ذلك سبب إيقاعه به. وبلغ أبا عبد الله الخبرُ فوافَى ساعةَ

(١) رضوى: جبل منيف ذو شعاب وأودية بها مياه كثيرة وأشجار، وهو على مسيرة يوم من المدينة (معجم البلدان ٣: ٥١).
(٢) المَقِيل: موضع القيلولة أو الاستراحة.
(٣) تَتْرَى: تتبع بعضها بعضاً.
(٤) الثلاثة: يريد بهم الحسن والحسين عليهما السلام ومحمد بن الحنفية.
(٥) يعني بسبط الإيمان: الحسن بن علي عليه السلام، والسِّبط الذي غيّبته كربلاء: الحسين عليه السلام، والسبط الذي لاتراه العين: محمد بن الحنفية.
(٦) سجن عارم: بالطائف، حُبِسَ فيه محمد بن الحنفية حبسه عبد الله بن الزبير. (معجم البلدان ٤: ٦٦).
(٧) عبد الله الجدلي عبدة بن عبد: أحد الذين أرسلهم المختار بن أبي عبيد لنجدة بني هاشم لما حبسهم ابن الزبير. (الطبري ٢: ٦٩٣).

أُضْرِمَتِ النّارُ عليهم فأطفأها واستنقذَهم، وأخرج ابن الحنفيّةِ عن جِوار ابن الزُّبير منذ يومئذ. فأنشدنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: أنشدنا محمد بن حبيب لِكُثَيِّر يذكر ابن الحنفيّة وقد حبسه ابن الزُّبير في سجن يقال له سجن عارِم: [الطويل]

مَنْ يَرَ هذا الشَّيْخَ بِالخَيْفِ مِنْ مِنًى ... مِنَ النَّاسِ يَعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمِ[1]

سَمِيُّ النَّبِيِّ المُصْطَفَى وابْنُ عَمِّهِ ... وفَكَّاكُ أَغْلالٍ ونَفَّاعُ غَارِمِ[2]

أَبَى فَهْوَ لا يَشْرِي هُدًى بِضَلالَةٍ ... ولا يَتَّقِي في اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمِ

ونَحْنُ بِحَمْدِ اللَّه نَتْلُو كِتَابَهُ ... حُلُولاً بِهَذَا الخَيْفِ خَيْفِ المَحَارِمِ[3]

بِحَيْثُ الحَمَامُ آمِنُ الرَّوْعِ سَاكِنٌ ... وحَيْثُ العَدُوُّ كالصَّدِيقِ المُسَالِمِ

فما فَرَحُ الدُّنْيَا بِبَاقٍ لأَهْلِهِ ... ولا شِدَّةُ البَلْوَى بِضَرْبَةِ لازِمِ[4]

تُخَبِّرُ مَنْ لاقَيْتَ أَنَّكَ عَائِذٌ ... بَلِ العَائِذُ المَظْلُومُ في سِجْنِ عَارِمِ[5]

حَدّثني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ قال: حَدّثنا يحيى بن الحسن العَلوي قال: حَدّثنا الزُّبير بنُ بَكّار، وأخبرني الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن سعيد عن عُقْبَة الجُهَنيّ عن أبيه قال: سَمِعْتُ كُثَيِّراً يُنشد عليَّ بن عبد الله بن جعفر قولَه في محمد بن الحنفيّة: [الوافر]

أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنِيَ إذ دَعَانِي ... أَمِينُ اللَّهِ يَلْطُفُ في السُّؤَالِ

وأَثْنَى في هَوَايَ عَلَيَّ خَيْراً ... وسَاءَلَ عن بَنِيَّ وكَيْفَ حَالِي

وكيف ذَكَرْتُ حَالَ أَبِي خُبَيْبٍ ... وزَلَّةَ فِعْلِهِ عِنْدَ السُّؤَالِ[6]

هو المَهْدِيُّ خَبَّرَنَاهُ كَعْبٌ ... أَخُو الأَحْبَارِ في الحِقَبِ الخَوَالِي[7]

---

(١) الخَيْف: ما انحدر من الجبل وارتفع عن مسيل الماء. (معجم البلدان ٢: ٤١٢).

(٢) رواية الديوان: «وَصِيُّ النَّبيِّ» بدل «سَمِيُّ النبيّ». و«قاضي مغارِمٍ» بدل و«نَفّاعُ غارم». ووصيُّ النبيّ: هو لقب عليّ ﷺ لاتصال نسبه بنسب الرسول ﷺ ولقب محمد بن الحنفية، والمراد هنا ابن وصيّ النبيّ فحذف المضاف وأضاف المضاف إليه مكانه.

(٣) خيف المحارم: يعني الحرم ومناسكه.

(٤) في الديوان «فما وَرَقُ الدنيا»، وورق الدنيا: رونقها. وضربة لازم: يريد ضربة لازب أي ثابت، وقد أُبدلت الباء ميماً لتقارب المخارج.

(٥) العائذ: هو عبد الله بن الزبير وكان يدّعي أنه عائذ بالبيت فلا يحلّ قتاله.

(٦) أبو خبيب: هو عبد الله بن الزبير.

(٧) خَبَّرَناه: أخبرنا إيّاه. وكعب: هو كعب الأحبار، تابعي أسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينةَ في دولة عمر فأخذ عنه الصحابة كثيراً من أخبار الأمم الغابرة (ت ٣٢ هـ/ ٦٥٢ م) (ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١/ ٤٩ وحلية الأولياء ٥: ٣٦٤ والإصابة تر ٧٤٩٨).

فقال له عليّ بن عبد الله: يا أبا صخر، ما يُثني عليكَ في هَوَاكَ خيراً إلاّ مَنْ كان على مِثْلِ مذهبك. قال: أَجَلْ بِأَبِي أنتَ وأُمّي!. قال: وكان كُثَيِّر كَيْسَانِيّاً يرى الرَّجْعة. قال الزُّبير: أبو خبيب عبد الله بن الزُّبير، كناه بابنه خُبَيْب وهو أكبر وَلَدِه، وكان كُثَيِّر سَيِّء الرأي فيه. قال الزُّبير: فأخبرني عَمِّي قال: لمّا قال كُثَيِّر:

هو المَهْدِيُّ خَبَّرناهُ كَعْبٌ ... أَخُو الأَحْبَارِ في الحِقَبِ الخَوَالِي

فقيل له: أَلَقِيتَ كَعْباً؟ قال: لا. قِيلَ: فلِمَ قلتَ «خَبَّرَنَاه كعبٌ»؟ قال: بِالتَوَهُّمِ.

قال: وكان كُثَيِّر شِيعِيّاً غالِياً يزعمُ أنَّ الأرواح تتناسخ، ويحتجُّ بقول الله تعالى: ﴿في أيِّ صورةٍ ما شاء رَكَّبَكَ﴾[1] ويقول: أَلاَ ترى أنه حَوَّلَه من صورة في صورة!.

قال: فَحَدّثني عمر بن أبي بكر المُؤَمَّليّ عن عبد الله بن أبي عُبَيْدة قال: خِنْدِفٌ الأسديّ الذي أدخلَ كُثَيِّراً في الخَشَبِيَّة[2].

أخبرنا الحرميُّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني إبراهيم بن المُنْذِر الحِزامِيّ عن محمد بن مَعْن الغِفَارِيّ قال: كنّا بالسَّيَالة[3] في مَشْيَخَةٍ نتحدَّثُ، إذا بِكُثَيِّر قد طلَع علينا مُتَّكِئاً على عصاً. فقال: كنّا ببيداء بأشرافِ السَّيَالة وبهذه الناحية، فما بَقِيَ موضعٌ ببيداء إلاّ وقد جِئْتُهُ، فإذا هو على حاله ما تَغَيَّر وما تَغَيَّرت الجبال ولا الموضع الذي كنا نطوف فيه، وهذا يكون حتى نَرجِعَ إليه؛ وكان يُؤمِن بِالرَّجْعةِ.

أخبرني الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني يحيى بن محمد قال: دخل عبد الله بن حسن على كُثَيِّر يعوده في مرضه الذي مات فيه، فقال له كُثَيِّر: أَبْشِرْ! فكأنّك بي بعد أربعين ليلةً قد طلعتُ عليك على فرس عتيق. فقال له عبد الله بن حسن: ما لك عليكَ لعنةُ الله! فوالله لَئِنْ متَّ لا أشهدُك ولا أعودُكَ ولا أُكَلِّمُكَ أبداً.

أخبرني الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني يحيى بن محمد بن عبد

(١) سورة الانفطار: الآية ٨.

(٢) الخشبيّة: قوم من الجهمية يقولون إن القرآن مخلوق وإن الله لا يتكلم، وهو من أصحاب المختار بن أبي عبيد.

(٣) السَّيَالة: هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكّة (معجم البلدان ٣/ ٢٩٢).

الملك بن عبد العزيز أحسَبه عن ابن الماجِشون قال: وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن عليّ قد وضعَ الأرصادَ[1] على كُثَيِّر فلا يزال يُؤتَى بالخبر من خبره، فيقول له إذا لَقِيَهُ: كنتَ في كذا وكنت في كذا؛ إلى أن جرى بين كُثَيِّر وبين رجل كلامٌ فأُتِيَ به أبو هاشم، فأقبل به على أدراجه؛ فقال له أبو هاشم: كنتَ الساعةَ مع فلان فقلتَ له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا، فقال له كثيِّر: أشهد أنّك رسولُ اللّهِ.

أخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال: حَدّثنا محمد، وأخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُبير قال: حَدّثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أحسَب قال: نظر كُثَيِّر إلى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال: بأبي أنتم! هؤلاء الأنبياء الصغار، وكان يرى الرَّجْعة، وروى علي بن بشر بن سعيد الرّازيّ عن محمد بن حُمَيْد عن أبي زُهير عبد الرحمٰن بن مَغْراء الدَّوْسيّ عن محمد بن عُمَارة قال: مَرَّ كُثَيِّر بمعاوية بن عبد الله بن جعفر وهو في المكتب، فأكَبَّ عليه يُقَبِّله وقال: أنت من الأنبياء الصغار وربِّ الكعبة!

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حَدّثنا محمد بن إسماعيل قال: حَدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز قال: حَدّثني إبراهيم بن داجَة قال: كان كُثَيِّر شيعيّاً، وكان يأتي ولدَ حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه، فيهبُ لهم الدَّراهم ويقول: وابأبي الأنبياء الصغار! وكان يؤمن بالرَّجعة. فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وهو أخوهمَ لأُمّهم: يا عمّ هَبْ لي؛ فيقول: لا! لستَ من الشجرة.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال: حَدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال: حَدّثني الزُّبير بن بكّار قال: حَدّثني عثمان بن عبد الرحمٰن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عُبيد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز: إنّي لأعرفُ صُلاَّحَ بني هاشم من فُسَّادِهم بحبِّ كُثَيِّر: مَنْ أَحَبَّه منهم فهو فاسدٌ، ومَنْ أبغضه فهو صالح؛ لأنه كان خَشَبِيّاً يقول بالرجعة.

أخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني عبد العزيز بن محمد الدَّرَاوَرْدِيّ عن أبي لَهِيعة عن رَجَاء بن حَيْوَة قال: سَمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول: إن ممّا أعتبر به صُلاَّح بني هاشم وفُسَّادهم حُبَّ كثيِّر، ثم ذكر مِثْلَه.

أخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثنا عليّ بن صالح عن ابن دَأْب

(١) الأرصاد: المراقبون.

قال: كان كثيِّر يدخل على عَمَّة له بَرْزةٍ[1] فتُكرمُه وتطرَحُ له وسادةً يجلس عليها. فقال لها يوماً: لا واللَّه ما تعرفينني ولا تُكرمينني حَقَّ كرامتي! قالت: بَلَى واللَّه إنّي لأعرفك. قال: فَمنْ أنا؟ قالت: ابن فلان وابن فلانة، وجعلت تمدح أباه وأمّه. فقال: قد عرفتُ إنكِ لا تعرفينني. قالت: فَمنْ أنت؟ قال: أنا يونس بن مَتَّى.

[عقوقه لأبيه وحمقه]

أخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني أبي قال: كان كُثَيِّر عاقّاً لأبيه، وكان أبوه قد أصابته قُرْحَةٌ في إصبع من أصابع يده، فقال له كُثَيِّر: أتدري لِمَ أصابتكَ هذه القرحة في إصبعك؟ قال: لا أدري. قال: مما ترفعها إلى اللَّه في يمين كاذبة.

أخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغِفَاريّ عن أبيه وغيره قال: حَدّثني رجل من مُزَيْنة قال: ضِفْتُ كُثَيِّراً ليلةً وبتُّ عنده ثم تَحَدَّثنا ونِمْنا، فلمّا طلع الفجر تَضَوَّرَ[2]، ثم قمت فتوضّأت وصلّيت وكثيِّر راقد في لِحافه. فلما طلع قَرْن الشمس تضوّر ثم قال: يا جارية أَسْجُري لي ماء. قال: قلتُ: تَبّاً لك سائرَ اليوم! أو هذه الساعةَ هذا! وركبتُ راحلتي وتركته. قال الزبير: أَسْخِني لي ماء.

أخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن محمد بن عبد العزيز عن ابنِ شهاب عن طَلحة بن عُبَيْد اللَّه قال: ما رأيتُ قطُّ أحمقَ من كُثَيِّر، دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنّا كثيراً ما نتهزّأ به، وكان يتشيّعُ تَشَيُّعاً قبيحاً. فقلت له: كيف تَجِدُكَ يا أبا صخر؟ وهو مريض؛ فقال: أجدني ذاهباً. فقلت: كَلاَّ! فقال: هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ فقلت: نعم! يتحَدّثون أنك الدَّجَّال. قال: أمَا لئن قلتَ ذاك إنِّي لأَجِدُ في عيني ضعفاً منذ أيّام.

أخبرني الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بنِ عمْران: أن ناساً من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثيِّر فيقولون وهو يسمع:

---

(١) امرأة برزة: التي تبرز للقوم وتتحدَّث إليهم دون احتجاب وهي موثوق برأيها وعفافها.

(٢) تضوَّر: تلوّى.

إنَّ كُثَيِّراً لا يلتفت من تِيهِهِ، فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضي في قميص.

[بعض أخباره مع عبد الملك بن مروان وتشيّعه]

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيُّوب قال: حَدّثنا عبد الله بن مُسْلم بن قُتَيْبة قال: بلغني أن كثيِّراً دخل على عبد الملك بن مروان، فسأله عن شيء فأخبره به. فقال: وحقِّ علي بن أبي طالب إنه كما ذكرتَ؟ قال كثيِّر: يا أمير المؤمنين، لو سألتني بحَقِّكَ لَصَدَقتُكَ. قال: لا أسألك إلا بحقِّ أبي تُرَاب[1]. فحلف له به فَرَضِيَ.

أخبرنا الفضل بن الحُبَاب أبو خَليفة قال: حَدّثنا محمد بن سَلاّم قال: أخبرني عثمان بن عبد الرحمٰن، وأخبرنا محمد بن جعفر النحويّ قال: حَدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال: وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا: حَدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثنا المُؤَمَّلي عن ابن أبي عُبَيْدة، قالوا جميعاً: لما أراد عبد الملك الخروجَ إلى مُصْعَب لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية وهي أُمّ ابنه يزيد، وقالت: يا أمير المؤمنين، لا تخرج السنةَ لحرب مُصْعَب، فإنّ آل الزُّبير ذكَروا خروجك، وابعث إليه الجيوش، وبكتْ وبكى جواريها معها. وجلس وقال: قاتل الله ابنَ أبي جُمعة! فأين قوله:

صوت [الطويل]

إذا ما أرادَ الغَزْوَ لم تَثْنِ هَمَّهُ حَصَانٌ عليها عِقْدُ دُرٍّ يَزِينُها[2]
نَهَتْهُ فَلَمّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عاقَهُ بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا شَجَاهَا قَطِينُها[3]

ـ غنّاه ابنُ سُرَيْج ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ـ والله

---

(١) أبو تراب: لقب علي بن أبي طالب عليه السلام لقّبه به النبيّ ﷺ حين دخل على فاطمة رضي الله عنها وسألها عن ابن عمّها فأخبرته أنه في المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل يمسح التراب عنه ويقول له: اجلس يا أبا تراب.

(٢) في الديوان «عَزْمَهُ» بدل «هَمَّهُ» و«نَظْمُ» بدل «عِقْدُ». والحَصَان: المرأة العفيفة.

(٣) القطين: الخدم والأتباع.

لكأنه يراني وَيَراكِ يا عاتكة؛ ثم خرج. قال محمد بن جعفر النحويّ في خبره - ووافقه عليه عمر بن شبّة -: فلمّا خرج عبد الملك نظر إلى كُثَيِّر في ناحية عسكره يسير مُطْرِقاً؛ فدعا به وقال: لأَعْلَمُ ما أسكتكَ وأَلْقَى عليك بَثَّكَ[١]، فإن أخبرتُك عنه أَتَصْدُقُنِي؟ قال نعم! قال: قُلْ وحَقِّ أبي تُرَاب لَتَصْدُقَنِّي؛ قال: والله لأَصْدُقَنَّكَ. قال: لا أَوْ تَحْلِفَ به، فحلف به. فقال: تقول: رجلان من قريش يلقى أحدُهما صاحبَه فيحاربُه، القاتل والمقتول في النار، فما معنى سيري مع أحدهما إلى الآخر ولا آمَنُ سهماً عائراً[٢] لعلّه أن يصيبَني فيقتلَني فأكونَ معهما! قال: والله يا أمير المؤمنين ما أخطأتَ. قال: فارجِعْ من قريب؛ وأمر له بجائزة.

أخبرنا وَكِيع قال: حَدّثني أحمد بن أبي طاهر قال: حَدّثنا أبو تَمّام الطّائيّ حَبِيب بن أَوْس قال: حَدّثني العَطّاف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دِمَشْق قال: حَدّثني حَفْص الأَمَوِيّ قال: كنتُ أختلفُ إلى كُثَيِّر أَتَرَوَّى شِعرَه، قال: فوالله إنّي لَعِنده يوماً إذ وقف عليه واقفٌ فقال: قُتِلَ آلُ المُهَلَّب بِالعَقْر[٣]. فقال: ما أَجَلَّ الخَطْبَ! ضَحَّى آلُ أبي سُفْيان بِالدِّين يوم الطَّفِّ[٤]، وضَحَّى بنو مَرْوان بالكَرَم يوم العَقْر! ثم انتضحَتْ عيناه باكياً. فبلغ ذلك يزيدَ بن عبد الملك فدعا به، فلمّا دخل عليه قال: عليكَ لعنةُ الله! أَلتُرابِيَّة[٥] وعَصَبِيّة! وجعل يضحك منه.

[رأي عبد الملك بن مروان في شعره]

أخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني محمد عن أبيه قال: قال عبد الملك بن مروان لكثيِّر: مَنْ أشعرُ الناس اليومَ يا أبا صخر؟ قال: مَنْ يروي أميرُ المؤمنين شِعْرَه. فقال عبد الملك: أمَا إِنَّكَ لَمِنهم.

أخبرنا وكيع قال: حَدّثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزّيات قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن ابن أبي عَوْف عن عَوَانة قال: قال كُثَيِّر لعبد الملك: كيف ترى شِعري يا أمير المؤمنين؟ قال: أراه يسبِقُ السِّحْرَ، ويَغْلِبُ الشِّعْرَ.

---

(١) البَثّ: شدّة الحزن.
(٢) السَّهم العائر: الذي لا يُعْرَفُ راميه.
(٣) العَقْر: هو عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة (معجم البلدان ٤/ ١٣٦).
(٤) الطَّفّ: أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي عليه السلام (معجم البلدان ٤/ ٣٦).
(٥) ترابية: من شيعة أبي تراب (علي بن أبي طالب عليه السلام).

أخبرنا عمّي عن الكُرَانيّ عن النَّضْر بن عمر قال: كان عبد الملك بن مروان يُخْرِج شِعرَ كُثَيِّر إلى مُؤَدِّبِ ولده مختوماً يُرَوِّيهم إياه ويرُدُّه.

[أوّل شعر قاله]

أخبرنا الحرميّ قال: أخبرنا الزُّبير قال: حَدّثنا عبد الله بن خالد الجُهَنيّ أن كُثَيِّراً شَبَّ في حِجْرِ عَمٍّ له صالح، فلمّا بلغ الحُلُمَ أشفق عليه أن يَسْفَهَ، وكان غير جَيِّدِ الرَّأي ولا حَسَنِ النَّظر في عواقب الأمور. فاشترى له عَمُّه قطيعاً من الإبل وأنزله فَرْش مَلَل[1] فكان به، ثم ارتفع فنزل فَرْعَ المِسْوَر بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عَوْف من جبل جُهَيْنة الأصغر، وكان قبل المسور لبني مالك بن أَفْصَى، فضيّقوا على كُثَيِّر وأساءُوا جِوارَه؛ فانتقل عنهم وقال: [الطويل]

أَبَتْ إِبِلِي مَاءَ الرَّدَاةِ وشَفَّهَا بَنُو العَمِّ يَحْمونَ النَّضِيحَ المُبَرَّدا[2]
وما يَمْنَعونَ المَاءَ إلاّ ضَنَانَةً بِأَصْلابِ عُسْرَى شَوْكُها قَدْ تَخَدَّدَا[3]
فعَادَتْ فلم تَجْهَدْ على فَضْلِ مَائِهِ رِيَاحاً ولا سُقْيَا ابْنِ طَلْقِ بنِ أَسْعَدا[4]

قال: ويُرْوَى أنه أوّل شعر قاله.

[بعض قصصه مع عزّة حبيبته]

أخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني عَمّي قال: قال كثيِّر: ما قلتُ الشعر حتى قُوِّلتُه. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: بينا أنا يوماً نصفَ النهار أسير على بعيرٍ لي بالغَميم أو بقاع حَمْدان إذا راكبٌ قد دنا منِّي حتى صار إلى جنبي؛ فتأمّلته فإذا هو من صُفْر وهو يجرُّ نفسه في الأرضِ جَرّاً. فقال لي: قل الشعر وألقاه عليّ. قلت: مَنْ أنت؟ قال: أنا قَرِينُكَ من الجِنّ. فقلتُ الشعر.

ونُسِبَ كُثَيِّر لِكثرة تشبيبه بعَزّة الضَّمرِيّة إليها، وعُرِفَ بها فقيل كُثَيِّر عَزَّة. وهي عزّة بنت حُمَيْل بن وَقّاص.

(١) فرش ملل: وادٍ بين عميس الحمام وملل. (معجم البلدان ٤/ ٢٥٠).
(٢) الرَّداة: الصخرة. وفي رواية الديوان «الرَّدَاه» والرَّداه: جمع الرَّدْهَة: وهي النقرة في الجبل أو في الصخر، أو هي الصخرة في الماء. والنضيح: الحوض لأنه ينضح العطش أي يبلّه.
(٣) ضنانة: بخلاً. وأصلاب: جذوع. والعُسْرَى: البقلة الشائكة. وتخدَّد: تفرّق.
(٤) الفضل: البقيّة.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني محمد بن الحسن قال: أبو بَصْرة الغِفَاريّ المحَدّث واسمه حُمَيْل بن وَقّاص هو أبو عَزّة التي كان ينسُب بها كثيِّر، وكان ابتداء عشقه إيّاها ـ على أنه قد قيل: إنه كان في ذلك كاذباً ولم يكن بعاشق، وذلك يُذْكَرُ بعد خبره معها ـ فيما أخبرني به الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حَدّثني عبد الله بن إبراهيم السعديّ قال: حَدّثني إبراهيم بن يعقوب بن جَمِيع الخُزَاعيّ: أنه كان أوّل عشق كُثَيِّر عَزَّةَ أن كُثَيِّراً مرّ بنسوة من بني ضَمْرة ومعه جَلَبُ غنم، فأرسلن إليه عزّة وهي صغيرة؛ فقالت: يقلن لك النسوة: بِعْنا كَبْشاً من هذه الغنَم وأنْسِئْنا بثمنه إلى أن ترجع؛ فأعطاها كبشاً وأعجبته. فلما رجع جاءته امرأة منهنّ بدراهمه؛ فقال: وأين الصبيّة التي أخذت منّي الكبش؟ قالت: وما تصنع بها! هذه دراهمك. قال: لا آخذ دراهمي إلا ممن دفعتُ الكبش إليها. وخرج وهو يقول: [الطويل]

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ وعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُها

قال: فكان أوّل لقائه إياها.

أخبرني الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني عبد الرحمٰن بن الخضر بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمٰن أبي جَنْدَل عن أبيه عبد العزيز الخزاعيّ ـ وأمُّه جمعة بنت كثيِّر ـ عن أمّه جمعة عن أبيها كُثَيِّر أنّ أوّل علاقته بِعَزّة أنه خرج من منزله يسوقُ خَلْفَ غنم إلى الجار؛ فلما كان بالخَبْت وقف على نسوةٍ من بني ضَمْرة فسألهنّ عن الماء، فقلن لعزّة وهي جارية حين كَعَب ثدياها: أرشديه إلى الماء، فأرشدتْه وأعجبته. فبينا هو يسقي غنمَه إذ جاءته عزّة بدراهم، فقالت: يقلن لك النسوةُ: بِعْنا بهذه الدراهم كبشاً من ضَأنك. فأمر الغلامَ فدفع إليها كبشاً، وقال: رُدِّي الدراهم وقولي لهنّ: إذا رحتُ بكنّ اقتضيتُ حقِّي. فلما راح مرّ بهنّ؛ فقلن له: هذا حقُّك فخذه. فقال: عَزَّةُ غَريمي، ولست أقتضي حقِّي إلاّ منها. فمزحن معه وقلن: ويحك! عَزّةُ جارية صغيرة وليس فيها وفاء لِحَقِّك فأحِلْه على إحدانا فإنها أملأ به منها وأسرع له أداء. فقال: ما أنا بمُحيلٍ حقّي عنها. ومضى لوجهه، ثم رجع إليهنّ حين فرغ من بيع جَلَبِه فأنشدهنّ فيها: [الطويل]

نظرتُ إليها نظرةً وهي عاتقٌ على حين أن شَبّتْ وبان نُهودها
وقد دَرَّعُوها وهي ذات مُؤَصَّدٍ مَجُوبٍ ولمّا يَلْبَس الدِّرْعَ رِيدُها
من الخفِراتِ البِيض وَدّ جليسُها إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها

في هذا البيت وأبياتٍ أُخَر معه غناءٌ يذكر بعد تمام هذا الخبر وما يضاف إليه من جنسه، وأنشدهنّ أيضاً: [الطويل]

قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفّى غريمَه وعَزّةُ ممطولٌ مُعَنّى غريمُها

فقلن له: أبيتَ إلاّ عزَّةَ! وأبرزنها إليه وهي كارهة. ثم أحبّته عزّة بعد ذلك أشدّ من حبّه إيّاها. قال الزُّبير: فسألت محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمٰن الخُزَاعيّ المعروف بأبي جَنْدَل عن هذا الحديث، فعرفه وحَدّثنيه عن أبيه عن جدّه عبد العزيز بن أبي جندل عن أمّه جمعة بنت كثيِّر عن أبيها.

وأخبرني عَمّي الحسن بن محمد الأصفهانيّ رحمه الله قال: حَدّثني محمد بن سعد الكُرَانيّ قال: حَدّثنا النَّضْر بن عمرو قال: حَدّثني عمر بن عبد الله بن خالد المُعَيطيّ، وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حَدّثني يعقوب بن نُعَيم قال حَدّثني إبراهيم بن إسحاق الطَّلْحيّ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبير قال حدثني يعقوب بن عبد الله الأسدي وغيره، قال الزبير وحَدّثني محمد بن صالح الأسلميّ قال:

دخلتْ عزّة على عبد الملك بن مَرْوان وقد عَجُزَتْ؛ فقال لها أنت عزّة كثيِّر! فقالت: أنا عزّة بنت حُمَيْل. قال: أنت التي يقول لك كُثَيِّر: [الطويل]

لِعَزَّةَ نارٌ ما تَبُوخُ كأنّها إذا ما رَمَقْناها مِنَ البُعْدِ كَوْكَبُ

فما الّذي أعجبه منكِ؟ قالت: كَلاَّ يا أمير المؤمنين! فوالله لقد كنتُ في عهده أحسن من النّار في اللَّيْلَةِ القَرَّة. وفي حديث محمد بن صالح الأسلميّ: فقالت له: أعجبه منّي ما أعجب المسلمين منك حين صَيَّرُوكَ خليفةً. قال: وكانت له سِنٌّ سوداء يُخْفِيها؛ فضَحِكَ حتى بَدَتْ. فقالت له: هذا الذي أردتُ أن أُبديه. فقال لها: هل تروين قول كُثَيِّر فيك: [الطويل]

وقد زَعَمَتْ أَنّي تَغَيَّرتُ بعدَها ومَنْ ذا الَّذِي يا عَزُّ لا يَتَغَيَّرُ
تَغَيَّرَ جِسْمِي والخَلِيقَةُ كالَّتِي عَهِدْتِ ولم يُخْبَرْ بِسِرِّكِ مُخْبَرُ

قالت: لا ولكني أروي قوله:

كَأَنّي أُنادِي صَخْرَةً حين أَعْرَضَتْ مِنَ الصُّمِّ لو تَمْشِي بها العُصْمُ زَلَّتِ
صَفُوحاً فما تَلْقَاكَ إلاّ بَخِيلةً فَمَنْ مَلَّ منها ذلكَ الوَصْلَ مَلَّتِ

فأمر بها فأُدخلت على عاتكة بنت يزيد ـ وفي غير هذه الرّواية: أنها أُدخلتْ على أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ـ فقالت لها: أرأيتِ قول كُثيِّر:

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ وعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُها

ما هذا الّذي ذكره؟ قالت: قبلةٌ وَعَدْتُه إيّاها. قالت: أنجزيها وعليّ إثْمُها.

أخبرنا الحسن بن الطيّب البَجَليّ الشُّجاعيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: روى ابن جُعْدُبة عن أشياخه، وأخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حَدّثنا أبو بكر بن يزيد بن عِيَاض بن جُعْدُبة عن أبيه أَنَّ كُثَيِّراً كان له غلام تاجر؛ فباع من عَزَّةَ بعض سِلَعِهِ ومَطَلَتْهُ مُدَّةً وهو لا يعرفُها. فقال لها يوماً: أنت والله كما قال مولاي:

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ وعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُها

فانصرفت عنه خَجِلةً. فقالت له امرأة: أتعرفُ عَزَّةَ؟ قال: لا والله!. قالت: فهذه والله عزّة. فقال: لا جَرَمَ والله لا آخُذُ منها شيئاً أبداً ولا أقتضيها. ورجع إلى كُثَيِّر فأخبره بذلك؛ فأعتقه ووهَبَ له المال الذي كان في يده.

أخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حَدّثني يعقوب بن حَكيم السُّلَميّ عن قسيمة بنت عِيَاض بن سعيد الأسلميّة؛ وكنيتها أمّ البنين، قالت: سارت علينا عَزَّةُ في جماعة من قومها بين يَدَيْ يَرْبُوع وجُهَيْنة، فسمعنا بها؛ فاجتمعت جماعةٌ من نساء الحاضر أنا فيهن؛ فجئناها فرأينا امرأةً حُلْوةً حُمَيْراء[1] نظيفة، فتضاءلنا لها، ومعها نسوةٌ كلّهن لها عليهنَّ فَضْلٌ من الجمال والخَلْق، إلى أن تحدَّثَتْ ساعةً فإذا هي أبرعُ النّاسِ وأحلاهم حديثاً، فما فارقناها إلاّ ولها علينا الفضلُ في أعيننا، وما نرى في الدّنيا امرأةً تروقها[2] جمالاً وحسناً وحلاوةً.

أخبرني عَمّي قال: حَدّثني فضل اليَزيديّ عن إسحاق الموصلي عن أبي نصر (شيخ له) عن الهَيْثم بن عَدِيّ: أنّ عبد الملك سأل كُثَيِّر عن أعجب خبر له مع عزّة؛ فقال: حَجَجْتُ سنةً من السّنين وحَجَّ زوجُ عَزّةَ بها، ولم يعلمْ أحدٌ مِنّا

---

(١) حميراء: بيضاء.

(٢) تروقها: لعلّ الأصل تفوقها.

بصاحبه. فلمّا كنا ببعض الطريق أَمَرَها زوجُها بابتياع سمن تُصْلِحُ به طعاماً لأهل رُفْقته؛ فجعلتْ تَدُورُ الخيامَ خيمةً خيمةً حتى دخلتْ إليّ وهي لا تعلم أنها خيمتي، وكنت أَبرِي أسهُماً لي؛ فلما رأيتها جعلت أَبري وأنا أنظر إليها ولا أعلم حتى بَرَيْتُ عِظامي مَرَّات ولا أشعر به والدم يجري، فلما تبيّنَتْ ذلك دخلتْ إليّ فأمسكَتْ يدي وجعلَتْ تمسح الدّمَ عنها بثوبها؛ وكان عندي نِحْيٌ[1] من سمن، فحلفتُ لَتَأخذنَّهُ، فأخذَتْه وجاءت إلى زوجها بالسمن. فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمَتْهُ، حتى حلفَ لتَصْدقَنَّهُ فصدَقته؛ فضربها وحلف لتَشتمنّي في وجهي، فوقفتْ عليّ وهو معها فقالت لي: يابنَ الزّانية وهي تبكي، ثم انصرفا. فذلك حين أقول: [الطويل]

يُكَلِّفُهَا الخِنْزِيرُ شَتْمِي وما بِهَا ... هَوَانِي ولَكِنْ لِلمَلِيكِ اسْتَذَلَّتِ

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء:

صوت

خَلِيلَيَّ هذا رَسْمُ عَزَّةَ فَاعْقِلاَ ... قَلُوصَيْكما ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّت

وما كُنتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةَ ما البُكَا ... ولا مُوجِعَاتِ القَلْبِ حَتَّى تَوَلَّتِ

فَلَيْتَ قَلُوصِي عِنْدَ عَزَّة قُيِّدَتْ ... بِحَبْلٍ ضَعِيفٍ بَانَ منها فَضَلَّتِ[2]

وأصبحَ في القوم المُقِيمينَ رَحْلُها ... وكانَ لها بَاغٍ سِوَايَ فَبلَّتِ[3]

فقلتُ لها يا عَزُّ كُلُّ مُصِيبةٍ ... إذا وُطِّنَتْ يَوْماً لها النَّفْسُ ذَلَّتِ

أَسِيئِي بِنَا أو أَحْسِنِي، لا مَلُومَةٌ ... لَدَيْنَا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ[4]

هَنِيئاً مَرِيئاً غيرَ داءٍ مُخَامِرٍ ... لِعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا ما اسْتَحَلَّتِ[5]

تَمَنَّيْتُها حَتَّى إذا ما رَأَيْتُها ... رَأَيْتُ المَنَايا شُرَّعاً قد أَظَلَّتِ

كأنِّي أُنَادِي صَخْرَةً حين أَعْرَضَتْ ... مِنَ الصُّمِّ لو تَمْشِي بها العُصْمُ زَلَّتِ[6]

---

(١) النِّحْيُ: جَرَّة من الفخّار يُجعل فيها اللّبَن فيُمخض أي يُستخرج زبده.

(٢) القلوص من الإبل: الشابّة القويّة.

(٣) بلَّت المطيّة: إذا ذهبت في الأرض ضالَّةً.

(٤) القلي: البغض.

(٥) المريء: ما ساغ من الطعام والشراب وكان محمود العاقبة. والمخامر: المخالط.

(٦) أعرضت: صَدَّت. والعُصم: جمع العصماء والأعصم: وهو من الظباء والوعول ما في ذراعيه بياض وسائر جسده أسود أو أحمر. وزَلَّت: زلقت.

صَـفُـوحـاً فـمـا تَـلْـقَـاكَ إلاّ بَـخِـيـلَـةً فَمَنْ مَلَّ منها ذلكَ الوَصْلَ مَلَّتِ[١]
أَصَابَ الرَّدَى مَنْ كان يَهْوَى لَكِ الرَّدَى وجُـنَّ الـلَّـوَاتـي قُـلْـنَ عَـزَّةُ جُـنَّـتِ

عَروضه من الطويل، غنّى معبد في الخمسة الأُوَل ثقيلاً أوّل بالوسطى، وغَنّى إبراهيم في الثالث والرابع ثقيلاً أوّل بالبنصر عن عمرو، وغَنّى في «هنيئاً مريئاً» والذي بعده خفيفَ رملٍ بالوسطى، وغَنّى إبراهيم في الخامس وما بعده ثاني ثقيل، وذكر الهشاميّ أنّ لابن سُرَيج في «هنيئاً مريئاً» وما بعده ثاني ثقيل بالبنصر، وذكر أحمد بن المكيّ أن لإبراهيم في «كأني أنادي» والذي بعده وفي «أسيئي بنا أو أحْسِني» هزجاً بالسّبابة في مجرى البنصر؛ ولإسحاق فيه هزج آخر به، ولِعَرِيبَ في «كأنّي أنادي» أيضاً رمل، ولإسحاق في «وما كنت أدري» ثقيل أوّل، وله في «أصاب الرَّدَى» ثقيل أوّل آخر، وقيل: إن لإبراهيم في «فقلت لها يا عزّ» خفيفَ ثقيل ينسب إلى دَحْمان وإلى سِيَاط.

أخبرني الحرميّ وحبيب بن نَصْر قالا: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجُهَنيّ عن أبيه قال: سارت علينا عَزَّة في جماعة من قومها، فنزلتْ حِيَالَنا، فجاءني كُثَيِّر ذات يوم فقال لي: أُريدُ أن أكونَ عندك اليوم فأذهبَ إلى عزّة؛ فصرتُ به إلى منزلي. فأقام عندي حتى كان العِشاء، ثم أرسلني إليها وأعطاني خاتمَه وقال: إذا سَلَّمْتَ فستَخْرُجُ إليك جارية، فادفع إليها خاتَمي وأَعْلِمْها مكاني. فجئت بيتها فسلّمتُ فخرجتْ إليّ الجارية فأعطيتها الخاتمَ. فقالت: أين الموعد؟ قلت: صَخَراتُ أبي عُبَيْد اللّيلةَ، فواعدتها هناك؛ فرجعتُ إليه فأعلمتُه. فلما أمسى قال لي: انْهَضْ بنا؛ فنهضْنا فجلسنا هناك نتحدّثُ حتى جاءت من اللّيل فجلستْ فتحَدّثا فأطالا، فذهبتُ لأَقومَ، فقال لي: إلى أين تذهب؟ فقلت: أُخَلِّيكما ساعةً لعلّكما تتحَدّثان ببعض ما تكتُمان. فقال لي: اجلس! فوالله، ما كان بيننا شيء قَطُّ. فجلستُ وهما يتحَدّثان وإنّ بينهما لَثُمَامةً[٢] عظيمة هي من ورائها جالسة حتى أسحَرْنا، ثم قامت فانصرفت، وقمت أنا وهو؛ فظلّ عندي حتى أمسى ثم انطلق.

أخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد

(١) في رواية الديوان «صفوحٌ» ويقال: صفح عني فلانٌ أي أعرض عنه مُوَلِّياً.
(٢) الثُمام: نبت ضعيف له خوص.

الله بن سعيد بن أبَان بن سعيد بن العاصي قال: خرج كُثَيِّر في الحَاجِّ بجملٍ له يبيعه، فمرّ بسُكَيْنة بنت الحسين ومعها عَزَّة وهو لا يعرفها. فقالت سُكَينة: هذا كُثَيِّر فسُومُوه بالجمل؛ فساموه فاستام مائتي درهم فقالت: ضَعْ عَنّا فأبى. فدعَتْ له بتمرٍ وزُبْدٍ فأكل؛ ثم قالت له: ضع عنا كذا وكذا (لشيء يسير) فأبى. فقالوا: قد أكلتَ يا كُثَيِّر بأكثر مما نسألك!. فقال: ما أنا بواضع شيئاً. فقالت سُكينة: اكشفوا، فكشفوا عنها وعن عزّةَ. فلما رآهما استحيا وانصرف وهو يقول: هو لكم هو لكم!.

[بعض روايات عن عدم صدقه في حبّ عزّة وعتابها له]

مَنْ ذكر أن كثيراً كان يكذِب في عشقه:

أخبرنا أبو خَليفة قال: حَدّثنا ابن سَلاّم قال: كان كُثَيِّر مُدَّعِياً ولم يكن عاشقاً، وكان جميلٌ صادقَ الصَّبابة والعشق.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا: حَدّثنا عمر بن شبّة قال: زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عُبَيْدة يقول: كان جميل يصدُقُ في حُبِّه، وكان كُثَيِّر يكذِبُ.

وممّا وجدناه في أخباره ولم نسمَعْه من أحد أنه نظر إلى عزّة ذات يوم وهي منتقبة تميسُ في مِشْيتها؛ فلم يعرِفْها كُثَيِّر، فاتّبعها وقال: يا سَيِّدتي! قِفِي حتّى أُكَلِّمكِ فإنّي لم أَرَ مثلك قطُّ، فمَنْ أنتِ وَيْحَكِ؟ قالت: وَيْحَكَ! وهل تركَتْ عزّةُ فيك بقيّة لأحد؟ قال: بأبي أنت! والله لو أنّ عزّة أَمَةٌ لي لَوَهَبْتُها لكِ. قالت: فهل لك في المُخَالَلَة[1]؟ قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: أنَّى وكيف بما قلتَ في عزّة؟! قال: أقلبه فأُحوِّله إليك. فسفَرَتْ عن وجهها ثم قالت: أغَدراً يا فاسق وإنّك لهكذا! فأَبْلَس[2] ولم ينطقْ وبُهتَ. فلمّا مَضَتْ أنشأ يقول: [الطويل]

أَلاَ ليتني قبلَ الّذي قُلْتُ شِيبَ لي ... من السُّمِّ جَدْحَاتٌ بِماءِ الذَّرَارِحِ[3]

فمتُّ ولم تَعْلَمْ عَلَيَّ خيانةً ... وكم طَالبٍ لِلرِّبْحِ ليسَ بِرَابِحِ

أَبُوءُ بِذَنْبِي إنَّني قد ظَلَمْتُها ... وإنِّي بِبَاقي سِرِّها غَيْرُ بَائحِ

---

(١) المُخَالَلة: المصاحبة.

(٢) أبلس: سكت وتحيَّر.

(٣) شِيبَ: خُلِطَ. والذّرارح: من السموم القاتلة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثني عمر بن شبّة قال: زعم ابن الكلبيّ عن أبي المقوَّم قال: أخبرني سائب راوية كُثَيِّر قال: خرجتُ معه نريد مصر، فمررنا بالماء الذي فيه عَزّة فإذا هي في خِباء؛ فسلّمنا جميعاً؛ فقالت عزّة: وعليكَ السَّلام يا سائب. ثم أقبلَتْ على كُثَيِّر فقالت: ويحكَ! ألاَ تتّقي الله! أرأيت قولك: [الوافر]

بِـآيَـةِ مـا أَتَـيْـتُـكِ أُمَّ عَـمْـرٍو ... فَـقُـمْـتِ لِـحَـاجَـتِـي والـبَـيْـتُ خَـالِـي

أَخَلَوْتُ معك في بيت أو غير بيت قَطُّ؟! قال: لم أَقُلْهُ، ولكنني قلتُ: [الوافر]

فَـأُقْـسِـمُ لـو أَتَـيْـتُ الـبَـحْـرَ يَـوْمـاً ... لأَشْـرَبَ مـا سَـقَـتْـنِـي مـن بِـلاَلِ[١]

وأُقْـسِـمُ إِنَّ حُـبَّـكِ أُمَّ عَـمْـرٍو ... لَـدَاءٌ عـنـدَ مُـنْـقَـطَـعِ الـسُّـعَـالِ[٢]

قالت: أمّا هذا فنَعَمْ. فأتينا عبدَ العزيز[٣] ثم عُدْنا؛ فقال كُثَيِّر: عليكِ السّلامُ يا عزّة قالت: عليك السّلام يا جملُ. فقال كُثَيِّر:

صوت

[البسيط]

حَيَّتْكَ عَزَّةُ بَعْدَ الـهَـجْـرِ فـانْـصَـرَفَـتْ ... فَـحَـيِّ وَيْـحَـكَ مَـنْ حَـيَّـاكَ يـا جَـمَـلُ

لـو كُـنْـتَ حَـيَّـيْـتَـهـا مـا زِلْـتَ ذا مِـقَـةٍ ... عِـنْـدِي وما مَـسَّكَ الإدلاجُ والعَـمَـلُ[٤]

لـيـتَ الـتَّـحِـيَّـةَ كـانَـتْ لِـي فَـأَشْـكُـرَهـا ... مَـكَـانَ يـا جَـمَـلٌ حُـيِّـيـتَ يـا رَجُـلُ

ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات غناءً لِمَعْبَد، وذكر الهشاميّ أنّ فيها لبُثَيْنة خفيفَ رملٍ بالبنصر، وذكر حَبَشٌ أنّ فيها للغَرِيض خفيفَ ثقيل أوّل بالوسطى، ولإبراهيم ثانيَ ثقيل بالوسطى.

أخبرني عَمّي قال: حَدّثني الحسن بن علَيْل العَنزيّ قال: حَدّثني عليّ بن محمد البرمكيّ قال: حَدّثني إبراهيم بن المهديّ قال: قَدِمَ عَلَيَّ هشامُ بن محمّد

---

(١) بلال: ما يُبَلُّ به الحلق من ماء أو غيره.

(٢) الشطر الثاني في رواية الديوان:
«لَدَى جَنْبي ومُنْقَطَعِ السّعال». ومنقطع السعال: يعني به الصدر.

(٣) يعني عبد العزيز بن مروان والي مصر.

(٤) المِقَة: المحبة. والإدلاج: السّير ليلاً.

الكلبيّ فسألته عن العشّاق يوماً فحَدّثني قال: تعشَّقَ كُثَيِّر امرأةً من خُزَاعة يقال لها أُمّ الحُوَيْرِث فنسَب بها، وكَرِهَتْ أن يُسَمِّع بها ويفضَحها كما سمّع بعزّة؛ فقالت له: إنك رجلٌ فقير لا مالَ لك؛ فابتغ مالاً يُعَفِّي[(١)] عليكَ ثم تعالَ فاخطُبْني كما يخطُبُ الكِرَام. قال: فاحلفي لي ووَثِّقي أنّك لا تتزوّجين حتى أَقْدَمَ عليك؛ فحلفَتْ ووثَّقَت له. فمدح عبدَ الرّحمٰن بن إبريق الأزديّ، فخرج إليه، فلقيته ظِباءٌ سوانحٌ[(٢)] ولَقِيَ غراباً يفحَصُ الترابَ بوجهه؛ فتطيّر من ذلك حتى قَدِمَ على حيٍّ من لِهْب[(٣)] فقال: أيُّكم يَزْجُرُ؟ فقالوا: كلُّنا، فمَنْ تريد؟ قال: أَعْلَمُكُمْ بذاك. قالوا: ذاك الشيخ المنحني الصُّلْب. فأتاه فقصَّ عليه القصّة؛ فكره ذلك له وقال له: قد تُوُفِّيَتْ أو تزوّجَتْ رجلاً من بني عَمِّها. فأنشأ يقول:

صوت

[الطويل]

تَيَمَّمْتُ لِهْباً أَبْتَغِي العِلْمَ عِنْدَهُمْ ... وقد رُدَّ عِلْمُ العَائِفِينَ إلى لِهْبِ[(٤)]

تَيَمَّمْتُ شَيْخاً مِنْهُمُ ذا بَجَالَةٍ ... بَصِيراً بِزَجْرِ الطَّيْرِ مُنْحَنِيَ الصُّلْبِ[(٥)]

فَقُلْتُ له مَاذا تَرَى في سَوَانِحٍ ... وصَوْتِ غُرَابٍ يَفْحَصُ الوَجْهَ بالتُّرْبِ

فقالَ جَرَى الطَّيْرُ السَّنِيحُ بِبَيْنِها ... وقالَ غُرَابٌ: جَدَّ مُنْهَمِرُ السَّكْبِ[(٦)]

فَإِلاَّ تَكُنْ مَاتَتْ فقدَ حَالَ دُونَها ... سِوَاكَ خَلِيلٌ بَاطِنٌ مِنْ بَنِي كَعْبِ[(٧)]

ـ غنّاه مالك من رواية يونس ولم يُجَنِّسْهُ ـ قال: فمدح الرجلَ الأزديّ ثم أتاه فأصاب منه خيراً كثيراً، ثم قدِمَ عليها فوجدها قد تزوّجت رجلاً من بني كعب، فأخذه الهُلاَس[(٨)]، فكُشِحَ[(٩)] جَنْباه بالنّار. فلمّا اندمَل من عِلّته وضع يده على ظهره

(١) يعفّي عليك: يصلح حالك ويغنيك.
(٢) السوانح: جمع السانح: وهو الطائر الذي يمرّ عن يسار المسافر وكانوا يتشاءمون منه.
(٣) لِهب: قبيلة من اليمن معروفة بالعيافة وزجر الطير.
(٤) تيمّمتُ: قصدتُ. والعائف: الذي يزجر الطير.
(٥) البَجَالة: العظم والنبل والجلالة. ومنحني الصلب: منحني الظهر من الشيخوخة.
(٦) البَيْن: البعد. وجدَّ منهمر السكب: حان وقت البكاء وسكب الدموع الغزيرة.
(٧) الخليل الباطن: الصديق الخفي.
(٨) الهلاس: داء يُهزِل الجسم وهو كالسّلّ.
(٩) كُشِحَ: كَوِيَ بالنار.

فإذا هو بِرَقْمتين[١]؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: إنه أخذك الهُلاَسُ وزعمَ الأطباءُ أنه لا عِلاجَ لك إلا الكَشْح بالنّار فكُشِحْتَ بالنار. فأنشأ يقول:

صوت

[الطويل]

عَفَا اللّهُ عن أُمِّ الحُوَيْرِثِ ذَنْبَها ... عَلاَمَ تُعَنِّينِي وتَكْمِي دَوَائِيا[٢]

فلو آذَنُونِي قَبْلَ أَنْ يَرْقُمُوا بِهَا ... لَقُلْتُ لَهُمْ أُمُّ الحُوَيْرِثِ دَائِيا[٣]

ـ في هذين البيتين لمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى، ولابن سُرَيج رملٌ بالبنصر كلاهما عن عمرو والهشاميّ، وقيل: إنَّ فيهما لمعبد لحناً ـ وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا: حَدّثنا عمر بن شبّة ولم يتجاوزه بالرواية فذكر نحو هذا وقال فيه: إنه قصد ابن الأزرق بن حَفْص بن المُغيرة المخزوميّ الذي كان باليمن، وإنه فعل ذلك بعد موت عزّة. وسائر الخبر متقارب.

وأخبرني الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن محمد بن سليمان بن فُلَيْح أو فليح بن سليمان ـ أنا شككتُ ـ عن أبيه عن جدّه قال: جاء كُثَيِّر إلى عبد الله بن جعفر وقد نَحِلَ وتَغيّرَ. فقال له عبد الله: مالي أراك متغيّراً يا أبا صخر؟ قال: هذا ما عملَتْ بي أُمّ الحُوَيْرِث، ثم ألقى قميصه فإذا به قد صار مثل القَشّ وإذا به آثار من كَيٍّ؛ ثم أنشده:

عفا اللّهُ عن أُمّ الحويرث ذنبَها

الأبيات.

[عزّة وبثينة تمتحنان كُثَيِّراً]

أخبرني عمّي قال: حَدّثني ابن أُبَيّ قال: حَدّثني الحِزَامِيّ عمن حَدَّثه من أهل قُدَيْد[٤] أنّ عزّة قالت لِبُثَيْنة: تَصَدَّيْ لِكُثَيِّر وأطمعيه في نفسِك حتى أسمعَ ما يجيبكِ

(١) رقمتان: خَطّان من أثر الكيّ بالنار.

(٢) تكمي: تستر.

(٣) يرقموا: يكووا، وكل كيّة تسمّى رقمة.

(٤) قُدَيد: موضع قرب مكة (معجم البلدان ٤/٣١٣).

به. فأقبلت إليه وعزّة تمشي وراءها مختفيةً؛ فعرَضَتْ عليه الوصلَ؛ فقاربَها ثم قال: [الطويل]

رَمَتْني على عَمْدٍ بُثَيْنَةُ بَعْدَمَا ... تَوَلَّى شَبَابِي وارْجَحَنَّ شَبَابُها[1]

وذكر أبياتاً أُخَرَ سقط من الكتاب ذِكْرُها، فكشفتْ عزّةُ عن وجهها؛ فبادرها الكلامَ ثم قال:

ولكنَّما تَرْمِينَ نَفْساً مَرِيضَةً ... لِعَزَّةَ مِنْها صَفْوُها ولُبَابُها[2]

فضحِكَتْ ثم قالت: أَوْلَى لكَ بها قد نجوتَ؛ وانصرفتا تتضاحكان.

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حَدّثني عبد الرحمٰن بن عبد الله الزُّهْرِيّ قال: بكى بعضُ أهل كُثَيِّر عليه حين نزل به الموت، فقال له كُثَيِّر: لا تَبْكِ، فكأنّك بي بعد أربعين ليلةً تسمعُ خَشْفَةَ[3] نعلي من تلك الشُّعْبَةِ راجعاً إليكم.

أخبرني الفضل بن الحُبَاب أبو خَليفة قال: حَدّثنا محمد بن سَلاّم قال: حَدّثني ابن جُعْدُبة وأبو اليَقْظان عن جُوَيْرية بنِ أسماء قال: مات كُثَيِّر وعِكْرِمةُ مولى ابن عبَّاس في يوم واحد، فاجتمعت قُرَيش في جنازة كُثَيِّر، ولم يوجد لعِكْرمة مَنْ يحمله.

أخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني عمر بن مُصْعَب قال: حَدّثني الواقديّ قال: حَدّثني خالد بن القاسم البَيَاضيّ قال: مات عِكْرِمةُ مولى ابن عبّاس وكُثَيِّر بن عبد الرحمٰن الخُزَاعي صاحبُ عزّة في يوم واحد في سنة خمس ومائة، فرأيتُهما جميعاً صُلِّي عليهما في يوم واحد بعد الظهر في موضع الجنائز، فقال الناس: مات اليومَ أفقهُ النّاس وأَشْعَرُ النّاس.

وقال ابن أبي سعد الوَرّاق: حَدّثني رَجاء بن سَهْل أبو نصر الصاغانيّ قال: حَدّثنا يحيى بن غَيْلان قال: حَدّثني المُفَضَّل بنُ فَضَالَة عن يزيد بن عُرْوة قال: مات عكرمة وكُثَيِّر عَزَّة في يوم واحد، فأُخرِجَتْ جِنازتاهما، فما علمتُ تخلَّفتِ امرأةٌ بالمدينة ولا رجلٌ عن جنازتيهما. قال: وقيل مات اليوم أشعرُ الناس وأعلمُ الناس. قال: وغلَب النساء على جنازة كُثَيِّر يَبْكِينَهُ ويَذْكُرْنَ عزَّةَ في نُدْبتِهِنَّ له. قال: فقال أبو

(١) ارجحن: اهتزّ ومال.
(٢) اللُّباب: الخالص من كلّ شيء.
(٣) خشفة النعل: صوتها.

جعفر محمد بن عليّ: أفرِجُوا لي عن جِنازة كثيِّر لأرْفَعها. قال: فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهنّ محمد بن عليّ بكُمِّه ويقول: تَنَحَّيْنَ يا صَوَاحِباتِ يوسف. فانتدَبَتْ له امرأةٌ منهنّ فقالت: يابنَ رسولِ الله لقد صَدَقْتَ، إنّا لَصَوَاحِباتُ يوسف وقد كنّا له خيراً منكم له. قال: فقال أبو جعفر لبعض مَواليه: احْتَفِظْ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفْنا. قال: فلما انصرفَ أُتِيَ بتلك المرأة كأنها شَرَارةُ النّار. فقال لها محمد بن عليّ: أنت القائلة إنّكن ليوسفَ خيرٌ منّا؟ قالت: نعم! تُؤْمِنُني غضبَكَ يابنَ رسول الله؟ قال: أنتِ آمنةٌ من غضبي فأَبِيني. قالت: نحن يا بنَ رسول الله دعوناه إلى اللَّذّاتِ من المَطْعَم والمَشْرَب والتّمتُّعِ والتَّنَعُّم، وأنتم معاشرَ الرّجال ألقيتموه في الجبِّ وبِعتُموه بأبخسِ الأثمان وحبستموه في السِّجن. فأيُّنا كان عليه أَحْنَى وبه أَرْأف؟! فقال محمد: للّه دَرُّكِ! ولن تُغَالَبَ امرأةٌ إلاّ غَلَبَتْ. ثم قال لها: أَلَكِ بعلٌ؟ قالت: لي من الرجال مَنْ أنا بَعْلُه. قال: فقال أبو جعفر: صَدَقْتِ، مِثلُك مَنْ تَمْلِكُ بَعْلَها ولا يملكُها قال: فلما انصرفتْ قال رجلٌ من القوم: هذه زينب بنت مُعَيْقِب.

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

نَظَرْتُ إليها نَظْرَةً وهي عَاتِقٌ ... على حِينِ أَنْ شَبَّتْ وبَانَ نُهُودُهَا[1]

نَظَرْتُ إليها نَظْرَةً ما يَسُرُّني ... بها حُمْرُ أَنْعَامِ البِلادِ وسُودُها[2]

وكُنْتُ إذا ما جِئْتُ سُعْدَى بِأَرْضِها ... أَرَى الأَرْضَ تُطْوَى لي ويدنو بَعِيدُها[3]

مِنَ الخَفِرَاتِ البِيضِ وَدَّ جَلِيسُها ... إذا ما انْقَضَتْ أُحْدُوثَةٌ لو تُعِيدُها[4]

عَرُوضه من الطويل، البيت الأول لِكُثَيِّر[5]، والثاني والثالثِ لنُصَيْب من قصيدته التي أوّلها:

لقد هَجَرَتْ سُعْدَى وطَالَ صُدودُها

---

(١) العاتق: الجارية التي لم تدرك أو التي لم تتزوّج.

(٢) الأنعام الحمر والسّود: من أشرف أموال الناس.

(٣) تُطْوَى: تصبح قريبة.

(٤) الخَفِرات: جمع الخَفِرة: المرأة الشديدة الحياء. والأحدوثة: الحديث.

(٥) الأبيات كلها وردت في قصيدة لكُثَيِّر في ديوانه مطلعها:

لقد هجرت سُعْدَى وطال صدودُها ... وعاود عيني دمعُها وسهودُها

غَنَّى في البيت الثاني والثالث جَحْدَرٌ الراعي خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر، وغَنَّى فيهما الهُذَلِيّ رملاً بالوسطى، وغَنَّى في الثالث والرابعِ دعامة ثقيلاً أوّل بالبنصر.

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حَماد عن أبيه قال: قال عمر الواديّ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حَدّثني مَكِينٌ العُذْريّ قال: سمعت عمر الواديَّ يقول: بينا أنا أسيرُ بين الرَّوْحاء[1] والعَرْج[2] إذ سَمِعْتُ إنساناً يُغَنِّي غناءً لم أسمع قطُّ مثلَه في بيتَيْ كثيِّر: [الطويل]

وكنتُ إذا ما جِئْتُ سُعْدَى بِأَرْضِها ... أَرَى الأرضَ تُطْوَى لي ويَدْنُو بِعِيدُهَا

مِنَ الخَفِرَاتِ البِيضِ وَدَّ جَلِيسُها ... إذا ما انْقَضَتْ أُحْدُوثَةٌ لو تُعِيدُهَا

قال: فكِدتُ أسقطُ عن راحلتي طَرَباً، وقلت: واللّه لألتمسنّ الوصولَ إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي، فتيمّمتُ سَمْتَه[3] فإذا راعٍ في غنم، فسألته إعادته عَلَيّ. قال: نعم! ولو حضرني قِرًى أَقْرِيكَه ما أعدتُه، ولكنّي أجعلُه قِرَاك، فربما تَرَنَّمْتُ به وأنا غَرْثانٌ[4] فأشبَع، وعطشانٌ فأَرْوَى، ومستوحِشٌ فآنَسُ، وكَسْلانٌ فأَنشَطُ. قال: فأعادهما عليّ حتى أَخَذْتُهما، فما كان زادي حتى وَلَجْتُ المدينةَ غيرَهما.

---

(١) الرَّوحاء: من عمل الفُرْع على نحو أربعين يوماً (معجم البلدان ٣/٧٦).

(٢) العَرْج: قرية في وادٍ من نواحي الطائف يُنسب إليها العرجي. (معجم البلدان ٤/٩٨).

(٣) السَّمت: الناحية والجهة.

(٤) غرثان: جوعان.

أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

[٢٢٣ ـ ٣٠٠ هـ/ ٨٣٨ ـ ٩١٣ م]

هو عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحُسين، ويكنى أبا أحْمد وله محلٌّ من الأدب والتّصرُّف في فنونه وروايةِ الشّعر وقوله والعلم باللّغة وأيّام الناس وعلومِ الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة وغير ذلك مما يَجلُّ عن الوصف ويَكْثُر ذِكْره. وله صنعةٌ في الغناء حَسَنَةٌ مُتْقَنة عجيبة تدلّ على ما ذكرناه هاهنا من توصُّله إلى ما عجَز عنه الأوائل من جَمْع النَّغَم كلِّها في صوت واحد تتبَّعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها. وكان المعتضِد بالله، رحمةَ الله عليه، ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناءً وبحضرته أكابرُ المُغنِّين مثل القاسم بن زُرْزُور وأحمد بن المَكيّ ومَنْ دونهما مثل أحمد بن أبي العَلاَء وطبقتِهم، فيعدِل عنهم إليه فيصنَع فيها أحسنَ صَنْعة، ويترفَّعُ عن إظهار نفسه بذلك، ويُومِىءُ إلى أنه من صَنْعة جاريته شَاجِي، وكانت إحدى المُحْسنات المبرِّزات المُقَدّمات؛ وذلك بتخريجه وتأديبه، وكان بها مُعْجَباً ولها مُقَدِّماً.

[المعتضد يتفقّده بالصِّلات]

فأخبرني أحمد بن جَعْفر جَحْظة قال: لمّا اختلّتْ حالُ عُبَيْد الله بن عبد الله بن طاهر كان المعتضد يتفقَّده بالصِّلات الفَيْنَةَ بعد الفَيْنة. واتّفق يوماً كان فيه مُصْطَبِحاً أن غُنّيَ بصوتِ الصَّنعةُ فيه لِشَاجي جاريةِ عُبَيد الله؛ فكتب إليه كتاباً يُقْسم أن يأمرها بزيارته ففعل. قال: فحَدّثني مَنْ حضر من المُغَنِّيات ذلك المجلسَ بعد موت المعتضد قالت: دخلَتْ إلينا وما منّا إلاّ من يَرْفُلُ في الحُلِيّ والحُلَلِ وهي في أثواب ليست كثيابنا، فاحتقرناها؛ فلمّا غَنَّتْ احتقرنا أنفسَنا. ولم تزلْ تلك حَالَنا حتى صارت في أعيننا كالجبل وصرنا كلا شيء. قال: ولمّا انصرفتْ أمَر لها المعتضد بمال وكُسوة، ودخلتْ إلى مولاها فجعل يسألها عن أمرها وما رأت مما

استظرفَتْ وسمعَتْ مما استغربَتْ. فقالت: ما استحسنتُ هناك شيئاً ولا استغربته من غناءٍ ولا غيره إلاّ عوداً من عود محفور فإنّي استظرفتُه. قال جحظةُ: فما قولُكَ فيمن يدخل دارَ الخلافة فلا يمدّ عينَه لشيء يستحسنه فيها إلا عوداً!.

قال محمد بن الحسن الكاتب وحَدّثني النُّوشَجانِيّ قال:

كان المُعْتَضِد إذا استحسن شعراً بعث به إلى شَاجِي جاريةِ عُبيد الله بن طاهر فتغنّي فيه. قال: وكانت صنعتها تُسَمَّى في عصره غناء الدار.

قال محمد بن الحسن: وماتت شاجي في حياة عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان عليلاً، فقال يرثيها ـ وله فيه صنعةٌ من خَفيف الثَّقيل الأوّل بالوسطى ـ:

[الطويل]

يَمِيناً يَقِيناً لو بُلِيتُ بِفَقْدِهَا ... وبي نَبْضُ عِرْقٍ لِلحَياةِ أو النُّكْسِ
لأَوْشَكْتُ قَتْلَ النَّفس قَبْلَ فِرَاقِها ... ولَكِنَّها مَاتَتْ وقد ذَهبَتْ نَفْسِي

ومن نادر صنعة عُبيد الله وجَيِّد شعره قوله ـ وله فيه لحنان ثقيلٌ أوّل وهَزَجٌ، والثقيل الأوّل أجودُهما ـ:

[الطويل]

أَنفِقْ إذا أَيسَرْتَ غَيْرَ مُقَتِّرٍ ... وأَنْفِقْ عَلَى مَا خَيلت حين تُعْسِرُ
فلا الجُودُ يُفْنِي المَالَ والمَالُ مُقبِلٌ ... ولا البُخْلُ يُبْقِي المَالَ والجَدُّ مُدْبِرُ

وأشعاره كثيرةٌ جيّدة كثيرةُ النادرِ والمُخْتارِ، وكتابه في النَّغَم وعِلَل الأغاني المُسَمَّى «كتابَ الآداب الرَّفيعة» كتابٌ مشهور جليل الفائدة دالٌّ على فضل مؤلِّفه.

أخبرني جَحْظة قال: حَدّثني الحرميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثني موسى بن هارون، فيما أُرَى، قال: كنتُ عند عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزُّبير بن بَكَّار فأعلمه أن المتوكّل أو المعتزّ ـ وأراه المعتزّ ـ بعثَ إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء. فقال له الزُّبير بن بكّار: قد بلغتُ هذه السِّنَّ وأتولى القضاء! أو بعدما رويتُ أنّ من وَلِيَ القضاء فقد ذُبِحَ بغير سِكّين! فقال له: فتلحق بأمير المؤمنين بِسُرَّ مَنْ رأى، فقال له: أفعل. فأمر له بمال ينفقه، وبظَهْرٍ يحمله ويحمل ثَقَلَه[1]. ثم قال له: إن رأيتَ يا أبا عبد الله أن

(١) الظَّهر: الرِّكاب التي تحمل الأثقال. والثَّقل: متاع المسافر وهو كلّ شيء نفيس.

تُفيدَنا شيئاً قبل أن نفترقَ! قال: نعم! انصرفتُ من عُمْرة المُحَرَّم؛ فبينا أنا بأُثَايةِ[1] العَرْج، إذا أنا بجماعة مجتمعة، فأقبلتُ إليهم وإذا رجل كان يَقْنِصُ الظِّباء وقد وقع ظبيٌ في حِبَالته فذبحه، فانتفضَ في يده فضرب بقرنه صدرَه فنَشِبَ القرنُ فيها فمات. وأقبلتْ فتاةٌ كأنها المَهَاةُ، فلمّا رأتْ زوجَها مَيِّتاً شَهِقَتْ ثم قالت: [البسيط]

يـا حُـسْـنُ لـو بَـطَـلٌ لَـكِـنَّـهُ أَجَـلٌ ... عَـلَـى الأُثَـايَـةِ مَـا أَوْدَى بـه الـبَـطَـلُ
يـا حُسْنُ جَـمَّـعَ أَحْشَائي وأَقْـلَـقَـهـا ... وذاكَ يـا حُـسْـنُ لَـولا غَـيْـرُهُ جَـلَـلُ
أَضْـحَـتْ فَـتَـاةُ بَـنِـي نَـهْـدٍ عَـلاَنِـيَـةً ... وبَـعْـلُـهـا بـيـن أَيْـدِي الـقَـوْمِ مُـخْـتـمَـلُ

قال: ثم شهقَتْ فماتت، فما رأيتُ أعجبَ من الثّلاثة: الظَّبْيُ مذبوحٌ، والرَّجل جريح ميت، والفتاة ميتة حَرَّى. فأمر له عُبيد الله بمال آخر. ثم أقبل إلى أخيه محمد بن عبد الله بعد خروج الزُّبير فقال: أمَا إنّ الذي أخذناه من الفائدة في خبر حُسْن وفي قولها:

أضـحَـتْ فـتـاةُ بَـنِـي نَـهْـدٍ عـلانـيـةً

ـ تريد ظاهرة ـ أكثرُ عندي مما أُعْطِينَاهُ من الحِباءِ[2] والصِّلَةِ. وقد أخبرني الحسين بن عليّ عن الدمشقيّ عن الزُّبير بخبر حُسْن فقط، ولم يذكر فيه من خبر عُبيد الله شيئاً. ومن الأصوات التي تجمع النَّغَمَ العشرَ:

صوت

وهو يجمع النَّغَم العشر كلَّها على غير تَوَالٍ:

وإنَّـكِ إذْ أَطْـمَـعْـتِـنـي مِـنْـكِ بِـالـرِّضَـا ... وأَيأَسْـتِـنـي مِـنْ بَـعْـدِ ذلكَ بِـالـغَـضَـبْ
كَـمُـمْـكِـنَـةٍ مِـنْ ضَـرْعِـهـا كَـفَّ حَـالِـبٍ ... ودَافِـقَـةٍ مِـنْ بَـعْـدِ ذَلِـكَ مَـا حـلَـبْ

عروضه من الطويل، الشعر لإبراهيم بن عليّ بن هَرْمة، والغناء في هذا اللّحن الجامع للنَّغَم لعُبيد الله بن عبد الله بن طاهر، خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى في مجراها وعليها ابتدأ الصوت.

---

(١) أُثَاية: موضع في طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخاً وهو بين الرّويثة والعرج (معجم البلدان ١/ ٩٠).

(٢) الحِباء: العَطِيَّة.

وقال عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات: حَدّثني بعضُ أصحابنا عن أبي نُوَاس أنه قال: شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه، فلو أُخذَ البيت الثاني من شعر أحدهما فجُعِلَ مع بيت الآخر، وأُخِذَ بيتُ ذاك فجُعِلَ مع هذا لَصَارَ مُتَّفقاً مَعنًى وتشبيهاً. فقلت له: أنّى ذلك؟ فقال: قول جَرير للفرزدق:

[الطويل]

فَإنَّكَ إذ تَهْجُو تَمِيماً وتَرْتَشِي ... تَبَابِينَ قيس أو سُحوقِ العَمَائِمِ[1]

كَمُهْرِيقِ مَاءٍ بِالفَلاَةِ وغَرَّهُ ... سَرَابٌ أَذَاعَتْهُ رِياحُ السَّمَائِمِ[2]

وقول ابن هَرْمة: [المتقارب]

وإنّي وتَرْكي نَدَى الأكْرَمِينَ ... وقَدْحِي بِكَفِّيَّ زَنْداً شَحَاحَا[3]

كَتَارِكَةٍ بَيْضَهَا بِالعَرَاءِ ... ومُلْبِسَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحَا

فلو قال جرير:

فَإنَّكَ إذ تَهْجُو تَمِيماً وتَرْتَشِي ... تَبَابِينَ قَيْسٍ أو سُحُوقِ العَمَائِمِ

كَتَارِكَةٍ بَيْضَهَا بِالعَرَاءِ ... ومُلْبِسَةٍ بَيْضَ أخرى جَنَاحَا

لكان أشبه منه ببيته، ولو قال ابنُ هَرْمة مع بيته:

وإنّي وتَرْكي نَدَى الأكْرَمِينَ ... وقَدْحِي بِكَفِّيَّ زَنْداً شَحَاحَا

كَمُهْرِيقِ مَاءٍ بِالفَلاَةِ وغَرَّهُ ... سَرَابٌ أَذَاعَتْهُ رِياحُ السَّمَائِمِ

كان أشبَه به. ثم قال: ولكن ابن هَرْمة قد تلافى ذلك بعدُ فقال:

وإنَّكِ إذْ أَطْمَعْتِني مِنْكِ بِالرِّضَا ... وأَيأَسْتِني مِنْ بَعْدِ ذلكَ بِالغَضَبْ

كَمُمْكِنَةٍ مِنْ ضَرْعِها كَفَّ حَالِبٍ ... ودَافِقَةٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَا حلَبْ

وقد أتى عُبيد الله بن عبد الله بهذا الكلام بعينه في «الآداب الرفيعة». وإنما أخذه من أبي نُوَاس على ما رُوِيَ عنه.

ووجدتُ في كتابٍ مُؤَلَّفٍ في النَّغَم غيرِ مسَمَّى الصَّانع أنّ من الأصوات التي

---

(١) التبابين: جمع التُّبّان: هو السروال الصغير مقدار شبر بقدر ما يستر العورة، وهو من لباس الملاّحين. والسُّحوق: جمع السّحق: الثوب البالي.

(٢) السّمائم: جمع السّموم: الريح الحارة.

(٣) الزّند الشّحاح: الذي لا يُوري.

تجمع النَّغَمَ صوتَ ابنِ أبي مَطَر المكيِّ في شعر نُصَيْب وهو:

صوت

أَلاَ أَيُّها الرَّبْعُ المُقِيمُ بِعُنْبُبِ ... سَقَتْكَ السَّوَاقِي مِنْ مُرَاحٍ ومَعْزَبِ[(١)]
بِذِي هَيْدَبٍ أَمَّا الرُّبَى تَحْتَ وَدْقِهِ ... فَتَرْوَى وأمّا كُلُّ وَادٍ فَيَزْعَبُ[(٢)]

عروضُه من الطويل، ويروى «الرّبع الخَلاَء بِعُنْبُبِ» أي الخالي. وعُنْبُب: موضع، ويُرْوَى «سقتكَ الغوادي من مَرَادَ». والمَرَاد: الموضع الذي يُرتاد فيُرْعَى فيه الكلأ. والمُرَاحُ: الموضعُ الذي تَرُوح إليه المواشي وتَبيت فيه. وفي الحديث أنه رَخَّصَ في الصَّلاة في مُرَاحِ الغنم ونَهَى عنها في أَعْطانِ[(٣)] الإبل. والمَعْزَب: الموضع الذي يعزُب فيه الرَّجُلُ عن البيوت والمنازل. وأصل العُزوب: البُعْد يقال عزَب عنه رأيُه وحلمُه أي بعد، والعَزَب مأخوذٌ من ذلك. وهَيْدَبُ السماءِ أطرافٌ تراه في أذنابه كأنه مُعَلَّق به. قال أَوْسُ بن حَجَر: [البسيط]

دَانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُهُ ... يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بِالرَّاحِ

ويزعَبُ: يطفَحُ، يقال: زَعَبه السَّيْلُ إذا مَلأه، الشّعر لِنُصَيْب يقوله في عبد العزيز بن مروان.

[نُصيب يمدح عبد العزيز بن مروان فيجيزه]

أخبرنا الحرميّ قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني جميع بن عليّ النّميريّ عن عبد الله بن عبد العزيز بن مِحْجَن بن النُّصَيْب، قال الزبير وكتب إليّ بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النُّصَيْب قالت: وَفَدَ أَبِي على عبد العزيز بن مَرْوان بمصر، فوقف على الباب فاستأذن فلم يُؤْذَنْ له. فأرسلَ إليه

---

(١) عُنْبُب: ورواه السكّري عُنْبُبُ، وهو في أمثلة سيبويه بفتح الباء الأولى، وقال نصر: هو وادٍ باليمن (معجم البلدان ٤/ ١٦١)، وعَزَبَت الأرض: إذا لم يكن فيها أحد، مخصبةً كانت أم مجدبة.

(٢) الهَيْدَب: من المجاز: السّحاب المُتدلّي الذي يدنو مثل هُدْب القطيفة، وهيدب السحاب: ذيله، وهو أن تراه يتسلسل في وجهه للمطر، ينصبُّ كأنه خيوط متّصلة.

وورد البيت في تاج العروس (رعب) ونسبه لمُلَيْح بن الحكم الهذلي وقال: «ومن المجاز رعَبَهُ أي الحوضَ كمَنعَه يَرْعَبُهُ رَعْباً: ملأه، ورعبَ السيلُ الواديَ يرعبُهُ: ملأه» ورعب وزعب بمعنًى واحد.

(٣) أعطان الإبل: الأمكنة التي تبرك فيها.

حاجبه فقال: استنشِدْه، فإن كان شعره رديئاً فارْدُدْه، وإن كان جيِّداً فأَدْخِلْهُ. فقال نُصَيْب: قد جَلَبْنا شيئاً للأمير، فإن قبله نشرناه عليه وإلاّ طويناه ورجعنا به. فقال عبد العزيز: إنّ هذا لَكَلامُ رجلٍ ذَهِنٍ[1]، فأدخَلَه، فلمّا واجهه أنشده قصيدتَه التي يقول فيها: [الطويل]

أَلاَ هَلْ أَتَى الصَّقْرَ بنَ مَرْوانَ أَنَّني ... أُرَدُّ لَدَى الأَبْوَابِ عَنْه وأُحْجَبُ
وَأَنّي ثَوَيْتُ اليَوْمَ والأَمْسِ قَبْلَهُ ... على البَابِ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ
وأنّي إذا رُمْتُ الدُّخُولَ تَرُدُّني ... مَهَابَةُ قَيْسٍ والرِّتاجُ المُضَبَّبُ[2]

قال: وكان حاجب عبد العزيز يُسمى قَيْساً. قال: وتشبيب هذه القصيدة:

أَلاَ أَيُّهَا الرَّبْعُ المُقِيمُ بِعُنْبُبِ ... سَقَتْكَ السَّوَاقي مِنْ مُرَاحٍ ومَعْزَبِ

قال: فلمَّا دخل على عبد العزيز أُعجِبَ بشعره وأَوْجَهَه، وقال للفرزدق: كيف تسمع هذا الشعر؟ قال: حَسَنٌ إلاّ من لغته. قال: هذا والله أشعرُ منك!.
قال: وقال نُصَيْبٌ فيها أيضاً: [الطويل]

وأَهْلِي بِأَرْضٍ نَازِحُونَ ومَا لَهمْ ... بها كَاسِبٌ غِيْري ولا مُتَقَلَّبُ
فهل تُلْحِقَنِيهِمْ بعَبْلٍ مُوَاشِكٍ ... على الأَيْنِ مِنْ نُجُبِ ابْنِ مَرْوانَ أَصْهَبِ[3]
أبو بَكَرَاتٍ إنْ أَرَدْتُ افْتِحَالَهُ ... وذُو ثَبَتَاتٍ بِالرَّدِيفَيْنِ مُتْعَبُ

فقال له عبد العزيز: ادخُلْ على المَهَارِي[4] فخُذْ منها ما شئت، فلو كنتَ سألتَ غيره لأُعْطِيتَه، فدخل فردّه الجمَّال، فقال عبد العزيز: دَعْه فإنما يأخذ الذي نَعَتَ، فأخذَهُ.

قال الزُّبير: وحَدّثني بعض أصحابنا عن محمد بن عبد العزيز قال: نزل عبد العزيز بن عبد الوهّاب على المَهْدي بِعُنْبُب من وادِي السَّرَاة الذي عَنَى نُصَيْب بقوله:

أَلاَ أَيُّهَا الرَّبْعُ الخَلاءُ بِعُنْبُبِ

(١) رجلٌ ذَهِنٌ وذُهُنٌ: ذكيٌ فَطِنٌ.
(٢) الرِّتاج: الباب العظيم، والمُضَبَّب: المجعول له ضبّة، والضَّبَّة: حديدة أو خشبة يضبَّب بها الباب.
(٣) العَبْل: الضخم. والمواشك: السريع. والأَيْنُ: التّعَب والإعياء.
(٤) المهاري والمهارَى: إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة.

والمَهْدِي هو الّذي يقول فيه الشاعر: [مجزوء الرمل]

اسْلَمِي يَا دَارُ مِنْ هِنْدِ ... بِالسُّوَيْقَاتِ إلى المَهْدِي[(١)]

صوت

وهو يجمع من النَّغَم ثمانياً: [مجزوء الكامل]

يَا مَنْ لِقَلْبٍ مُقْصِرٍ ... تَرَكَ المُنَى لِفَوَاتِهَا
وتَظَلَّفَ النَّفْسَ الَّتي ... قد كانَ من حَاجَاتِهَا
وطِلاَبُكَ الحَاجَاتِ مِنْ ... سَلْمَى ومِنْ جَارَاتِهَا
كَتَطَرُّدِ العَنْسِ الذَّمُو ... لِ الفَضْلَ من مَثْنَاتِهَا[(٢)]

قوله: «يا مَنْ لِقلبٍ مقصّر» تَأَسُّفٌ على شبابه؛ ويَدُلُّ على ذلك قوله:

وتَظَلَّفَ النَّفْسَ الَّتي ... قد كانَ من حاجاتِها

يقال أَظْلِفْ نَفسَكَ عن كذا أي امْنَعْها منه لئلا يكون لها أثر فيه، وهو مأخوذ من ظَلَف الأرض وهو المكان الذي لا أثر فيه. قال عوف بن الأحوص: [الوافر]

أَلَمْ أَظْلِفْ عَنِ الشُّعَرَاءِ عِرْضِي ... كما ظُلِفَ الوَسِيقَةُ بِالكُرَاعِ

الوَسيقة: الجماعةُ من الإبل، يعني أنها تُساقُ فلا يوجد لها أثر في الكُرَاع، وهو مُنْقَطَع الجبل. قال الشاعر: [المنسرح]

أَمْسَتْ كُرَاعُ الغَمِيمِ مُوحِشَةً ... بعدَ الَّذي قد خَلاَ، مِنَ العَجَبِ[(٣)]

وقوله:

كَتَطَرُّدِ العَنْسِ الذَّمُو ... لِ الفَضْلَ من مَثْنَاتِها

يقول: طِلاَبُكَ هذه الحاجاتِ ضلالٌ وتتابعٌ كتطرُّد العَنْس (وهي الناقة المذكَّرة الخَلْق) الفضلَ من مَثْنَاتها. والتَّطَرُّدُ: التَّتَبُّعُ؛ ومثله قول الشاعر: [الطويل]

خَبَطْتُ الصِّبَا خَبْطَ البَعِيرِ خِطَامَهُ ... فلم أَنْتَبِهْ لِلشَّيْبِ حَتَّى عَلاَنِيَا

---

(١) السُّوَيقه: اسم لعدة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٣/٢٨٦).

(٢) العَنْس الذَّمُول: الناقة القويّة التي تسير سيراً سريعاً ليّناً. والمثناة: الحبل.

(٣) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان ٤/٢١٤).

الشّعر لِمُسافر بن أبي عَمْرو بن أُمَيّة بن عبد شمس، والغناء لابن مُحْرِز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وهذا الصوت يجمع من النَّغَم ثمانياً، وكذلك ذكر إسحاق ووصَف أنه لم يجمع شيءٌ من الغناء قديمِه وحديثِه إلى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت، ووصف أنه لو تلطَّفَ مُتَلَطِّفٌ لأنْ يجمع النَّغَم العشر في صوت واحد لأمكنه ذلك، بعد أن يكون فَهِماً بالصّناعة طويلَ المُعاناة لها وبعد أن يُتعِبَ نفسَه في ذلك حتى يصحّ له، فلم يقدر على ذلك سوى عُبيد الله بن عبد الله إلى وقتنا هذا.

ذكر مُسَافِر ونسبه

[توفي نحو ١٠ ق.هـ/ نحو ٦١٣ م]

مسافر بن أبي عمرو بن أمَيّة، ويكنى أبا أميّة، وقد تَقَدَّم نسبه وأنساب أهله. وأُمُّه آمنة بنت أَبَان بن كُلَيْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة، وهي أُمّ أبي مُعَيْط أَبَان بن عمرو بن أُمَيّة. وأبو مُعَيْط ومُسَافِرٌ أخوان لأَبٍ وأُمٍّ، وهما أخوا عُمومتهما أبي العاصي وأخويه من بني أُمَيّة الذين أُمُّهم آمنة؛ لأنَّ أبا عمرو تزوّجها بعد أبيه. وكان سَيِّداً جَوَاداً، وهو أحد أَزْواد[١] الرَّكْب؛ وإنما سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا لا يَدَعون غريباً ولا مارَّ طريقٍ ولا محتاجاً يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفّلوا به حتى يظعَنَ.

وهو أحد شعراء قُرَيْش؛ وكان يُناقض عُمَارة بن الوليد الذي أمر النَّجَاشيُّ السواحر، فسَحَرَتْه. فمن ذلك قول عُمَارة: [المديد]

خُلِـقَ الـبِـيْـضُ الـحِـسَـانُ لَـنَـا ... وجِـيَـادُ الـرَّيْـطِ والأُزُرُ[٢]
كَـابِـراً كُـنَّـا أَحَـقَّ بِـهِ ... حِـيـنَ صِـيـغَ الـشَّـمْـسُ والـقَـمَـرُ

وقال مسافر يردّ عليه: [المديد]

أَعُـمَـارَ بـنَ الـوَلِـيـدِ وقَـدْ ... يَـذْكُـرُ الـشَّـاعِـرُ مَـنْ ذَكَـرَهْ
هـل أخـو كَـأْسٍ مُـحَـقِّـقُـهـا ... ومُـوَقٍّ صَـحْـبَـهُ سُـكُـرَهْ

---

(١) أزواد الرَّكْب: لقبُ ثلاثة من قريش: مسافر بن أبي عمرو، وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ، وأبو أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والد أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها. وسُمُّوا بذلك لأنه لم يكن يتزوَّد معهم أحد في سفر، يطعمونه ويكفونه الزَّاد ويُغْنُونَه، وكان ذلك خُلُقٌ من أخلاق قريش، ولكن لم يُسَمَّ بهذا الاسم غير هؤلاء الثلاثة وورد في الأمثال: «أقرى من زاد الرَّكْبِ» فقيل: هو واحدٌ منهم، وقيل: الكلُّ. (تاج العروس زود).

(٢) الرَّيْط: جمع الرَّيْطة: كل ملاءة تكون كلُّها نسجٌ واحدٌ وقطعة واحدة، أو كل ثوب لَيِّن رقيق.

ومُحَيِّيهِمْ إذا شَرِبُوا ومُقِلٌّ فِيهِمُ هَذَرَهْ
خُلِقَ البِيضُ الحِسَانُ لَنَا وجِيادُ الرَّيْطِ والحِبَرَهْ
كَابِراً كُنّا أَحَقَّ بِهِ كُلُّ حَيٍّ تَابِعٌ أَثَرَهْ

حبّه وخطبته لهند بنت عتبة ومرضه ووفاته لمّا تزوَّجت

وله شعر ليس بالكثير، والأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عُتْبة بن ربيعة بن عبد شَمْس، وكان يهواها، فخطَبَها إلى أبيها بعد فِراقها الفاكِهَ بن المُغيرة، فلم ترضَ ثروتَه ومالَه. فوفد على النُّعْمان يستعينه على أمره ثم عاد؛ فكان أوّلَ مَنْ لقيه أبو سُفْيان، فأعلمه بتزويجه من هند. فأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حَدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال: حَدّثني ابن أبي سَلَمة عن هشام، قال ابن عَمّار: وقد حَدّثناه ابنُ أبي سَعْد عن عليّ بن الصبَّاح عن هشام، قال ابن عَمَّار وحدّثَنيه عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفَليّ عن أبيه ـ دخل حديثُ بعضهم في بعض ـ أنَّ مسافر بنَ أبي عمرو بن أمَيّة كان من فِتْيان قريش جمالاً وشعراً وسخاءً. قالوا: فعشقَ هنداً بنت عُتْبة بن ربيعة وعَشِقَتْه؛ فاتُّهِمَ بها وحملتْ منه. قال بعض الرُّوَاة: فقال معروف بن خَرَّبُوذ: فلمّا بانَ حَمْلُها أو كاد قالت له: اخرُجْ؛ فخرج حتى أتى الحِيرَةَ، فأتى عمروَ بن هند فكان يُنادمه. وأقبل أبو سُفْيان بن حَرب إلى الحِيرة في بعض ما كان يأتيها، فلَقِي مُسَافِراً، فسأله عن حال قريش والنّاس؛ فأخبره وقال له فيما يقول: وتزوّجتُ هنداً بنت عُتْبَة. فدخله من ذلك ما اعتلّ معه حتى استَسْقى[1] بطنُه. قال ابن خَرَّبُوذ: فقال مُسَافِرٌ في ذلك:

[الطويل]

أَلاَ إنَّ هِنْداً أَصْبَحَتْ مِنْكَ مَحْرَما وأَصْبَحْتَ مِنْ أَدْنَى حُمُوَّتِها حَمَا
وأَصْبَحْتَ كالمَقْمور جَفْنَ سِلاحِهِ يُقَلِّبُ بِالكَفَّيْنِ قَوْساً وأَسْهُمَا[2]

فدعا له عمرُو بن هند الأطبَّاءَ، فقالوا: لا دواءَ له إلاّ الكَيّ. فقال له: ما ترى؟ قال: افعَلْ. فدعا له الذي يُعالجه فأَحْمَى مَكَاوِيَه؛ فلما صارت كالنَّار قال: ادْعُ أقواماً يُمسكونه. فقال لهُم مسافر: لستُ أحتاج إلى ذلك. فجعل يضع

(١) استسقى: أصابه مرض الاستسقاء وهو اجتماع ماء أصفر في بطنه.
(٢) المقمور: المغلوب في القمار.

المكاويَ عليه. فلمّا رأى صبْرَه ضَرَطَ الطَّبيبُ؛ فقال مسافر:

قد يَضرِطُ العَيْرُ والمِكواةُ في النّارِ[١]

ـ فجرَتْ مثلاً ـ فلم يَزِدْهُ إلاّ ثِقَلاً، فخرج يُريد مكّة. فلمّا انتهى إلى موضع يقال له هُبَالة[٢] مات فدُفِنَ بها، ونُعِيَ إلى قُرَيش. فقال أبو طالب بن عبد المطَّلب يرثيه: [الخفيف]

لَيْتَ شِعْري مُسافِرَ بنَ أبي عَمْـ ـرو، ولَيْتٌ يَقُولُها المَحْزُونُ
رَجَعَ الرَّكْبُ سَالِمينَ جَميعاً وخَليلِي في مَرْمَسٍ مَدْفُونُ[٣]
بُورِكَ المَيِّتُ الغَرِيبُ كما بُو رِكَ نَضْرُ الرَّيْحانِ والزَّيْتُونُ
بَيْتُ صِدْقٍ على هُبَالةَ قد حَا لَتْ فَيافٍ مِنْ دُونِهِ وحُزُونُ[٤]
مِدْرَهٌ يَدْفَعُ الخُصُومَ بِأَيْدٍ وبِوَجْهٍ يَزِينُهُ العِرْنِينُ[٥]

صوت

كَمْ خَليلٍ رُزِئْتُهُ وابْنِ عَمٍّ وحَميمٍ قَضَتْ عَلَيهِ المَنُونُ
فتَعَزَّيْتُ بِالتَّأَسّي وبِالصَّبْـ ـرِ وإنّي بِصَاحِبي لَضَنِينُ

غَنّى في هذين البيتين يحيى المكّيُّ ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى من رواية ابنه والهشاميّ.

وأنشدنا الحرميّ قال: أنشدنا الزّبير لأبي طالب بن عبد المطّلب في مسافر بن أبي عمرو: [الطويل]

أَلاَ إنَّ خَيْرَ النّاسِ غَيْرَ مُدافَعٍ بِسَرْوِ سُحَيْمٍ غَيَّبته المقابرُ[٦]

---

(١) المثل في مجمع الأمثال ٢: ٥٧، وذكر الميداني عدّة قصص لأوّل من قال المثل، وهو يُضرَب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه.

(٢) هُبَالة: موضع لبني عقيل، وقيل: من مياه بني نمير (معجم البلدان ٥/ ٣٩٠).

(٣) المرمس: القبر.

(٤) فيافٍ: جمع الفَيفاة والفَيْفى: المفازة لاماءَ فيها. والحُزُون: جمع الحَزْن: ما غلظ من الأرض وقلّما يكون إلا مرتفعاً.

(٥) المِدْرَه: رأس القوم والمدافع عنهم. وعِرنينُ الأنف: أوّله حيث يكون فيه الشَّمَمُ.

(٦) سُحَيْم: موضع في بلاد هذيل (معجم البلدان ٣/ ١٩٥).

تُبَكِّي أَبَاهَا أُمُّ وَهْبٍ وقد نَأَى ... وريسانُ أمسى دُونَهُ ويُحَابِرُ[١]
على خَيْرِ حَافٍ من مَعَدٍّ ونَاعِلِ ... إذا الخَيْرُ يُرجَى أو إذا الشَّرُّ حَاضِرُ
تَنَادَوْا ولا أَبُو أُمَيَّةَ فِيهِمُ ... لَقَدْ بَلِغَتْ كَظَّ النُّفوسِ الحَنَاجِرُ[٢]

قال: وقال النَّوْفليّ: إنّ البيتين:

ألاَ إنّ هِنْداً أصبحَتْ منكَ مَحْرَما

والّذي بعده لهشام بن المُغيرة، وكانت عنده أسماء بنت مَخْرَمَةَ النَّهْشَليّة، فولدت له أبا جهل وأخاه الحارث، ثم غضِبَ عليها فجعلها مثلَ ظَهْرِ أُمِّه ـ وكان أوّلَ ظِهَار كان ـ فجعلته قريشٌ طلاقاً. فأرادت أسماء الانصرافَ إلى أهلها؛ فقال لها هشام: وأين الموعد؟ قالت: الموسم. فقال لها ابناها: أَقِيمِي معنا فأقامَتْ معهما. فقال المغيرة بن عبد الله وهو أبو زوجها: أمَا والله لأُزَوِّجَنَّكِ غلاماً ليس بدون هشام؛ فزوَّجَها أبا ربيعة ولدَه الآخر؛ فولدت له عَيَّاشاً وعبدَ الله. فذلك قول هشام: [الطويل]

تُحَدِّثُنَا أَسْمَاءُ أَنْ سَوفَ نَلْتقِي ... أَحادِيثَ طَسْمٍ، إنَّمَا أنتَ حَالِمُ[٣]

وقوله:

ألاَ أَصْبَحَتْ أَسْمَاءُ حَجْراً مُحَرَّماً ... وأَصْبَحْتَ مِنْ أَدْنَى حُمُوَّتِها حَمَا

قال النَّوْفليّ في خبره وحَدّثني أبي: أنه إنّما كان مسافر خرج إلى النُّعمان بن المنذر يتعرَّضُ لإصابة مال ينكِحُ به هنداً، فأكرمه النعمانُ واستظرفه ونادمه وضرب عليه قُبّةً من أَدَم حمراءَ. وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عُرِفَ قدرُه منه ومكانُه عنده. وقدِمَ أبو سُفْيان بنُ حَرْب في بعض تِجاراته؛ فسأله مسافر عن حال النّاس بمكّة؛ فذكر له أنه تزوّج هنداً؛ فاضطرب مسافر حتى مات. وقال بعضُ النّاس: إنه استسقَى بطنُه فكُوِيَ فمات بهذا السبب. قال النَّوْفليّ: فهو أحد مَنْ قتله العشق.

(١) يُحَابر: بن مالك بن أُدَد بن زيد. وريسان: في غير نسخة «وديسان»؟
(٢) لكَظِّ النفوس: لِكربها وامتلائها بالهمّ والحزن.
(٣) طَسْم: قبيلة من عادٍ انقرضوا، وأحاديثُ طَسْمٍ وأحلامُها، يُضْرَبُ مَثَلاً لمن يخبرُكَ بما لا أصل له.

[طلاق الفاكه بن المغيرة لهند]

فأمّا خبر هند وطلاقُ الفاكهِ بنِ المُغيرة إيّاها، فأخبرني به أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال: حَدّثني ابن أبي سعد قال: حَدّثني أبو السُّكَيْن زكريّا بن يحيى بن عمرو بن حِصْن بن حُمَيْد بن حارثة الطائيّ قال: حَدّثني عمّي زَحْر بن حِصْن عن جَدّه حُمَيْد بن حارثة قال: كانت هند بنت عُتْبة عند الفاكِهِ بن المغيرة، وكان الفاكه من فِتْيان قُريش، وكان له بيتٌ للضّيافة بارزٌ من البيوت يغشاه النَّاسُ من غير إذنٍ، فخلا البيتُ ذات يوم، فاضطجعَ هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته. وأقبل رجلٌ ممّن كان يغشى البيت فولَجَهُ؛ فلمّا رآها رجع هارباً؛ وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله وقال: مَنْ هذا الّذي خرج من عندك!؟ قالت: ما رأيتُ أحداً ولا انتبهتُ حتى أَنْبَهْتَنِي. فقال لها: ارجعي إلى أُمّكِ. وتكلَّمَ الناس فيها، وقال لها أبوها: يا بُنَيّة! إنّ النَّاس قد أكثروا فيكِ، فأنبئيني نَبأَكِ، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دَسَسْتُ عليه مَنْ يقتله فتنقطع عنك المقالة، وإنْ يكُ كاذباً حاكَمْتُه إلى بعض كُهّانِ اليمن. فقالت: لا والله ما هو عَلَيَّ بِصادِق. فقال له: يا فاكهُ، إنَّكَ قد رَمَيْتَ بنتي بأمرٍ عظيم، فحاكِمْني إلى بعض كُهّان اليمن. فخرج الفاكهُ في جماعة من بني مخزوم وخرج عُتْبة في جماعة من عبد مَنَاف ومعهم هند ونِسْوة. فلمّا شارفوا البلادَ وقالوا غداً نَرِدُ على الرجل تنكَّرَتْ حال هند. فقال لها عُتْبة: إنّي أرى ما حَلَّ بك من تَنَكُّرِ الحال، وما ذاك إلا لمكروهٍ عندكِ. قالت: لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه، ولكنِّي أعرف أنكم تأتون بَشَراً يخطىءُ ويصيبُ، ولا آمنه أنْ يَسِمَنِي مِيسَماً يكون عَلَيَّ سُبَّةً. فقال لها: إني سوف أختبره لك؛ فصَفَر بفرسه حتى أدْلَى[1]، ثم أدخل في إحليله حبَّةَ بُرٍّ وأوكأ عليها بسَيْرٍ. فلمّا أصبحوا قَدِمُوا على الرّجل فأكرمهم ونحر لهم. فلما قعدوا قال له عُتْبة: جِئناكَ في أمرٍ وقد خَبَأْتُ لك خَبْئاً أختبرك به فانظر ما هو؟ قال: ثَمَرةٌ في كَمَرة[2]. قال: إنّي أريد أَبْيَنَ من هذا.. قال: حَبَّةُ بُرٍّ في إحليل مُهْرٍ. قال: صَدَقْتَ؛ انظُرْ في أمر هؤلاء النسوة. فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول: انْهَضي، حتى دنا من هند فقال لها: انهضي غير رَسحَاء[3] ولا زانية، ولَتَلِدِنَّ مَلِكاً يقال له مُعَاوِية.

---

(١) أدلى الفرسُ: أخرج جردانه ليبول أو يضرب.
(٢) الكَمَرة: رأس الذَّكَر.
(٣) الرَّسَح: خفّة العجيزة ولصوقها.

فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها؛ فنثرَتْ يَدَها من يدِه وقالت: إليكَ عَنِّي! فوالله لأَحْرِصُ أن يكونَ ذلك من غيرك؛ فتزوّجها أبو سُفْيان.

وقد قيل: إنّ بيتيْ مسافر بن أبي عمرو أعني:

أَلا إنّ هـنـداً أصبـحـتْ مـنـكَ مـحـرمـا

لابن عَجْلان.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: حَدّثني عبد الله بن عليّ بن الحسن عن أبي نَصْر عن الأصمعيّ عن عبد الله بن أبي سَلَمة عن أَيُّوب عن ابن سِيرِين قال:

خرج عبد الله بن العَجْلان في الجاهليّة فقال: [الطويل]

أَلاَ إِنَّ هِـنْـداً أصبـحَـتْ مِـنْـكَ مَـحْـرَمـا ... وأَصْـبَـحْـتَ مِـنْ أَدْنـى حُـمُـوَّتِـهـا حَـمَـا

فـأَصْـبَـحْـتَ كـالـمَـقْـمُـورِ جَـفْـنَ سِـلاحِـه ... يُـقَـلِّـبُ بِـالـكَـفَّـيْـنِ قَـوْسـاً وأَسْـهُـمـا

ثم مَدَّ بهما صوته فمات. قال ابن سيرين: فما سمعتُ أن أحداً مات عشقاً غير هذا. ومما يُغَنَّى فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيِّد شعره قوله يفتخر:

صوت

[مجزوء الوافر]

أَلَـمْ نَـسْـقِ الـحَـجِـيـجَ ونَـنْـ ... ـحَـرِ الـمِـذْلاقـةَ الـرُّفُـدا[1]

وزَمْـزَمُ مِـنْ أُرومَـتِـنـا ... ونَـفْـقَـأ عَـيْـنَ مَـنْ حَـسَـدا

وإنَّ مَـنَـاقِـبَ الـخَـيْـرَا ... تِ لَـمْ نُـسْـبَـقْ بِـهَـا عَـدَدا

فَـإِنْ نَـهْـلِـكْ فَـلَـمْ نَـمْـلِـكْ ... وهَـلْ مِـنْ خَـالِـدٍ خَـلَـدا

غَنَّاه ابنُ سُرَيج رَمَلاً بالخِنْصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق، وفيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى من رواية حَمّاد، وفيه لِلزَّفِّ ثقيل بالوسطى.

(١) المِذلاقة: النوق السريعة السَّير. والرُّفُد: جمع الرّفود: وهي الناقة التي تملأ في حَلْبَةٍ واحدةٍ الرّفد. والرِّفدُ: القدح الضخم.

[خبر عمارة بن الوليد مع النجاشيّ صاحب الحبشة]

فأما خبر عمارة بن الوليد والسّبب الذي من أجله أمر النّجاشيُّ السَّواحرَ فسحرتْه فَإِنَّ الواقديّ ذكره عن عبد الله بن جعفر بن أبي عَوْن قال:

كان عُمَارة بن الوَليد المخزوميّ بعدما مَشَتْ[١] قُرَيش بعُمَارة إلى أبي طالب خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السَّهْميّ، وكانا كلاهما تاجرين، إلى النّجاشيّ، وكانت أرض الحبشة لقريش مَتْجَراً ووَجْهاً، وكلاهما مُشرِكٌ شاعرٌ فاتكٌ وهما في جاهليّتهما؛ وكان عُمارة مُعْجَباً بالنساء صاحبَ محادثة؛ فركبا في السفينة ليالِيَ فأصابا من خمر معهما. فلما انْتَشَى عُمَارةُ قال لامرأة عمرو بن العاص: قَبِّليني. فقال لها عمرو: قَبِّلي ابنَ عمّك فقبّلتْه. وحَذِرَ عمرٌو على زوجته فرصَدها ورصدَتْه، فجعل إذا شرِبَ معه أقلّ عمروٌ من الشراب وأَرَقَّ لنفسه بالماء مخافةَ أن يسكَر فيغلبَه عُمارةُ على أهله. وجعل عُمارة يُراودُها على نفسها فامتنعتْ منه. ثم إنّ عَمْراً جلس إلى ناحية السفينة يبول؛ فدفعه عُمارة في البحر، فلمّا وقع فيه سبَحَ حتى أخذ بِالقَلْسِ[٢] فارتفع فظهر على السفينة. فقال له عمارة: أمَا والله لو علمتُ يا عمرو أنك تُحسن السِّباحة ما فعلتُ، فاضطغنها عمرو وعلم أنه أراد قتله. فمضيا على وجههما ذلك حتى قَدِمَا أرضَ الحبشة ونزلاها. وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص أن اخلَعْني وَتَبَرَّأ من جَريرتي إلى بني المُغيرة وجميع بني مخزوم. وذلك أنه خَشِيَ على أبيه أن يُتْبَعَ بجريرته وهو يَرْصُدُ لِعُمارة ما يَرْصُد. فلما ورد الكتابُ على العاص بن وائل مشى في رجال من قومه منهم نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجّاج[٣] إلى بني المغيرة وغيرِهم من بني مخزوم فقال: إنّ هذين الرجلين قد خرجا حيث عَلِمتم، وكلاهما فاتكٌ صاحبُ شَرٍّ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ولا ندري ما يكون، وإنّي أَبرأُ إليكما من عمرو ومن جريرته وقد خلعتُه. فقالت بنو المغيرة وبنو مخزوم: أنت تخاف عمراً على عمارة! وقد خلعنا نحن عُمارةَ وتبرَّأنا

---

(١) جاء في سيرة ابن هشام ١/٢٦٦ (المكتبة العلمية) أن قريشاً مشوا إلى أبي طالب حين عرفوا أنه أبى خذلان رسول الله ﷺ وجاءوا بعمارة بن الوليد بن المغيرة وعرضوا عليه أن يأخذه ـ وهو أنهد فتًى في قريش وأجمله ـ بدلاً عن محمد ﷺ، وأن يسلمهم محمداً ﷺ ليقتلوه. فأجابهم أبو طالب: «والله لَبِئسَ ما تَسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبداً».

(٢) القَلْس: حبل غليظ من حبال السفن.

(٣) الحجاج: بن عامر بن سهم، ونبيه ومنبّه كانا من أشراف قريش، ماتا على الشرك في غزوة بدر.

إليكَ من جريرته، فخَلِّ بين الرجلين. فقال السَّهْميّون[١]: قد قَبِلْنا، فابعثوا منادياً بمكّة أنّا قد خلعناهما. وتبرّأ كلُّ قوم من صاحبهم ومما جَرَّ عليهم، فبعثوا منادياً ينادي بمكّة بذلك. فقال الأسود بن المطَّلب: بَطَلَ والله دَمُ عُمَارة بن الوليد آخرَ الدَّهر!. فلما اطمأنّا بأرض الحبشة لم يلبَثْ عُمَارة أن دبَّ لامرأة النّجاشيّ فأدخلَتْه فاختلف إليها. فجعل إذا رجع من مَدْخَله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره. فجعل عمرو يقول: ما أُصَدِّقُكَ أنّكَ قدَرْتَ على هذا الشّأن، إنّ المرأة أرفع من ذلك. فلمّا أكثر على عمرٍو ممّا كان يُخبره، وقد كان صَدَّقه ولكن أحبَّ التَّثَبُّتَ، وكان عُمَارة يغيب عنه حتى يأتيَه في السَّحَر، وكان في منزلٍ واحد معه؛ وجعل عمارة يدعوه إلى أن يشرب معه فيأبى عمرو ويقول: إنّ هذا يشغَلُكَ عن مَدْخَلكَ، وكان عمرو يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دَفْعَه إنْ هو رفَعه إلى النَّجاشيّ؛ فقال له في بعض ما يذكُر له من أمرها: إنْ كنتَ صادقاً فقل لها تَدْهنك من دُهْن النّجاشيّ الذي لا يَدَّهِنُ به غيرُه فإنّي أعرفه، لو أتيتَني به لَصَدَّقْتُكَ. ففعل عُمَارة فجاء بقارورة من دُهْنه؛ فلمّا شَمَّه عرَفه. فقال له عمرو عند ذلك: أنت صادقٌ! لقد أصبتَ شيئاً ما أصاب أحدٌ مثلَه قطُّ من العرب ونلْتَ من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا ـ وكانوا أهلَ جاهليّة ـ ثم سكت عنه؛ حتى إذا اطمأنّ دخل على النجاشيّ فقال: أيّها الملك! إنّ ابن عَمِّي سفيهٌ، وقد خَشِيتُ أن يَعُرَّنِي عندكَ أمرُه، وقد أردتُ أن أُعْلِمَك شأنَه. ولم أفعل حتى استثبتُّ أنّه قد دخل على بعض نسائك فأكثر، وهذا من دُهْنِكَ قد أُعْطِيَه ودَهَنني منه. فلمّا شَمَّ النّجاشيُّ الدُّهْنَ قال: صَدَقْتَ، هذا دُهْني الذي لا يكون إلاّ عند نسائي. ثم دعا بعُمَارةَ ودعا بالسواحر، فجرّدوه من ثيابه فنفَخْنَ في إحليله، ثم خَلَّى سبيلَه فخرج هارباً، فلم يَزَلْ بأرض الحبشة حتى كانت خلافةُ عمرَ بنِ الخَطَّاب. فخرَج إليه عبد الله بن أبي ربيعة ـ وكان اسمه قبل أن يسلم بَحِيراً فسمّاه رسول الله ﷺ عبد الله ـ فرصده على ماء بأرض الحبشة، وكان يَرِدُه مع الوحش، فورد؛ فلما وجد رِيحَ الإنس هرَبَ؛ حتّى إذا أجهده العطشُ ورَد فشرِبَ حتى تَمَلأ، وخرجوا في طلبه. فقال عبد الله بن أبي ربيعة: فسعيت إليه فالتزمته، فجعل يقول لي: يا بَحِيرُ أَرْسِلْني! يا بَحِير أرسلني! إني أموت إن أمسكتموني. قال عبد الله: وضغطتُه فمات في يدي مكانَه، فواراه ثم انصرف. وكان شَعره قد غَطَّى على كل شيء منه.

(١) السَّهميّون: قوم عمرو بن العاص، وبنو سهم من هصيص بن كعب بن لؤي.

قال الواقديّ عن ابن أبي الزِّناد: وقال عمرو لِعُمَارة: يا فائد، إن كنتَ تحبُّ أن أُصَدِّقَكَ بهذا أو أقبَلَه منك فائتني بثوبين أصفرين، فلمّا رأى النجاشيّ الثوبين قال له عمرو: أتعرِف الثوبين؟ قال: نعم.

وقال الواقديّ عن ابن أبي الزِّنَاد عن أبيه، قال النجاشيّ لِعُمَارة: إنِّي أكره أن أقتلَ قُرَشياً، ولو قتلتُ قرشيّاً لقتلتكَ، فدعا بالسَّواحر.

[شعر عمرو بن العاص في عمارة]

فقال عمرو بن العاص يذكر عُمَارة وما صنع به - قال الواقدي: أخبرني ابن أبي الزِّناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شُعَيْب بن عبد الله بن عمرو يذكره لجَدِّه -: [الطويل]

تَعَلَّمْ عُمَارُ أَنَّ مِنْ شَرِّ شِيمَةٍ ... لِمِثْلِكَ أَنْ يُدْعَى ابنُ عَمٍّ له ابْنَمَا
وإنْ كُنْتَ ذا بُرْدَيْنِ أَحْوَى مُرَجَّلاً ... فَلَسْتَ بِرَاعٍ لابْنِ عَمِّكَ مَحْرَمَا
إذا المَرْءُ لم يَتْرُكْ طَعَاماً يُحِبُّهُ ... ولم يَنْهَ قَلْباً غَاوِياً حَيْث يَمَّمَا
قَضَى وَطَراً منه يَسِيراً وأَصْبَحَتْ ... إذا ذُكِرَتْ أَمْثَالُها تَمْلأُ الفَمَا
فليسَ الفَتَى ولو أَتَمَّتْ عُرُوقُهُ ... بِذِي كَرَمٍ إلاّ بِأَنْ يَتَكَرَّمَا[1]
صَحِبْتُ مِنَ الأمرِ الرَّفِيقِ طريقه ... وَوَلَّيْتُ غَيَّ الأَمْرِ مَنْ قَدْ تَلَوَّمَا
مِنَ الآنَ فَانْزِعْ عن مَطَاعِمَ جَمَّةٍ ... وعَالِجْ أُمُورَ المَجْدِ لا تَتَنَدَّما

[شعر خولة بنت ثابت في عمارة]

قال إسحاق وحَدّثني الأصمعيّ: أنّ خَوْلَة بنتَ ثابت أختَ حسّان قالت في عُمارة لمّا سُحِرَ: [المنسرح]

يا لَيْلَتِي لَمْ أَنَمْ ولم أَكَدِ ... أَقْطَعُها بِالبُكَاءِ والسَّهَدِ
أَبْكِي على فِتْيَةٍ رُزِئْتُهُمْ ... كَانُوا جِبَالِي فَأَوْهَنُوا عَضُدِي
كانُوا جمالي ونُصْرَتِي وبِهِمْ ... أَمْنَعُ ضَيْمِي وكُلَّ مُضْطَهِدِ
فَبَعْدَهُمْ أَرْقُبُ النُّجُومَ وأُذْ ... رِي الدَّمْعَ والحُزْنُ وَالِجٌ كَبِدي

قال الأصمعيّ: واجتاز ابنُ سريج بطُوَيْس ومعه فِتيةٌ من قريش وهو يُغَنِّيهم في

---

(١) أتمَّت عروقه: بلغت تمامها في الكَرَم.

هذا الصوت، فوقف حتى سمعه، ثم أقبل عليهم فقال: هذا والله سَيِّدُ مَنْ غَنّاه.

هذه الأصوات التي ذكرتُها الجامعةُ لِلنَّغَم العَشْرِ والثماني النَّغَمِ منها هي المشهورة المعروفة عند الرُّواة وفي روايات الرُّواة وعند المغنِّين.

وكان عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر يُراسِلُ المعتضد بالله إذا استزار جواريَه على ألسنتهن ومع ذوي الأُنس عنده من رُسله: مع أحمد بن الطَّيّب وثابت بن قُرَّة الطائي، يذكر النَّغَم وتفصيلَ مَجاريها ومعانيها حتى فَهِم ذلك، فصنع لحناً فجمَع النَّغَم العشر في قول دُرَيْد بن الصِّمّة: [مشطور الرجز]

يـا لَـيْـتَـنِـي فـيـهـا جَـذَعْ أَخُـبُّ فِـيـهَـا وأَضَـعْ

[المكتفي يراسله في الغناء]

وصنع صنعةً مُتْقنة جيّدة، منها ما سمعناه من المُحْسِنين والمُحْسِنات ومنها ما لم نسمعه، يكون مبلغُها نحوَ خمسين صوتاً. وقد ذكرتُ من ذلك ما صلَح في أغاني الخلفاء. ثم صنع مثل ذلك للمكتفِي بالله لرغبته في هذه الصناعة، فوجدتُ رقعةً بِخَطّه كتب بها إلى المكتفي نسختُها: «قال إسحاقُ بن إبراهيم حين صاغ عند أبي العبّاس عبد الله بن طاهر بأمره لحنَه في: [الخفيف]

يَـوْمَ تُـبْـدِي لَـنَـا قُـتَـيْـلَـةُ عـن جِـيـ ـدِ تَـلِـيـعٍ تَـزِيـنُـهُ الأَطْـوَاقُ[1]
وشَـتِـيـتٍ كَـالأُقْـحُـوَانِ جَـلاَهُ الـطَّـ ـلُّ فـيـه عُـذوبـةٌ واتِّـسَـاقُ[2]

إنّي نظرتُ مع إبراهيم وتصفّحتُ غناءَ العرب كلّه، فلم نجد في جميع غناء العرب صوتاً أطول إيقاعاً من: [الخفيف]

عَـادَكَ الـهَـمُّ لَـيْـلَـةَ الإيـجَـافِ مِـنْ غَـزَالٍ مُـخَـضَّـبِ الأَطْـرَافِ[3]

ولحنه خفيفُ ثقيل لابن مُحْرِز؛ فإن إيقاعه ستة وخمسون دَوْراً، ثم لحنِ مَعْبَد: [الطويل]

هُـرَيْـرَةَ وَدِّعْـهـا وإنْ لاَمَ لاَئِـمُ غَـدَاةَ غَـدٍ أَمْ أَنْـتَ لِـلْـبَـيْـنِ وَاجِـمُ

(١) جيد تليع: عنق طويل.
(٢) ثَغْرٌ شتيتٌ: أفلج.
(٣) الإيجاف: السير السريع.

وهو أحد سَبْعتِه[١]، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ، ودَوْر إيقاعِه ستّةٌ وخمسون دَوْراً، إلا أن صوت ابن مُحْرز سُدَاسِيٌّ في العَرُوضِ من الخفيف، وصوتَ مَعْبَد ثُمَانيٌّ من الطويل؛ فصوتُ ابن محرز أعجبُ لأنه أقصر، وما زلنا حتى تهيَّأ لنا شعرٌ ربَاعيٌّ في سيِّدنا أميرِ المؤمنين أطال الله بقاءه، دَوْرُ إيقاعِه ستَّة وخمسون دَوْراً، وهو يجمع من النَّغَم العَشْر ثمانياً؛ وهذا ظَرِيف جِدّاً بديع لم يكن مثلُه. وأمّا الصوت الذي في تهنئة النَّوْرُوز[٢] فلأنفسِنا عمِلناه، إذ لم يكن لنا مَنْ يدبِّر مثلُ هذا معه غيرُه، وقد كتبنا شعره وشعر الآخر، وإيقاعُ كلّ واحد منهما خفيفُ ثقيل، والصنعةُ فيهما تُسْتَظْرَف: [الكامل]

جُمِعَ الخَلائِفُ كُلُّهُمْ لِجَمِيعِ مَا ... بَلَغُوا وأُعْطُوا في الإِمَامَ المُكْتَفِي
ولـه الـهَـدَايـا أَلْـفُ نَـوْرُوزٍ وهَــ ... ـذَا الشُّعْرُ مِنْهَا لَحْنُهُ لم يُعْرَفِ

والآخر: [مجزوء الخفيف]

دَوْلَةُ المُكْتَفِي الخَلِيـ ... ـفَةِ تُفْنِي مَدَى الدُّوَلْ
يَوْمُ عِيدٍ ويَوْمُ عُرْ ... سٍ فَمَا بَعْدَهَا أَمَلْ

الصَّنعةُ في البيت الأوّل خاصّةً تدور على ستة وخمسين إيقاعاً.

هكذا وجدت في الرقعة بخط عُبَيد الله، وما سَمِعْتُ أحداً يُغَنِّي هذين الصوتين. وقد عرضتهما على غير واحد من المتقدِّمين ومن مغنِّيات القصور فما عرَفهما أحدٌ منهن، وذكرتهما في الكتاب لأنّ شَريطته تُوجب ذكرهما.

الأرمال الثلاثة المختارة

أخبرني يحيى بن عليّ ومحمد بن خَلَف وَكيع والحُسَين بن يحيى قالوا: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال: حَدّثني أبي، قال أبو أحمد رحمه الله وأخبرني أبي أيضاً عن إسحاق وأخبرنا عليّ بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عُبَيد الله بن خُرْدَاذْبه قال: قال إسحاق: أجمع العلماء بالغناء أن أحسن رَمَلٍ غُنِّيَ رَمَلُ:

فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظرٍ

(١) أحد سبعته: أحد أصواته السبعة.
(٢) النوروز والنيروز: هو اليوم الأول من أيام السنة الشمسية عند الفرس.

ثم رَمَلُ:

أَفَـاطِـمُ مَـهْـلاً بـعـضَ هـذا الـتَّـدلُّـلِ

ولو عاش ابنُ سُرَيج حتى يسمع لحني الرَّمَل:

لَـعَـلَّـكَ إنْ طَـالَـتْ حَـيَـاتُـكَ أنْ تَـرَى

لاستحيا أن يصنع بعده شيئاً، وفي روايَتَيْ وَكيع وعليٍّ بن يحيى «ولعلم أنّي نِعْمَ الشَّاهد له».

نسبة الأصوات وأخبارها

صوت

فـلـم أَرَ كـالـتَّـجْـمِـيـر مَـنْـظَـرَ نَـاظِـرٍ ... ولا كَـلَـيـالِـي الـحَـجِّ أَفْـلَـتْـنَ ذَا هَـوَى

فَـكَـمْ مِـنْ قَـتِـيـلٍ مَـا يُـبَـاءُ بـه دَمٌ ... ومِـنْ غَـلِـقٍ رَهْـنـاً إذا لَـفَّـهُ مِـنَـى[١]

ومِـنْ مَـالـىءٍ عَـيْـنَـيْـهِ مِـنْ شَـيْءِ غَـيْـرِهِ ... إذا رَاحَ نَـحْـوَ الـجَـمْـرةِ الـبِـيضُ كـالـدُّمَى

يُـسَـحِّـبْـنَ أَذْيَـالَ الـمُـرُوطِ بِـأَسْـؤُقٍ ... خِـدَالٍ وأَعْـجَـازٍ مَـآكِـمُـهَـا رِوَا[٢]

عَروضه من الطّويل، الشعر لعمرَ بنِ أبي رَبيعة، والغناء لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر، وقد كان عَلّويه فيما بلغنا صنَع فيه رملاً، وفي «أفاطم مهلاً» خفيفَ رملٍ، وفي «لعلّك إن طالت حياتُك» رملاً آخر، ولم يصنعْ شيئاً وسقطت ألحانُه فيها فما تكاد تُعرف، وهذه الأبيات يقولها عمرُ بن أبي رَبيعة في بنت مَرْوانَ بنِ الحَكَم.

[قصّة عمر بن أبي ربيعة مع أم عمرو بنت مروان]

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حَدّثنا ابن كُناسة عن أبي بكر بن عَيّاش قال: حَجَّتْ أمُّ عمرو بنتُ مروان، فلمّا قَضَتْ نُسُكَها أتت عمرَ بن أبي ربيعة وقد أخفَتْ نفسَها في نساءٍ معها، فحادثته ثم انصرفت، وعادت إليه مُنْصَرَفَها من عرفات وقد أثبتها. فقالت له: لا تذكُرْني في شِعْرِكَ، وبعثت إليه بألف دينار. فقبلها واشترى بها ثياباً من ثياب اليمن وطِيباً فأهداه إليها

(١) لا يباء به دَمٌ: لا يُؤْخَذُ بثأره. وغَلِقَ الرهن: لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط.

(٢) الأسؤق: جمع الساق. والخِدال: الممتلئة. والمأكمة: العجيزة.

فرَدَّتْهُ. فقال: إذاً والله أُنْهِبُهُ النَّاسَ فيكونُ مشهوراً؛ فقبِلَته. وقال فيها: [الخفيف]

أَيُّـهـا الـرَّائِـحُ الـمُـجِـدُّ ابْـتِـكَـارَا قَـدْ قَـضَـى مِـنْ تِـهَـامَـةَ الأوطـارَا
مَـنْ يَـكُـنْ قَـلْـبُـهُ الـغَـدَاةَ خَـلِـيّـاً فـفُـؤَادِي بـالـخَـيْـفِ أَمْـسَـى مُـطَـارَا
لـيـتَ ذَا الـدَّهْـرَ كـانَ حَـتْـمـاً عَـلَـيْـنَـا كُـلَّ يَـوْمَـيْـنِ حِـجَّـةً واعْـتِـمَـارَا

قال ابنُ كُناسة قال ابن عَيّاش: فلما وَجَّهَتْ منصرفةً قال فيها:

فـكـم مِـنْ قَـتِـيـلٍ مَـا يُـبَـاءُ بـه دَمٌ ومِـنْ غَـلِـقٍ رَهْـنـاً إذا لَـفَّـهُ مِـنَـى

قال: ويُروى «ومن غَلِقٍ رَهْنٍ» كأنه قال ومن رهنٍ غلِقٍ؛ لا يُجعل من نعت الرهن، كأنه جعل الإنسان غَلِقاً وجعله رَهْناً؛ كما يقال: كم من عاشقٍ مُدْنَفٍ، ومن كَلِفٍ صَبٍّ.

قال الزُّبير: وحَدّثني مُسْلِم بن عبد الله بن مُسْلِم بن جُنْدَب عن أبيه قال: أُنْشِدَهُ ابنُ أبي عَتِيق فقال: إنَّ في نفس الجَمَلِ ما ليس في نفس الجَمَّالِ.

قال: وقال عبد الله بن عمر، وقد أنشده عمر بن أبي ربيعة شِعرَه هذا: يابن أخي! أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ حيث تقول:

لَـيْـتَ ذا الـدَّهْـرَ كَـانَ حَـتْـمـاً عَـلَـيْـنـا كُـلَّ يَـوْمَـيْـنِ حِـجَّـةً واعْـتِـمَـارَا

فقال له عمر بن أبي ربيعة: بأبي أنت وأمي! إنّي وضعت لَيْتاً حيث لا تُغني.

[توبة عمر عن التشبيب بالنساء بين يدي عمر بن عبد العزيز]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق، وأخبرني ببعض هذا الخبر الحرميّ بن أبي العلاء قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بكار قال: حَدّثنا مُصعَب بن عثمان: أنّ عمر بن عبد العزيز لمّا وَلِيَ الخلافةَ لم تكنْ له هِمّةٌ إلا عمرَ بنَ أبي ربيعة والأحوصَ، فكتب إلى عامله على المدينة: «قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشرّ، فإذا أتاكَ كتابي هذا فاشدُدْهُما واحْمِلْهما إلَيَّ». فلمّا أتاه الكتاب حملهما إليه، فأقبل على عمر فقال له: هِيه!

فـلَـمْ أَرَ كَـالـتَّـجْـمِـيـرِ مَـنْـظَـرَ نَـاظِـرٍ ولا كَـلَـيَـالِـي الـحَـجِّ أَفْـلَـتْـنَ ذَا هَـوَى
وكَـمْ مَـالِـىءِ عَـيْـنَـيْـهِ مِـنْ شَـيْءِ غَـيْـرِهِ إذا رَاحَ نَـحْـوَ الـجَـمْـرَةِ الـبِـيضُ كَـالـدُّمَى

فإذا لم يُفْلِت النّاس منك في هذه الأيام فمتى يُفلتون! أمَا والله لو اهتممْتَ بِأمرِ حَجِّكَ لم تنظرْ إلى شيءٍ غيرِكَ! ثم أمر بنفيه. فقال: يا أمير المؤمنين، أوَ خيرٌ من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أُعَاهِدُ اللّهَ ألاّ أعودَ إلى مِثل هذا الشّعر ولا أذكُرَ النّساء في شعرٍ أبداً وأُجَدِّدَ توبةً على يديك. قال: أوَ تفعل؟ قال: نعم. فعاهدَ اللّهَ على توبةٍ وخَلاّه.

[خبر عمر بن عبد العزيز مع الأحوص ونفيه]

ثم دعا بالأحوص فقال: هيه! [المنسرح]

اللّهُ بَيْنِي وبَيْنَ قَيِّمِهَا ... يَهْرُبُ مِنِّي بِهَا وأَتَّبِعُ

بل اللّهُ بينَ قَيِّمِها وبينكَ! ثم أمر بنفيه إلى بِيش[1]، وقيل إلى دَهْلَك[2] وهو الصّحيح، فنُفِيَ إليها، فلم يَزَلْ بها. فرحل إلى عمَر عدّةٌ من الأنصار فكلّموه في أمره وسألوه أن يُقدِمَهُ وقالوا له: قد عرفتَ نسبه وقِدَمَه وموضعه وقد أُخرِجَ إلى بلاد الشِّرْكِ، فنطلبُ إليكَ أن تردّه إلى حرم رسول اللهﷺ ودار قومه. فقال لهم عمر: مَنِ الذي يقول[3]: [الطويل]

فَمَا هُوَ إلاّ أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً ... فَأُبْهَتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيرُ

ـ وفي رواية الزّبير «أُجِيبُ» مكان «أُجِيرُ» ـ قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول: [الطويل]

أَدُورُ ولَوْلاَ أَنْ أَرَى أُمَّ جَعْفَرٍ ... بِأَبْيَاتِكُمْ مَا دُرْتُ حَيْثُ أَدُورُ

ومَا كُنْتُ زَوّاراً ولَكِنَّ ذَا الهَوَى ... إذا لَمْ يزر لا بُدَّ أَنْ سَيَزُورُ

قالوا: الأحوص. قال: فمَن الّذي يقول: [المنسرح]

كَأَنَّ لُبْنَى صَبِيرُ غَادِيَةٍ ... أَوْ دُمْيَةٌ زُيِّنَتْ بِهَا البِيَعُ[4]

---

(١) بيش: من بلاد اليمن قرب دهلك (معجم البلدان ١/ ٥٢٨).

(٢) دَهْلَك: جزيرة في بحر اليمن، كان من عادة بني أميّة إذا سخطوا على أحد نفوه إليها (معجم البلدان ٢/ ٤٩٢).

(٣) هذا البيت ينسب إلى عروة بن حزام.

(٤) الصَّبير: السحابة البيضاء. والغادية: السحابة تنشأ غُدْوَةً والبِيَعُ: جمع البِيعة: المعبد للنصارى واليهود.

اللَّهُ بَيْنِي وبَيْنَ قَيِّمِها يَهْرُبُ مِنِّي بِها وأَتَّبِعُ

قالوا: الأحوص. قال: إنَّ الفاسقَ عنها يومئذٍ لَمَشغولٌ، واللَّه لا أردّه ما كان لي سلطان. فمكث هناك بعد ولاية عمر صدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خَلاَّه. قال: وكتبَ إلى عمر بن عبد العزيز من موضعه ـ قال الزُّبير: أنشدنيها عبد الملك بن عبد العزيز ابن بنت الماجِشُون قال: أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعني هذه الأبيات ـ: [الطويل]

أَيَا رَاكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ هُدِيتَ أَمِيرَ المُؤْمِنينَ رَسَائِلي
وقُلْ لأَبِي حَفْص إذا ما لَقِيتَهُ لَقَدْ كُنْتَ نَفَّاعاً قَلِيلَ الغَوَائِلِ(١)
أَفِي اللَّه أَنْ تُدْنُوا ابْنَ حَزْم وتَقْطَعُوا قُوَى حُرُمَاتٍ بَيْنَنا وَوَصَائِلِ(٢)
فكيفَ تَرَى لِلعَيْشِ طِيباً وَلَذَّةً وخَالُكَ أَمْسَى مُوثَقاً في الحَبَائِلِ
وما طَمِعَ الحَزْمِيُّ في الجَاهِ قَبْلَها إلى أَحَدٍ مِنْ آلِ مَرْوان عَادِلِ
وَشَى وأَطاعُوهُ بِنَا وأَعَانَهُ على أَمْرِنا مَنْ لَيسَ عَنَّا بِغَافِلِ
وكُنْتُ أَرَى أَنَّ القَرَابَةَ لم تَدَعْ ولا الحُرُمَاتِ في العصورِ الأوائلِ
إلى أَحَدٍ مِنْ آلِ مَرْوانَ ذِي حِجًى بِأَمْرٍ كَرِهْنَاهُ مَقَالاً لِقَائِلِ
يُسَرُّ بِمَا أَنْهَى العَدُوُّ وإنَّهُ كَنَافِلَةٍ لِي مِنْ خِيارِ النَّوَافِلِ
فهل يَنْقُصَنِّي القومُ أَنْ كُنْتُ مُسْلِماً بَرِيئاً بَلائي في لَيَالٍ قَلائِلِ
أَلاَ رُبَّ مَسْرورٍ بِنَا سيَغِيظُهُ لَدَى غِبِّ أمرٍ عَضُّهُ بالأنَامِلِ
رَجَا الصُّلْحَ مِنِّي آلُ حَزْم بْنِ فَرْتَنَى على دِينِهم جَهْلاً ولَسْتُ بِفَاعِلِ(٣)
أَلاَ قَدْ يُرَجُّونَ الهَوَانَ فَإنَّهُمْ بَنُو حَبَقٍ نَاءٍ عَنِ الخَيْرِ فَائِلِ(٤)
على حينَ حَلَّ القولُ بي وتَنَظَّرَتْ عُقُوبَتَهُمْ مِنِّي رؤوسَ القَبائلِ
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى سَائِلاً بِشَمَاتَةٍ بِمَا حَلَّ بي أو شَامِتاً غيرَ سَائِلِ
فقد عَجَمَتْ مِنِّي العَوَاجِمُ مَاجِداً صَبُوراً على عَضَّاتِ تِلْكَ التَّلاتِلِ(٥)

---

(١) الغوائل: جمع الغائلة: الشَّرّ.

(٢) ابن حزم: هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم والي المدينة لعمر بن عبد العزيز. والوصائل: جمع الوصيلة: هي ما يُوصَل به الشيء.

(٣) الفَرْتَنا: الأَمَة.

(٤) الحَبِقُ: الرجل لا خيرَ فيه، السفيه.

(٥) عَجَمه: في الأصل: عَضَّه ليعلم صلابته من رخاوته، والعواجم: جمع العاجمة: الأسنان. والتلاتل: الشدائد. وعاجمتُ الأمورَ وعاجمتني: جَرَّبْتُها وجَرَّبتني.

إذا نَـالَ لـم يَـفْـرَحْ ولـيـسَ لِـنَـكْـبَـةٍ إذا حَـدَثَـتْ بِـالـخَـاضِـعِ الـمُـتَـضَـائِـلِ

قال الزُّبير: وقال الأحوص أيضاً: [الطويل]

هَـلَ انـتَ أَمِـيـرَ الـمُـؤمِـنـيـنَ فَـإِنَّـنِـي بِـوُدِّكَ مِـنْ وُدِّ الـعِـبَـادِ لَـقَـانِـعُ
مُـتَـمِّـمُ أَجْـرٍ قَـدْ مَـضَـى وَصَـنِـيـعَـةٍ لـكـم عِـنْـدَنـا أو مَـا تُـعَـدُّ الـصَّـنَـائِـعُ
فَـكَـمْ مِـنْ عَـدُوٍّ سَـائِـلٍ ذِي كَـشَـاحَـةٍ ومُـنْـتَـظِـرٍ بِـالـغَـيْـبِ مَـا أَنْـتَ صَـانِـعُ[1]

فلم يُغنِ عنه ذلك ولم يُخْلِ سبيله عمرُ؛ حتى وَلِيَ يزيدُ بن عبد الملك فأقدمه وقد غَنَّته حَبَابَةُ بصوتٍ في شعره.

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: قال هشام بن حَسّان: كان السبب في رَدِّ يزيد بن عبد الملك الأحوص أن جميلة غنّته يوماً:

[الطويل]

كَـرِيـمُ قُـرَيْـشٍ حِـيـنَ يُـنْـسَـبُ والَّـذي أَقَـرَّتْ لـه بِـالـمُـلْـكِ كَـهْـلاً وأَمْـرَدَا

فطرِبَ يزيد وقال: وَيْحَكِ! مَنْ كريمُ قُريشٍ هذا؟ قالت: أنتَ يا أمير المؤمنين، ومَنْ عَسَى أن يكون ذلك غيرَك! قال: ومَنْ قائلُ هذا الشّعر فِيَّ؟ قالت: الأحوص وهو مَنْفِيٌّ. فكتب بِرَدِّه وحَمْلِه إليه وأنفذ إليه صِلاتٍ سنيّة. فلمّا قَدِمَ إليه أدناه وقَرَّبه وأكرمه. وقال له يوماً في مجلس حافل: والله لو لم تَمُتَّ إلينا بِحقٍّ ولا صِهْرٍ ولا رَحِمٍ إلاّ بقولك: [الطويل]

وإنِّـي لأَسْـتَـحْـيِـيـكُـمُ أَنْ يَـقُـودَنِـي إلى غَيْرِكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَطْمَعُ

لَكَفاكَ ذلك عندنا. قال: ولم يَزَلْ ينادمه وينافس به حتى مات. وأخبار الأحوص في هذا السبب وغيره قد مضت مشروحةً في أوّل ما مضى من ذكره وأخباره؛ لأنَّ الغرض هاهنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبي ربيعة في الشعرين اللَّذين أنكرهما عليهما عمرُ بن عبد العزيز وأُشخِصَا من أجلهما.

[نفيُ عمر بن أبي ربيعة إلى الطائف بسبب شعر قاله]

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال: حَدّثنا أحمد بن زُهَير قال: مصعب بن

(١) الكشاحة: العداوة.

عبد الله قال: حَجّ سليمان بن عبد الملك وهو خليفة، فأرسل إلى عمرَ بن أبي ربيعة فقال له: ألستَ القائل: [الطويل]

فكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ ... ومِنْ غَلِقٍ رَهْناً إذا لَفَّهُ مِنَى
ومِنْ مَالِىءٍ عَيْنَيْهِ مِنْ شَيءٍ غَيْرِهِ ... إذا رَاحَ نَحْوَ الجَمْرَةِ البِيضُ كَالدُّمَى
يُسَحِّبْنَ أَذْيَالَ المُرُوطِ بِأَسْؤُقٍ ... خِدَالٍ وأَعْجَازٍ مَآكِمُها رِوَا
أَوانِسُ يَسْلُبْنَ الحَلِيمَ فُؤادَهُ ... فَيَا طُولَ مَا شَوقٍ ويَا طُولَ مُجْتَلَى

قال: نعم. قال: لا جرمَ والله لا تحضُرُ الحَجَّ العامَ مع النَّاس! فأخرجه إلى الطّائف.

[بعض أخبار ابن سريج]

أخبرنا الحسين بن يحيى قال: قال حَمَّاد: قرأتُ على أبي حَدَّثني ابنُ الكَلْبيّ عن أبي مسكين وعن صالح بن حسّان قال: قَدِمَ ابنُ أبي عَتيق إلى مكّة فسمع غناء ابن سُرَيج: [الطويل]

فلم أرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاظِرٍ ... ولا كَلَيالِي الحَجِّ أَفْلَتْنَ ذَا هَوَى

فقال: ما سَمِعْتُ كاليوم قَطُّ، وما كنت أحسَب أن مثل هذا بمكّة، وأمر له بمال وحدَرَهُ[1] معه إلى المدينة، وقال: لأُصغِّرَنَّ إلى مَعْبَد نفسه ولأُهدينّ إلى المدينة شيئاً لم يَرَ أهلُها مثلَه حُسناً وظَرفاً[2] وطِيبَ مجلس ودماثة خُلقٍ ورقّة منظر ومِقَةً[3] عند كلّ أحد. فقدِمَ به المدينةَ وجمع بينه وبين معبد، فقال لابن سُرَيج: ما تقول فيه؟ قال: إن عاش كان مُغَنِّي بلاده.

وقال إسحاق وحَدّثني المدائني عن جرير قال: قال لي أبو السائب يوماً: ما معكَ من مُرْقِصاتِ ابن سريج؟ فغنيته:

فلم أرَ كالتَّجميرِ منظرَ ناظرٍ

فقال: كما أنت حتى أَتَحَرَّمَ لهذا بركعتين.

---

(١) حدره معه: أنزله.
(٢) الظَّرْف: الكياسة والحذق والبراعة.
(٣) المِقَة: المحبّة.

حَدّثني الحسين قال: قال حمّاد: قرأت على أبي وحَدَّثني أبو عبد الله الزبيريّ قال: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكّة أنْ أَشْخِصْ إِلَيَّ ابنَ سُرَيج. فورد الرسول إلى الوالي، فمرَّ في بعض طريقه على ابن سُرَيج وهو جالس بين قَرْنَيْ بئرٍ وهو يُغَنِّي:

فلم أرَ كالتَّجميرِ منظرَ ناظرٍ

فقال له الرسول: تاللَّه ما رأيتُ كاليوم قَطُّ ولا رأيتُ أحمقَ مِمَّنْ يتركُكَ ويبعثُ إلى غيرك. فقال له ابن سُريج: أما والله ما هو بقَدَم ولا سَاقٍ، ولكنه بِقَسَمٍ وأرزاقٍ. ثم مَضَى الرَّسول فأوصل الكتاب، وبعث الوالي إلى ابن سريج فأحضره، فلمّا رآه الرسولُ قال: قد عجبت أن يكون المطلوبُ غيرَك.

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبير بن بكّار قال: حَدّثني عمِّي قال: رَقِيَ عبد الله بن الزُّبير أبا قُبَيس[1] ليلاً، فسمعَ غِناءً فنزل هو وأصحابه يتعجّبون وقال: لقد سمعتُ صوتاً إن كان من الإنس إنه لَعَجَبٌ، وإنْ كان من الجِنِّ لقد أعطوا شيئاً كثيراً. فاتَّبعوا الصوتَ فإذا ابن سُرَيج يتغنّى في شعر عمر:

فلم أرَ كالتَّجميرِ منظرَ ناظرٍ

ومن هذه الأرمال الثلاثة:

صوت

[الطويل]

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ هذا التَدَلُّلِ ... وإنْ كُنْتِ قد أَزْمَعْتِ صُرْمِي فأَجْمِلِي
أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي ... وأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ

الشّعر لامرىء القيس، والغناء في هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبنصر، وفي هذين البيتين مع أبيات أُخر من هذه القصيدة ألحانٌ شَتّى لجماعة نذكرها هاهنا ومن غنّى فيها، ثم نُتْبع ما يُحتاج إلى ذكره منها، وقد يُجمع سائر ما يُغَنَّى فيه من القصيدة معه:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسُقْطِ اللِّوَى بينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

(١) أبو قبيس: هو الجبل المشرف على مكة (معجم البلدان ١/ ٨٠).

فتُوضِحَ فَالمِقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها ... لِمَا نَسَجتْها مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ
أَفاطِمُ مَهْلاً بَعْضَ هذا التَدَلُّلِ ... وإنْ كُنْتِ قد أَزْمَعْتِ صُرْمِي فأَجْمِلِي
وإنْ كُنْتِ قد سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ
أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قاتِلي ... وأنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ
ومَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لِتَضْرِبِي ... بِسَهْمَيْكِ في أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ
تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجَالِ عَنِ الصِّبَا ... ولَيسَ فُؤادي عن هَوَاكِ بِمُنْسَلِ
أَلاَ أَيُّها اللَّيْلُ الطَّويلُ أَلاَ انْجَلِ ... بِصُبْحٍ ومَا الإِصْبَاحُ فيك بِأَمْثَلِ
وَبَيْضَةِ خِدْرٍ لا يُرَامُ خِبَاؤُهَا ... تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بها غَيْرَ مُعْجَلِ
تَجاوَزْتُ أَحْرَاساً إِلَيْها ومَعْشَراً ... عَلَيَّ حِرَاصاً لو يُسِرُّونَ مَقْتَلي
أَلاَ رُبَّ يَومٍ صالحٍ لكَ منهما ... ولا سِيّما يَومٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ(١)
ويوم عَقَرْتُ لِلعَذَارَى مَطِيَّتِي ... فَوَا عَجَبِي مِنْ رَحْلِها المُتَحَمَّلِ
وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتِها ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً ... كجُلْمود صخرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ
فقلت لها سِيرِي وأرخي زِمامَه ... ولا تُبعدينا من جَناك المُغَلَّلِ

عَروضه من الطويل، وسُقِطِ اللِّوى مُنْقَطَعهُ. واللِّوى: المُسْتَدَقّ من الرَّمْل حيث يستدّق فيخرج منه إلى اللِّوى، والدَّخول وحَوْمَلٌ وتُوضِحُ والمِقْراة: مواضع ما بين إِمَّرَة إلى أَسْوَد العَيْن(٢). وقال أبو عبيدة في سقط اللوى وسقط الولد وسقط النار سَقْط وسُقْط وسِقْط ثلاث لغات. وقال أبو زيد: اللِّوى: أرض تكون بين الحَزْن والرّمل فصلاً بينهما. وقال الأصمعيّ: قوله «بين الدَّخول فحوملِ» خطأ ولا يجوز إلاّ بواو «وحومل»؛ لأنه لا يجوز أن يقال: رأيت فلاناً بين زيد فعمرو، إنما يقال وعمرو؛ ويقال: رأيتُ زيداً فعمراً إذا رأى كُلَّ واحد منهما بعد صاحبه. وقال غيره: يجوز «فحومل» كما يقال: مُطِرْنا بين الكوفة فالبصرة، كأنه قال: من الكوفة إلى البصرة، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين؛ وليس هذا مثل بين زيد فعمرو. ويَعْفُ رَسْمُها: يَدْرُسُ. ونسجَتْها: ضربَتْها مقبلة ومدبرة فعفتها. يعني أن الجَنُوب تعفي هذا الرسم إذا هَبَّتْ وتَجِيءُ الشَّمأل فتكشفه. وقال غير أبي

---

(١) دارة جلجل: هي من ديار الضباب بنجد فيما يواجه ديار فزارة (معجم البلدان ٢/ ١٥٠).

(٢) إِمَّرَة: اسم منزل في طريق مكة من البصرة (معجم البلدان ١/ ٢٥٣). وأَسْوَد العين: جبل بنجد يشرف على طريق البصرة إلى مكة (معجم البلدان ١/ ١٩٣).

عُبَيدة: المِقْرَاة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذي يُجمع فيه الماء. والرَّسْم: الأثر الذي لا شخصَ له. ويروى «لما نسجته» يعني الرّسم. ويقال عَفَا يعفو عُفُوًّا وعَفَاءً؛ قال الشّاعر:

عــلــى آثــارِ مَــنْ ذَهَــبَ الــعَــفَــاءُ

يعني محو الأثر، وفاطمة التي خاطبها فقال «أفاطم مهلاً» بنت العُبَيْد بن ثَعْلَبة بن عامر بن عوف بن كنانة بن عَوْف بن عُذْرة، وهي التي يقول فيها:

لاَ وأبــيــكِ ابــنــةَ الــعــامــريّ[1]

«وأزمعتِ صُرْمِي»، يقال أزمعتِ وأجمعتِ وعزمتِ وكلّه سَوَاءٌ. يقول: إنْ كنتِ عَزَمْتِ على الهَجْرِ فأَجمِلي. ويقول الأسير: أَجْمِلوا في قتلي، قتلةً أحسنَ من هذه، أي على رفق وجميل. والصُّرْمُ: القطيعةُ، والصَّرْمُ المصدر؛ يقال: صرمته أصرِمُهُ صَرْماً مفتوحٌ إذا قطعته، ومنه سيفٌ صارمٌ أي قاطع، ومنه الصِّرام[2]، ومنه الصَّرَائم وهي القِطَعُ من الرَّمْل تنقطع من معظمه. وقوله: «سُلِّي ثِيابِي من ثيابِكِ» كنايةٌ، أي اقطعي أمري من أمرك، وقوله تَنْسُل: تَبِنْ عنها. ويقال لِلسِّنِّ إذا بانَتْ فسقطَتْ والنَّصْلِ إذا سَقَطَ: نَسَل ينسُلُ، وهو النَّسيلُ والنُّسَالُ. وقال قوم: الثّيابُ: القَلْبُ. وقوله: «وما ذرفَتْ عيناك» أي ما بكيتِ إلاّ لِتَضربي بِسهميكِ في أعشار قلب مُقتَّل. قال الأصمعيّ: يعني أنك ما بكيت إلا لَتخرقي قلباً مُعَشَّراً، أي مُكَسَّراً؛ شَبَّهَه بِالبُرْمَة إذا كانت قِطَعاً، ويقال: برمةٌ أعشار. قال ولم أسمع للأعشار واحداً. يقول: لِتَضربي بِسهميكِ أي بعينيك فتجعلي قلبي مُخَرَّقاً فاسداً كما يُخَرِّقُ الجابر أعشارَ البرمةِ؛ فالبرمة تنجبرُ إذا أخرقت وأُصلحت، والقلب لا ينجبر. قال: ومثله قوله:

رَمَــتْــكَ ابــنــةُ الــبــكــريِّ عــن فــرع ضَــالَــةٍ

أي نظرتْ إليك فأقرحَتْ قلبك. وقال غير الأصمعيّ وهو قول الكوفيين: إنّما

---

(١) هذا صدر بيت له من قصيدة له مطلعها:

أحــار بــن عــمــرو كــأنــي خــمــر ... ويــعــدو عــلــى الــمــرء مــا يــأتــمــر

وعجزه: «لا يدعي القوم أني أفرّ».

(٢) الصِّرَام: أوان إدراك النخل.

هذا مثل أعشار الجَزُور، وهي تنقسم على عشرة أَنْصِباء، فضرَبْتِ فيها بسهميكِ[1] المُعَلَّى وله سبعة أَنْصِباء والرَّقيب وله ثلاثة أَنْصِباء؛ فأراد أنها ذهبت بقلبه كُلِّه. مُقَتَّل: أي مُذَلَّل؛ يقال بعير مُقَتَّل أي مُذَلَّل. وتسلَّت: ذهبت. يقال: سلوتُ عنه وسَلِيتُ إذا طابت نفسُك بتركه. قال رؤبة:

لـو أشـربُ الـسُّـلْـوَانَ مـا سَـلِـيـتُ

والعَمايات: الجَهالات، عَدَّ الجهل عَمًى، والصِّبَا اللّعب. قال ابن السِّكِّيت: صَبَا يَصْبُو صَبْواً وصُبُوّاً وصَبَاءً وصِباً. انْجَلِ: انْكَشِفْ. والأمر الجليّ: المنكشف. وقوله: أنا ابنُ جَلاَ أي أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور؛ ومنه جِلاءُ العروسِ وجِلاءُ السَّيْفِ. وقوله «فيك بأمثلِ» يقول: إذا جاءني الصَّباحُ وأنا فيك فليس ذلك بأمثل؛ لأنَّ الصُّبح قد يَجِيءُ واللَّيل مظلمٌ بعدُ. يقول: ليس الصّبحَ بأمثل وهو فيك، أي يريد أن يجيءَ منكشفاً منجلياً لا سوادَ فيه. ولو أراد أن الصَّباح فيك أمثل من اللَّيل لَقَالَ: منك بأمثلِ. ومثله قول حُمَيْد بن ثور في ذكر مَجِيءِ الصّبح واللّيل باقٍ: **[الطويل]**

فلمَّا تَجَلَّى الصُّبْحُ عَنها وأَبْصَرَتْ ... وفي غَبَشِ اللَّيْلِ الشُّخُوصَ الأَبَاعِدُ

غَبَشُ اللَّيل: بَقِيّته. هذا قول يعقوب بن السِّكِّيت. «وَبَيْضَةِ خِدْرٍ» شبّه المرأة بالبيضة لِصَفائها ورِقَّتِها. «غير مُعْجَل» أي لم يُعْجِلْني أحدٌ عَمّا أُريده منها. والخِباء: ما كان على عمودين أو ثلاثة. والبيت: ما كان على ستّة أعمدة إلى تسعة. والخيمة: من الشَّعَر. وقوله: «يُسِرُّونَ مقتلي»، قال الأصمعيُّ: يُسِرُّونه؛ ورُوِيَ غيره: يُشِرُّون بالشِّين المعجمة أي يظهرونه. وقال الشاعر: **[الطويل]**

فـمـا بَـرِحُـوا حَـتَّـى أَتَـى الـلَّـهُ نَـصْـرَهُ ... وحَـتَّـى أُشِـرَّتْ بِـالأَكُـفِّ الأَصَـابِـعُ[2]

أي أُظْهرتْ. وقال غيرهما: لو يُسِرّونه: من الإِسرار أي لو يستطيعون قتلي لأَسَرُّوه من الناس وقتلوني. قال أبو عُبَيْدة: «دارة جُلْجُل» في الحِمَى؛ وقال ابن

---

(١) سهام الميسر عشرة وهي: الفذّ والتوءم والضريب والحلس والنافس والمسبل والمعلّى، وثلاثة ليس لها شيء وهي الوغد والسفيح والمنيح.

(٢) ورد البيت في تاج العروس (شرر) وقد نسبه لكعب بن جُعَيل أو للحصين بن الحُمام المُرّي وروايته هكذا:

فـمـا بَـرِحـوا حـتّـى رأى الله صَـبْـرَهُـم ... وحَـتّـى أُشِـرَّتْ بـالأَكُـفِّ الـمـصـاحـفُ

الكلبيّ: هي عند عين كِنْدة. ويروى سِيَما مُخَفَّفة وسِيَّما مُشدَّدة. ويقال: رُبَّ رجل ورُبْ رجل ورُبَّتَ رجل. ومن القرّاء من يقرأ ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذين كَفَرُوا﴾[1] مُخَفَّفة. وقرأ عليه رجل «رُبَّما» فقال له: أَظنُّكَ يُعجبك الرُّبُّ[2].

ويُرْوَى:

فَـيَـا عَـجَـبـاً مـن رَحْـلِـهـا الـمُـتَـحَـمَّـلِ

أي يا عَجَباً لِسفهي وشبابي يومئذ. ويروى:

وقــد أَغــتــدي والــطَّــيْــرُ فــي وَكَــراتِــهــا

بالراء. قال أبو عبيدة: والأُكُنات في الجبال كَالتَّمارِيد[3] في السَّهل، والواحدة أُكْنَة. وهي الوُقُنَات والواحدة أُقْنَة، وقد وَقَنَ يَقِنُ. وقال الأصمعيّ: إذا أَوَى الطَّيرُ إلى وَكْرِه قيل وَكَرَ يَكِرُ ووَكَنَ يَكِنُ، ويقال: إنه جاءنا والطَّير وُكَّنٌ ما خَرَجْنَ. والمُنجرد: القصير الشَّعَرةِ، وذلك من العِتْقِ. والأوابدُ: الوحش، وتأَبَّدَتْ: تَوَحَّشت، وتأَبَّدَ الموضع إذا توحَّشَ. وقيدُ الأوابد: يعني الفرس. يقول: هو قيدٌ لها لأنها لا تفوته كأنها مقيّدة. والهيكل: العظيم من الخيل ومن الشجر؛ ومنه سُمِّيَ بيت النَّصارى الهيكلَ. وقال أبو عُبَيْدة: يقال: قيد الأوابد وقيد الرِّهان، وهو الذي كأن طريدته في قَيْدٍ له إذا طَلَبها، وكأنَّ مُسابِقَه في الرِّهانِ مُقَيَّدٌ. قال أبو عبيدة: وأوّل من قيّدها امرؤ القيس، والمُنْجَرِد: القصير الشَّعَرة الصّافي الأديم، والهيكل الذَّكَر، والأنثى هيكلة، والجمع هياكل، وهو العظيم العَبلِ الكثيف اللَّيِّن وقوله «مِكَرٍّ مِفَرٍّ» يقول: إذا شِئتُ أنْ أَكُرَّ عليه وجدته، وكذلك إذا أردتُ أن أَفِرَّ عليه أو أُقبِلَ أو أُدْبِر. والجُلْمود: الصَّخرة. ووصفها بأن السّيل حَطَّها من عَلٍ لأنها إذا كانت في أعلى الجبل كان أصلب لها. «من عَلِ»: من فوقٍ. ويقال من عَلِ ومن عَلُ ومن عَلاَ ومن عَلْوُ ومن عالٍ ومن عَلْوَ ومن مُعَالٍ. وقوله «سِيري وأرخي زمامه» أي هَوِّني عليك الأمرَ ولا تُبالي أَعُقِرَ أم سَلِمَ. «وجناك» كلُّ شيء اجتنيته من

(١) سورة الحجر: الآية ٢.
(٢) الرُّبّ: ما يُطبَخ من التمر.
(٣) التماريد: جمع التِّمرَاد: هو برج صغير للحمام.

قُبْلَة وما أشبه: ذلك هو الجَنَى، وهو من الإنسان مثل الجَنَى من الشَّجر أي ما اجْتُنِيَ من ثمره. والمُعَلِّل: المُلَهِّي.

غَنَّى في «قِفَا نَبْكِ»، و«أفاطم مهلاً»، و«أغرَّكِ» و«وما ذرفَتْ عيناكِ» معبد لحناً من الثقيل الأوّل بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى، وغَنّى معبد أيضاً في الأوّل والرابع من هذه الأبيات خفيفَ رمل بالوسطى، وغَنِّى سعيد بن جابر في الأربعة الأبيات رملاً، وغَنَّت عَرِيبُ في:

أَغَـرَّكِ مِـنّـي أَنَّ حُـبَّـكِ قَـاتِـلـي

وبعده شعر ليس منه وهو: [الطويل]

فلا تَخرَجِي مِنْ سَفْكِ مُهْجَةِ عَاشِقٍ … بَلَى فَاقْتلِي ثـمَّ اقْتلِي ثـم فَاقْتُلِي

فَـلا تَـدَعـي أَنْ تَـفْـعَـلِـي مَـا أَرَدْتِـهِ … بِـنَـا، مَـا أَرَاكِ الـلّـهُ مِـنْ ذَاكَ فَـافْـعَـلِـي

ولَحنُها فيها خفيفُ رمل، وغَنّى ابن محرز في «تَسلَّتْ عَمايات الرِّجال» وبعده «ألاَ أيّها اللَّيل الطويل» ثانيَ ثقيل بالوسطى، وغَنَّى فيهما عبد الله بن العباس الرَّبيعيّ ثاني ثقيلِ آخر بالسبَّابة في مجرى البنصر، وغَنَّت جميلة في «تسلت عمايات الرجال» وبعده «ألاَ رُبَّ يوم لك» لحناً من الثقيل الأوّل عن الهشامي. وغَنَّت عَزّة الميلاءُ في «تسلَّت عمايات الرجال» وبعده «ويوم عقرت للعذارى مَطِيّتي» ثقيلاً أوّل آخر عن الهشاميّ، وغَنّت حُميدة جارية ابن تُفّاحة في «وبيضةِ خِدْرٍ» و«تجاوزت أحراساً» لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى. ولِطُوَيس في «قِفَا نبكِ» وبعده «فتوضح فالمقراة» ثقيل أوّل آخر. وفي «أفاطم مهلاً» و«أغرّك مني أن حبّك قاتلي» ليزيد بن الرحَّال هزج، ولأبي عيسى بن الرشيد في «وقد أغتدي» و«مِكَرٌّ مِفَرٌّ» ثقيل أوّل. ولِفُلَيْح في «قفا نبكِ» وبعده «أغرّك منِّي» رمل. وقيل: إن لمعبد في «وبيضة خدر» لحناً من الثقيل الأوّل، وقيل: هو لحن حُميدة، ولِعريبَ في هذين البيتين خفيف ثقيلٍ من رواية أبي العُبَيْس، وغَنّى سَلاّم بن الغَسّال - وقيل بل عَبَيْدةُ أخوه - في «وإنْ كنت قد ساءتكِ مني» و«أغرّك مني» رملاً بالوسطى، وغَنَّى في «فقلت لها سيري وأرخي زمامه» سَعْدويه بن نصر ثانيَ ثقيل، وغَنّى في «قفا نبك» وبعده «فتوضح فالمقراة» إبراهيم الموصلي ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن ابن المكّيِّ، وزعم حبش أن لإسحاق فيهما ثقيلاً، وغَنّى في «أغرّك مني» و«ما ذرفت» ابن سُرَيْج خفيفَ رمل بالوسطى من رواية ابن المكّيِّ، وقيل: بل هو من

منحوله. وغَنّى بُدَيْح مولى ابن جعفر في «وما ذرفت عيناك» بيتاً واحداً ثقيلاً أوّل مطلقاً في مجرى الوسطى عن ابن المكّيّ. فجميع ما جمع في هذه المواضع مما وجد في شعر «قفا نبك» من الأغاني صحيحها والمشكوك فيه منها اثنان وعشرون لحناً: منها في الثقيل الأوّل تسعة أصوات، وفي الثقيل الثاني ثلاثة أصوات، وفي الرمل أربعة أصوات، وفي خفيف الرمل صوتان، وفي الهزج صوت، وفي خفيف الثقيل ثلاثة أصوات.

ذكر امرىء القيس ونسبه وأخباره

[نحو ١٣٠ ـ ٨٠ ق هـ/نحو ٤٩٧ ـ ٥٤٥ م]

[نسبه من جهة أبويه]

قال الأصمعيّ: هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عَمْرو بن حُجْر آكِلِ المُرَار بن معاوية بن ثَوْر وهو كِنْدة. وقال ابن الأعرابيّ: هو امرؤ القيس بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور وهو كِندة. وقال محمد بن حبيب: هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الملك ابن عمرو بن حُجْر آكلِ المُرَار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يَعْرُب بن ثوْر بن مُرْتِع بن مُعاوية بنِ كِندة. وقال بعض الرُّواة: هو امرؤ القيس بن السِّمْط بن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية بن ثَوْر وهو كِندة. وقالوا جميعاً: كِندة هو كِندة بن عُفَير بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زيد بن يَشْجُب بن عَريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان بن عابر بن شالخَ بن أرْفَخْشَذ بن سام بن نوح. وقال ابن الأعرابيّ: ثور هو كِنْدة بن مُرْتِع بن عُفَيْر بن الحارث بن مُرَّة بن عَدِيّ بن أُدَدَ بن زيد بن عمرو بنِ مسمَع بن عَرِيب بن عمرو بن زيد بن كهلان.

وأُمّ امرىء القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زُهَيْر أُخت كُلَيْب ومُهَلْهِل ابني ربيعة التَّغلبيَّيْن. وقال مَنْ زعم أنه امرؤ القيس بن السِّمط: أُمّه تَمْلِك بنت عمرو بن زُبَيْد بن مَذْحِج رهط عمرو بن معد يكرب، قال من ذكر هذا وأنّ أُمّه تملك: قد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال: [الطويل]

أَلاَ هَلْ أَتَاهَا والحَوادِثُ جَمَّةٌ ... بِأَنَّ امْرَأَ القَيْسِ بْنَ تَمْلِكَ بَيْقَرا

بَيْقَرَ: أي جاء العراقَ والحَضَر. ويقال: بيقرَ الرَّجُلُ إذا هاجَرَ، وقال يعقوب بن السِّكِّيت: أمّ حُجْر أبي امرىء القيس أُمّ قَطَام بنت سَلْمة امرأةٌ من عَنَزة.

[كنيته ولقبه]

ويُكْنَى امرؤ القيس، على ما ذكره أبو عُبيدة، أبا الحارث. وقال غيره: يكنى أبا وَهْب، وكان يقال له المَلِكُ الضِّلِّيلُ، وقيل له أيضاً ذو القُروح. وإياه عنَى الفرزدقُ بقوله: [الكامل]

وَهَبَ القَصَائِدَ لي النَوَابِغُ إذْ مَضَوْا ... وأَبُو يَزِيد وذُو القُرُوحِ وجَرْوَلُ

يعني بأبي يزيد المُخَبَّلَ السَّعْديّ، وجَرْول الحُطَيْئَة.

قال: ووُلد ببلاد بني أسد، وقال ابن حَبيب: كان ينزلُ المُشَقَّرَ[1] من اليَمَامة. ويقال: بل كان ينزل في حصن بالبحرين. وقال جميع من ذكرنا من الرُّواة: إنّما سُمِّيَ كِنْدةَ لأنه كَنَدَ أباه أي عَقَّهُ. وسمِّيَ مُرْتِعٌ بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرْتَعاً له ولماشيته. وسُمِّي حُجْرٌ آكِلُ المُرَارِ بذلك لأنه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جَبلة كان نائماً في حِجْرِ امرأته هند وهي تَفْليه جعل يأكل المُرَار (وهو نبت شديد المرارة) من الغيظِ وهو لا يدري. ويقال: بل قالت هند للحارث وقد سألها: ما تَرَيْنَ حُجْراً فاعلاً؟ قالت: كأنَّكَ به قد أدركَكَ في الخيل وهو كأنَّه بعيرٌ قد أكلَ المُرَارَ. قال: وسُمِّيَ عمرو المقصورَ لأنه قد قُصِرَ على مُلْكِ أبيه أي أُقْعِدَ فيه كَرْهاً.

[قصّة جدّه الحارث ودخوله مع الزّنادقة وملاحقة أنوشروان له]

أخبرني بخبره، على ما قد سُقْته ونَظَمْتُه، أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبة ولم يتجاوزه، ورَوى بعضَه عن عليِّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبيّ، وأخبرنا الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه، قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبيّ، قال ابن أبي سعد وأخبرني دارِم بن عِقال بن حَبيب الغَسَّانيّ أحدُ ولد السَّمَوأل بن عادِياء عن أشياخه، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيبة، وأخبرني محمد بن العباس اليَزيديُّ قال: حَدّثني عمِّي يوسف عن عَمِّه إسماعيل، وأضفت إلى ذلك روايةَ ابن الكلبيِّ مِمّا لم أسمعه من أحد وروايةَ الهَيْثم بن عَدِيّ

(١) المُشَقَّر: اسم أطلق على عدة مواضع فهو حصن بين نجران والبحرين يقال إنه من بناء أحسم، وهو جبل لهذيل، وأيضاً هو وادٍ بأجأ (معجم البلدان ٥/ ١٣٤).

ويعقوبَ بن السِّكِّيت والأثْرَم وغيرهم، لما في ذلك من الاختلاف، ونسبتُ رواية كلّ رَاوٍ إذا خالف روايةَ غيره إليه، قالوا:

كان عَمْرو بن حُجْر وهو المقصور ملكاً بعد أبيه، وكان أخوه معاوية وهو الجَون على اليمامة، وأُمُّهما شُعْبة بنت أبي مُعاهِر بن حَسّان بن عمرو بن تُبَّع. ولمّا مات مَلَك بعده ابنُه الحارث، وكان شديدَ المُلْكِ بعيد الصِّيتِ. ولمّا ملكَ قُبَاذُ بن فَيْروز خرج في أيام مُلْكِه رجلٌ يقال له مَزْدَك فدعا الناسَ إلى الزَّندقة وإباحة الحُرَمِ وألاّ يمنع أحد منهم أخاه ما يريده من ذلك. وكان المُنْذِر بن ماء السَّماء يومئذٍ عاملاً على الحِيرة ونواحيها، فدعاه قُبَاذُ إلى الدخول معه في ذلك فأبى، فدعا الحارثَ بن عمرو فأجابه؛ فشَدَّدَ له مُلْكَه وأَطْردَ المُنْذِرَ عن مملكته وغلَبَ على مُلْكِه. وكانت أُمُّ أَنُوشِرْوانَ بين يدي قُباذَ يوماً، فدخل عليه مَزْدَك، فلمَّا رأى أُمَّ أنو شروان قال لِقُباذ: ادفعها لي لأقضيَ حاجتي منها؛ فقال: دونكها. فوثب إليه أنو شروان فلم يَزَلْ يسأله ويَضْرَعُ إليه أن يهَبَ له أُمَّه حتى قَبَّلَ رِجْلَه فتركَها له؛ فكانت تلك في نفسه. فهلَكَ قُبَاذُ على تلك الحال، وملك أَنُو شِرْوانُ فجلس في مجلس المُلْك. وبلغ المنذرَ هلاكُ قباذَ فأقبل إلى أنوشروان وقد علم خلافَه على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه. فأذِنَ أن شروانُ للنَّاس، فدخل عليه مَزْدَك ثم دخل عليه المنذر. فقال أنو شروان: إني كنت تَمَنَّيْتُ أمنيّتين أرجو أن يكون اللّه قد جمعهما لي. فقال مَزْدَك: وما هما أيها الملك؟ قال: تمنّيتُ أنْ أملِكَ فأستعملَ هذا الرجل الشريفَ (يعني المنذر) وأن أقتل هؤلاء الزَّنادقة. فقال له مزدك: أوَ تستطيع أن تقتل النَّاس كُلَّهم؟! قال: إنك لها هنا يابنَ الزَّانية! واللَّه ما ذهب نَتْنُ ريح جَوْرَبِكَ من أنفي منذ قبَّلْتُ رِجْلَكَ إلى يومي هذا! وأمر به فقُتِلَ وصُلِبَ، وأمر بقتل الزَّنادقة فقَتل منهم ما بين جَازِر[1] إلى النَّهْرَوان[2] إلى المدائن في ضَحْوةٍ واحدة مائة ألف زِنديق وصَلَبهم؛ وسُمِّيَ يومئذٍ أنو شروان. وطلب أنو شروان الحارثَ بن عمرو؛ فبلغه ذلك وهو بالأنبار[3]، وكان بها منزلُه ـ وإنما سُمِّيَتِ الأنبارَ لأنه كان يكون بها

(١) جازر: قرية من نواحي النهروان قرب المدائن (معجم البلدان ٢/ ٩٤).

(٢) النهروان: كورة واسعة بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي (معجم البلدان ٥/ ٣٢٤).

(٣) الأنبار: مدينة قرب بلخ وهي قصبة ناحية جُوزَجان وبها كان مقام السلطان والأنبار أيضاً مدينة على الفرات في غربي بغداد، والأنبار: حَدُّ بابل سُمِّيت بذلك لأنها كان يُجمع بها أنابير الحنطة والشعير والتبن (معجم البلدان ١/ ٢٥٧).

أَهْراءُ[١] الطَّعام وهي الأنابير ـ فخرج هارباً في هجائنه وماله وولدِه فمَرَّ بالثَّوِيَّة[٢]؛ وتبِعَهُ المُنْذِرُ بِالخيلِ من تَغْلِبَ وبَهْراءَ[٣]، وإيَادٍ، فلَحِقَ بأرض كَلْب[٤] فنجا، وانتهبوا ماله وهجائنه، وأخذت بنو تغلب ثمانيةً وأربعين نفساً من بني آكل المُرَارِ؛ فقُدِمَ بهم على المنذر فضرب رقابَهم بِحَفَرِ[٥] الأملاك في ديار بني مَرِينا[٦] العِبادِيِّين بين دَيْر هند[٧] والكوفة. فذلك قول عَمْرو بن كُلْثوم: [الوافر]

فَآبُوا بِالنِّهَابِ وبِالسَّبَايَا ... وأُبْنَا بِالمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا

وفيهم يقول امرؤ القيس:

مُلُوكٌ مِنْ بَنِي حُجْرِ بْنِ عَمْرٍو ... يُسَاقُونَ العَشِيَّةَ يُقْتَلُونَا

فَلَوْ فِي يَوْمِ مَعْرَكَةٍ أُصِيبُوا ... ولَكِنْ فِي دِيَارِ بَنِي مَرِينَا

ولَمْ تُغْسَلْ جَمَاجِمُهُمْ بِغُسْلٍ ... ولَكِنْ فِي الدِّمَاءِ مُرَمَّلِينَا[٨]

تَظَلُّ الطَّيْرُ عَاكِفَةً عَلَيْهِم ... وتَنْتَزِعُ الحَوَاجِبَ والعُيُونَا

قالوا: ومضى الحارث فأقام بأرض كَلْب، فكلب يزعمون أنهم قتلوه. وعلماء كِندة تزعم أنه خرج إلى الصّيد فألَظَّ[٩] بتَيْسٍ من الظِّباء فأعجزه، فآلَى أَلِيَّةً[١٠] ألاّ يأكل أوّلاً إلاّ من كبده. فطلَبتْه الخيلُ ثلاثاً فأُتِيَ بعد ثالثة وقد هلك جوعاً، فشُوِيَ له بطنه، فتناول فِلْذَةً من كبده فأكلها حَارّةً فمات. وفي ذلك يقول الوليد بن عَدِيّ الكِنْدِيّ في أحد بني بَجِيلة: [الكامل]

فَشَوَوْا فكانَ شِواؤُهُمْ خَبْطاً لَه ... إنَّ المَنِيَّةَ لا تُجِلُّ جَلِيلا

(١) الأهراء: الأكوام.
(٢) الثَّوِيَّة: موضع قريب من الكوفة، وقيل: خُرَيْبَة إلى جانب الحيرة كان بها سجن للنعمان بن المنذر (معجم البلدان ٢/ ٨٧).
(٣) بهراء: قبيلة باليمن.
(٤) كلب: موضع بين قُومس والرَّيّ من منازل حاجّ خراسان، وكلب: جبل بينه وبين اليمامة يوم (معجم البلدان ٤/ ٤٧٥).
(٥) حَفَر: اسم لعدة مواضع (معجم البلدان ٢/ ٢٧٥).
(٦) بنو مرينا: قوم من أهل الحيرة.
(٧) دير هند: وهما موضعان: دير هند الصغرى ودير هند الكبرى (معجم البلدان ٢/ ٥٤١).
(٨) الغُسْل: الاسم من غَسَل، ما يُغْسَل به من ماء وأشنان وغيرهما. رَمَّلَ الثوبَ بالدم: لَطَّخه.
(٩) أَلَظَّ به: لزمه وألحّ عليه ليصطاده.
(١٠) آلى: حَلَف، والأَلِيَّة: القَسَم.

وزعم ابن قُتَيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قُباذ بن فيروز لم يُمَلِّكْ الحارث بن عمرو وأنَّ تُبَّعاً الأخير هو الذي مَلَّكه، قال: ولمّا أقبل المنذر إلى الحِيرة هرب الحارث وتبعتْه خيلٌ فقتلت ابنَه عمراً وقتلوا ابنه مالكاً بهِيتَ[١]. وصار الحارثُ إلى مُسْحُلان[٢] فقتلته كلب. وزعم غير ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حَتْفَ أنفِهِ.

[الحارث بن عمرو يملّك أولاده على قبائل العرب].

وقال الهيثم بن عَدِيّ: حَدّثني حمَّاد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سَعْيَة بن عَرِيض[٣] من يهود تَيْماء[٤] قال: لمّا قتل الحارثُ بن أبي شَمِر الغَسَّانيّ عمروَ بن حُجْر مَلَّكَ بعده ابنَه الحارث بن عمرو، وأُمُّه بنت عَوْف بن مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان ونزل الحِيرة. فلمّا تفاسدت القبائلُ من نِزار أتاه أشرافُهم فقالوا: إنّا في دينك ونحن نخاف أن نتفانى فيما يَحْدُثُ بيننا، فوجِّهْ معنا بَنِيكَ ينزلون فينا فَيَكُفُّون بعضَنا عن بعض. ففرَّقَ ولدَه في قبائل العرب، فملَّك ابنه حُجْراً على بني أَسَدٍ وغَطَفَان، وملّك ابنه شُرَحْبِيل قتيل يوم الكُلاَب[٥] على بَكْر بن وائل بِأَسْرها وبني حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم والرِّباب. ومَلّكَ ابنَه مَعْدِ يَكرِبَ وهو غَلْفاء (سُمِّيَ بذلك لأنه كان يُغَلِّف رأسَه) على بني تَغْلِب والنَّمِر بن قاسِط وسعد بن زيد مَنَاة وطوائف من بني دارم بن مالك بن حَنْظلة والصنائع وهم بنو رُقَيَّة قومٌ كانوا يكونون مع الملوك من شُذَّاذ العرب، وملَّك ابنَه عبدَ الله على عبد القيس، وملَّك ابنه سَلَمة على قيس.

---

(١) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ((معجم البلدان ٥/ ٤٢٠).

(٢) مُسْحلان: موضع ذُكِرَ في أشعار الشعراء (معجم البلدان ٥/ ١٢٥).

(٣) سعية بن عريض: هو أخو السموأل.

(٤) تيماء: بليدة في أطراف الشام (معجم البلدان ٢/ ٦٧).

(٥) الكُلاب: اسم ماء بين الكوفة والبصرة، وقيل: ماء بين جبلة وشمام. وللعرب يومان مشهوران بيوم الكلاب، فالأول هو الذي قُتِلَ فيه شرحبيل وقد ذكره امرؤ القيس في قصيدته التي مطلعها:

أرانا موضعين لحتم غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

والثاني كان بين سعد والرباب، وبين بني الحارث بن كعب وقبائل اليمن (معجم البلدان: ٤/ ٤٧٢).

[مقتلُه]

وقال ابن الكلبيُّ حَدّثني أبي أنّ حُجْراً كان في بني أسد، وكانت له عليهم إتاوةٌ في كل سنة مؤقّتة؛ فغَبَرَ[١] ذلك دهراً. ثم بعث إليهم جابيه الذي كان يَجْبيهم، فمنعوه ذلك ـ وحُجْرٌ يومئذٍ بتِهَامة ـ وضربوا رسله وضَرَجوهم ضَرْجاً شديداً قبيحاً. فبلغ ذلك حُجْراً؛ فسار إليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم وأخذ سَرَاتَهم، فجعل يُقَتِّلهم بالعصا ـ فسُمُّوا عبيدَ العصا ـ وأباح الأموال، وصَيَّرهم إلى تِهَامة، وآلَى بالله ألاّ يُساكنوهم في بلد أبداً، وحَبس منهم عمرو بن مسعود بن كِنْدة بن فَزَارة الأَسَدِيّ وكان سيِّداً، وعَبِيد بن الأَبْرَص الشاعر، فسارت بنو أسد ثلاثاً، ثم إنّ عَبِيدَ بن الأبرص قام فقال: أيّها الملك اسمع مقالتي: [مجزوء الكامل]

يَا عَيْنُ فَابْكِي مَا بَنِي ... أَسَدٍ فهم أَهْلُ النَّدَامَهْ
أَهْلَ القِبَابِ الحُمْرِ والنَّـ ... ـعَمِ المُؤَبَّلِ والمُدَامَهْ[٢]
وذَوِيَ الجِيَادِ الجُرْدِ ... والأَسَلِ المُثَقَّفَةِ المُقَامَهْ[٣]
حِلاًّ أَبَيْتَ اللَّعْنَ حِلاًّ ... إنَّ فِيمَا قُلْتَ آمَهْ[٤]
فِي كُلِّ وَادٍ بَيْنَ يَثْـ ... ـرِبَ فَالقُصُورِ إلى اليَمَامَهْ
تَطْرِيبُ عَانٍ أو صِيَا ... حُ مُحَرَّقٍ أو صَوْتُ هَامَهْ[٥]
ومَنَعْتَهُمْ نَجْداً فَقَدْ ... حَلُّوا عَلَى وَجَلٍ تِهَامَهْ
بَرِمَتْ بَنُو أَسَدٍ كَمَا ... بَرِمَتْ بِبَيْضَتِهَا الحَمَامَهْ
جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ ... نَشَمٍ وآخَرَ مِنْ ثُمَامَهْ[٦]
إمَّا تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْـ ... ـواً أو قَتَلْتَ فَلا مَلامَهْ
أَنْتَ المَلِيكُ عَلَيْهِمُ ... وهُمُ العَبِيدُ إلى القِيَامَهْ

---

(١) غبر: بَقِيَ.
(٢) المُؤَبَّل: المُقْتَنى.
(٣) الأَسَل: الرماح. وثَقَّفَ الرمح: قَوَّمه وسَوَّاه.
(٤) حِلاًّ: أي تحلّل من يمينك. والآمة: العيب.
(٥) العاني: الأسير.
(٦) النَّشَم: شجر جبليّ تتّخذ منه القسيّ. والثمام: نبت بالبادية معروف.

ذَلُّـوا لِسَـوْطِـك مِـثْـلَ مَـا ذَلَّ الأُشَـيْـقِـرُ ذو الـخِـزَامَـهْ[١]

قال: فَرَقَّ لهم حُجْر حين سمع قولَه، فبعث في أثرهم فأقبلوا، حتى إذا كانوا على مَسيرة يوم من تِهامة تَكَهَّنَ كاهِنُهم ـ وهو عَوْف بن رَبيعة بن سَوَادة بن سعد بن مالك بن ثَعْلَبة بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمة ـ فقال لبني أسد: يا عِبادي! قالوا: لَبَّيْكَ رَبَّنا. قال: مَنِ المَلِكُ الأَصْهَبُ، الغَلاَّب غير المُغَلَّب، في الإِبل كأنها الرَّبْرَبُ[٢]، لا يعلَق رأسَه الصَّخَب، هذا دَمُه يَنْثَعِب[٣]، وهذا غداً أوّل مَنْ يُسْلَب. قالوا: مَنْ هو يا رَبّنا؟ قال: لولا أن تجيشَ نفسٌ جَاشِية، لأخبرتكم أنه حُجْرٌ ضاحية. فركبوا كلَّ صعبٍ وذَلُول؛ فما أشرق لهم النهارُ حتى أَتَوْا على عسكر حُجْر فهجَموا على قبَّته. وكان حُجّابه من بني الحارث بن سعْد يقال لهم بنو خَدّان بن خَنْثَر منهم معاوية بن الحارث وشَبِيب ورُقَيّة ومالك وحبيب، وكان حُجْر قد أعتق أباهم من القتل. فلمّا نظروا إلى القوم يريدون قتلَه خيّموا عليه لِيَمنعوه ويُجيروه، فأقبل عليهم عِلْبَاءُ بن الحارث الكاهليّ، وكان حُجْر قد قتل أباه، فطعَنه من خَلَلِهم فأصاب نَسَاه[٤] فقتله. فلما قتلوه قالت بنو أسد: يا معشرَ كِنَانة وقيس، أنتم إخوانُنا وبنو عَمّنا، والرجلُ بعيدُ النَّسَبِ منّا ومنكم، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه، فانتهبوهم فشَدُّوا على هجائنه فمَزَّقوها ولَفُّوها في رَيْطة بيضاء وطَرَحوه على ظهر الطريق. فلمّا رأته قَيْسٌ وكِنانة انتهبوا أسلابَه، ووثَب عمرو بن مسعود فضمّ عِيَالَه وقال: أنا لهم جارٌ.

قال ابن الكلبيّ: وعدّة قبائل من بني أسد يدّعون قتلَ حُجْر ويقولون: إنّ عِلْبَاءَ كان السَّاعيَ في قتله وصاحبَ المشورة ولم يقتله هو.

قال ابن حبيب: خَدّان في بني أسد وخَدّان في بني تميم وفي بني جَدِيلة بالخاء مفتوحةً، وخُدَّان مضمومة في الأزد، وليس في العرب غير هؤلاء.

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ: بل كان حُجْرٌ لمّا خاف من بني أسد استجار عُوَيْر بن شَجْنة أحد بني عُطَارِد بن كعب بن سعد بن زَيْد مَنَاة بن تَميم لبنته هند

(١) الأشيقر: تصغير الأشقر: الأحمر من الدواب، والخزامة: حلقة توضع في أنف البعير يشد بها الزمام.

(٢) الرَّبرب: القطيع من بقر الوحش.

(٣) ينثعب: يجري.

(٤) النَّسا: عِرْقٌ يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرّ بالعرقوب حتى يبلغ الحافر.

بنت حُجْر وعِياله. وقال لبني أسد لمّا كَثَرُوه: أمّا إذا كان هذا شأنكم فإني مرتحلٌ عنكم ومُخَلِّيكم وشأنكم؛ فواعدوه على ذلك. ومال على خالد بن خَدّان أحد بني سَعْد بن ثَعْلبة، فأدركه عِلْباءُ بن الحارث أحد بني كاهِل فقال: يا خالد اقتُلْ صاحبَك لا يُفلِتْ فَيعُرَّكَ وإيّانا بشرٍّ، فامتنع خالد. ومرّ عِلْباءُ بِقصْدة[1] رُمْح مكسورة فيها سِنانها، فطعَن بها في خاصرة حُجْر وهو غافل فقتَله، ففي ذلك يقول الأَسَديّ: [الطويل]

وقِصْدةُ عِلْباء بن قَيْسِ بن كاهِلٍ ... مَنِيّةُ حُجْرٍ في جِوَارِ ابنْ خَدّانِ

وذكر الهَيْثَم بن عَدِيّ أنّ حُجْراً لمّا استجار عُوَيْرَ بن شَجْنة لبنيه وقَطِينه[2] تحوّل عنهم فأقام في قومه مدّةً، وجمع لبني أسد جمعاً عظيماً من قومه وأقبل مُدِلاً بمن معه من الجنود. فتآمرت بنو أسد بينها وقالوا: والله لئن قهرَكم هذا لَيَحكُمنّ عليكم حكم الصبيّ! فما خيرُ عَيْشٍ يكون بعد قهرٍ وأنتم بحمد الله أشدُّ العرب! فموتوا كِراماً. فساروا إلى حُجْر وقد ارتحل نحوَهم فلَقُوه فاقتتلوا قتالاً شديداً. وكان صاحب أمرهم عِلباء بن الحارث؛ فحمل على حُجْر فطعنه فقتله، وانهزمت كِنْدةُ وفيهم يومئذٍ امرؤ القيس فهرَب على فرس له شَقْراء وأعجزَهم، وأسروا من أهل بيته رجالاً وقتلوا وملأوا أيديهم من الغنائم، وأخذوا جواريَ حُجْر ونساءه وما كان معه من شيء فاقتسموه بينهم.

وقال يعقوب بن السِّكِّيت: حَدّثني خالد الكِلابيّ قال: كان سببُ قتلِ حُجْر أنه كان وفَد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه وأقام عنده حتى هلَك، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسد وقد كان أغار عليهم في النِّساء وأساء ولايتَهم، وكان يُقَدِّم بعضُ ثَقَله أمامَه ويُهَيَّأُ نُزُلُه ثم يَجِيءُ وقد هُيِّىءَ له من ذلك ما يُعجبه فينزل، ويُقَدِّم مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيُضْرَب له في المنزلة الأخرى. فلمّا دنا من بلاد بني أَسَد وقد بلَغهم موت أبيه طَمِعوا فيه، فلما أظلّهم وضُرِبَتْ قِبابه اجتمعت بنو أَسد إلى نَوْفَل بن رَبيعة بن خَدّان؛ فقال: يا بني أسد! مَنْ يَتَلَقَّى هذا الرّجلَ منكم فيقتطعَه؟ فإني قد أَجمعتُ على الفَتْكِ به. فقال له القوم: ما لذلك أحدٌ غيركَ. فخرج نَوْفَل في خيله حتى أغار على الثَّقَل فقتَلَ مَنْ وجد فيه، وساق

(١) القصدة: القطعة.

(٢) القطين: الخدم والحاشية.

الثَّقَل وأصاب جاريتين قَيْنَتين لِحُجْرٍ، ثم أقبل حتى أتى قومَه؛ فلمّا رأوا ما قد حدَثَ وأتاهم به عرفوا أنّ حُجْراً يُقاتلهم وأنه لا بدّ من القتال، فحشَد الناسُ لذلك. وبلغ حُجْراً أمرُهم، فأقبل نحوَهم، فلمّا غَشِيَهمْ ناهضوه القتالَ وهم بين أَبْرَقَيْن من الرمل في بلادهم يُدْعَيان اليوم أَبْرَقَيْ حُجْر، فلم يُلْبِثوا حُجْراً أن هزَموا أصحابَه وأسَروه فحبسوه. وتشاور القوم في قتله؛ فقال لهم كاهن من كَهَنتهم بعد أن حبَسوه لِيَرَوْا فيه رأيَهم: أيْ قوم! لا تعجَلوا بقتل الرجل حتّى أَزْجُرَ لكم. فانصرفَ عن القوم لينظر لهم في قتله، فلمّا رأى ذلك عِلْباءُ خَشِيَ أن يتواكلوا في قتله؛ فدعا غلاماً من بني كاهل، وكان ابنَ أخته وكان حُجْرٌ قتل أباه زوجَ أخت عِلباء، فقال: يا بُنَيَّ، أعندكَ خيرٌ فتثأرَ بأبيك وتنالَ شرفَ الدّهر وإنّ قومكَ لن يقتلوك؟!. فلم يَزَلْ بالغلام حتى حَرَّبَه[1]، ودفع إليه حديدةً وقد شَحَذَها وقال: ادخلْ عليه مع قومك ثم اطْعَنْهُ في مقتله. فعمَدَ الغلامُ إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حُجْر في قُبَّته التي حُبس فيها. فلمّا رأى الغلامُ غفلةً وَثَبَ عليه فقتله؛ فوثبَ القوم على الغلام. فقالت بنو كاهل: ثأرُنا وفي أيدينا. فقال الغلام: إنما ثأرت بأبي، فخَلَّوْا عنه. وأقبل كاهنُهم المُزْدجِر فقال: أيْ قومِ! قتلتموه! مُلْكُ شهر، وذُلُّ دهر، أمَا واللّه لا تَحْظَوْن عند الملوك بعده أبداً.

قال ابن السِّكّيت: ولما طَعنَ الأسديُّ حُجْراً ولم يُجْهِزْ عليه، أوصى ودفع كتابَه إلى رجل وقال له: انطلقْ إلى ابني نافع ـ وكان أكبرَ ولده ـ فإنْ بكى وجَزِعَ فَالْهُ عنه، واسْتَقْرِهم واحداً واحداً حتى تأتي امرأ القيس ـ وكان أصغرَهم ـ فأيّهم لم يجزَعْ فادفع إليه سِلاحي وخيلي وقُدوري ووصيّتي. وقد كان بَيَّنَ في وصيّته مَنْ قتله وكيف كان خبره. فانطلق الرجل بوصيّته إلى نافع ابنه؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه، ثم استقراهم واحداً واحداً فكلُّهم فعل ذلك، حتى أتى امرأَ القيس فوجده مع نديم له يشرَبُ الخمر ويُلاعبه بالنَّرْد؛ فقال له: قُتِلَ حُجْر. فلم يلتفت إلى قوله؛ وأمسك نديمُه، فقال له امرؤ القيس: اظربْ فضربَ. حتى إذا فرَغَ قال: ما كنتُ لأفسدَ عليك دَسْتَكَ. ثم سأل الرسولَ عن أمر أبيه كلّه فأخبره، فقال: الخمرُ عَلَيَّ والنساء حَرَامٌ حتى أَقْتُلَ من بني أسد مائة وأَجُزَّ نَوَاصِيَ[2]

(١) حَرَّبه: قوَّاه وحَرَّشه.

(٢) الناصية: قصَاص الشّعر في مُقدَّم الرأس، وكان من عادة العرب إذا أسرَ الرجلُ آخَرَ وأراد أن يمنّ عليه أن يجزَّ ناصيته ويطلقه فتكون الناصية عنده فخراً.

مائة. وفي ذلك يقول: [الطويل]

أَرِقْتُ ولم يَأْرَقْ لِمَا بيَ نَافِعُ ... وهَاجَ لِيَ الشَّوْقَ الهُمومُ الرَّوَادِعُ

وقال ابن الكلبيّ: حَدّثني أبي عن ابن الكاهن الأسديّ: أنّ حُجْراً كان طَرد امرأ القيس وآلَى ألاّ يقيمَ معه أَنَفةً من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنَف من ذلك، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاطٌ من شُذَّاذ العرب من طيّىء وكَلْب وبَكْر بن وائل؛ فإذا صادف غَديراً أو روضةً أو موضع صيد أقام فذبح لِمَنْ معه في كلّ يوم؛ وخرج إلى الصّيد فتصيَّدَ ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغَنَّتْهُ قِيانُه؛ ولا يزال كذلك حتى يَنْفَدَ ماءُ ذلك الغدير ثم ينتقل عنه إلى غيره، فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بِدَمُّون[1] من أرض اليمن، أتاه به رجلٌ من بني عِجْل يقال له عامر الأعور أخو الوَصَّاف، فلمَّا أتاه بذلك قال: [الرجز]

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ على دَمُّونْ ... دَمُّونُ إنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونْ

وإنَّنَا لأهْلِهَا مُحِبُّونْ

ثم قال: ضَيَّعني صغيراً وحَمَّلني دَمَهُ كبيراً، لا صَحْوَ اليومَ ولا سُكْرَ غداً. «اليومَ خمرٌ، وغَداً أمر» فذهبتْ مَثَلاً. ثم قال: [الطويل]

خَلِيلَيَّ لا في اليَوْمِ مَصْحَى لِشَارِبٍ ... ولا في غَدٍ إذْ ذَاكَ ما كَانَ يُشْرَبُ

ثم شرِبَ سبعاً، فلمّا صحا آلى ألاَّ يأكلَ لحماً، ولا يشربَ خمراً، ولا يَدَّهِنَ بِدُهْن، ولا يصيبَ امرأةً، ولايغسِلَ رأسَه من جنابة، حتى يُدرِكَ بثأره، فلمّا جَنَّهُ اللَّيلُ رأى بَرْقاً فقال: [المتقارب]

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ بِلَيْلٍ أَهَلْ ... يُضِيءُ سَنَاهُ بِأَعْلَى الجَبَلْ

أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ ... بِأَمْرٍ تَزَعْزَعُ منه القُلَلْ[2]

بِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهُمْ ... ألا كُلُّ شَيءٍ سِواهُ جَلَلْ[3]

فأينَ رَبيعةُ عَنْ رَبِّها ... وأينَ تَمِيمٌ وأينَ الخَوَلْ

ألاَ يَحْضُرونَ لَدَى بَابِهِ ... كَمَا يَحْضُرونَ إذا مَا أَكَلْ

---

(١) دَمّون: ذكره ياقوت في معجمه واستشهد بشعر امرىء القيس، وقال: «عَنْدَل وخَوْدون ودَمّون مدنٌ للصيف» (معجم البلدان ٢/ ٤٧٢).

(٢) القُلَل: جمع القُلَّة: أعلى الجبل، وتَزَعزعُ: تتزعزعُ.

(٣) الجَلَل: من الأضداد فهو: الأمر العظيم، وهو الهيِّن، وهنا يريد الهَيِّن.

وروى الهَيْثم عن أصحابه أنّ امرأَ القيس لَمّا قُتِلَ أبوه كان غلاماً قد ترعرعَ، وكان في بني حَنْظَلة مُقِيماً لأنّ ظِئْرَه[1] كانت امرأةً منهم، فلمّا بلَغه ذلك قال:

[الرجز]

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إذْ خَطِئْنَ كَاهِلا ... القَاتِلِينَ المَلِكَ الحُلاَحِلا[2]

تَاللَّهِ لا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلا ... يَا خَيْرَ شَيْخٍ حَسَباً ونَائِلا

وخَيْرَهم. قد عَلِمُوا. فَوَاضِلا ... يَحْمِلْنَنَا وَالأَسَلَ النَّوَاهِلا

وحَيَّ صَعْبٍ والوَشِيجَ الذَّابِلا ... مُسْتَثْفِراتٍ بِالحَصَى جَوَافِلا[3]

يعني صَعْبَ بنَ عليّ بن بكر بن وائل، معنى قوله «مستثفرات بالحصى»: يريد أنها أثارت الحصى بحوافرها لِشدّة جريها حتى ارتفع إلى أثفارها[4] فكأنها استَثْفَرَتْ به.

[عوير بن شجنة يجير هند بنت حُجْر ويوصلها إلى قومِها]

وقال الهَيْثم بن عَدِيّ: لمّا قُتِلَ حجْر انحازت بنتُه وقَطِينُه إلى عُوَيْر بن شَجْنة، فقال له قومه: كُلْ أموالَهم فإنّهم مأكولون، فأبى. فلمّا كان اللّيلُ حمل هنداً وقَطِينَها وأخذَ بخِطَام جملها وأَشْأَمَ بهم في ليلة طَخْياء[5] مُدْلَهِمَّة. فلمَّا أضاء البرقُ أبدى عن ساقيه وكانتا حَمْشَتين[6]. فقالت هند: ما رأيت كاللَّيلةِ ساقَيْ وَافٍ. فسَمِعَها فقال يا هند: هما سَاقَا غادِرٍ شَرٌّ[7]. فرمى بها النِّجادَ حتى أطلعَها نَجْرَان، وقال لها: إنّي لست أُغْنِي عنكِ شيئاً وراء هذا الموضع، وهؤلاء قومك، وقد بَرِئَتْ خَفَارتي، فمدحه امرؤ القيس بعدّة قصائد، منها قوله في قصيدة له:

[الطويل]

أَلا إنَّ قَوْماً كُنْتُم أَمْسِ دُونَهم ... هُمْ مَنَعُوا جَارَاتِكُم آلَ غُدْرانِ[8]

---

(١) الظِّئْر: المرضعة والعاطفة على غير ولدها.

(٢) الحُلاحل: السيّد الكريم.

(٣) الوشيج: شجر الرّماح.

(٤) الأثفار: جمع الثَّفَر: السَّير الذي في مؤخّرة السرج تحت ذنب الدابّة.

(٥) ليلة طخياء: مُظلمة.

(٦) ساقان حمشتان: دقيقتان.

(٧) المثل: في تمثال الأمثال.

(٨) آل غُدران: بطن من العرب.

عُـوَيْـرٌ ومَـنْ مِـثْـلُ الـعُـوَيْـرِ ورَهْـطِـهِ   أَبَـرَّ بِـمِـيـثَـاقٍ وَأَوْفَـى بِـجِـيـرَانِ
هُـمُ أَبْـلَـغُـوا الـحَـيَّ الـمُـضَـيَّـع أَهْـلـه   وسَـارُوا بِـهِـمْ بـيـن الـفُـرَاتِ ونَـجْـرَانِ

وقوله: [الطويل]

أَلاَ قَـبَّـحَ الـلَّـهُ الـبَـرَاجِـمَ كُـلَّـهـا   وجَـدَّعَ يَـرْبُـوعـاً وعَـفَّـرَ دَارِمـا
فَـمَـا فَـعَـلُـوا فِـعْـلَ الـعُـوَيْـرِ ورَهْـطِـهِ   لَـدَى بَـابِ حُـجْـرٍ إِذْ تَـجَـرَّدَ قَـائِـمـا

وقال ابن قُتَيبة في خبره: إنّ القصة المذكورة عن عُوَير كانت مع أبي حَنْبَل وجارية بن مُرّ. قال ويقال: بل كانت مع عامر بن جُوَيْن الطائيّ وإن ابنته أشارت عليه بأخذ مال حُجْر وعياله؛ فقام ودخل الوادي ثم صاح: ألاَ إنّ عامر بن جوين غدر، فأجابه الصّدى مثلَ قوله؛ فقال ما أقبحَ هذا من قول! ثم صاح: ألاَ إنّ عامر بن جُوَين وَفَى، فأجابه الصَّدى بِمثل قوله؛ فقال: ما أحسن هذا! ثم دعا ابنتَه بجَذعةٍ[1] من غنم فاحتلبها وشرب واستلقَى على قفاه وقال: واللّه لا أَغْدُرُ ما أَجْزَأَتْني جَذَعَةٌ. ثم نَهضَ وكانت ساقاه حَمْشَتين؛ فقالت ابنته: واللّه ما رأيتُ كاليوم سَاقَيْ وَافٍ. فقال: وكيف بهما إذا كانتا ساقَيْ غادرٍ! هما واللّه حينئذٍ أقبحُ.

[امرؤ القيس يستنجد ببكر وتغلب فيساعدونه ثم يتخلّون عنه]

وقال ابن الكلبيّ عن أبيه ويعقوبُ بن السِّكِّيت عن خالد الكربيِّ: إنَّ امرأَ القيس ارتحل حتى نزل بَكْراً وتَغْلِبَ، فسألهم النَّصْرَ على بني أسد، فبعث العيون[2] على بني أسد فنَذِروا[3] بالعيون ولجأوا إلى بني كِنانة. وكان الّذي أنذرهم بهم عِلْباء بن الحارث، فلمَّا كان اللّيلُ قال لهم عِلباءُ: يا معشرَ بني أسد تعلمون واللّه أنّ عيون امرىء القيس قد أتتكم ورجعتْ إليه بخبركم، فارحَلوا بليل ولا تُعْلِموا بني كنانة، ففعلوا. وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتَغْلِب حتى انتهى إلى بني كِنانة وهو يحسبَهم بني أسد فوضع السِّلاحَ فيهم وقال: يا لِثَاراتِ المَلِكَ! يا لِثاراتِ الهُمَام! فخرجت إليه عجوزٌ من بني كِنانة فقالت: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! لسنا لكَ بثأرٍ، نحن من كنانة، فدونَكَ ثأرَكَ فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس، فتبع بني أسد ففاتوه

(١) الجَذعة: الفتيّة.
(٢) العيون: الجواسيس.
(٣) نَذِروا: علموا فحذروا.

ليلتَهم تلك ـ فقال في ذلك: [الوافر]

أَلاَ يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِثْرَ قَوْمٍ هُمُ كَانُوا الشِّفَاءَ فلم يُصَابُوا
وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ وبِالأَشْقَيْنَ ما كَانَ العِقَابُ[١]
وأَفْلَتَهُنَّ عِلْبَاءٌ جَرِيضاً ولو أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطَابُ[٢]

يعني ببني أبيهم بني كنانة؛ لأن أسداً وكِنانة ابنيْ خُزيمة أَخَوان.

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم قال: سمعت رجلاً سأل يونس عن قوله «صَفِرَ الوِطَابُ»، فقال: سألنا رُؤْبةَ عنه فقال: لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصَفِرتْ وِطَابُهُ من اللَّبَن. وقال غيره: صَفِرَ الوِطابُ أي إنّه كان يُقْتَلُ فيكون جسمه صِفْراً من دمه كما يكون الوطاب صِفْراً من اللَّبن.

وأدركهم ظُهْراً وقد تَقَطَّعَتْ خيلُه وقطع أعناقَهم العطش، وبنو أسد جامُّون[٣] على الماء، فنَهَدَ إليهم فقاتلهم حتى كَثُرَتِ الجَرحى والقتلى فيهم، وحَجزَ اللَّيلُ بينهم، وهَرَبَتْ بنو أسد. فلمَّا أصبحتْ بَكْر وتَغْلِبُ أبَوْا أن يَتّبِعوهم وقالوا له: قد أَصَبْتَ ثأرَكَ. قال: واللّه ما فعلتُ ولا أصبتُ من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً. قالوا: بلى، ولكنك رجل مشؤوم. وكرهوا قتالَهم بني كنانة وانصرفوا عنه، ومضى هارباً لِوجهه حتى لَحِق بِحمْيَرَ.

[استنجاده بالقبائل العربية]

وقال ابن السِّكِّيت حَدّثني خالد الكلابيّ: أَنَّ امرأَ القيس لمّا أقبل من الحرب على فرسه الشَّقْراء لجأ إلى ابن عَمَّته عمرو بن المُنْذر ـ وأمّه هند بنت عمرو بن حُجْر بن آكل المُرَار، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتَفَرُّقِ مُلْكِ أهل بيته، وكان عمرو يومئذ خليفةً لأبيه المنذر بِبَقَّة[٤] وهي بين الأنبار وهِيتَ[٥] ـ فمدحه وذكر صِهْرَه ورَحِمَه وأنه قد تَعَلَّقَ بِحبالِه ولجأ إليه، فأجاره، ومكث عنده زماناً، ثم بلغ

(١) الجَدّ: الحظّ. والأشقينَ: جمع الأشقى.
(٢) أفلتهنّ جريضاً: أي بعد جهدٍ ومشقّة. والوِطاب: جمع الوَطْب: سقاء اللبن.
(٣) جامُّون: مستريحون، والجَمَام: الرَّاحة.
(٤) بَقّة: موضع قريب من الحيرة وقيل حصن على فرسخين من هيت. (معجم البلدان ١/ ٤٧٢).
(٥) هِيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد (معجم البلدان ٥/ ٤٢٠).

المنذرَ مكانُه عنده فطلبه، وأنذره عمرو فهرَب حتى أتى حِمْيَرَ.

وقال ابن الكلبيّ والهَيْثم بن عَدِيّ وعمر بن شَبَّة وابن قُتَيْبة: فلمّا امتنعَتْ بكرُ بن وائل وتَغْلِب من اتِّباع بني أسد خرج من فَوْره ذلك إلى اليمن فاستنصر أَزْدَ شَنُوءَةَ؛ فأَبَوْا أن ينصروه وقالوا: إخواننا وجيرانُنا. فنزل بِقَيْلٍ[1] يُدْعَى مَرْثد الخَيْر بنَ ذي جَدَن الحِمْيريّ، وكانت بينهما قَرابة، فاستنصره واستَمدَّهُ على بني أسد؛ فأمدَّهُ بِخمسمائة رجل من حِمْيَرَ؛ ومات مَرْثد قبل رحيل امرىء القيس بهم، وقام بالمملكة بعده رجلٌ من حِمْيَر يقال له قَرْمَل بن الحميم وكانت أُمُّه سوداء، فردَّدَ امرأَ القيس وطوّل عليه حتى همّ بالانصراف وقال: [الطويل]

وإذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرْثَدَ الخَيْرِ رَبَّنا وإذْ نَحْنُ لا نُدْعَى عَبِيداً لِقَرْمَلِ

فأنفذَ له ذلك الجيشَ؛ وتَبِعَهُ شُذَّاذٌ من العرب، واستأجر من قبائل العرب رجالاً، فسار بهم إلى بني أسد، ومَرَّ بِتَبَالَةَ[2] وبها صنم للعرب تُعَظِّمه يقال له ذو الخَلَصة[3]؛ فاسْتَقْسم[4] عنده بِقِدَاحِه وهي ثلاثة الآمر والنَّاهي والمُتَرَبِّص، فأجالها فخرج النَّاهي، ثم أجالها فخرج النَّاهي، ثم أجالها فخرج النَّاهي، فجمعها وكسرها وضربَ بها وجهَ الصَّنم وقال: مَصِصْتَ بَظْرَ أُمِّكَ! لو أبوكَ قُتِلَ ما عُقْتَني، ثم خرجَ فظفِر ببني أسد، ويقال: إنه ما استُقْسِمَ عند ذي الخَلَصة بعد ذلك بِقِدْحٍ حتى جاء أمر اللّه بالإسلام وهدَمه جَرير بن عبد الله البَجَلي.

قالوا: وأَلحَّ المنذر في طلب امرىء القيس ووجّه الجيوشَ في طلبه من إياد وبَهْراء وتَنُوخ ولم تكنْ لهم طاقة، وأمدَّهُ أَنُوشِرْوانُ بجيشٍ من الأَسَاورة[5] فسَرَّحَهُمْ في طلَبِه. وتفرَّقت حِمْيَرُ ومن كان معه عنه، فنجا عُصْبَةٌ من بني آكل المُرَار حتى نزل بالحارث بن شِهاب من بني يَرْبُوع بن حَنْظَلة، ومع امرىء القيس أدراع خمسة: الفَضْفاضة والضَّافية والمُحَصِّنة والخربق وأمّ الذيول كُنَّ لبني آكل المرار يتوارثونها مَلِكاً عن مَلِكٍ؛ فقلَّما لَبِثوا عند الحارث بن شهاب حتّى بعث إليه المنذر

(١) القَيْل: المَلِك من ملوك حِمْيَر يتقيَّلُ مَنْ قَبْله من ملوكهم أي يُشْبِهه.
(٢) تَبَالة: بلدة من أرض تهامة في طريق اليمن (معجم البلدان ٢/ ٩).
(٣) ذو الخَلَصة: مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة، وكان سَدَنتها بني أُمامة من باهلة بن أعصر (معجم البلدان ٢/ ٣٨٣).
(٤) استقسم بالأزلام: طلب معرفة ما قُسِمَ له.
(٥) الأساورة: قوم من العجم من بني تميم نزلوا بالبصرة قديماً كالأحامرة بالكوفة.

مائةً من أصحابه يُوعِدُه بالحرب إن لم يُسلمْ إليه بني آكل المرار فأسلمهم؛ ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند بنت امرىء القيس والأَدْرُع والسِّلاح ومال كان بَقِي معه؛ فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طَيِّىء؛ وقيل: بل نزل قبلَهم على سعد بن الضِّباب الأيَاديّ سَيِّدِ قومه فأجاره.

قال ابن الكلبيّ: وكانت أمّ سعد بن الضِّباب تحت حُجْرٍ أبي امرىء القيس فطَلَّقها وكانت حاملاً وهو لا يعرف، فتزوّجها الضِّباب فولَدت سعداً على فراشه، فلحِقَ نسبُه به، فقال امرؤ القيس يذكر ذلك: [الطويل]

يُفَاكِهُنَا سَعْدٌ ويُنْعِمُ بَالَنَا ... ويَغْدُو عَلَيْنَا بِالجِفَانِ وبِالجُزُرْ[1]
ونعرفُ فيه من أَبِيه شَمَائِلاً ... ومِنْ خَالِهِ ومِنْ يَزِيدَ ومِنْ حُجُرْ
سَمَاحَةَ ذَا وَبِرَّ ذَا ووفاءَ ذا ... ونَائِلَ ذَا إذا صَحَا وإذا سَكِرْ

ثم تحوَّلَ عنه فوقع في أرض طَيِّىء فنزل برجل من بني جَدِيلةَ يقال له المُعَلَّى بن تَيم. ففي ذلك يقول: [الوافر]

كَأَنِّي إذْ نَزَلْتُ على المُعَلَّى ... نَزَلْتُ على البَوَاذِخِ مِنْ شَمَامِ[2]
فَمَا مَلِكُ العِرَاقِ على المُعَلَّى ... بِمُقْتَدِرٍ ولا مَلِكُ الشَّآمِ
أَقَرَّ حَشَى امْرِىءِ القَيْسِ بْنِ حُجْرٍ ... بَنُو تَيْمٍ مَصَابِيحُ الظَّلَامِ

قالوا: فلبثَ عنده واتَّخذَ إبلاً هناك، فغدا قومٌ من بني جَدِيلةَ يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل، وكانت لامرىء القيس رواحلُ مُقَيَّدة عند البيوت خوفاً من أن يَدْهَمَهُ أمرٌ لِيسبقَ عليهن، فخرج حينئذٍ فنزل ببني نبْهان من طَيِّىء، فخرج نفرٌ منهم فركبوا الرَّواحلَ ليطلبوا له الإبل فأخذتهنَّ جَدِيلة، فرجعوا إليه بلا شيء، فقال في ذلك: [الطويل]

وأَعْجَبَنِي مَشْيُ الحُزُقَّةِ خَالِدٍ ... كَمَشْيِ أَتَانٍ حُلِّئَتْ بِالمَنَاهِلِ[3]
فَدَعْ عنكَ نَهْباً صِيحَ في حَجَرَاتِهِ ... ولكن حَدِيثاً ما حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ[4]

---

(١) الجِفان: جمع الجَفْنَة: وهي وعاء كبير للطعام. والجُزُر: جمع الجَزُور وهو المذبوح من الإبل.

(٢) البواذخ: جمع الباذخ: الشامخ. وشمام: جبل لباهلة ورد ذكره في شعر جرير (معجم البلدان ٣/ ٣٦١).

(٣) الحُزُقّة: القصير الذي يقارب في خطواته. وحُلِّئَتْ: طُرِدَتْ ومُنِعَتْ من ورود الماء.

(٤) الحَجَرات: النواحي. أي دع النَّهْبَ الذي نُهِبَ من نواحيكَ وحَدِّثْني حديثَ الرواحل ـ وهي الإبل التي ذهبتَ بها ـ ما فعلَتْ؟.

فَفرَّقَتْ عليه بنو نَبْهان فِرْقاً[١] من مِعْزًى يَحْلُبُها، فأنشأ يقول: [الوافر]

إذا ما لَمْ تَجِدْ إبلاً فَمِعْزًى كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِها العِصِيُّ[٢]
إذا ما قامَ حَالِبُهَا أَرَنَّتْ كَأَنَّ القَوْمَ صَبَّحَهُمْ نَعِيُّ[٣]
فَتَمْلأُ بَيْتَنا أَقِطاً وسَمْناً وحَسْبُكَ مِنْ غِنًى شِبَعٌ ورِيُّ[٤]

فكان عندهم ما شاء اللّٰه، ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَيْن واتّخذَ عنده إبلاً، وعامر يومئذٍ أحد الخُلَعاء الفُتَّاك قد تَبَرَّأ قومُه من جرائره، فكان عنده ما شاء اللّٰه، ثم هَمَّ أن يغلِبَه على أهله وماله؛ ففطن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله: [الطويل]

فَكَمْ بالصَّعِيدِ مِنْ هِجَانٍ مُؤَبَّلَةْ تَسِيرُ صِحَاحاً ذَاتَ قَيْدٍ ومُرْسَلَةْ
أَرَدْتُ بِهَا فَتْكاً فَلَمْ أَرْتَمِضْ لَهُ ونَهْنَهْتُ نَفْسِي بَعْدَما كِدْتُ أَفْعَلَهْ[٥]

وكان عامر أيضاً يقول يعرِّض بهند بنت امرىء القيس: [المتقارب]

أَلاَ حَيِّ هِنْداً وأَطْلاَلَها وتَظْعَانَ هِنْدٍ وَتَحْلاَلَها[٦]
هَمَمْتُ بِنَفْسِيَ كُلَّ الهُمُومِ فَأَوْلَى لِنَفْسِيَ أَوْلَى لَهَا[٧]
سَأَحْمِلُ نَفْسِي على آلَةٍ فَإِمَّا عَلَيْهَا وإِمَّا لَهَا[٨]

= وجاء في مجمع الأمثال للميداني (حرف الدال): «هذا بيت لامرىء القيس، قاله لما نزل على خالد بن سدوسي بن أصبع الشيباني، فأغار عليه باعث بن حويص وذهب بإبله، فقال له جاره خالد: أعطني صنائعك ورواحلك حتى أطلب عليها مالك. ففعل، فانطوى عليها. ويقال: بل لحق بالقوم وقال لهم: أغرتم على جاري يا بني جديلة! فقالوا: واللّٰه ما هو بجارٍ لكَ، قال: بلى، واللّٰه ما هذه الإبل التي معكم والتي تحتي، وهي له، فأنزلوه عنها، وذهبوا بها فقال امرؤ القيس فيما هجاه به: فدع عنك....».

(١) الفِرْق: القطيع من الغنم والبقر والظّباء، وقيل هو ما دون المائة من الغنم.
(٢) الجِلَّة: كبيرات السّن.
(٣) أَرَنَّتْ: صَوَّتَتْ.
(٤) الأَقِط: شيء مثل الجبن يُتَّخذ من اللبن المخيض.
(٥) ارتمضَ فلانٌ من كذا: اشتدَّ عليه وأقلقه.
ونهنه: كَفَّ.
(٦) التَّظعان: من الفعل ظَعن: ذهب وسار طلباً للماء أو الكلأ. والتحلال: الإقامة في المكان.
(٧) أولى لك: كلمة تدلّ على التلهّف أو تُستعمل للتوعُّد والتهديد.
(٨) الآلَة: الحالة.

هكذا رَوى ابنُ أبي سعد عن دارِم بن عِقال ومن النّاس من يَرْوي هذه الأبيات لِلخَنْساء في قصيدتها: [المتقارب]

أَلاَ مَا لِعَيْنِي أَلاَ مَا لَهَا لَقَدْ أَخْضَلَ الدَّمْعُ سِرْبَالَهَا[1]

قالوا: فلمّا عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على أهله وماله، تَغَفَّلَهُ وانتقل إلى رجل من بني ثُعَل يقال له حارِثة بن مُرّ فاستجار به، فوقعت الحربُ بين عامر وبين الثّعَلِيّ، فكانت في ذلك أمورٌ كَثيرة.

[وصول امرىء القيس إلى السموأل بن عادياء ثم إلى قيصر]

قال دارِم بن عِقال في خبره: فلمَّا وقعت الحربُ بين طَيِّىء من أجله، خرج من عندهم فنزل برجل من بني فَزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازِن، فطلب منه الجوارَ حتى يَرَى ذاتَ عَيْبِه[2]. فقال له الفَزاريّ: يابنَ حُجْر، إني أراكَ في خَلَلٍ[3] من قومك وأنا أَنْفَسُ[4] بمثلك من أهل الشَّرَف، وقد كِدْتَ بالأمس تؤكل في دار طَيِّىء وأهلُ البادية أهلُ بَرٍّ لا أهل حصون تمنعهم، وبينك وبين أهل اليمن ذُؤبَانٌ من قَيْس، أفلا أدلُّكَ على بلدٍ! فقد جئتُ قَيْصَرَ وجئت النُّعمَانَ فلم أَرَ لِضَيفٍ نازل ولا لِمُجْتَدٍ مِثلَه ولا مثل صاحبه. قال: مَنْ هو وأين منزلُه؟ قال: السَّمَوألُ بِتَيْماءَ، وسوف أضرب لك مَثَله، هو يمنع ضعفك حتّى ترى ذاتَ عَيْبِك، وهو في حِصْن حَصين وحَسَبٍ كبير. فقال له امرؤ القيس وكيف لي به؟ قال: أوصلكَ إلى مَنْ يُوصِلُكَ إليه؛ فصَحِبَه إلى رجلٍ من بني فَزَارة يقال له الرَّبيع بن ضَبُع الفَزَاري ممّن يأتي السَّموألَ فيَحْمِلُه ويُعْطيه. فلمّا صار إليه قال له الفَزَاريّ: إنّ السموألَ يعجبه الشعر، فتعالَ نتناشدْ له أشعاراً، فقال امرؤ القيس: قُلْ حتى أقول، فقال الربيع:

[الكامل]

قُلْ لِلْمَنِيَّةِ أَيَّ حِينٍ نَلْتَقِي بِفِنَاءِ بَيْتِكِ في الحَضِيضِ المَزْلَقِ

وهي طويلة يقول فيها:

---

(١) أخضلَ: بَلّ.

(٢) يرى ذات عيبه: ينظر في أمره ويصلح من شأنه.

(٣) الخَلَل: الضعف والوهن.

(٤) أنفسُ: أضنّ.

ولَقَدْ أَتَيْتُ بَنِي المُصَاصِ مُفَاخِراً وإلى السَّمَوْأَلِ زُرْتُهُ بِالأَبْلَقِ[١]
فَأَتَيْتُ أَفْضَلَ مَنْ تَحَمَّلَ حَاجَةً إِنْ جِئْتَهُ في غَارِمٍ أو مُرْهَقِ
عَرَفَتْ لـه الأَقْوَامُ كُلَّ فَضِيلَةٍ وحَوَى المَكَارِمَ سَابِقاً لم يُسْبَقِ

قال: فقال امرؤ القيس: [الكامل]

طَرَقَتْكَ هِنْدٌ بَعْدَ طُولِ تَجَنُّبِ وَهْناً ولم تَكُ قَبْلَ ذَلِكَ تَطْرُقُ

وهي قصيدة طويلة، وأَظُنُّها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرىء القيس، والتوليدُ فيها بَيِّنٌ، وما دَوَّنَها في ديوانه أحدٌ من الثِّقات؛ وأحسَبُها مما صنعه دارمٌ لأنه من ولد السموأل ومما صنعه مَنْ روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا. قال فوفَد الفزاريُّ بامرىء القيس إليه، فلمَّا كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرةٍ وحشية مَرْمِيَّة، فلمّا نظر إليها أصحابُه قاموا فذَكَّوْها[٢]، فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قَنَّاصين من بني ثُعَلَ. فقالوا لهم: مَنْ أنتم؟ فانتسبوا لهم، وإذا هم من جيران السَّموأل فانصرفوا جميعاً. وقال امرؤ القيس: [المديد]

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعَلٍ مُخْرِجٌ كَفَّيْهِ مِنْ قُتَرِهْ[٣]
عَارِضٍ زَوْرَاءَ مِنْ نَشَمٍ مع بَانَاةٍ على وَتَرِهْ[٤]

ـ هكذا في رواية ابن دارم. ويُرْوى «غير باناة» و«تحت باناة» ـ

إذْ أَتَتْهُ الوَحْشُ وَارِدَةً فَتَثَنَّى النَّزْعَ في يَسَرِهْ[٥]
فَرَمَاهَا في فَرَائِصِهَا بِإِزَاءِ الحَوْضِ أو عُقُرِهْ[٦]

(١) الأبلق: اسم حصن للسموأل بن عادياء بأرض تيماء (معجم البلدان ١/ ٧٥).
(٢) التَّذْكِية: الذّبح.
(٣) القُتر: جمع القترة: هي بيت الصائد الذي يكمن فيه للوحش ليتمكّن من اصطياده.
(٤) عَرَض الرامي القوسَ: إذا أضجعها ثم رمى عنها. والزوراء: المعوَجَّة. والنَّشَم: شجر تُتَّخذ منه القِسيّ. والباناة: لغة طيِّىء في البانية. والبانية من القسيّ: التي لصق وترها حتى كاد ينقطع وترها في بطنها من لصوقه، وهو عيب.
(٥) واردة: عِطاشاً. وتَثَنَّى: انعطف ونزعَ القوسَ: مَدَّها أي جذب وَتَرَها. وجاء في تاج العروس في رواية البيت. «فتَمَتَّى النَّزَعَ» وتمتّى: تَمَطَّى. وقال عن «يَسَره»: «قيل: إنه أراد اليسارَ فحذف الألف، وقيل إنه جَمْعُ يَسَارٍ، ويُرْوَى: يُسَرِه، بضمّ ففتح، جَمْع اليُسْرى.
(٦) الفرائص: جمع الفريصة: اللّحمة بين الجَنْب والصدر والكتف، وهي ترتجف عند الخوف. فيقال: ارتعدت فرائصه، أي خاف خوفاً شديداً. وإزاء الحوض: قرب الحوض. والعُقْر: مُؤَخَّر الحوض حيث يقف الشارب.

بِـرَهِـيـش مِـنْ كِـنَـانَـتِـهِ كَـتَـلَـظِّـي الـجَـمْـرِ فـي شَـرَرِهْ[١]
رَاشَـهُ مِـنْ رِيـشِ نَـاهِـضَـةٍ ثُـمَّ أَمْـهَـاهُ عـلـى حَـجَـرِهْ[٢]
فـهـو لا تَـنْـمِـي رَمِـيَّـتُـهُ مَـا لَـهُ لا عُـدَّ مِـنْ نَـفَـرِهْ[٣]

قال: ثم مضى القومُ حتى قَدِمُوا على السَّمَوأل، فأنشده الشعرَ، وعرف لهم حَقَّهم، فأنزل المرأةَ في قبّة أَدَم وأنزل القومَ في مجلس له بَرَاح، فكان عنده ما شاء اللّه. ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الغَسّانيّ بالشّأم ليوصله إلى قيصر؛ فاستنجد له رجلاً، واستودع عنده المرأةَ والأدراعَ والمال، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمّه. فمضى حتى انتهى إلى قيصر؛ فقَبِلَه وأكرمه وكانت له عنده منزلة، فاندسّ رجل من بني أسد يقال له الطَّمّاح، وكان امرؤ القيس قد قتل أخاً له من بني أسد، حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفياً. ثم إن قيصر ضمّ إليه جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك، فلمّا فصَلَ قال لقيصر قوم من أصحابه: إن العرب قومُ غَدْرٍ ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوَكَ بمن بعثتَ معه.

[هدية القيصر إليه حُلَّة مسمومة]

وقال ابن الكلبيّ: بل قال له الطّمّاح: إن امرأ القيس غَوِيٌّ عاهرٌ وإنه لمّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتَكَ ويواصلها، وهو قائل في ذلك أشعاراً يُشَهِّرها بها في العرب فيفضَحُها ويفضحُكَ. فبعث إليه حينئذٍ بِحُلَّة وَشْيٍ مسمومةٍ منسوجةٍ بالذهب وقال له: إني أرسلتُ إليك بحُلَّتي التي كنت أَلْبَسُها تَكْرِمَةً لك، فإذا وصلتْ إليك فالبَسْها بِاليُمْنِ والبركةِ، واكتبْ إليَّ بخبركَ من منزلٍ منزلٍ. فلما وصلتْ إليه لَبِسَها واشتدّ سرورهُ بها؛ فأسرع فيه السمّ وسقط جلده؛ فلذلك سُمِّيَ ذا القُروح وقال في ذلك: [الطويل]

لَـقـد طَـمَـحَ الـطَّـمَّـاحُ مِـنْ بُـعْـدِ أَرْضِـهِ لِـيُـلْـبِـسَـنِـي مِـمَّـا يُـلَـبِّـسُ أَبْـؤُسَـا
فَـلَـوْ أَنَّـهَـا نَـفْـسٌ تَـمُـوتُ سَـوِيَّـةً ولَـكِـنَّـهـا نَـفْـسٌ تَـسَـاقَـطُ أَنْـفُـسـا

---

(١) الرَّهيش: السهم الضامر الخفيف.

(٢) راش السَّهمَ: ألزق عليه الريش. الناهض: فرخ الطائر الذي تمَّ جناحاه وقدر على الطيران. وأمهى الحديدة أو الشفرة: أحدَّها ورقّقها.

(٣) نَمَى الصيدُ يَنْمي: هرب وغاب بعد إصابته والسهمُ في جسمه. النَّفَر: القوم والجماعة. ولا عُدَّ من نفره: المراد التعجُّب، ومعناه: أماته الله فلا يعدّ من قومه.

قال: فلمّا صار إلى بلدة من بلاد الروم تُدْعى أَنْقِرةَ احْتُضِرَ بها؛ فقال:

رُبَّ خُطْبَةٍ مُسْحَنْفِرَهْ وطَعْنَةٍ مُثْعَنْجِرَهْ[1]
وجَفْنَةٍ مُتَحَيِّرَهْ حَلَّتْ بِأَرْضِ أَنْقِرَهْ[2]

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدُفنتْ في سَفْح جبل يقال له عَسيب[3]؛ فسأل عنها فأُخبر بقصّتها، فقال: [الطويل]

أَجَارَتَنَا إنَّ المَزَارَ قَرِيبُ وإنِّي مُقِيمٌ ما أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتَنا إِنَّا غَرِيبانِ هَا هُنَا وكُلُّ غَرِيبٍ لِلغَرِيبِ نَسِيبُ

ثم مات فدُفِنَ إلى جنب المرأة، فقبرُه هناك.

أخبرني محمد بن القاسم عن مُجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عُمَيْر قال:

قَدِمَ علينا عمر بن هُبَيْرة الكوفةَ، فأرسل إلى عشرةٍ أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمَروا عنده، ثم قال: لِيُحَدِّثْني كلُّ رجل منكم أُحْدوثةً وابدأْ أنت يا أبا عمر. فقلت: أصلحَ اللّه الأميرَ! أحديثَ الحَقِّ أم حديثَ الباطل؟ قال: بل حديثَ الحقّ. قلت: إنّ امرأ القيس آلى بِأَلِيَّةٍ ألاّ يتزوّج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين؛ فجعل يخطب النساء، فإذا سألهنّ عن هذا قلن أربعةَ عشرَ. فبينما هو يسير في جَوْف اللّيل إذا هو برجل يحمل ابنةً له صغيرةً كأنها البدر ليلةَ تمامه، فأعجبَتْه؛ فقال لها: يا جارية! ما ثمانيةٌ وأربعةٌ واثنتان؟. فقالت: أمّا ثمانيةٌ فأَطْباء الكلبة، وأمّا أربعةٌ فأَخْلاف النّاقة، وأمّا اثنتان فثَدْيا المرأة. فخطبها إلى أبيها فزوَّجَه إيّاها، وشرَطَتْ هي عليه أن تسأله ليلةَ بِنائها عن ثلاثِ خِصَالٍ، فجعل لها ذلك، وأن يسوق إليها مائةً من الإبل وعشرةَ أَعْبُدٍ وعشرَ وصائفٍ وثلاثةَ أفراسٍ ففعل ذلك. ثم إنّه بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى إليها نِحْياً[4] من سمن ونِحْياً من عسل وحُلَّةً من عَصْب[5]. فنزل العبد ببعض المياه فنشَرَ الحُلَّة ولبِسَها فتعلَّقَتْ بِعُشَرَةٍ فانشقَّت، وفتح النِّحْيين فطَعم أهلُ الماء منهما فنقصا. ثم قَدِم على حيّ المرأة وهم

---

(١) اسحنفر في كلامه: مضى فيه وتوسّع. والمثعنجرة: السائلة.

(٢) الجفنة المتحيّرة: الممتلئة طعاماً ودسماً.

(٣) عَسِيب: جبل بعالية نجد معروف، (معجم البلدان ٤/ ١٢٤).

(٤) النِّحْيُ: الزِّقّ.

(٥) العَصْب: نوع من الثياب المخطّطة ومنها عَصْب اليمن.

خُلُوف[١]. فسألها عن أبيها وأُمِّها وأخيها ودفع إليها هَدِيَّتَها. فقالت له: أَعْلِمْ مولاك أنَّ أبي ذهب يُقَرِّبُ بعيداً ويُبَعِّدُ قريباً، وأن أمِّي ذهبت تَشُقّ النَّفْسَ نَفْسَين، وأنّ أخي يراعي الشَّمْسَ، وأن سماءَكُم انْشَقَّتْ، وأنّ وعاءيكم نَضَبا. فقدِمَ الغلامُ على مولاه فأخبره، فقال: أمّا قَوْلُها إنّ أبي ذهب يقرِّب بعيداً ويُبَعِّد قريباً، فإنّ أباها ذهب يُحالف قوماً على قومه؛ وأمّا قولُها ذهبتْ أمِّي تَشُقُّ النّفسَ نفسين، فإنّ أمَّها ذهبتْ تَقْبَلُ[٢] امرأةً نُفَساء؛ وأمّا قولُها: إنّ أخي يُراعي الشَّمْسَ، فإنّ أخاها في سَرْحٍ له يرعاه فهو ينتظر وُجوبَ الشمس لِيَرُوحَ به؛ وأمّا قولُها: إنَّ سماءكم انشقَّتْ، فإنّ البُرْدَ الذي بعثتُ به انشقّ. وأمّا قولُها إن وِعاءَيْكُم نَضَبا، فإنّ النِّحيين اللّذين بعثتُ بهما نقصا، فاصْدُقْني. فقال: يا مولاي، إنّي نزلت بماء من مياه العرب، فسألوني عن نسبي فأخبرتُهم أنّي ابن عَمِّكَ، ونشرتُ الحُلَّة فانشقّتْ، وفتحتُ النِّحيين فأطعمتُ منهما أهلَ الماء. فقال: أوْلَى لكَ!. ثم ساق مائةً من الإبل وخرج نحوَها ومعه الغلامُ، فنزلا منزلاً، فخرج الغلام يسقي الإبل فَعجَزَ؛ فأعانه امرؤ القيس؛ فرمى به الغلام في البئر، وخرج حتى أتى المرأة بالإبل، وأخبرهم أنه زوجُها. فقيل لها: قد جاء زوجك. فقالت: واللّهِ ما أدري أزوجي هو أم لا! ولكن انحَروا له جَزُوراً وأطعِموه من كَرِشِها وذَنَبِها ففعلوا. فقالت: اسقوه لبناً حازِراً (وهو الحامض) فسقَوْه فشربَ. فقالت: افرِشُوا له عند الفَرْث[٣] والدم، ففرَشوا له فنام. فلمّا أصبحَتْ أرسلَتْ إليه: إنّي أُريد أن أسألك. فقال: سَلِي عَمَّا شئْتِ. فقالت: مِمَّ تختلجُ شَفَتاكَ؟ قال: لِتَقبيلي إيّاكِ. قالت: فمِمّ يختلج كَشْحاكَ[٤]؟ قال: لالتزامي إيَّاكِ. قالت: فمِمَّ يختلج فَخِذاكَ؟ قال: لِتَوَرُّكِي إيَّاكِ. قالت: عليكم العَبْدَ فشُدُّوا أيديَكم به، ففعلوا. قال: ومَرَّ قومٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع إلى حَيِّه، فاستاق مائةً من الإبل وأقبل إلى امرأته. فقيل لها: قد جاء زوجُكِ. فقالت: واللّه ما أدري أهو زوجي أم لا، ولكن انحَروا له جَزُوراً فأطعَموه من كَرِشِها وذَنَبها ففعلوا. فلما أتَوْه بذلك قال: وأين الكَبِد والسَّنَام والمَلْحاء[٥]! فأبَى أن يأكلَ. فقالت: اسقُوه لبناً حَازِراً. فأبى أن يشربَهُ وقال: فأين

(١) الخلوف: من الأضداد وهنا الغائبون.

(٢) قَبِلَتْ القابلةُ الولدَ: تلقّته عند الولادة.

(٣) الفَرْث: بقايا الطعام في الكرش.

(٤) الكَشح: ما بين الخاصرة والسُّرَّة ووسط الظَّهر من الجسم.

(٥) الملْحاء: وسط الظهر.

الصَّرِيف والرَّثيئة[١]! فقالت: افرشوا له عند الفَرْث والدَّم. فأبى أن ينام وقال: افرشوا لي فوقَ التَّلْعَة[٢] الحمراء، واضربوا عليها خِبَاءً. ثم أرسلت إليه: هَلُمَّ شَرِيطتي عليك في المسائل الثّلاث. فأرسل إليها أن سَلِي عَمَّا شِئْتِ. فقالت: مِمَّ تختلج شَفَتاك؟ قال: لِشربي المُشَعْشَعات. قالت: فممّ يختلج كَشْحَاكَ؟ قال: لِلبُسي الحَبَرَات[٣]. قالت: فمِمَّ تختلجُ فَخِذَاكَ؟ قال: لِرَكْضِي المُطَهَّمَات[٤]. فقالت: هذا زوجي لَعَمْري! فعليكم به، واقتلوا العبد، فقتلوه. ودخل امرؤ القيس بالجارية. فقال ابن هُبَيْرة: حَسْبُكم! فلا خيرَ في الحديث في سائر اللّيلة بعد حديثك يا أبا عمرو؛ ولن تأتينا بأعجب منه. فقمنا وانصرفنا، وأمر لي بجائزة.

[قبائل أسد تفاوض امرأ القيس في الصلح]

نسخت من كتاب جَدِّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطّه رحمه اللّه حَدّثني الحسن بن سعيد عن أبي عُبَيْدة قال: أخبرني سِيبَوَيْه النحويّ أنّ الخليل بن أحمد أخبره قال: قَدِمَ على امرىء القيس بن حُجْر بعد مقتل أبيه رجالٌ من قبائل بني أَسَد كهولٌ وشُبّان، فيهم المُهَاجِر بن خِدَاش ابن عمّ عَبِيد بن الأبرص، وقَبِيصة بن نُعَيْم، وكان في بني أسد مقيماً وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وِرْداً وإصداراً يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب. فلمّا عَلِمَ بمكانهم أمَرَ بإنزالهم وتقدم بإكرامهم والإفضال عليهم، واحتجب عنهم ثلاثاً. فسألوا من حضرهم من رجال كِندة، فقال: هو في شُغْل بإخراج ما في خزائن حُجْر من السِّلاح والعُدّة. فقالوا: اللّهم غَفْراً، إنما قَدِمْنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلَفَ ونستدركُ به ما فَرَط، فليُبَلِّغْ ذلك عنّا فخرج عليهم في قَباء[٥] وخُفٍّ وعمامةٍ سوداء، وكانت العرب لا تَعْتَمُّ بالسَّواد إلاّ في التِّرَاتِ. فلمّا نظروا إليه قاموا له، وبدَرَ إليه قَبِيصةُ: إنَّكَ في المَحَلِّ والقَدْرِ والمعرفة بِتَصرُّف الدّهر وما تُحْدِثُه أيّامه وتتنقَّلُ به أحواله بحيث لا

(١) الصّريف: الحليب الحار ساعة يصرف عن الضرع. والرَّثيئة: اللبن الحليب الذي يُصَبّ عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته.
(٢) التلعة: ما ارتفع من الأرض.
(٣) الحَبَرات: جمع الحَبَرَة والحِبَرة: نوع من الثياب القطنية أو الكتانية المخطّطة التي اشتهرت اليمن بصناعتها.
(٤) الجواد المُطَهَّم: المتناهي في الحُسْن.
(٥) القَباء: ثوب يُلْبَس فوق القميص.

تحتاج إلى تبصير واعظٍ ولا تذكِرة مُجَرِّب، ولكَ من سُؤْدُدِ مَنْصِبك وشَرَفِ أعراقك وكَرَمِ أصلك في العرب مُحْتَمَلٌ يحتمِلُ ما حُمِلَ عليه من إقالةِ العَثْرةِ[١]، ورجوع عن هفوة. ولا تتجاوز الهِمَمُ إلى غاية إلاّ رجعَتْ إليك فوجدَتْ عندكَ من فضيلة الرأي وبصيرة الفهم وكرم الصَّفْح في الذي كان من الخَطْبِ الجليل الذي عمَّتْ رَزِيَّتُه نِزَاراً واليمن، ولم تَخْصُصْ كِنْدةَ بذلك دونَنا لِلشَّرف البارع. كان لِحُجْرٍ التاجُ والعِمّة فوق الجبين الكريم وإخاءُ الحَمْدِ وطِيبُ الشِّيَم. ولو كان يُفْدَى هالكٌ بالأنفس الباقية بعده لما بَخِلَتْ كرائِمُنا على مثله ببذل ذَلك ولَفَديناه منه، ولكنْ مضى به سبيلٌ لا يَرْجِعُ أولاَه على أُخْرَاه ولا يَلْحَقُ أقصاه أدناه. فأَحْمَدُ الحالات في ذلك أن تعرفَ الواجبَ عليكَ في إحدى خلال: إمّا أن اخترتَ من بني أسد أشرفَها بيتاً، وأعلاها في بناء المَكْرُمات صَوْتاً، فقُدْنَاهُ إليك بِنِسْعِه[٢] تذهبُ مع شَفَرَاتِ حُسَامِكَ قَصَدَتَه[٣] فيقول رجلٌ: امتُحِنَ بهُلْكِ عَزيز فلم تُسْتَلَّ سَخِيمَته[٤] إلاّ بتمكينه من الانتقام؛ أو فِدَاءً بما يَرُوح من بني أسد من نَعَمِها[٥] فهي أُلُوفٌ تجاوز الحِسْبة فكان ذلك فِداءً رجعتْ به القُضُبُ[٦] إلى أجفانها[٧] لم يَرْدُدْه تسليط الإِحَنِ[٨] على البُرءَاءِ[٩]؛ وإمَّا أن تُوادِعَنا حتى تضعَ الحواملُ فَنَسْدِلُ الأُزْرَ ونعقِد الخُمُرَ فوق الرَّايات. قال: فبكى ساعةً ثم رفع رأسه فقال: لقد عَلِمَتِ العَرَبُ أنْ لاَ كُفْءَ لِحُجْرٍ في دم، وإنّي لن أعتاضَ به جملاً أو ناقةً فأكتسبَ بذلك سُبَّةَ الأبَدِ وفَتَّ العَضُدِ[١٠]. وأمَّا النَّظِرةُ[١١] فقد أَوْجَبَتْها الأَجِنَّةُ في بطون أُمّهاتها، ولن أكون لِعَطَبِها سبباً، وستعرفون طلائع كِنْدةَ من بعد ذلك، تحمل القلوب حَنَقاً وفوق

---

(١) إقالة العَثْرة: الصفح.

(٢) النِّسْعُ: حَبلٌ أو سير من جلد عريض تُشَدُّ به الرِّحال.

(٣) القَصَدَة: العنق.

(٤) السَّخيمة: الحقد والضغينة في النفس.

(٥) النَّعَم: الجمال أو البقر والغنم.

(٦) القُضُب: جمع القضيب: السيف القَطَّاع.

(٧) الأجفان: جمع الجَفْن: غمد السيف.

(٨) الإحَن: جمع الإحْنَة: الحِقد.

(٩) والبُرَآء: جمع البريء.

(١٠) فَتَّ في عَضُدِه: إذا كسرَ قوّته وفرّقَ عنه أعوانَه.

(١١) النَّظِرَة: التمهُّل والتأخير في الأمر.

الأَسِنَّة عَلَقاً[١]: [المتقارب]

إذا جَالَتِ الخَيْلُ في مَأْزِقٍ تُصَافِحُ فيه المَنَايا النُّفُوسَا

أَتُقِيمون أم تنصرفون؟ قالوا: بل ننصرف بأسوأ الاختيار، وأبلى الاجترار لِمَكْروهٍ وأَذِيَّةٍ، وحرب وبَلِيَّةٍ. ثم نَهضوا عنه، وقَبِيصةُ يقول مُتَمَثِّلاً: [الطويل]

لَعَلَّكَ أَنْ تُسْتَوخِمَ المَوْتَ إنْ غَدَتْ كَتائِبُنا في مَأْزِقِ المَوْتِ تَمْطُرُ

فقال امرؤ القيس: لا واللّه لا أَستوخِمُه؛ فَرُوَيْداً ينكشف لك دُجَاها عن فُرسان كِندة وكتائب حِمْيَر، ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي إذ كنتَ نازلاً بِرَبْعي؛ ولكنكَ قُلْتَ فَأَجَبْتُ. فقال قَبِيصةُ: ما نتوقّعُ فوق قدر المعاتبة والإعتاب. قال امرؤ القيس: فهو ذاك.

[أصوات معبد المعروفة بألقابها وهي خمسة]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حَدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبَة عن إسحاق: أن مَعْبداً كان يُسَمِّي صوتَه:

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإنْ لاَمَ لائِمُ

الدَّوَّامةَ لِكَثْرةِ ما فيه من التَّرجيعِ. ويُسَمِّي صوتَه:

عَاودَ القَلْبَ مِنْ تَذَكُّرِ جُمْلِ

المُنَمْنَم. ويُسَمِّي صوتَه:

أمِنْ آلِ ليلى بِالمَلا مُتَرَبَّعُ

مُعَقِّصات القُرون أي يحرك خُصَلَ الشَّعْر. ويُسَمِّي صوتَه:

جَعَلَ اللّه جعفراً لكِ بَعلاً

---

(١) العَلَق: الدم.

المتبختر: ويسمي صوته: [الخفيف]

ضَوْءُ بَرْقٍ بَدَا لِعَيْنَيْكَ أَمْ شَبَّـ ـتْ بِذِي الأَثْلِ[1] مِنْ سَلاَمَةَ نَارُ

مُقَطّع الأثفار.

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

[الطويل]

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإنْ لاَمَ لاَئِمُ غَدَاةَ غَدٍ أَمْ أَنْتَ لِلبَيْنِ وَاجِمُ
لَقَدْ كَانَ فِي حَوْلٍ ثَوَاءٍ ثَوَيْتُهُ تَقَضَّى لُبَانَات ويَسْأَمُ سائمُ
مُبَتَّلَةٌ هَيْفَاءُ رُودٌ شَبَابُها لَهَا مُقْلَتَا رِيم وأَسْوَدُ فَاحِمُ
ووَجْهٌ نَقِيُّ اللَّونِ صَافٍ يَزِينُهُ مَعَ الحَلْي لَبَّاتٌ لها وَمَعاصِمُ

الواجم: السَّاكت المُطرِق من الحزن، يقال: وَجَمَ يَجِمُ وُجُوماً. وقوله: «لقد كان في حولٍ ثواءٍ ثَوَيْتُه»: قال الكوفيون: أراد لقد كان في ثواء حول ثويته، فجعل ثواء بدلاً من حول. وأخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم عن يونس قال: كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى:

لقد كان في حول ثواء ثويته

جِدّاً ويقول: ما أعرِفُ له معنًى ولا وجهاً يَصحُّ. قال أبو خليفة: وأمّا أبو عبيدة فإنه قال: معناه لقد كان في ثواء حول ثويته. واللّبانات والمآرب والحوائج والأوطار واحد. والمُبَتَّلةُ: الحَسَنَةُ الخَلْقِ. والهَيْفاء: اللّطيفة الخَصْر. والرِّئْمُ: الظَّبْيّ. والفاحم: الشّديد السواد. وقال: لَبَّاتٌ لها وإنما لها لَبَّة واحدة ولكنّ العرب تقول ذلك كثيراً؛ يقال: لها لَبَّاتٌ حِسَانٌ، يراد اللَّبّةُ وما حولها. والمعاصم: موضع الأسْوِرَة، وواحدها مِعْصَم.

الشّعر للأعشى، والغناء لِمَعبد، وله فيه لحنان، أحدهما وهو الملقَّبُ بالدوّامة خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخر ثقيل عن الهشاميّ وابن خُرْداذْبَة.

(١) ذو الأثل: موضع في بلاد تيم اللّه بن ثعلبة كانت لهم بها وقعة مع بني أسد. (معجم البلدان ١/ ٩١).

أخبار الأَعشى ونسبه

[توفي ٧ هـ/ ٦٢٩ م]

[نسبه وكنيته ولقب أبيه]

الأعشى هو ميمون بن قَيْس بن جندل بن شراحِيل بن عوف بن سعد بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثَعْلبة الحِصْن بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَديلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار. ويُكنى أبا بَصير. وكان يقال لأبيه قيس بن جَنْدل قَتيلُ الجوع؛ سُمِّي بذلك لأنه دخل غاراً يستظلُّ فيه من الحَرِّ، فوقعَتْ صخرة عظيمة من الجبل فسَدَّتْ فَمَ الغار فمات فيه جوعاً. فقال فيه جُهُنَّام واسمه عمرو وهو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوه وكانا يتهاجيان: [الطويل]

أَبُوكَ قَتِيلُ الجُوعِ قَيْسُ بنُ جنْدَلٍ وخَالُكَ عَبْدٌ مِنْ خُمَاعَةَ رَاضِعُ[1]

وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدَّمَ على سائرهم؛ وليس ذلك بمجمع عليه لا فيه ولا في غيره.

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاّم قال: سألتُ يونس النَّحويّ: مَنْ أشعرُ النَّاسِ؟ قال: لا أُومِيءُ إلى رجل بعينه ولكنّي أقولُ: امرؤ القيس إذا غَضِبَ، والنَّابغةُ إذا رَهبَ، وزهيرٌ إذا رغِبَ، والأعشى إذا طَرِبَ.

أخبرني ابن عَمّار عن ابن مهْرويه عن حذيفة بن محمد عن ابن سَلاَّم بمثله.

أخبرني عَمِّي قال: حَدّثنا ابن أبي سَعْد قال: حَدّثنا عليّ بن الصبَّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه وأبي مسكين: أَنَّ حَسّاناً سُئِلَ: مَنْ أشعرُ الناس؟ فقال: أشاعر بعينه

(١) خُمَاعة: بطن من العرب سُمُّوا باسم خُماعة بنت جشم بن ربيعة بن زيد مناة. والرَّاضع: اللئيم.

أم قبيلة؟ قالوا: بل قبيلة. قال: الزُّرْقُ من بني قَيْس بن ثَعْلَبَة. وهذا حديث يُرْوَى أيضاً عن غير حسّان.

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار عن ابن مَهْرويه قال: حَدّثنا عبدة بن عِصْمة عن فِراس بن خِنْدِف عن عليّ بن شفيع قال: إنّي لَوَاقِفٌ بِسوق حَجْر[1] إذ أنا برجلٍ من هيئته وحاله عليه مُقَطَّعَاتُ خَزٍّ وهو على نَجيبٍ مَهْرِيٍّ عليه رَحْلٌ لم أرَ قَطُّ أحسنَ منه وهو يقول: من يُفَاخِرُني مَنْ يُنَافِرُني ببني عامر بنِ صَعْصَعة فُرساناً وشعراء وعَدداً وفَعالاً؟! قلت: أنا. قال: بمن؟ قلت: ببني ثَعْلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر ابن وائل. فقال: أمَا بلغكَ أنّ رسول الله ﷺ نهى عن المنافرة؟ ثم وَلّى هارباً. قلت مَنْ هذا؟ قيل: عبد العزيز بن زُرَارة بن جَزء بن سُفْيان الكِلابيّ.

[الأعشى صَنّاجةُ العرب]

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيُّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قالا: حَدّثنا عمر بن شَبَّة قال: قال أبو عُبَيدة: مَنْ قَدَّمَ الأعشى يَحْتَجُّ بكثرة طِواله الجِيادِ وتصرّفِه في المديح والهِجاء وسائر فنون الشعر، وليس ذلك لغيره. ويقال: هو أوّل من سأل بشعره وانتجعَ به أقاصيَ البلادِ وكان يُغَنّى في شعره؛ فكانت العرب تُسَمِّيه صَنَّاجةَ العرب.

أخبرني المُهَلَّبيّ والجَوْهريّ قالا: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: سَمِعتُ خَلاَّداً الأَرْقَط يقول سمعتُ خَلَفاً الأحمرَ يقول: لا يُعْرَفُ مَنْ أشعرُ النَّاسِ كما لا يُعْرَفُ مَنْ أشجع النَّاس ولا مَنْ كذا ولا من كذا، لأشياء ذكرها خَلَفٌ ونَسِيتُها أنا. أبو زيد عمر بن شَبَّة يقول هذا.

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حَدّثني عَمّي يوسف قال: حَدّثني عمّي إسماعيل بن أبي محمد قال: أخبرني أبي قال: سمعت أبا عمرو بن العَلاء يقدِّمُ الأعشى.

وقال هشام بن الكلبيّ: أخبرني أبو قبِيصة المُجاشِعيُّ أن مَرْوانَ بن أبي حَفْصة سُئِلَ: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: الذي يقول: [الطويل]

كِلاَ أَبَوَيْكُمْ كَانَ فَرْعَ دِعَامَةٍ ... ولَكِنَّهُمْ زَادُوا وأَصْبَحْتَ نَاقِصا

(١) حَجْر: مدينة باليمامة، وبها ينزل الوالي. (معجم البلدان ٢/ ٢٢١).

يعني الأعشى.

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديُّ قال: حَدّثني عمّي قال: قال سَلَمة بن نَجَاح أخبرني يحيى بن سُليم الكاتب قال: بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة إلى حَمَّاد الرَّاوية أسأله عن أشعر الشعراء. قال: فأتيتُ بابَ حمّاد فاستأذنتُ وقلت: يا غلام! فأجابني إنسانٌ من أقصى بيتٍ في الدَّار فقال: مَنْ أنتَ؟ فقلت: يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين. قال: ادخل رَحِمَكَ اللّٰه! فدخلتُ أتَسَمَّتُ[1] الصَّوتَ حتى وقفتُ على باب البيت، فإذا حَمّادٌ عُرْيانٌ على فَرْجه دَسْتَجةُ شاهِسْفِرْم[2]. فقلت: إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس. فقال: نعم! ذلك الأعشى صَنَّاجُها.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: سمعت أبا عُبَيدة يقول: سمعت أبا عمرو بن العَلاَء يقول: عليكم بشعر الأعشى؛ فإنّي شَبَّهْتُهُ بِالبازِي يَصِيدُ ما بين العَنْدَلِيب إلى الكُرْكِيّ.

[رأي الشعراء والرُّواة فيه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عمر بن شَبَّة قال: سمعت أبا عُبيدة يقول: بلغني أن رجلاً من أهل البَصْرة حَجَّ - وروى هذا الحديثَ ابنُ الكلبيّ عن شُعيب بن عبد الرحمٰن أبي معاوية النحويّ عن رجل من أهل البَصْرة أنه حجّ - قال: فَإنّي لأسيرُ في ليلةٍ إضْحِيَانةٍ[3] إذ نظرتُ إلى رجلٍ شابٍّ راكبٍ على ظَليم[4] قد زَمّه بِخَطَامِه[5] وهو يذهب عليه ويجيء، وهو يرتجز ويقول: [الرجز]

هَـل يُـبْـلِـغَـنِّـيـهِـم إلـى الـصَّـبَـاحْ هِـقْـلٌ كَـأنَّ رَأسَـهُ جُـمَّـاحْ[6]

- الجُمّاح: أطراف النبت الذي يُسَمّى الحَلِيّ وهو سُنْبُله، إلاّ أنه ليس بخَشِنٍ

(١) أتَّسمتُ الصوت: أقصد نحوه.
(٢) الدستجة: الحزمة. وشاهسفرم: (فارسي معرّب) نوع من الريحان يقال له الريحان السلطاني.
(٣) ليلة إضحيانة: مضيئة.
(٤) الظّليم: ذَكَر النَّعام.
(٥) زَمَّهُ: شَدَّه.
(٦) الهِقْل: الفَتَيّ من النَّعام.

يُشْبِه أذنابَ الثَّعالب[١]. قال: والجُمَّاح أيضاً سُهَيْمٌ يلعب به الصِّبْيان يجعلون مكان زُجِّهِ[٢] طيناً ـ قال: فعلمتُ أنه ليس بإنسي، فاستوحشتُ منه فتردّدَ عَلَيَّ ذاهباً وراجعاً حتى أَنِسْتُ به؛ فقلت: مَنْ أشعرُ الناس يا هذا؟ قال: الّذي يقول:

[الطويل]

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاّ لِتَضْرِبِي ... بِسَهْمَيْكِ في أعشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

قلت: ومَنْ هو؟ قال: امرؤ القيس. قلت: فمن الثَّاني؟ قال: الذي يقول:

[الرمل]

تَطْرُدُ القُرَّ بِحَرٍّ سَاخِنٍ ... وعَكِيكَ القَيْظِ إنْ جَاءَ بِقُرْ[٣]

قلت: ومَنْ يقوله قال: طَرَفةُ قلت: ومَنِ الثَّالث؟ قال: الذي يقول: [متقارب]

وتَبْرُدُ بَرْد رِدَاءِ العَرو ... سِ بِالصَّيْف رَقْرَقْتَ فيه العَبِيرَا

قلت: ومَن يقوله؟ قال: الأعشى؛ ثم ذهب به.

أخبرني أحمد بن عُبَيد اللَّه بن عَمّار قال: حَدّثني أبو عَدنان قال: وقال لي يحيى بن الجون العَبْديُّ روايةُ بشّار: نحن حاكةُ الشِّعْرِ في الجاهلية والإسلام ونحن أعلم الناس به، أعشى بني قيس بن ثعلبة أُستاذ الشعراء في الجاهلية، وجرير بن الخطفي أُستاذهم في الإسلام.

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حَدّثنا الرياشي قال: قال الشَّعْبيُّ: الأعشى أغزلُ النَّاس في بيت، وأخْنَثُ النّاس في بيت، وأشجع الناس في بيت. فأمّا أغزلُ بيتٍ فقوله:

[البسيط]

غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا ... تَمْشِي الهُوَيْنَى كما يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ[٤]

وأمّا أخنثُ بيت فقوله:

[البسيط]

قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا ... وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مِنْكَ يا رَجُلُ

---

(١) ذنب الثعلب: نبات على هيئة أذناب الثعالب.
(٢) الزُّجّ: نصل السهم.
(٣) القُرّ: البرد. والعكيك: شدة الحرّ في سكون الريح.
(٤) الغَرّاء: البيضاء. العوارض: هي الأسنان كلها أو هي الضواحك وهي ما بعد الأنياب، أو هي الأضراس. الهويني: على مَهَل. الوَجِي: الذي حَفِيَ أو رقَّت قدمه. الوَحِل: الماشي في الوحل.

وأمّا أشجعُ بيت فقوله: [البسيط]

قالُوا الطِّرَادَ فَقُلْنَا تلكَ عَادَتُنَا   أَوْ تَنْزِلُون فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا ابن مَهْرويه عن ابن أبي سعد قال: ذكر الهَيْثم بن عديّ أن حمّاداً الراوية سُئِلَ عن أشعر العرب، قال: الذي يقول:

[البسيط]

نَازَعْتُهُمْ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مُتَّكِئاً   وقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُها خَضِلُ[1]

[مذهبه]

أخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حَدّثنا أبو عليّ العَنزيّ قال: حَدّثني محمد بن معاوية الأسَديّ قال: حَدّثني رجلٌ عن أَبَانَ بن تغْلِب عن سِمَاك بن حَرْب قال: قال لي يحيى بن مَتَّى راويةُ الأعشى وكان نَصْرانيّاً عبَاديّاً وكان مُعَمَّراً قال: كان الأعشى قَدَرِيّاً وكان لَبِيدٌ مُثْبِتاً. قال لبيد: [الرمل]

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدى   نَاعِمَ البَال ومَنْ شَاءَ أَضَلّ

وقال الأعشى: [المنسرح]

إسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالوَفَاءِ وبِالْـ   ـعَدْلِ وَوَلَّى المَلاَمَةَ الرَّجُلاَ

قلت: فمن أين أخذ الأعشى مذهَبهُ؟ قال: من قِبَل العِبَاديّين نصارَى الحِيرَة، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقَّنوه ذلك.

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديُّ قال: حَدّثنا أبو شُرَاعة في مجلس الرِّيَاشيِّ قال: حَدّثنا مشايخ بني قَيْس بن ثَعْلَبة قالوا: كانت هُرَيْرة التي يُشَبِّبُ بها الأعشى أمَةً سَوْداء لِحَسَّان بن عمرو بن مَرْثَد.

وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال: حَدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة عن فِراس بن الخِنْدف قال: كانت هُرَيْرةُ وخُلَيْدةُ أختين قَيْنَتيْن كانتا لِبشر بن عمرو بن مَرْثَد، وكانتا تغنّيانه النَّصْبَ[2]، وقَدِمَ بهما اليمامةَ لمَّا هرَب من النُّعمان. قال ابن دُرَيْد فأخبرني عمّي عن ابن الكَلْبيِّ بمثل ذلك.

(١) القهوة: الخمر، والرّاووق: إناء الخمر. وخَضِلٌ: مُنَدًّى.

(٢) النَّصب: ضرب من أغاني الأعراب يشبه الحداء.

[يقول شِعراً يكون سبباً في تزويج بنات المحلق]

وأخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديُّ عن الرِّياشيِّ مِمّا أجازه له عن العُتْبِيِّ عن رجل من قيس عَيْلان قال: كان الأعشى يُوافِي سُوقَ عُكَاظ في كلّ سنة، وكان المُحَلَّق الكِلابيُّ مِئْناثاً[١] مُمْلِقاً. فقالت له امرأته: يا أبا كِلاب، ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر! فما رأيتُ أحداً اقتطعه إلى نفسه إلاّ وأكسبه خيراً. قال: وَيْحَكِ! ما عندي إلاّ ناقتي وعليها الحِمْل!. قالت: اللَّه يُخْلِفُها عليك. قال: فهل له بُدٌّ من الشَّراب والمُسُوح[٢]؟ قالت: إنَّ عندي ذخيرةً لي ولَعَلِّي أن أجمعَها. قال: فتلقّاه قبل أن يسبِقَ إلَيه أحدٌ وابنُه يقوده فأخذ الخِطامَ؛ فقال الأعشى: مَنْ هذا الذي غلَبنا على خِطَامِنا؟ قال: المُحَلَّق. قال: شريفٌ كريم، ثم سلَّمَهُ إليه فأناخه؛ فنحَرَ له ناقته وكشَطَ له من سَنامِها وكَبِدِها، ثم سقاه وأحاطت بناته به يَغْمِزْنَه ويَمْسَحْنَه فقال: ما هذه الجواري حَوْلِي؟ قال: بناتُ أخيك وهنّ ثمانٍ شَرِيدتُهنّ قليلة. قال: وخرج من عنده ولم يقلْ فيه شيئاً. فلمّا وافى سوقَ عُكاظ إذا هو بِسَرْحةٍ[٣] قد اجتمع النّاسُ عليها وإذا الأعشى يُنْشِدهم: [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ لاَحَتْ عُيونٌ كَثِيرةٌ ... إلى ضَوْءِ نَارٍ بِاليَفَاعِ تَحَرَّقُ[٤]
تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيانِها ... وبَاتَ على النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ
رَضِيعَيْ لِبَانٍ ثَدْيِ أُمٍّ تَحالَفا ... بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ[٥]

فسلَّمَ عليه المُحَلَّق؛ فقال له: مَرْحَباً يا سَيِّدي بِسيِّدِ قومه. ونادى: يا معاشرَ العرب، هل فيكم مِذْكارٌ[٦] يزوِّجُ ابنه إلى الشريف الكريم!. قال: فما قام من مقعده وفيهنَّ مخطوبةٌ إلاّ وقد زَوَّجها. وفي أول القصيدة غناء وهو:

صوت

[الطويل]

أَرِقْتُ ومَا هَذَا السُّهَادُ المُؤَرِّقُ ... ومَا بِيَ مِنْ سُقْمٍ ومَا بِيَ مَعْشَقُ

---

(١) المئناث: الذي يلد الإناث.
(٢) المسوح: جمع المسح: ثوب من شعر كأثواب الرّهبان.
(٣) السَّرحة: هي كل شجر طال.
(٤) اليفاع: التلّ المُشرف.
(٥) الأسحم: الأسود وأراد به الليل.
(٦) المِذكار: الذي يلد الذُّكور.

وَلَـكِـنْ أُرَانِـي لا أَزَالُ بِـحَـادِثٍ أُغَـادَى بِـمـا لَـم يُـمْس عِـنْدِي وأُطْـرَقُ

غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لحنٌ ليونس من كتابه غير مُجنَّس، وفيه لابن سُرَيْج ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو.

أخبرني أبو العباس اليَزيديُّ قال: حَدّثني عَمّي عُبيد اللَّه عن ابن حَبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل قال: اسم المُحلَّق عبدُ العُزَّى بن حَنْتَم بن شَدّاد بن ربيعة بن عبد الله بن عُبيد وهو أبو بكر بن كلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة، وإنما سُمّي، مُحَلَّقاً لأنَّ حِصاناً له عَضَّه في وجنته فحَلَّق فيه حَلْقة.

قال: وأنشَد الأعشَى قصيدته هذه كِسْرَى فَفُسِّرَتْ له؛ فلمّا سَمِعَها قال: إنْ كان هذا سهر لِغَيْرِ سُقْمٍ ولا عِشْقٍ فما هو إلاّ لصٌّ.

وذكر عليّ بن محمد النَّوْفَليُّ في خبر المُحَلَّق مع الأعشَى غيرَ هذه الحكايات، وزعم أن أباه حَدَّثه عن بعض الكِلابيين من أهل البادية قال: كان لأبي المُحَلَّق شَرَفٌ فمات وقد أتلف مالَه، وبَقِيَ المُحَلَّق وثلاثُ أخواتٍ له ولم يتركْ لهم إلاّ ناقةً واحدة وحُلَّتَيْ بُرودٍ حِبَرة كان يشهد فيهما الحقوق. فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزلَه باليمامة، فنزل الماءَ الّذي به المحَلَّق، فقراه[1] أهلُ الماء فأحسنوا قِرَاه. فأقبلت عمّة المحلّق فقالت: يا بنَ أخي! هذا الأعشى قد نزل بمائنا وقد قراه أهلُ الماء، والعرب تزعم أنه لم يمدَحْ قوماً إلاّ رَفَعَهُم، ولم يَهْجُ قوماً إلاّ وضَعَهم؛ فانظر ما أقول لك واحتَلْ في زِقٍّ من خمر من عند بعض التُّجّار فأرسِلْ إليه بهذه النّاقة والزِّقّ وبُرْدَيْ أبيكَ؛ فواللَّه لَئِن اعتلجَ الكَبِدُ والسَّنَامُ والخمرُ في جوفه ونظر إلى عِطْفَيْهِ في البُرْدَيْنِ، ليقولنّ فيكَ شعراً يرفَعُكَ به. قال: ما أملِكُ غير هذه النّاقة، وأنا أتوقَّعُ رِسْلَها[2]. فأقبل يدخل ويخرُجُ ويَهُمُّ ولا يفعل؛ فكلّما دخل على عَمَّته حَضَّته؛ حتى دخل عليها فقال: فقد ارتحلَ الرَّجلُ ومَضَى. قالت: الآنَ واللَّه أحسنُ ما كان القِرَى! تُتْبِعُه ذلك مع غلام أبيك ـ مولىً له أسودَ شيخ ـ فحيثما لَحِقَه أخبره عنك أنّكَ كنت غائباً عن الماء عند نزوله إيّاه، وأنّك لمّا وَرَدْتَ الماءَ فعلمتَ أنه كان به كَرِهْتَ أن يفوتك قِرَاه؛ فإنّ هذا أحسن لِمَوقعه عنده. فلم تَزَلْ

---

(١) قراه: قدَّم له طعام الضيافة.
(٢) الرِّسْل: اللَّبَن.

تحضُّه حتى أتى بعضَ التّجار فكلّمه أن يُقْرِضَه ثمن زِقٍّ خمرٍ وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه؛ فوجَّهَ بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه؛ فكلّمَا مرَّ بماء قيل: ارتحل أمسِ عنه، حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحةِ[1] اليمامة فوجد عنده عدّة من الفِتيان قد غَدَّاهم بغير لحم وَصبَّ لهم فَضِيخاً[2] فهم يشرَبون منه، إذ قُرِعَ الباب فقال: انظروا مَنْ هذا؟ فخرجوا فإذا رسول المُحَلِّق يقول كذا وكذا. فدخلوا عليه وقالوا: هذا رسول المُحَلِّق الكِلابيّ أتاكَ بكيت وكيت. فقال: وَيْحَكُمْ! أعرابيٌّ والذي أرسل إليّ لا قَدْرَ له! واللّه لئن اعتلجَ الكَبِدُ والسَّنام والخمر في جوفي لأَقولَنَّ فيه شِعراً لم أَقُلْ قطُّ مِثلَه. فواثبه الفتيان وقالوا: غبتَ عنّا فأطلتَ الغَيْبة ثم أتيناك فلم تُطْعِمْنا لَحماً وسَقَيْتَنا الفَضِيخَ واللَّحمُ والخمرُ ببابك، لا نرضى أبداً منك. فقال: ائذنوا له؛ فدخل فَأَدّى الرّسالة وقد أناخ الجَزُورَ بالباب ووضع الزِّقَّ والبردين بين يديه. قال: أَقْرِهِ السَّلامَ وقل له: وَصَلَتْكَ رَحِمٌ، سيأتيكَ ثناؤنا. وقام الفتيانُ إلى الجزور فنحروها وشَقُّوا خاصِرَتَها عن كبدها وجلدها عن سَنامها ثم جاؤوا بهما، فأقبلوا يَشْوُونَ، وصَبُّوا الخمرَ فشربوا، وأكل معهم وشرب ولَبِسَ البُرْدين ونظر إلى عِطْفَيْهِ فيهما فأنشأ يقول:

أَرِقْتُ ومَا هَذا السُّهَادُ المُؤَرِّقُ

حتى انتهى إلى قوله: [الطويل]

أَبَا مِسْمَعٍ سَارَ الَّذِي قد فَعَلْتُمُ ... فَأَنْجَدَ أَقْوامٌ بِه ثم أَعْرَقُوا[3]

بِه تُعْقَدُ الأَحْمَالُ في كُلِّ مَنْزِلٍ ... وتُعْقَدُ أَطْرَافُ الحِبَالِ وتُطْلَقُ

قال: فسار الشِّعْرُ وشاع في العرب. فما أَتَتْ على المُحَلَّق سنةٌ حتى زَوّج أخواتِه الثّلاثَ كلَّ واحدة على مائة ناقة، فأَيْسَرَ وشَرُفَ.

وذكر الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية عن مَعْقِل عن أبي بكر الهِلاَليّ قال: خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيسَ بن معد يكرب، فمرَّ ببني كِلاب، فأصابه مطرٌ

---

(١) منفوحة اليمامة: قرية مشهورة بنواحي اليمامة كان يسكنها الأعشى وهي لبني قيس بن ثعلبة. (معجم البلدان ٥/ ٢١٤).

(٢) الفضيخ: عصير العنب، أو هو شراب يُتَّخذ من التمر.

(٣) أعرقوا: أتوا العراق.

في ليلة ظَلْماء، فأوَى إلى فتىً من بني بكر بن كِلاب، فبَصُرَ به المُحَلَّق وهو عبد العُزَّى بن حَنْتَم بن شَدّاد بن رَبيعة بن عبد الله بن عُبَيد بن كِلاب وهو يومئذ غلامٌ له ذُؤابة، فأتى أُمَّه فقال: يا أمَّهْ! رأيت رجلاً أخلِقْ به أن يَكْسِبَنا مَجداً. قالت: وما تريدُ يا بُنَيَّ؟ قال: نَضِيفُهُ اللَّيلةَ. فأعطته جِلْبابَها فاشترَى به عَشِيراً[1] من جَزُور وخمراً؛ فأتى الأعشَى، فأخذه إليه، فطعِمَ وشرِبَ واصطلى، ثم اصطبحَ فقال فيه:

أرِقْـتُ ومـا هـذا الـسُّـهَـادُ الـمُـؤرِّق

والرواية الأولى أصحّ.

أخبرني أحمد بن عَمَّار قال: حَدّثنا يعقوب بن نُعَيْم قال: حَدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز عن الأصمعيّ قال: حَدّثني رجلٌ قال: جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت: إنّ لي بناتٍ قد كَسَدْنَ عليَّ، فشبِّبْ بواحدة منهنّ لعلّها أن تَنْفُقَ. فشبَّبَ بواحدة منهنّ، فما شعَرَ الأعشى إلا بجزور قد بُعِثَ به إليه. فقال: ما هذا؟ فقالوا: زُوِّجَتْ فلانةُ. فشبّبَ بالأُخرى فأتاه مثلُ ذلك، فسأل عنها فقيل: زُوِّجَتْ. فما زال يُشبِّب بواحدة فواحدة منهنّ حتى زُوِّجنَ جميعاً.

[شريح بن السموأل يستوهب الأعشى من رجل من كلب أسره]

أخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيديّ قال: حَدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال: حَدّثنا يحيى بن أبي سَعيد الأمويّ عن محمد بن السائب الكلبيّ قال: هجا الأعشى رجلاً من كَلْب فقال: [الوافر]

بَنُو الشَّهْرِ الحَرَامِ فَلَسْتَ مِنْهُمْ ... ولَسْتَ مِنَ الكِرَامِ بَنِي عُبَيْدِ
ولا مِنْ رَهْطِ جَبَّارِ بنِ قُرْطٍ ... ولا مِنْ رَهْطِ حَارِثَةَ بنِ زَيْدِ

ـ قال: وهؤلاء كلُّهم من كلب ـ فقال الكلبيّ: لا أبا لك! أنا أشرف من هؤلاء. قال: فسبَّه الناس بعدُ بهجاء الأعشى إيّاه، وكان متغيّظاً عليه. فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشى فأسَرَ منهم نَفَراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه، ثم جاء حتى نزل بشُرَيْح بن السَّموأل بن عَادِياء الغَسَّانيّ صاحبِ تَيْماءَ بحِصْنِه الذي يقال له

(١) العشير: جزء من عشرة أجزاء.

الأَبْلَق. فمرّ شُرَيْحٌ بالأعشى؛ فناداه الأعشى: [البسيط]

شُرَيحُ لا تَتْرُكَنِّي بعدَمَا عَلِقَتْ حِبَالَكَ اليَوْمَ بعدَ القِدِّ أظفارِي[1]
قد جُلْتُ ما بَيْنَ بَانِقْيا إلى عَدَنٍ وطالَ في العُجْم تَرْدادِي وتَسْيارِي[2]
فكانَ أَكْرَمَهُمْ عَهْداً وأَوْثَقَهُمْ مَجْداً أَبوكَ بِعُرْفٍ غَيْرِ إنْكَارِ[3]
كَالغَيْثِ ما اسْتَمْطَرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ وفي الشَّدَائِدِ كَالمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي[4]
كُنْ كَالسَّمَوْأَلِ إذ طافَ الهُمَامُ به في جَحْفَلٍ كَهَزِيعِ اللَّيْلِ جَرَّارِ
إذ سَامَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقالَ له قُلْ ما تَشَاءُ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارِ[5]
فقالَ غَدْرٌ وثُكْلٌ أَنْتَ بينَهما فَاخْتَرْ وما فِيهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَارِ
فَشَكَّ غَيْرَ طَوِيلٍ ثمّ قَالَ له: أُقْتُلْ أَسِيرَكَ إنِّي مَانِعٌ جَارِي[6]
وسَوفَ يُعْقِبُنِيهِ إنْ ظَفِرْتَ بِهِ رَبٌّ كَرِيمٌ وبِيضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ[7]
لا سِرُّهُنَّ لَدَيْنَا ذَاهِبٌ هَدَراً وحَافِظَاتٌ إذا اسْتُودِعْنَ أَسْرَارِي[8]
فاختارَ أَدْرَاعَهُ كَيْ لا يُسَبَّ بِهَا ولَمْ يَكُنْ وَعْدُهُ فيها بِخَتَّارِ[9]

ـ قال: وكان امرؤ القيس بن حُجْر أودعَ السَّموألَ بن عادياء أدراعاً مائةً، فأتاه الحارث بن ظالم ـ ويقال الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّانيّ ـ ليأخذها منه، فتحصّنَ منه السّموألُ؛ فأخذ الحارثُ ابناً له غلاماً وكان في الصيد، فقال: إمّا أنْ سَلَّمْتَ الأدراعَ إليّ وإمّا أنْ قتلتُ ابنَك. فأبى السّموألُ أن يُسلِمَ إليه الأدراع؛ فضرب الحارثُ وَسْطَ الغلام بالسيف فقطَعه قطعتين، فيقال: إن جريراً

(١) القِدّ: السير من الجلد غير المدبوغ، كان يربط به الأسير.
(٢) بانِقيا: ناحية من نواحي الكوفة (معجم البلدان ١/ ٣٣١).
(٣) العُرْف: ما استقرّ في النفوس وقبلته الطباع.
(٤) رواية الديوان في الشطر الثاني: «وعند ذِمّته المستأسدُ الضاري». والذّمّة: العهد والأمان والضمان.
(٥) الشطر الثاني في الديوان: «مهما تَقُلْهُ فَإنّي سامعٌ حارِ» وحار: ترخيم حارث.
(٦) الشطر الثاني في الديوان: «اذبحْ هَديَّكَ إني مانعٌ جاري». والهديّ: الأسير. وفي الديوان «غير قليل» بدل «غير طويل».
(٧) بيض: يقصد زوجاته، وذات أطهار: إشارة إلى أنهن في سن وحالة ينتظر معها الولد، والأطهار: أيام طهر المرأة من الحيض.
(٨) رواية الديوان:
لا سِرُّهُنّ لدينا ضائعٌ مَذِقٌ وكاتماتٌ إذا اسْتُودِعْنَ أسراري
والسِّرّ: النكاح، يكني به عما بينه وبينهن من عشرة وودّ. ومذق الودّ: شابه بكدر ولم يخلصه.
(٩) ختّار: غَدّار.

حين قال للفرزدق: [الطويل]

بِسَيْفِ أَبِي رَغْوَانَ سَيْفِ مُجَاشِعٍ ضَرَبْتَ ولم تَضْرِبْ بِسَيفِ ابنِ ظَالِمِ[١]

إنما عنى هذه الضّربةَ، فقال السّموأل في ذلك: [الوافر]

وَفَيْتُ بِذِمَّةِ الكِنْدِيِّ إِنِّي إذا مَا ذُمَّ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ
وَأَوْصَى عَادِيَا يَوْماً بِأَنْ لا تُهَدِّمْ يا سَمَوْأَلُ ما بَنَيْتُ
بَنَى لي عَادِيَا حِصْناً حَصِيناً ومَاءً كُلَّمَا شِئْتُ اسْتَقَيْتُ

ـ قال: فجاء شُرَيح إلى الكلبيِّ فقال له: هبْ لي هذا الأسيرَ المضرور. فقال: هو لكَ، فأطلقَهُ. وقال: أَقِمْ عندي حتى أُكْرِمَكَ وأَحْبُوَكَ. فقال له الأعشى: إنّ من تمام صنيعتك أن تُعطيني ناقةً نَجيبة وتُخَلِّيَني السَّاعةَ. قال: فأعطاه ناقةً فرَكِبَها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبيَّ أنّ الذي وَهَبَ لِشُرَيح هو الأعشى. فأرسل إلى شُرَيح: ابعثْ إليَّ الأسيرَ الّذي وَهبْتُ لكَ حتى أَحْبُوَه وأُعْطِيَهُ. فقال: قد مضى. فأرسل الكلبيُّ في أثره فلم يَلْحَقْه.

[هجاؤه لعلقمة بن علاثة ومدحه لعامر بن الطفيل]

حَدّثنا ابن عُلاَثَةَ عن محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حَدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال: حَدّثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأمويّ عن محمد بن السَّائب قال: أتى الأعشى الأسودَ العَنْسِيَّ وقد امتدحه فاستبطأ جائزته، فقال الأسود: ليس عندنا عَيْنٌ ولكن نُعطِيكَ عَرَضاً[٢]، فأعطاه خمسمائة مثقال دُهْناً وبخمسمائة حُلَلاً وعَنْبَراً. فلمّا مَرَّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه، فأتى عَلْقمةَ بن عُلاَثَةَ فقال له: أَجِرْنِي؛ فقال: قد أَجَرْتُكَ. قال: من الجنّ والإنس؟ قال: نعم. قال: ومن الموت؟ قال لا. فأتى عامِرَ بن الطُّفَيْل فقال: أجِرْنِي؛ قال: قد أَجَرْتُكَ. قال: من الجنّ والإنس؟ قال: نعم. قال: ومن الموت؟ قال: نعم. قال: وكيف تُجيرني من الموت؟ قال: إنْ متَّ وأنت في جواري بعثتُ إلى أهلك الدِّيَة. فقال: الآنَ عَلِمْتُ أنكَ قد أجرتَني من الموت. فمدح عامراً وهجا عَلْقمة. فقال علقمة: لو علمتُ

---

(١) أبو رغوان: لقب مجاشع بن دارم بن مالك من تميم.

(٢) العَيْن: الحاضر المُهَيَّأ من المال أو هو الذهب والفضة المضروبان. والعَرَض: العطاء أو هو الزائل الذي لا يدوم.

الذي أراد كنتُ أعطيته إيّاه.

قال الكلبيّ: ولم يَهْجُ علقمة بشيء أشَدَّ عليه من قوله: [الطويل]

تَبِيتُونَ في المَشْتَى مِلاَءً بُطُونُكُمْ وجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا[1]

فرفع علقمة يديه وقال: لعنه اللَّه! إن كان كاذباً! أنحن نفعل هذا بجاراتنا!. وأخبار الأعشى وعَلْقمة وعامر تأتي مشروحةً في خبر مُنَافرتهما إن شاء اللَّه تعالى.

[زواجه وطلاقه]

أخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديُّ قال: حَدّثني عمِّي عُبَيْد اللَّه قال: حَدّثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل وغيره من أصحابه: أنّ الأعشى تَزَوَّجَ امرأةً من عَنَزَةَ ثم من هِزَّان ـ قال: وعَنَزة هو ابن أسد بن رَبيعة بن نِزَار ـ فلم يَرْضَها ولم يستحسنْ خُلقها؛ فطلَّقها وقال فيها: [الطويل]

بِينِي حَصَانَ الفَرْجِ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ ومَوْمُوقَةً فِينَا كَذَاكَ وَوَامِقَهْ[2]
وذُوقِي فَتَى قَوْمٍ فَإِنِّيَ ذَائِقٌ فَتَاةَ أُنَاسٍ مِثْلَ مَا أَنْتِ ذَائِقَهْ
لقد كانَ في فِتْيانِ قَوْمِكِ مَنْكَحٌ وشُبَّانِ هِزَّانَ الطِّوَالِ الغَرَانِقَهْ[3]
فَبِينِي فَإِنَّ البَيْنَ خَيْرٌ مِنَ العَصَا وإلاّ تَرَيْ لِي فَوْقَ رَأْسِكِ بَارِقَهْ[4]
وما ذَاكَ عِنْدِي أَنْ تَكُونِي دَنِيئَةً ولا أَنْ تَكُونِي جِئْتِ عِنْدِي بِبَائِقَهْ[5]
ويَا جَارَتَا بِينِي فَإِنَّكِ طَالِقَهْ كَذاكَ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وطَارِقَهْ[6]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدّثنا الحسين بن إبراهيم بن الحُرّ قال: حَدّثنا المُبَارَك بن سَعيد عن سُفْيان الثَّوْريّ قال:

---

(١) الغَرْثى: الجائعات. والخمائص: اللواتي ضمرت بطونهن من الجوع.
(٢) حَصَان الفرج: عفيفة غير متّهمة بعرضك، وموموقة: محبوبة. وامقة: مُحِبّة.
(٣) الغرانقة: جمع غُرنوق الشاب الأبيض الجميل.
(٤) بيني: فارقي. والشطر الثاني في الديوان: «وإلاّ تزالُ فوق رأسِكِ بارقهْ». وبرق الشيء: لمع وتلألأ.
(٥) رواية الديوان:
«وما ذاك من جُرْمٍ عظيم جَنَيْتِه ولا أن تكوني جئتِ فينا ببائقهْ»
البائقة: المصيبة.
(٦) الغادي الذي يأتي غدوة في الصباح. والطارق: الذي يطرق أي يأتي ليلاً. وذكر (غادٍ) على إرادة الجمع، وأنث «طارقة» على إرادة الجماعة.

طلاقُ الجاهلية طلاقٌ. كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومُها فضربوه وقالوا: طَلِّقها فقال:

أَيَـا جَـارَتَـا بِـينِـي فَـإِنَّـكِ طَـالِـقَـهْ　　كَـذَاكَ أُمُـورُ الـنَّـاسِ غَـادٍ وطَـارِقَـهْ

وذكر باقيَ الأبيات مثلَ ما تقدّم.

أخبرنا أحمد قال: حَدّثنا عمر قال: حَدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث قال: حَدّثنا عثمان البَرْقِيُّ في إسناد له قال: أخذ قومٌ الأعشى فقالوا له: طَلِّقِ امرأتَكَ؛ فقال:

أَيَـا جَـارَتَـا بِـينِـي فَـإِنَّـكِ طَـالِـقَـهْ　　كَـذَاكَ أُمـورُ الـنَّـاسِ غَـادٍ وَطَـارِقَـهْ

ثم ذكر نحوَ الخبر الذي قبله على ما قدّمناه.

في هذه الأبيات غناء نسبته:

صوت

فبِينِي فَإِنَّ البَيْنَ خيرٌ منَ العَصَا　　وإلاّ تَـرَيْ لـي فَـوقَ رَأْسِـكِ بَـارِقَـهْ

ومَـا ذَاكَ عِـنْـدِي أَنْ تَـكُـونِـي دَنِـيـئَـةً　　ولا أَنْ تكوني جِئْتِ عِنْدِي بِبَائِقَهْ

ويـا جَـارَتَـا بِـينِـي فَـإِنَّـكِ طَـالِـقَـهْ　　كَـذَاكَ أُمُـورُ الـنَّـاسِ غَـادٍ وطَـارِقَـهْ

الشّعر للأعشى، والغناء لِلهُذَلِيِّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن الهشاميّ. قال الهشاميُّ: وفيه لِفُلَيح خفيفُ ثقيل بالوسطى لا يُشَكُّ فيه من غِنائه، وذكر حَبَشٌ أن الثقيل الثانيَ لابن سُرَيج وذكر عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر أنّ الخفيفَ الثانيَ المنسوبَ إلى فُلَيح لأبيه عبد الله بن طاهر، وهذا الصَّوت يُغَنَّى في هذا الزّمان على ما سمعناه:

أَيَـا جَـارَتَـا دُومِـي فَـإِنَّـكِ صَـادِقَـهْ　　ومَـومُـوقَـةٌ فـيـنـا كَـذَاكَ وَوَامِـقَـهْ

ولـم نـفـتـرقْ أَنْ كُـنـتِ فِـيـنَـا دَنِـيـئَـةً　　ولا أَنْ تكوني جِئتِ عِنْدِي بِبَائِقَهْ

وأحسَبه غُيِّرَ في دُور الطاهريّة على هذا.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حَدّثني سَوَّار بن أبي شُرَاعة قال: حَدّثني أبي عن مسعود بن بِشْر عن أبي عُبَيْدة قال: دخل الأخطل على عبد

الملك بن مَرْوان وقد شَرِبَ خمراً وتضمّخَ بِلخالخ[١] وخَلُوقٍ وعنده الشَّعْبيّ: فلمّا رآه قال: يا شعبيّ، ناك الأخطل أُمّهاتِ الشعراءِ جميعاً، فقال له الشعبيّ: بأيّ شيء؟ قال: حين يقول: [الكامل]

وتَـظَـلُّ تَـنْـصِـفُـنـا بـهـا قَـرَوِيَّـةٌ إبْـرِيـقُـهَـا بِـرِقـاعِـه مـلْـثُـومُ[٢]

فـإذا تَـعَـاوَرَتِ الأكُـفُّ زُجَـاجَـهـا نَـفَـحَـتْ فَـشَـمَّ رِيَـاحَـهَـا الـمَـزْكُـومُ

فقال الأخطل: سمعتَ بمثل هذا يا شعبيّ؟! قال: إنْ أَمِنتُكَ قلتُ لك. قال: أنتَ آمنٌ. فقلت له: أشعرُ واللّه منك الذي يقول: [الوافر]

وأَدْكَـنَ عَـاتِـقٍ جَـحْـلٍ رِبَـحْـلٍ صَـبَـحْـتُ بِـرَاحِـهِ شَـرْبـاً كِـرَامـاً[٣]

مِـنَ الـلائِي حُـمِـلْـنَ عـلـى الـمَـطَـايَـا كَـرِيـحِ الـمِـسْـكِ تَـسْـتَـلُّ الـزُّكَـامَـا[٤]

فقال الأخطل: وَيحَك! ومن يقول هذا؟ قلت: الأعشى أعشى بني قيس بن ثَعْلَبة. فقال: قُدّوس قُدّوس! ناك الأعشى أُمّهاتِ الشعراء جميعاً وحقِّ الصليب!.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال: حَدّثنا أبو غَسَّان دَمَاذ عن أبي عُبيدة والهَيْثَم بن عَدِيّ، وحَدّثني الصُّوليُّ قال: حَدّثني الغَلاَبيّ عن العُتْبيّ عن أبيه، وذكر هارون بن الزيّات عن حَمَّاد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضَّبِّيّ، قالوا جميعاً: قَدِمَ الأخطلُ الكوفةَ، فأتاه الشعبيّ يسمع من شعره، قال: فوجدته يتغدّى، فدعاني أتغدّى فأتيتُه، فوُضِعَ الشَّرابُ فدعاني إليه فأتيته، فقال: ما حاجتُك؟ قلت: أُحِبُّ أن أسمعَ من شعرك؛ فأنشدني قوله:

صَـرَمَـتْ أُمَـامَـةُ حَـبْـلَـنـا ورَعُـومُ

حتى انتهى إلى قوله:

فـإذا تَـعَـاوَرَتِ الأكُـفُّ خِـتَـامَـهـا نَـفَـحَـتْ فَـشَـمَّ رِيَـاحَـهـا الـمَـزْكُـومُ

---

(١) اللخالخ: جمع اللّخلخة: ضرب من الطِّيب.

(٢) تَنصِفُ: تخدم.

(٣) الأدكن: هو الدّنّ لأنه يُطلَى بالقطران لتسدّ مسامه فلا يرشح ما فيه من الخمر. وعاتق: قديم. والجحل: السقاء العظيم. والشَّرْب: جماعة الشاربين. وفي الديوان «سِبَحْلٍ» بدل «رِبَحْل» والرِّبَحْل: الضخم.

(٤) الشطر الأول في الديوان: «من اللاتي حُمِلْنَ على الرَّوايا». والروايا: جمع راوية: البعير أو البغل الذي يُستقى عليه.

فقال: يا شَعْبيّ، ناك الأخطل أُمّهاتِ الشعراء بهذا البيت. قلت الأعشى أشعر منك يا أبا مالك، قال: وكيف؟ قلت: لأنه قال: [الكامل]

مِنْ خَمْرِ عَانَةَ قد أَتَى لِخِتَامِها حَوْلٌ تَسُلُّ غُمَامَةَ المَزْكُومِ(١)

فضرب بالكأس الأرضَ وقال: هو، والمسيحِ، أشعرُ منّي! ناك والله الأعشى أمّهات الشعراء إلاّ أنا.

حَدّثني وَكيع قال: حَدّثني محمد بن إسحاق المَعْوَلِيّ عن إسحاق الموصليّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية عن سِمَاك بن حَرْب قال: قال الأعشى: أَتيتُ سَلاَمَةَ ذا فائش فأطلتُ المُقَامَ ببابه حتى وصلت إليه، فأنشدتُه: [المنسرح]

إنَّ مَحَلاً وإنَّ مُرْتَحَلا وإنَّ في السَّفْرِ من مَضَى مَهَلا(٢)

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالوَفَاءِ وبِالـ ـعَدْلِ ووَلّى المَلاَمَةَ الرَّجُلا

الشِّعْرُ قَلَّدْتُهُ سَلاَمَةَ ذا فَائِشَ والشَّيءُ حيثُ ما جُعِلا(٣)

فقال: صَدَقْتَ، الشّيء حيث ما جُعِلَ، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حُللاً وأعطاني كَرِشاً(٤) مدبوغةً مملوءةً عنبراً وقال: إياك أن تُخْدَعَ عمّا فيها. فأتيت الحِيرةَ فبعتُها بثلاثمائة ناقة حمراء.

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا: حَدّثنا عمر بن شَبَّة قال: قال هشام بن القاسم الغَنَوِيّ وكان عَلاّمةً بأمر الأعشى: إنّه وفد إلى النّبيّ ﷺ وقد مدحه بقصيدته التي أولها: [الطويل]

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ المُسَهَّدَا(٥)

ومَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وإنَّمَا تَنَاسَيْتَ قَبْلَ اليَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا(٦)

---

(١) عانة: بلد بين الرقة وهيت تنسب إليها الخمر (معجم البلدان ٤/ ٧٢).

(٢) يريد: إن لنا مَحَلاً في الدنيا ومرتحلاً، فحذف خبر إنّ لأنه معلوم. والمهل: التؤدة والرفق. والسَّفْر: المسافرون: وفي الديوان «ما مضى» بدل «من مضى». وما: مصدرية ظرفية.

(٣) رواية الديوان:
«قَلَّدْتُكَ الشِّعْرَ يا سلامةَ ذا التَّفْضَالِ والشَّيءُ حيثُما جُعِلا

(٤) الكَرِش: وعاء الطيب أو الثوب.

(٥) الأرمد: الذي يشتكي وجعاً في عينيه. والسليم: الذي لدغته الحيّة أو العقرب سُمِّي بذلك تفاؤلاً.

(٦) الخُلَّة: الصداقة.

وفيها يقول لناقته:

فَآلَيْتُ لا أَرْثِي لَهَا مِنْ كَلاَلَةٍ ... ولا مِنْ حَفاً حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدا

نَبِيٌّ يَرَى مَا لا تَرَوْنَ وذِكْرُهُ ... أَغارَ لَعَمْرِي في البِلاَدِ وأَنْجدا[١]

متى ما تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ ... تُرَاحِي وتَلْقَيْ من فَوَاضِلِهِ يَدَا[٢]

فبلغ خبرُه قريشاً فرصَدوه على طريقه وقالوا: هذا صَنَّاجةُ العرب، ما مدح أحداً قَطُّ إلاّ رَفع في قدره: فلمّا ورد عليهم قالوا له: أين أردت يا أبا بَصِير؟ قال: أردتُ صاحبَكم هذا لأُسْلِمَ. قالوا: إنه ينهاكَ عن خِلالٍ ويُحَرِّمُها عليك، وكلُّها بكَ رافِق ولك موافِق. قال: وما هنّ؟ فقال أبو سفيانَ بنُ حرْب: الزِّنا. قال: لقد تركني الزِّنا وما تركته؛ ثمّ ماذا؟ قال: القِمار. قال: لَعَلِّي إن لَقِيتُه أن أُصيبَ منه عِوَضاً من القِمار؛ ثم ماذا؟ قالوا: الرِّبا. قال: ما دِنْتُ ولا ادَّنْتُ؛ ثمّ ماذا؟ قالوا: الخمر. قال: أَوَّهْ! أَرْجِعُ إلى صُبَابةٍ[٣] قد بقيتْ لي في المِهْراس[٤] فأشربُها. فقال له أبو سفيان: هل لكَ في خير ممّا هَمَمْتَ به؟ قال: وما هو؟ قال: نحن وهو الآن في هُدْنة، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سَنَتَك هذه وتنظُر ما يصير إليه أمرنا، فإنْ ظَهَرْنا عليه كنتَ قد أخذت خَلَفاً، وإن ظهر علينا أَتيْتَهُ. فقال: ما أكره ذلك. فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، هذا الأعشى! واللّه لَئِنْ أتى محمّداً واتّبعه لَيُضْرِمَنَّ عليكم نيرانَ العرب بِشِعره، فاجمعوا له مائةً من الإبل، ففعلوا: فأخذها وانطلق إلى بلده. فلمّا كان بقاع منفوحةَ رمَى به بعيرهُ فقتله.

[قبره مقهى يرتاده شاربو الخمر]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حَدّثنا محمّد بن إدريس بن سليمان بن أبي حَفْصة قال: قبر الأعشى بمَنْفُوحةَ وأنا رأيته؛ فإذا أراد الفِتيانُ أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشربوا عنده وصَبُّوا عنده فَضَلاتِ الأقداح.

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال: حَدّثنا عليّ بن سليمان النَّوْفَلي قال: حَدّثنا

(١) أغار: سار إلى الغَوْر وهو المنخفض من الأرض. وأنجد: سار إلى النجاد، وهي المرتفعات.
(٢) تريحي: ترجع إليك نفسك بعد الإعياء.
(٣) الصُّبَابة: البقيّة القليلة من الشراب.
(٤) والمهراس: حجر منقور يسع كثيراً من الماء.

أبي قال: أتيتُ اليمامةَ والياً عليها، فمررتُ بمنفوحةَ وهي منزل الأعشى التي يقول فيها:

بِشَطِّ منفوحةَ فالحاجِرِ[١]

فقلت: أهذه قرية الأعشى؟ قالوا: نعم. فقلت: أين منزله؟ قالوا: ذاك وأشاروا إليه. قلت: فأين قبره؟ قالوا: بِفِناءِ بيته. فعدلتُ إليه بالجيش فانتهيت إلى قبره فإذا هو رَطْبٌ. فقلت: مالي أراه رطباً؟ فقالوا: إن الفِتْيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم، فإذا صار إليه القدح صَبُّوه عليه لقوله: «أرجِعُ إلى اليمامة فأشبَعُ من الأَطْيَبَيْنِ الزِّنا والخمر».

وأخبرنا الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال: حَدّثنا الأُطْروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه أنّ ابن عائشة غَنّى يوماً:

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإنْ لاَمَ لاَئِمُ

فأعجبتْه نفسُه ورآه ينظر في أعطافه، فقيل له: لقد أصبحتَ اليومَ تائهاً! فقال: وما يمنعني من ذلك وقد أخذتُ عن أبي عَبّاد معبدٍ أحد عشر صوتاً منها:

هُرَيْرَةَ وَدِّعهَا وإنْ لامَ لائمُ

وأبو عَبَّاد مُغَنّي أهل المدينة وإمامُهم!

قال: وكان مَعْبد يقول: واللّه لقد صنعتُ صوتاً لا يقدِر أن يغنِّيه شبعانٌ ممتلىء، ولا يقدر مُتَّكِىءٌ على أن يُغَنِّيه حتى يَجْثُوَ، ولا قائم حتى يقعُدَ. قيل: وما هو يا أبا عَبَّاد؟ قال إسحاق: فأخبرني بذاك محمد بن سَلاَّم الجُمَحِيُّ أنه بلغه أن معبداً قاله. وأخبرني بهذا الخبر إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حَدّثنا عمر بن شبّة قال: حدّثنا أبو غَسَّان محمد بن يحيى قال: قال معبد: واللّه لأُغَنّينَّ صوتاً لا يغنّيه مهمومٌ ولا شبعانٌ ولا حاملُ حِمْلٍ؛ ثم غنّى: [مجزوء الخفيف]

ولَقَدْ قُلْتُ والضَّمِـ ـيرُ كَثِيرُ البَلابِلِ[٢]
لَيْتَ شِعْرِي تَمَنِّياً والمُنَى غَيْرُ طَائِلِ

---

(١) الحاجر: موضع قبل معدن النقرة وهو دون فيد حاجر. (معجم البلدان ٢/ ٢٠٤).

(٢) البلابل: الوساوس وكثرة الهموم.

هَــلْ رَسُــولٌ مُــبَــلِّــغٌ فَــيُــؤَدِّي رَسَــائِــلِــي

لحنُ معبد هذا خفيفُ ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس، وفيه ثقيلٌ أوّلُ ينسب إليه أيضاً، ويقال: إنه لأهل مكة.

ومنها الصّوت المُسمَّى بالمُنَمْنَم:

صوت [الخفيف]

هَـاجَ ذَا الـقَـلْـبَ مِـنْ تَـذَكُّـرِ جُـمْـلِ مَـا يَـهِـيـجُ الـمُـتَـيَّـمَ الـمَـحْـزُونَـا
إذْ تَـرَاءَتْ عَـلَـى الـبَـلاَطِ فَـلَـمَّـا وَاجَـهَـتْـنـا كَـالـشَّـمْـسِ تُـغْـشِـي الـعُـيُـونـا
لَـيْـلَـةَ الـسَّـبْـتِ إذْ نَـظَـرْتُ إلـيـهـا نَـظْـرَةً زَادَتِ الـفُـؤادَ جُـنُـونـا

الشعر لإسماعيلَ بنِ يَسَار، والغناء لمَعْبدٍ ثقيل أوّل بالوسطى، وفيه لدَحْمانَ ثاني ثقيل بالبنصر، ذكر الهِشاميّ أنّه لا يُشَكّ فيه من غنائه. وقد مضت أخبار إسماعيل بن يسار في المائة المختارة فاستُغْنِيَ عن إعادتها ها هنا.

صوت [الطويل]

آمِـنْ آلِ لَـيْـلَـى بِـالـمَـلاَ مُـتَـرَبَّـعُ كَـمَـا لاَحَ وَشْـمٌ فـي الـذِّرَاعِ مُـرَجَّـعُ[1]
سَـأَتْـبَـعُ لَـيْـلَـى حيثُ سَارَتْ وخَـيَّـمَـتْ ومَـا الـنَّـاسُ إلاّ آلِـفٌ ومُـوَدِّعُ

الشعر لعمرو بن سعيد بن زيد، وقيل: إنه للمجنون وإنّ مع هذين البيتين أُخَرَ وهي:

وَقَـفْـتُ لِـلَـيْـلَـى بعدَ عِـشْـرِينَ حِـجَّـةً بِـمَـنْـزِلَـةٍ فَـانْـهَـلَّـتِ الـعَـيْـنُ تَـدْمَـعُ
فَـأَمْـرَضَ قَـلْـبِـي حُـبُّـهـا وطِـلاَبُـهـا فَـيَـا آلَ لَـيْـلَـى دَعْـوَةً كـيـفَ أَصْـنَـعُ
سَـأَتْـبَـعُ لَـيْـلَـى حَـيْـثُ حَـلَّـتْ وخَـيَّـمَـتْ ومَـا الـنَّـاسُ إلاّ آلِـفٌ ومـوَدِّعُ
كَـأَنَّ زِمَـامـاً فـي الـفـؤادِ مُـعَـلَّـقـاً تَـقُـودُ بـه حَـيْـثُ اسْـتَـمَـرَّتْ وأَتْـبَـعُ

والغناء لمَعْبد خَفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبَّابة في مجرى الوسطى، وقد ذكر

(١) الملا: اسم يُطلَق على عدّة مواضع وقد ورد في شعر الشعراء (معجم البلدان ٥/١٨٨).

حَمّاد بن إسحاق عن أبيه أن هذا الصوت منحول إلى معبد وأنه مما يُشبه غناءه، وذكر ابن الكلبيّ عن محمد بن يزيد أن معبداً أخذ لحن سائب خاثر في:

أَفَــاطِــمُ مَــهْــلاً بَــعْــضَ هــذا الــتَّــدلُّــلِ

فغنّى فيه:

أَمِــن آل لَــيْــلَــى بِــالــمَــلاَ مُــتَــربَّــعُ

نسب عمرو بن سعيد بن زيد وأخباره

[نسبه]

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عَدِيّ بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب. وسعيد بن زيد يُكْنَى أبا الأعور، وهو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ على حِرَاء فرجَفَ بهم، فقال: «**اثْبُتْ حِرَاءُ فليسَ عليكَ إلاّ نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيدٌ**»[1].

[أخبار متفرِّقة عن بعض الأصوات]

أخبرني ابن أبي الأزهر قال: حَدّثنا حَمَّاد بن إسحاق قال: حَدّثني أبي قال: حَدّثني الهَيْثَم بن سُفْيان عن أبي مِسْكين قال: جلس الوليد بن يزيد يوماً لِلمُغنِّين وكانوا متوافرين عنده وفيهم مَعْبَد وابن عائشة؛ فقال لابن عائشة: يا محمّد. قال: لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين. قال: إنّي قد قلت شِعراً فَغنِّ فيه. قال: وما هو؟ فأنشده إيّاه، وترنَّم به محمد ثم غنَّاه فأحسن، وهو:

صوت [مجزوء الرمل]

عَلِّلانِي وأَسْقِيَانِي ... مِنْ شَرَابٍ أَصْبَهانِي
مِنْ شَرَابِ الشَّيْخِ كِسْرى ... أو شَرَابِ القَيْرَوَانِ
إنَّ في الكَأْسِ لَمِسْكاً ... أَوْ بِكَفَّيْ مَنْ سَقَانِي
أَوْ لَقَدْ غُودِرَ فِيهَا ... حِينَ صُبَّتْ في الدِّنَانِ
كَلِّلانِي تَوِّجَانِي ... وبِشِعْرِي غَنِّيَانِي
أَطْلِقَانِي بِوَثَاقِي ... واشْدُدَانِي بِعَنَانِي

---

(١) الحديث رواه أبو داود في سننه رقم ٤٦٤٨ وأحمد في مسنده ١/١٨٨.

إنَّمـا الـكَـأسُ رَبِـيـعٌ يُـتَـعَـاطَـى بِـالـبَـنَـانِ
وحُـمَـيَّـا الـكَـأسِ دَبَّـتْ بَـيْـنَ رِجْـلِـي ولِـسَـانِـي

ـ الغِناء لابن عائشة هَزَجٌ بالبنصر من رواية حَبَش ـ قال: فأجاد ابن عائشة واستحسن غناءَه مَنْ حضَر؛ فالتفت إلى مَعْبد فقال: كيف ترى يا أبا عَبَّاد؟ فقال له معبد: شِنْتَ غناءَكَ بِصَلَفِكَ[1]. قال ابن عائشة: يا أحول! واللَّه لولا أنّك شيخُنا وأنّك في مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك مَنِ الشَّائنُ لغنائه أنا بِصَلَفي أم أنت بقبح وجهك. وفطَنَ الوليد بحركتهما فقال: ما هذا؟ فقال: خيرٌ يا أمير المؤمنين، لحنٌ كان مَعْبدٌ طارَحَنِيه فأُنْسِيتُه فسألته عنه لأُغنِّيَ فيه أميرَ المؤمنين. فقال وما هو؟ قال:

أَمِـنْ آلِ لَـيْـلَـى بِـالـمَـلاَ مُـتَـربَّـعُ كَـمَـا لاَحَ وَشْـمٌ فـي الـذِّرَاعِ مُـرَجَّـعُ

فقال: هاتِ يا مَعْبد، فغنَّاه إيّاه؛ فاستحسنه الوليد وقال: أنت واللَّه سيِّد مَنْ غَنَّى. وهذا الخبر أيضاً مما يدلّ على أن ما ذكره حَمَّاد من أنّ هذا الصوت منحول لمعبد لا حقيقة له.

أخبرني محمد بن إبراهيم قُرَيْض قال: حَدّثني أحمد بن أبي العَلاَء المغنِّي قال: غَنَّيْتُ المعتضدَ صوتاً في شعر له ثم أتبعتُه بشعر الوليد بن يزيد: [مجزوء الرمل]

كَـلِّـلانِـي تَـوِّجَـانِـي وبِـشِـعْـرِي غَـنِّـيَـانـي

فقال: أحسنَ واللَّه! هكذا تقول الملوك المُتْرَفون، وهكذا يطرَبون، وبمثل هذا يُشيرون، وإليه يرتاحون! أحسنتَ يا أحمد الاختيار لِما شاكل الحالَ، وأحسنتَ الغناء، أعِدْ؛ فأعدته، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وشرب رطلاً ثم استعاده فأعدتُهُ، وفعل مثل ذلك حتى استعاده ستَّ مَرَّات وشرب ستَّةَ أرطال وأمر لي بعشرة آلاف درهم ـ وقال مرةً أُخرى بستمائة دينار ـ ثم سَكِرَ. وما رُئِيَ قبل ذلك ولا بعده أعطى مغنِّياً هذه العطيّة. وفي الخبر زيادة وقد ذكرته في موضع آخر يصلُح له.

وقد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمدَ بن سهل النُّوشَجَانِي أنه حضر أحمدَ بن أبي العلاء وقد غَنَّى المعتضدَ هذا الصّوت في هذا المجلس وأمر له بهذا المال بعينه ولم يشرح القصّة كما شرحها أحمد.

---

(١) الصَّلَف: مجاوزة قدر الظَّرْف والادّعاء فوق ذلك تكبّراً.

ومنها صوت وهو المتبختر

جَعَلَ اللَّهُ جَعْفَراً لَكِ بَعْلاً ... وَشِفَاءً مِنْ حَادِثِ الأَوْصَابِ[1]
إذ تَقُولِينَ لِلْوَلِيدَةِ قُومِي ... فَانْظُرِي مَنْ تَرَيْنَ بِالأَبْوَابِ

الشعر للأحوص، والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر، وذكر حَمّاد عن أبيه في كتاب مَعْبد أنه منحول إلى معبد وأنه لِكَرْدَم.

صوت

وهو المسمى مُقَطِّع الأثفَار

[الخفيف]

ضَوْءُ نَارٍ بَدَا لِعَيْنِكَ أَمْ شَبَّـ ... ـتْ بِذِي الأَثْلِ مِنْ سَلامَةَ نَارُ
تِلْكَ بينَ الرِّيَاضِ والأَثْلِ والبَا ... نَاتِ مِنَّا ومِنْ سَلامَةَ دَارُ
وكَذَاكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بِالنَّا ... سِ وتَبْقَى الرُّسُومُ والآثَارُ

الشعر للأحوص، والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد وعمر الواديّ رَمَلٌ عن الهِشاميّ، وفيه لعبد الله بن العبَّاس خفيفُ رمل بالوسطى.

[الأحوص يسرق أفضل بيت من قصيدة لموسى شهوات]

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثنا عمِّي قال: مدَح موسى شَهَوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مَرْوان بقصيدةٍ أحسن فيها وأجاد وقال فيها:

[الخفيف]

وكَذَاكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بِالنَّا ... سِ وتَبْقَى الدِّيَارُ والآثَارُ

فقام الأحوص ودخل منزلَه وقال قصيدةً مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضاً وأتى فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها. فقال له موسى شهوات: ما رأيتُ يا أحوصُ مِثْلَكَ! قلتُ قصيدةً مدحتُ فيها الأمير فسرقتَ أجود بيت فيها وجعلتَه في قصيدتك. فقال له الأحوص: ليس الأمر كما ذكرتَ، ولا البيت لي ولا لك، هو

(١) الأوصاب: جمع الوَصَب: المرض أو التعب والفتور.

للَبِيد سرقناه جميعاً منه، إنما ذكر لبيدٌ قومَه فقال: [الخفيف]

فَـعَـفَـا آخِـرُ الـزَّمَـانِ عَـلَـيْـهِـمْ　　فـعَـلـى آخِـرِ الـزَّمَـانِ الـدَّبَـارُ[1]
وَكَـذَاكَ الـزَّمَـانُ يَـذْهَـبُ بِـالـنَّـا　　سِ وتَـبْـقَـى الـرُّسُـومُ والآثَـارُ

قال: فسكت موسى شهوات فلم يُحِرْ جواباً كأنما أُلْقِمه حَجَراً.

[قصة الأحوص وسلامة]

ونسخت من كتاب أحمد بن سَعيد الدِّمَشقي خبرَ الأحوص مع سَلاَّمةَ التي ذكرها في هذا الشعر وهو موضوع لا أشكُّ فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقطٌ سخيفٌ لا يشبه نَمَطَ الأحوص، والتوليدُ بَيِّنٌ فيه يشهد على أنه مُحْدَثٌ. والقصّة أيضاً باطلةٌ لا أصل لها، ولكنّي ذكرتُه في موضعه على ما فيه من سوء العهدة. قال: حَدّثنا الزُّبَير بنُ بَكّار قال: حَدّثني أبو محمد الجَزَرِيّ قال: كانت بالمدينة سلاّمةُ من أحسن النّاس وجهاً وأَتَمِّهن عقلاً وأحسنهن حديثاً قد قرأت القرآنَ وروت الأشعارَ وقالت الشعر، وكان عبد الرحمٰن بن حَسَّان والأحوصُ بن محمد يختلفان إليها فيُرَوِّيَانِها الشّعرَ ويُناشدانها إيَّاه. فعَلِقَتِ الأحوصَ وصَدَّتْ عن عبد الرحمٰن. فقال لها عبد الرحمٰن يُعَرِّضُ لها بما ظَنَّه من ذلك: [الوافر]

أَرَى الإِقْـبَـالَ مِـنْـكِ عـلـى خَـلِـيـلِـي　　ومَـا لِـي فـي حَـدِيـثِـكُـمُ نَـصِـيـبُ

فأجابتْه: [الوافر]

لأَنَّ الـــلَّـــهَ عَـــلَّـــقَـــهُ فُـــؤَادِي　　فَـحَـازَ الـحُـبَّ دُونَـكُـمُ الـحَـبِـيـبُ

فقال الأحوص: [الوافر]

خَـلِـيـلِـي لا تَـلُـمْـهـا فـي هَـوَاهَـا　　أَلَـذُّ الـعَـيْـشِ مَـا تَـهْـوَى الـقُـلُـوبُ

قال: فأضربَ عنها ابنُ حسَّان وخرج ممتدحاً ليزيد بن معاوية فأكرمه وأعطاه. فلمّا أراد الانصرافَ قال له: يا أمير المؤمنين، عندي نصيحة. قال: وما هي؟ قال: جارية خَلَّفْتُها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ولا تصلُحُ أن تكونَ إلاّ لأمير المؤمنين وفي سُمَّارِه، فأرسل إليها يزيدُ فاشتُرِيَتْ له وحُمِلَتْ إليه؛ فوقعت منه موقعاً عظيماً وفضَّلها على جميع من عنده.

---

(١) الدّبار: الهلاك.

وقَدِمَ عبد الرحمٰن المدينة فمرّ بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم، فأراد أن يَزيده إلى ما به فقال: [السريع]

يَا مُبْتَلى بِالحُبِّ مَفْدُوحَا لاَقَى مِنَ الحُبِّ تَبَارِيحَا[1]
أَلْجَمَهُ الحُبُّ فَمَا يَنْثَنِي إلاّ بِكَأسِ الشَّوْقِ مَصْبُوحَا
وصَارَ ما يُعْجِبُهُ مُغْلَقاً عَنْهُ وما يَكْرَهُ مَفْتُوحَا
قَدْ حَازَها مَنْ أَصْبَحَتْ عِنْدَهُ يَنَالُ مِنْهَا الشَّمَّ والرِّيحَا
خَلِيفَةُ اللّهِ فَسَلِّ الهَوَى وعَزِّ قَلْباً مِنْكَ مَجْرُوحَا

فأمسك الأحوصُ عن جوابه. ثم إن شابَّين من بني أميّة أرادا الوِفادة إلى يزيدَ، فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملا له كتاباً ففعلا، فكتب إليها معهما:

[الكامل]

سَلاَمُ ذِكْرُكِ مُلْصَقٌ بِلِسَانِي وعَلَى هَوَاكِ تَعُودُني أَحْزَانِي
ما لِي رَأَيْتُكِ في المَنَام مُطِيعَةً وإذا انْتَبَهْتُ لَجَجْتِ في العِصيانِ
أَبَداً مُحِبُّكِ مُمْسِكٌ بِفُؤَادِهِ يَخْشَى اللَّجَاجَةَ مِنْكِ في الهِجْرَانِ
إنْ كُنْتِ عَاتِبَةً فَإنِّي مُعْتِبٌ بَعْدَ الإسَاءَةِ فاقْبَلِي إحْسَانِي
لا تَقْتُلِي رَجُلاً يَرَاكِ لِمَا بِه مِثْلَ الشَّرَابِ لِغُلَّةِ الظَّمْآنِ
ولَقَدْ أقولُ لِقَاطِنَينِ مِنَ اهْلِنَا كَانَا على خُلُقِي مِنَ الإخْوانِ
يَا صَاحِبَيَّ على فُؤادي جَمْرَةٌ وبَرَى الهَوَى جسمي كَمَا تَرَيانِ
أَمُرَقِّيَانِ إلى سَلامةَ أنتما ما قَدْ لَقِيتُ بِها وتَحْتَسِبانِ[2]
لا أستطيعُ الصَّبْرَ عَنْهَا إنَّهَا مِنْ مُهْجَتِي نَزَلَتْ بِكُلِّ مَكَانِ

قال: ثم غلبه جَزَعُه فخرج إلى يزيدَ ممتدحاً له، فلمّا قَدِمَ عليه قرَّبه وأكرمه وبلغ لديه كلَّ مبلغ. فدسَّتْ إليه سلاّمةُ خداماً وأعطته مالاً على أن يُدخِلَه إليها فأخبرَ الخادمُ يزيدَ بذلك؛ فقال: امْض بِرسالتها، ففعل ما أمره به وأدخل الأحوصَ، وجلس يزيدُ بحيث يراهما. فلما بَصُرَتِ الجاريةُ بالأحوص بكتْ إليه وبكى إليها، وأمرَتْ فأُلْقِي له كرسيٌّ فقعد عليه، وجعل كلٌّ واحد منهما يشكو إلى

(١) تباريح الحبّ: توهّجه.

(٢) أمُرَقّيان لها: أرافعان لها.

صاحبه شدّة الشّوق. فلم يزالا يتحَدّثان إلى السَّحَر ويزيدُ يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما رِيبةٌ، حتى إذا هَمّ بالخروج قال: [البسيط]

أَمْسَى فُؤادِيَ في هَمٍّ وبِلْبالِ ... مِنْ حُبِّ مَنْ لم أَزَلْ منه على بالِ

فقالت: [البسيط]

صَحَا المُحِبُّونَ بَعْدَ النَّأْيِ إذْ يَئِسُوا ... وقَدْ يَئِسْتُ وما أَصْحُو على حَالِ

فقال:

مَنْ كانَ يَسْلُو بِيَأْسٍ عن أخِي ثِقَةٍ ... فَعَنْ سَلاَمَةَ مَا أَمْسَيْتُ بِالسَّالِي

فقالت: [البسيط]

واللَّهِ واللَّهِ لا أَنْسَاكَ يَا سَكَنِي ... حَتَّى يُفَارِقَ مِنِّي الرُّوحُ أَوْصَالِي

فقال: [البسيط]

واللَّهِ ما خَابَ مَنْ أَمْسَى وأَنْتِ لَهُ ... يَا قُرَّةَ العَيْنِ في أهلٍ وفي مَالِ

ثم وَدَّعَها وخرج؛ فأخذه يزيدُ ودعا بها فقال: أخبراني عمّا كان جرى بينكما في ليلتكما واصْدُقاني. فأخبراه وأنشداه ما قالاه، فلم يَخْرِما حرفاً ولا غَيَّرا شيئاً مما سمعه. فقال له يزيد: أتحبُّها يا أحوص؟ قال: إي واللّه يا أمير المؤمنين:

[البسيط]

حُبّاً شَدِيداً تَلِيداً غَيْرَ مُطَّرِفٍ ... بين الجَوَانِحِ مِثْلَ النَّارِ يَضْطَرِمُ[1]

فقال لها: أتحبِّينه؟ قالت: نعم يا أمير المؤمنين: [البسيط]

حُبّاً شَدِيداً جَرَى كالرُّوحِ في جَسَدِي ... فَهَلْ يُفَرِّقُ بينَ الرُّوحِ والجَسَدِ

فقال يزيد: إنّكما لَتَصِفانِ حُبّاً شديداً، خُذْها يا أحوص فهي لك؛ ووصله بِصِلةٍ سَنِيَّة، وانصرفَ بها وبالجارية إلى الحِجاز وهو من أَقَرّ الناس عيناً. مضى الحديث.

[أصوات معبد المُسَمَّاةُ مُدُنَ معبد وتُسَمَّى أيضاً حصونَ معبد]

أخبرني ابنُ أبي الأزهر والحسينُ بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه،

(١) التليد: القديم الأصلي، والمُطَّرف: الجديد.

قال حسين في خبره واللّفظ له عن إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال: قال معبد وقد سمع رجلاً يقول: إن قُتَيبة بن مُسْلِم فتح سبعةَ حصون أو سبع مُدُن بِخُرَاسان فيها سبعة حصون صَعْبة المُرْتَقَى والمسالكِ لم يُوصَلْ إليها قَطُّ. فقال: واللّه لقد صنعتُ سبعةَ ألحان كلٌّ لحنٍ منها أشدّ من فتح تلك الحصون. فسئل عنها فقال:

لَعَمْري لئن شَطَّتْ بعَثْمةَ دارُها

و: هُرَيْرةَ وَدِّعها وإنْ لاَمَ لائمُ

و: رَأَيتُ عَرَابةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو

و: كم بذاكِ الحَجُونِ من حَيِّ صِدْقٍ

و: لو تعلمينَ الغَيْبَ أيقنتِ أنني

و: يا دار عَبْلَةَ بالجِوَاء تكلَّمِي

و: وَدِّع هُريرةَ إنّ الركبَ مُرتحِلُ

ومن الناس من يروي مُدُنَ معبد:

تقطَّعَ من ظَلاَّمةَ الوَصْلُ أجمعُ

و: خَمْصانةٌ قَلِقٌ مُوشَّحُها

و: يومَ تُبدِي لنا قُتَيْلةُ

مكان كم بذاكَ الحَجُونِ من حيٍّ صِدقٍ

و: لو تعلمينَ الغَيْبَ أيقنتِ أنّني

و: يا دَارَ عَبْلَةَ بِالجِواء تكلَّمي

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

صوت

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بِعَثْمَةَ دَارُها لَقَدْ كِدْتُ مِنْ وَشْكِ الفِراقِ أُلِيحُ
أَرُوحُ بِهَمٍّ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ ويُحْسَبُ أنّي في الثِّيَابِ صَحِيحُ

عروضه من الطويل، شَطّت: بَعُدَتْ. ووَشْكُ الفراقِ: دُنُوُّه وسرعتُه. وأُلِيحُ: أُشْفِقُ وأَجْزَعُ. الشعر لعُبَيد الله بن عبد الله بن عُتْبة الفقيه، والغِناء لمعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر من رواية يونُس وإسحاقَ وعمرٍو وغيرهم، وفيه رمل يقال إنه لابن سُريج.

ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه

[توفي ٩٨ هـ/ ٧١٦ م]

[نسبه وصحبة جده وبعض أخبار أخويه]

هو عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود بن غافِل بن حَبيب بن شَمْخ بن فأر بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم بن سَعْد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن الياس بن مضر بن نِزار. وهو في حُلفاء بني زُهرة من قريش وعِدادهُ فيهم. وعتبةُ بن مسعود وعبد الله بن مسعود البَدْريّ صاحبُ رسول الله ﷺ أَخَوان، ولِعُتْبة صحبةٌ بِالنبيّ ﷺ وليس من البَدْرِيين. وكانَ ابنه عبد الله أبو عُبيد الله بن عبد الله رجلاً صالحاً، واستعمله عمرُ بن الخَطّاب فأَحْمده.

ولِعُبَيْدِ الله بن عبد الله أَخَوانِ عَوْنٌ وعبد الرحمٰن. وكان عون من أهل الفقه والأدب، وكان يقول بالإِرْجاء ثم رجع عنه وقال ـ وكان شاعراً ـ: [الوافر]

فـأَوّلُ مَـا أُفـارِقُ غَـيْـرَ شَـكٍّ أُفَـارِقُ مـا يـقـولُ الـمُـرْجِـئـونـا
وقَـالُـوا مُـؤْمِـنٌ مِـنْ آلِ جَـوْرٍ ولَـيْـسَ الـمُـؤمـنـونَ بِـجَـائِـرِيـنـا
وقَـالُـوا مُـؤْمِـنٌ دَمُـهُ حَـلالٌ وقـد حَـرُمَـتْ دِمَـاءُ الـمُـؤْمِـنِـيـنَـا

وخرج مع ابن الأشعث، فلمّا هُزِمَ هَرَبَ، وطلبه الحجّاج؛ فأتى محمدَ بن مَرْوان بن الحَكَم بنَصِيبِينَ[1] فأَمَّنَهُ وألزمَه ابنيه مروانَ بن محمد وعبد الرحمٰن بن محمد. فقال له: كيف رأيتَ ابنَيْ أخيك؟ قال: أمّا عبد الرحمٰن فطفلٌ، وأمّا مروان فإنّي إن أتيتُه حَجَبَ، وإن قعدتُ عنه عتَبَ، وإن عاتبتُه صَخِبَ، وإن صاحبتُه

(١) نَصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام فيها بساتين كثيرة. (معجم البلدان ٥/ ٢٨٨)

غضِبَ. ثم تركه ولزم عمر بن عبد العزيز فلم يَزَلْ معه. ذكر ذلك كلّه ومعانِيَه الأصمعيّ عن أبي نَوْفَل الهُذَلِيّ عن أبيه. ولِعَوْنٍ يقول جرير: [البسيط]

يا أَيُّها القَارِئُ المُرْخِي عِمَامَتَهُ هَذَا زَمَانُكَ إِنّي قَدْ مَضَى زَمَنِي
أَبْلِغْ خَلِيفَتَنا إنْ كُنْتَ لاقِيَهُ أَنّي لَدَى البَابِ كالمَصْفُودِ في قَرَنِ

وخبرهُ يأتي في أخبار جرير.

وأمّا عبد الرحمٰن فلم تكنْ له نباهةُ أخويه وفضلهُما فسقط ذكره.

[عبيد الله وبعض صفاته وفقهه]

وأمّا عُبَيْد الله فإنه أحد وجوه الفُقَهاء الذين رُوِيَ عنهم الفقه والحديث. وهو أحد السبعة من أهل المدينة، وهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق، وعُروة بن الزُّبَيْر، وأبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، وسَعِيد بن المُسَيَّب، وعُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبة، وخارِجة بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار. وكان عبيد الله ضريراً. وقد روَى عن جماعة من وجوه الصّحابة مثل ابن عبّاس وعبد الله بن مسعود عمّه وأبي هريرة، وروَى عنه الزُّهْريّ وابنُ أبي الزناد وغيرهما من نُظَرائهما. وكان عبد الله بن عباس يقدّمه ويُؤْثِره.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: حَدّثنا عبد الله بن أحمد بن حَنْبَل قال: حَدّثنا أبي قال: حَدّثنا يونُس بن محمد قال: حَدّثنا حَمّاد بن زيد عن مَعْمَر عن الزُّهْريّ قال: كان عُبَيد الله بن عبد الله يلطُفُ لابن عبَّاس فكان يُعِزُّه عِزًّا.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أَنَس عن ابن شِهَاب الزُّهْرِيّ قال: كنت أخدُمُ عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبة حتى إنْ كنتُ لأَسْتَقِي الماءَ المِلْحَ وإنْ كان ليسأل جاريتَه فتقول: غلامُكَ الأعمش.

أخبرني وَكيع قال: حَدّثنا محمد بن عبد الملك بن زَنْجويه قال: حَدّثنا عبد الرزّاق عن مَعْمَر عن الزُّهْريّ قال: أدركتُ أربعةَ بُحورٍ، عُبَيْدُ الله بن عبد الله أحدُهم.

أخبرني وَكِيع قال: حَدّثنا محمد قال: حَدّثنا حامد بن يحيى عن ابن عُيَيْنة

عن الزُّهْريّ قال: سمعت من العلم شيئاً كثيراً، فلمَّا لَقِيتُ عبيد الله بن عبد الله كأنّي كنت في شِعْبٍ من الشِّعابِ فوقعتُ في الوادي؛ وقال مرَّةً: صِرْتُ كأنّي لم أسمع من العلم شيئاً.

[بعض أخباره مع عمر بن عبد العزيز]

أخبرني وكيع قال: حَدّثني بشر بن موسى قال: حَدّثنا الحُمَيْديّ عن ابن عُيَينة عن عليّ بن زيد بن جُدْعان قال: كان عمر بن عبد العزيز يقول: ليتَ لي مجلساً من عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بِدِيَةٍ.

أخبرني وَكيع قال: حَدّثنا أحمد بن عبد الرحمٰن بن وَهْب قال: حَدّثني عمّي عن يعقوبَ بن عبد الرحمٰن الزّهْريّ عن حمزة بنِ عبد الله قال: قال عمر بن عبد العزيز: لو كان عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة حَيّاً ما صدَرْتُ إلاّ عن رأيه، ولَوَدِدْتُ أنّ لي بيوم من عُبيد الله غُرْماً. قال ذلك في خِلافته.

أخبرنا محمد بن جَرير الطَّبَريّ وعَمُّ أبي عبد العزيز بن أحمد ومحمد بن العباس اليَزيديّ والطُّوسيّ ووَكيع والحَرَميّ بن أبي العَلاَء وطاهر بن عبد الله الهاشميّ، قالوا: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حَدّثنا إبراهيم بن طَلْحة بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصِّدِّيق وابنُ أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعاً عن عثمانَ بنِ عمر بن موسى عن الزُّهْرِيّ قال: دخل عُرْوةُ بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة على عمرَ بنِ عبد العزيز وهو أمير المدينة. فقال عروة لشيء حُدِّثَ به من ذكر عائشةَ وعبد الله بن الزُّبير: سَمِعْتُ عائشةَ تقول: ما أحببتُ أحداً حُبِّي عبد الله بن الزُّبير لا أَعْنِي رسولَ الله ﷺ ولا أبويّ. فقال عمر: إنّكم لَتنتحلون عائشةَ لابن الزُّبير انتحالَ مَنْ لا يرى لكلِّ مسلم معه فيها نصيباً. فقال عُروة: بَرَكَةُ عائشة كانت أوسعَ من ألاّ يُرى لكلّ مسلم فيها حقّ، ولقد كان عبد الله منها بحيث وَضَعَتْهُ الرَّحِمُ والمودّةُ التي لا يَشْرَكُ كلَّ واحد منهما فيه عند صاحبه أحدٌ. فقال عمر: كَذَبْتَ. فقال عُروة: هذا عبيدُ الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يعلم أنّي غيرُ كاذب، وإنّ من أكذب الكاذبين من كَذَّبَ الصَّادقين. فسكت عبيد الله ولم يدخلْ بينهما في شيء، فأَفَّفَ بهما عمر وقال: اخرجا عنّي. ثم لم يلبَثْ أن بعث إلى عُبيد الله بن عبد الله رسولاً

يدعوه لبعض ما كان يدعوه إليه، فكتب إليه عُبيد الله: [الطويل]

لَعَمْرُ ابْنِ لَيْلَى وابْنِ عَائِشَةَ الَّتِي ... لِمَرْوَانَ أَدَّتْهُ، أَبٌ غيرُ زُمَّلِ[1]

لَوَ انَّهُمُ عَمّاً وجَدّاً وَوَالِداً ... تَأَسَّوْا فَسَنُّوا سُنَّةَ المُتَعَطِّلِ

عَذَرْتُ أَبَا حَفْصٍ وإنْ كَانَ وَاحِداً ... مِنَ القَوْمِ يَهْدِي هَدْيَهُمْ لَيسَ يَأْتَلِي[2]

ولَكِنَّهُمْ فَاتُوا وجِئْتَ مُصَلِّياً ... تُقَرِّبُ إثْرَ السَّابِقِ المُتَمَهِّلِ[3]

وعُمْتَ فَإنْ تَسْبِقْ فَضِنْءُ مُبَرِّزٍ ... جَوَادٍ وإنْ تُسْبَقْ فَنَفْسَكَ فَاعْذُلِ[4]

فما لكَ بالسُّلْطَانِ أَنْ تَحْمِلَ القَذَى ... جُفونُ عُيونٍ بالقَذَى لم تُكَحَّلِ

ومَا الحَقُّ أَنْ تَهْوَى فَتُسْعَفَ بالَّذِي ... هَوِيتَ إذا ما كَانَ لَيسَ بأَعْدَلِ

أَبَى اللَّهُ والأَحْسَابُ أَنْ تَرْأَمَ الخَنا ... نفوسٌ كِرَامٌ بالخَنا لَمْ تُوَكَّلِ[5]

قال الزُّبير في خبره وحدَه: الضِّنْء والضَّنْء الولد. قال: وأَنْشد الخليلُ بن أسد قال: أنشدني دَهْثَم: [الرجز]

ابنُ عَجوزٍ ضَنْؤُها غَيْرُ أَمِرْ ... لو نَحَرَتْ في بَيْتِها عَشْرَ جُزُرْ[6]

لأَصْبَحَتْ مِنْ لَحْمِهِنَّ تَعْتَذِرْ ... تَغْدُو على الحَيِّ بِعُودٍ مِنْ سَمُرْ[7]

حَتَّى يَفِرَّ أَهْلُها كُلَّ مَفَرّ

أخبرني الحسن بن عليّ ووَكيع قالا: حَدّثنا أحمد بن زُهير قال: حَدّثنا الزُّبير، وأخبرناه الحَرَميّ بن أبي العلاء إجازةً قال: حَدّثنا الزُّبير عن ابن أبي أُوَيْس عن بَكّار بن حارثة عن عبد الرحمٰن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عُرْوة أنَّ عُبيدَ الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز فاستأذن عليه، فردّه الحاجب وقال له:

---

(١) ابن ليلى: هو عبد العزيز بن مروان، وأمه: ليلى بنت زبان بن الأصبغ بن عمرو. وابن عائشة: هو عبد الملك بن مروان وأمه هي عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة. والزُّمَّل: الضعيف الساقط.

(٢) لا يأتلي: لا يقصّر ولا يبطىء.

(٣) التقريب: عَدْوٌ دون الإسراع.

(٤) عُمْتَ: سرتَ.

(٥) الخَنَى: الفاحشة، وترأم الخنى: ترضاه وتستسيغه.

(٦) أمِر: كثير.

(٧) السَّمُر: شجر من العضاه جيّد الخشب.

عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفَّان وهو مُخْتَلٍ به، فانصرف غضبانَ، وكان في صلاحه ربما صنَع الأبيات، فقال لعمر: [الطويل]

أبِنْ لِي فَكُنْ مِثْلِي أَوِ ابْتَغِ صَاحِباً ... كَمِثْلِكَ إنِّي تَابِعٌ صَاحِباً مِثْلِي
عَزِيزٌ إخَائِي لا يَنَالُ مَوَدَّتِي ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ مُسْلِمٌ كَامِلُ العَقْلِ
ومَا يَلْبَثُ الفِتْيَانُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا ... إذا لم يُؤَلِّفْ رُوحُ شِكْلٍ إلى شِكْلِ

قال: فأُخبِرَ عمرُ بأبياته؛ فبعث إليه أبا بكر بنَ سليمان بن أبي خَيْثَمة وعِراكَ بن مالك يَعْذِرانه عنده ويقولان: إنَّ عمرَ يقسمُ بالله ما علم بأبياتك ولا بِرَدِّ الحاجب إيَّاكَ، فعذَره. قال الزُّبير: وقد أنشدني محمد بن الحسن قال: أنشدني مُحْرِز بن جعفر لعُبيد الله بن عبد الله هذه الأبيات وزاد فيها وهو أوّلها: [الطويل]

وإنِّي امْرُؤٌ مَنْ يُصْفِنِي الوُدَّ يُلْفِنِي ... وإنْ نَزَحَتْ دَارٌ بِهِ دَائِمَ الوَصْلِ[1]
عَزِيزٌ إخَائِي لا يَنَالُ مَوَدَّتِي ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ مُسْلِمٌ كَاملُ العقلِ
ولولا اتِّقَائِي اللَّهَ قُلْتُ قَصِيدَةً ... تَسِيرُ بِهَا الرُّكْبَانُ أَبْرَدُها يَغْلِي
بها تُنْقَضُ الأَحْلاَسُ في كُلِّ مَنْزِلٍ ... ويَنْفِي الكَرَى عنه بها صَاحِبُ الرَّحْلِ[2]
كَفَانِي يَسِيرٌ إذْ أَرَاكَ بِحَاجَتِي ... كَلِيلَ اللِّسانِ مَا تُمِرُّ ومَا تُحْلِي[3]
تُلاَوِذُ بِالأَبْوابِ مِنِّي مَخَافَةَ الـ ... ـمَلامةِ والإِخْلاَفُ شَرٌّ مِنَ البُخْلِ[4]

وذكر الأبيات الأُولَ بعد هذه.

عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم يمرّان به ولا يسلّمان فيقول فيهما شعراً

أخبرني وَكيع قال: حَدّثني عليّ بن حَرْب المَوْصِليّ قال: حَدّثنا إسماعيل بن رَيَّان الطائي قال: سمعتُ ابن إدريس يقول: كان عِراكُ بن مالك وأبو بكر بن حَزْم وعُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ يتجالسون بالمدينة زماناً؛ ثمّ إن ابن حزم ولي إمرتَها وولي عِراكُ القضاءَ، وكانا يمرّان بعُبيد الله فلا يُسَلِّمَان عليه ولا يقفان، وكان ضريراً فأُخْبِرَ بذلك، فأنشأ يقول:

---

(١) نزحت: بعدت.
(٢) الأحلاس: جمع حَلْس: العهد والميثاق.
(٣) لا يمرّ ولا يُحْلي: أي لا يضرّ ولا ينفع. وكليل اللّسان: لم يُحَقِّق المنطوق.
(٤) تلاوذ: تراوغ.

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي عِرَاكَ بنَ مَالِكٍ ... ولا تَدَعا أَنْ تَثْنِيَا بِأَبِي بَكْرِ[١]
فَقَدْ جَعَلَتْ تَبْدُو شَوَاكِلُ مِنْكُما ... كَأَنَّكُما بِي مُوقَرَانِ مِنَ الصَّخْرِ[٢]
وطَاوَعْتُما بي دَاعِكاً ذا مَعَاكَةٍ ... لَعَمْرِي لَقَدْ أَزْرَى ومَا مِثْلُهُ يُزْرِي[٣]
ولولا اتِّقَائِي ثُمَّ بقُيَايَ فِيكُما ... لَلُمْتُكُمَا لَوْماً أَحَرَّ مِنَ الجَمْرِ

صوت

فَمَسَّا تُرابَ الأَرْضِ مِنْهَا خُلِقْتُما ... ومِنْهَا المَعَادُ والمَصِيرُ إلى الحَشْرِ
ولا تَأْنَفَا أَنْ تَسْأَلا وتُسَلِّمَا ... فَمَا خَشِيَ الإِنْسَانُ شَرّاً مِنَ الكِبْرِ
فلو شِئْتُ أَنْ أُلفِي عَدُوّاً وطَاعِناً ... لأَلْفَيْتُهُ أو قَالَ عِنْدِيَ في السِّرِّ
فَإِنْ أَنَا لَمْ آمُرْ ولَمْ أَنْهَ عَنْكُمَا ... ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلِجَّ ويَسْتَشْرِي

عَرُوضه من الطويل، غُنِّيَ في:

فَمَسَّا ترابَ الأرضِ منها خُلِقتُما

والذي بعده لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وابن المكّيّ ويونس وغيرِهم. وزعم ابن شِهاب الزّهْرِيّ أن عبيد الله قال هذه الأبيات في عمر بن عبد العزيز وعمرو بن عثمان، يعني أن الأبياتَ الأُوَلَ ليست منها في شيء، وإنما أُدخِلَتْ فيها، لاتِّفاق الرَّوِيِّ والقافية.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدّثنا إبراهيم ابن المُنْذِر الحِزاميّ قال: حَدّثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال: جئتُ عُبيد الله بن عبد الله يوماً في منزله فوجدته ينفُخُ وهو مغتاظ؛ فقلت له: ما لكَ؟ قال: جئت أميرَكم آنفاً ـ يعني عمرَ بن عبد العزيز ـ فسلَّمْتُ عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان، فلم يَرُدَّا عَلَيَّ، فقلت:

فَمَسَّا ترابَ الأرض منها خُلقتما

وذكر الأبياتَ الأربعة، قال فقلتُ له: رَحِمَكَ الله! أتقول الشعر في فضلك

(١) أن تَثْنِيا: أن تَمُرّا وتنعطفا.
(٢) الشّواكل: جمع الشّاكلة: الطريقة والمذهب أو النيّة. والوقيرة: النقرة العظيمة في الصخر أو الصَّدْع.
(٣) الدّاعك: الأحمق. والمعاكة: الحمق.

ونُسْكِكَ! قال: إنّ المصدور[١] إذا نَفَثَ بَرَأَ.

قال أبو زيد: حَدّثنا إبراهيم بن المنذر، وأنشدني هذه الأبياتَ عبد العزيز بن أبي ثابت عن ابن أبي الزِّناد له وذكر مثل ذلك وأنها في عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو، وزاد فيها: [الطويل]

وكيفَ يُريدَانِ ابنَ تسعينَ حِجَّةً ... على ما أَتَى وهو ابن عشرين أو عَشرِ

[مختارات من شعره]

ولِعبيد الله بن عبد الله شعرٌ فحْلٌ جيّد ليس بالكثير، منه قوله: [الطويل]

إذا كَانَ لي سِرٌّ فَحَدَّثْتُهُ العِدَا ... وضَاقَ به صَدْرِي فَلَلنَّاسُ أَعْذَرُ
وسِرُّكَ مَا اسْتُودِعْتَهُ وكَتَمْتَهُ ... ولَيْسَ بِسِرٍّ حِينَ يَفْشُو ويَظْهَرُ

وقوله لابن شِهاب الزّهْرِيّ: [الطويل]

إذا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ لم يُثْنِ مَنْطِقِي ... فَحَاذِرْ إذا مَا قُلْتُ كيفَ أَقُولُ
إذا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى خَلِيلاً مُصَافِياً ... لَقِيتَ وإِخْوانُ الثِّقَاتِ قَلِيلُ

أخبرني الحَرَمِيّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبير قال: حَدّثني عبد الجبار بن سعيد المُسَاحِقيّ عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه قال: أَنْشدَ عبيدُ الله بن عبد الله جامعَ ابنَ مُرْخِيَةَ الكلابيّ لنفسه: [الطويل]

لَعَمْرُ أَبِي المُحْصِينَ أَيَّامَ نَلْتَقِي ... لَمَا لا نُلاَقِيهَا مِنَ الدَّهْرِ أَكْثَرُ
يَعُدُّونَ يَوْماً وَاحِداً إِنْ أَتَيْتُهَا ... ويَنْسَوْنَ ما كانَتْ على الدَّهْرِ تَهْجُرُ
وإنْ أولعَ الوَاشُونَ عَمْداً بِوَصْلِنَا ... فنحنُ بِتَجْدِيدِ المَوَدَّةِ أَبْصَرُ

قال: فأعجبتْ أبياتُه هذه جامعاً، فَسَرَّ ذلك عبيدَ الله فكساه وحَمله.

جامع بن مُرْخِيَة هذا من شعراء الحجاز، وهو الذي يقول: [الطويل]

سَأَلْتُ سَعِيدَ بن المُسَيَّبِ مُفْتِيَ الـ ... ـمَدِينَةِ هَلْ فِي حُبِّ ظَمْيَاءَ مِنْ وِزْرِ
فقَالَ سَعِيدُ بنُ المُسَيَّبِ: إِنَّمَا ... تُلامُ على ما تَسْتَطِيعُ مِنَ الأَمْرِ

فبلغ قولُه سعيداً، فقال: كذَبَ واللّه! ما سألني ولا أفتيتُه بما قال. أخبرني

---

(١) المصدور: الذي يشكو ألماً في صدره.

بذلك الحَرَميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير. ومن جَيِّدِ شعر عُبَيْدِ الله وسهلِه:

[المتقارب]

أَعَـاذِلَ عَـاجِـلُ مَـا أَشْـتَـهِـي أَحَـبُّ مِـنَ الآجِـلِ الـرَّائِـثِ[1]
سَـأُنْـفِـقُ مَـالِـي عـلـى لَـذَّتِـي وأُوثِـرُ نَـفْـسِـي عـلـى الـوَارِثِ
أُبَـادِرُ إِهْـلاكَ مُـسْـتَـهْـلِـكٍ لِـمَـالِـيَ أو عَـبَـثَ الـعَـابِـثِ

وقولُه يفتخر في أبيات: [الطويل]

إذا هِيَ حَلَّتْ وَسْطَ عُوذِ ابْنِ غَالِبِ فَـذلِـكَ وُدٌّ نَـازِحٌ لا أُطَـالِـعُـهْ[2]
شَدَدْتُ حَيَازِيمي على قَلْبِ حَازِمٍ كَتُومٍ لِمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ أَضَالِعُهْ[3]
أُدَاجِي رِجَالاً لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ على سِرِّ بَعْضٍ إِنَّ صَدْرِيَ وَاسِعُهْ[4]
بَنَى لِيَ عَبْدُ اللَّهِ في ذِرْوَةِ العُلاَ وعُتْبَةُ مَجْداً لا تُنَالُ مَصَانِعُهْ

وقولُه وفيه غناء:

صوت

إنْ يَـكُ الـدَّهْـرُ قَـدْ أَضَـرَّ بِـنَـا مِنْ غَيْرِ ذَحْلٍ فَرُبَّمَا نَفَعَا[5]
أَبْـكِـي عـلـى ذلـكَ الـزَّمَـانِ ولا أَحْسَبُ شَيْئاً قد فَاتَ مُرْتَجَعَا
إذ نَـحْـنُ فـي ظِـلِّ نِـعْـمَـةٍ سَـلَـفَـتْ كَـانَـتْ لَـهَـا كُـلُّ نِـعْـمَـةٍ تَـبَـعَـا

عَروضه من المنسرِح، غَنّت فيها عَرِيبُ خفيفَ رَمَلٍ عن الهشاميّ.

حَدّثنا محمد بن جرير الطبريّ والحَرَميّ بن أبي العَلاَء ووَكيع قالوا: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حَدّثني إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه قال: قَدِمَتِ المدينةَ امرأةٌ من ناحية مكّة من هُذَيْل، وكانت جميلة فخطبها النَّاس، وكادت تَذهبُ بعقول أكثرِهم، فقال فيها عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة: [الطويل]

أُحِبُّكِ حُبّاً لَوْ عَلِمْتِ بِبَعْضِهِ لَجُدْتِ ولم يَصْعُبْ عَلَيْكِ شَدِيدُ

(١) الرَّائث: البطيء.
(٢) العوذ: جمع العائذ؛ الحديثة النتاج من الإبل وغيرها. ونازح: بعيد.
(٣) الحيازيم: جمع الحيزوم: وسط الصدر.
(٤) داجاه مداجاةً: داراه وساتره العداوةَ.
(٥) الذَّحل: العداوة والحقد.

وحُبُّكِ يَا أُمَّ الصَّبِيِّ مُدَلِّهِي شَهِيدِي أبو بَكْرٍ وأَيُّ شَهِيدِ[1]
ويَعْلَمُ وَجْدِي القَاسِمُ بن مُحَمَّدٍ وعُرْوَةُ ما أَلْقَى بِكُمْ وسَعِيدُ
ويَعْلَمُ مَا أُخْفِي سُلَيْمَانُ عِلْمَهُ وخَارِجَةٌ يُبْدِي لَنَا ويُعِيدُ
مَتَى تَسْأَلِي عَمَّا أَقُولُ فَتُخْبَرِي فَلِلْحُبّ عِنْدِي طَارِفٌ وتَلِيدُ

فبلغت أبياتُه سعيدَ بن المُسَيَّب، فقال: والله لقد أمِنَ أن تسألنا وعلم أنّها لو استَشهدتْ بنا لم نشهدْ له بالباطل عندها.

وقال الزُّبير: أبو بكر الذي ذكر والنَّفَرُ المُسَمَّوْن معه: أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعُرْوة بن الزُّبير، وسَعيد بن المسيَّب، وسليمان بن يَسار، وخارجةُ بن زيد بن ثابت، وهم الفقهاء الّذين أخذَ عنهم أهلُ المدينة.

[شعره في عُثمة زوجته بعد أن طلّقها]

أخبرني وَكيع قال: حَدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات عن أحمد بن سَعيد الفِهْريّ عن إبراهيم بن المُنْذِر عن عبد الملك بن الماجِشُون أن أبيات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التي أوّلها: [الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بِعَثْمَةَ دَارُها لَقَدْ كِدْتُ مِنْ وَشْكِ الفِرَاقِ أَلِيحُ

قالها في زوجة له كانت تُسَمَّى عثْمةَ، فعتَب عليها في بعض الأمر فطلَّقها، وله فيها أشعار كثيرة، منها هذه الأبيات، ومنها قوله يذكر نَدَمَه على طلاقها:

[الطويل]

كَتَمْتَ الهَوَى حَتَّى أَضَرَّ بِكَ الكَتْمُ ولاَمَكَ أَقْوَامٌ ولَوْمُهُمْ ظُلْمُ

وأخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبير قال: قال لي عمّي: لَقِيَني عليّ بن صالح فأنشدني بيتاً وسألني مَنْ قائله؟ وهل فيه زيادة؟ فقلت: لا أدري، وقد قَدِمَ ابن أخي ـ أَعْنِيكَ ـ، وقلّما فاتني شيء إلاّ وجدتُه عنده. قال الزبير:

(١) في هذا البيت إقواء، والإقواء في الشعر: أن تختلف قوافيه برفع بيت وجَرّ آخر.

فأنشدني عمّي البيتَ وهو: [الطويل]

غُـرَابٌ وَظَـبْـيٌ أَعْـضَـبُ الـقَـرْنِ نَـادَيَـا ... بِـصُـرْمٍ وصِـرْدَانُ الـعَـشِـيِّ تَـصِـيـحُ[1]

فقلت له: قائله عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَة، وتمامها:

لَـعَـمْـرِي لَـئِـنْ شَـطَّـتْ بِـعَـثْـمَـةَ دَارُهـا ... لَـقَـدْ كِـدْتُ مِـنْ وَشْـكِ الـفِـرَاقِ أُلِـيـحُ

أَرُوحُ بِـهَـمٍّ ثُـمَّ أَغْـدُو بِـمِـثْـلِـهِ ... ويُـحْـسَـبُ أَنِّـي فـي الـثِّـيَـابِ صَـحِـيـحُ

فكتبهما عمّي عنّي وانصرف بهما إليه.

صوت

أَلاَ مَـنْ لِـنَـفْـسٍ لا تَـمُـوتُ فَـيَـنـقَـضِـي ... عَـنَـاهـا ولا تَـحْـيَـا حَـيَـاةً لـهـا طَـعْـمُ

أَأَتْـرُكُ إِتْـيَـانَ الـحَـبِـيـبِ تَـأَثُّـمـاً ... أَلاَ إِنَّ هِـجْـرَانَ الـحَـبِـيـبِ هُـوَ الإِثْـمُ

فَـذُقْ هَـجْـرَهَـا قَـدْ كُـنْـتَ تَـزْعُـمُ أَنَّـهُ ... رَشَـادٌ أَلاَ يَـا رُبَّـمـا كَـذَبَ الـزَّعْـمُ

عروضه من الطويل، غَنّى يونُس في هذه الأبيات الثلاثة لحناً ماخُوريّاً وهو خفيفُ الثقيلِ الثاني من رواية إسحاق ويونس وابن المكِّيّ وغيرِهم. وغَنَّتْ عَرِيبُ في:

أَأَتْـرُكُ إِتْـيَـانَ الـحَـبِـيـبِ تَـأَثُّـمـاً

لحناً من الثقيل الأوّل، وأضافت إليه بعدَه على الوِلاَءِ بيتين ليسا من هذا الشعر وهما: [الطويل]

وأَقْـبَـلُ أَقْـوَالَ الـوُشَـاةِ تَـجَـرُّمـاً ... أَلاَ إِنَّ أَقْـوَالَ الـوُشَـاةِ هِـيَ الـجُـرْمُ

وأَشْـتَـاقُ لِـي إِلْـفـاً عَـلَـى قُـرْبِ دَارِهِ ... لأَنَّ مُـلاقَـاةَ الـحَـبِـيـبِ هِـيَ الـغُـنْـمُ

ومِمّا قاله عبيد الله أيضاً في زوجته هذه وغُنِّي فيه:

صوت

عَـفَـتْ أَطْـلاَلُ عَـثْـمَـةَ بِـالـغَـمِـيـمِ ... فَـأَضْـحَـتْ وَهْـيَ مُـوحِـشَـةُ الـرُّسُـومِ[2]

---

(١) الأعضب القرن: المكسور القرن. والصُّرْم: القطيعة. والصُّردان: جمع الصّرد: طائر أبقع أبيض البطن يُتَشَاءَم به.

(٢) الغميم: موضع قرب المدينة (معجم البلدان ٤/ ٢١٤).

وقَـدْ كُـنَّـا نَـحُـلُّ بِـهَـا وفِـيـهَـا هَـضِـيـمُ الـكَـشْـحِ جَـائِـلَـةُ الـبَـرِيـم

عروضه من الوافر. عَفَتْ: درَست. والأطلال: ما شَخَصَ من آثار الدّيار. والرُّسُوم: ما لم يكن له شخص منها ولا ارتفاع وإنما هو أثر. والهضيمُ الكَشْحِ: الخَميص الحَشَى والبطن. والبَريم: الخَلْخال، وقيل: بل هو اسم لكلِّ ما يُلْبَسُ من الحُلِيّ في اليدين والرجلين. والجائل: ما يجول في موضعه لا يستقرّ. غَنّى في هذين البيتين قَفَا النَّجار، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثَّقِيل الأوّل بالخِنصر في مجرى البِنصر. وممّا قاله في زوجته عَثْمَةَ وفيها غناء:

صوت

[الوافر]

تَـغَـلْـغَـلَ حُـبُّ عَـثْـمَـةَ فـي فُـؤَادِي فَـبَـادِيـهِ مَـعَ الـخَـافِـي يَـسِـيـرُ
تَـغَـلْـغَـلَ حَـيْـثُ لـم يَـبْـلُـغْ شَـرَابٌ ولا حُـزْنٌ ولـم يَـبْـلُـغْ سُـرورُ
صَـدَعْـتِ الـقَـلْـبَ ثُـمَّ ذَرَرْتِ فِـيـهِ هَـوَاكِ فَـلِـيـمَ والْـتَـأَمَ الـفُـطُـورُ[1]
أَكَـادُ إذا ذَكَـرْتُ الـعَـهْـدَ مِـنْـهَـا أَطِـيـرُ لَـوَ انَّ إنْـسَـانـاً يَـطِـيـرُ
غَـنِـيُّ الـنَّـفْـسِ أَنْ أَزْدَادَ حُـبّـاً ولَـكِـنِّـي إلـى صِـلَـةٍ فَـقِـيـرُ
وأَنْـفَـذَ جَـارِحَـاكِ سَـوَادَ قَـلْـبِـي فَـأَنْـتِ عَـلَـيَّ مَـا عِـشْـنَـا أَمِـيـرُ[2]

لِمَعْبد في الأوّل والثاني من الأبيات هَزَجٌ بالبِنصر عن حَبَش، وذكر أحمد بن عبيد الله أنه منحولٌ من المَكّيّ، وفي الثالث ثم الثاني لأبي عيسى بن الرَّشيد رَمَلٌ.

قال ابن أبي الزِّنَاد في الخبر الذي تقدَّمَ ذِكرُه عن عُبَيد الله وما قاله من الشعر في عَثْمَةَ وغيرِها فقيل له: أتقول في مثل هذا؟! قال: في اللَّدُودِ راحةُ المَفْؤُودِ[3].

أخبرني وَكيع قال: حَدّثنا أحمد بن عبد الرحمٰن قال: حَدّثنا ابن وَهْب عن يعقوب يعني ابن عبد الرحمٰن عن أبيه قال: كان رجل يأتي عُبَيْدَ الله بن عبد الله ويجلس إليه، فبلغ عُبيدَ الله أنه يقع ببعض أصحاب رسول الله ﷺ. فجاءه الرَّجلُ فلم يلتفتْ إليه عبيد الله. وكان الرّجل شديدَ العقل، فقال له: يا أبا محمّد، إن لكَ لَشأناً، فإنْ رأيتَ لي عذراً فاقبل عذري. فقال له: أَتَتَّهِمُ اللَّهَ في عِلْمِهِ؟ قال: أعوذُ

(١) الفطور: الشقوق.
(٢) سواد القلب: حَبَّتُهُ.
(٣) اللّدود: ما يُصَبُّ بالمُسْعُطِ من الدواء في أحد شقّيّ الفم. والمفؤود: الذي يشتكي ألماً في فؤاده.

بالله. قال: أَتتَّهِمُ رسول الله ﷺ في حديثه؟ قال: أعوذ بالله. قال: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾(١) وأنت تقع في فلان وهو ممّن بايعَ، فهل بلغكَ أَنَّ اللَّهَ سَخِطَ عليه بعد رَضِيَ عنه؟! قال: واللّه لا أعودُ أبداً. قال: والرّجل عمر بن عبد العزيز.

[وفاته]

أخبرني وَكيع عن أحمد بن زُهَير عن يحيى بن مَعين قال: ماتَ عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُتْبة سنةَ اثنتين ومائة، ويقال سنةَ تسع وتسعين.

أخبرني محمد بن جرير الطبريّ والحسن بن عليّ عن الحارث عن ابن سعد عن مَعْن عن محمد بن هلال: أن عُبيد الله توفِّي بالمدينة سنةَ ثمانٍ وتسعين.

صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن

ومنها: **صوت** [البسيط]

وَدِّع هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وهَلْ تُطِيقُ وَداعاً أَيُّها الرَّجُلُ
غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُها ... تَمْشِي الهُوَيْنَى كَمَا يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ
تَسْمَعُ لِلحَلْيِ وَسْوَاساً إذا انْصَرَفَتْ ... كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ
عُلِّقْتُهَا عَرَضاً وعُلِّقَتْ رَجُلاً ... غَيْرِي وعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَها الرَّجُلُ
قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَها ... وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مِنْكَ يَا رجُلُ
لم تَمْشِ مِيلاً ولم تَرْكَبْ على جَمَلٍ ... ولم تَرَ الشَّمْسَ إلاَّ دُونَها الكِلَلُ
أَقُولُ لِلرَّكْبِ في دُرْنَى وقد ثَمِلُوا ... شِيمُوا وكيفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ(٢)
كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْماً لِيَفْلِقَها ... فلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ
أَبْلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةً ... أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تَنْفَكُّ تَأْتَكِلُ
إنْ تَرْكَبُوا فَرُكُوبُ الخَيْلِ عَادَتُنا ... أو تَنْزِلُونَ فَإنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ
وقَدْ غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِي ... شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ
فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ قد عَلِمُوا ... أنْ لَيسَ يَدْفَعُ عن ذِي الحِيلَةِ الحِيَلُ

---
(١) سورة الفتح: الآية ١٨.
(٢) دُرْنَى: من نواحي اليمامة (معجم البلدان ٢/٤٥٢).

نَازَعْتُهم قُضُبَ الرَّيْحَانِ مُتَّكِئاً وقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُها خَضِلُ

غَنَّى معبد في الأوّل والثاني في لحنه المذكور من مُدُنِ معبد لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق. وذكرت دَنَانيرُ أنَّ فيهما لابن سُرَيج أيضاً صنعةً، ولِمعبد أيضاً في الرابع والخامس والثالث ثقيلٌ أولُ، ذكره حَبَشٌ، وقيل: بل هو لحن ابن سريج، وذلك الصحيح، ولابن مُحْرِز في الثقيل في «إن تركبوا» وفي «كناطح صخرةً» ثاني ثقيلٍ مُطْلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق، ولِحُنَيْنٍ الحِيريّ في «أَبْلِغ يزيدَ بني شيبان» و«إن تركبوا» ثاني ثقيلٍ آخر. وذكر أحمد بن المَكِّيّ أن لابن مُحْرِز في «وَدِّعْ هريرةَ» و«تسمع للحَلْي» ثانيَ ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر، وفي «وقد غدوتُ» وما بعده رملٌ لابن سُرَيج ومُخارِق عن الهشامي، ولابن سريج في «تسمع للحلي» وقبله «ودِّع هُريرةَ» رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وللغَرِيض في «قالت هُريرةُ» و«عُلِّقتها عَرَضاً» رمل، وفي هذه الأبيات بعينها هَزَجٌ ينسب إليه أيضاً وإلى غيره، وفي «تسمع للحلي» و«قالت هُريرة» هزج لمحمد بن حسن بن مُصْعَب، وفي «لم تَمْشِ مِيلاً» و«أقول للركب» لابن سريج خفيف الثقيل الأوّل بالبنصر عن حَبَش، وفي «قالت هريرة» و«تسمع للحلي» لحن لابن سريج، وإنَّ لِحُنَيْن في البيتين الآخرين لحناً آخر، وقد مضت أخبار هريرة مع الأعشى في:

هُرَيْرةَ ودِّعها وإن لام لائمُ

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال: قلت لأعرابيّة: ما الغَرَّاءُ؟ قالت: الّتي بين حاجبيها بَلَجٌ وفي جبهتها اتِّسَاعٌ تتباعدُ قُصَّتُها معه عن حاجبيها فيكون بينهما نَفْنَف[١]. وقال أبو عُبيدة: الفَرْعاء: الكثيرةُ الشعر؛ والعوارض: الأسنان؛ والهُوَيْنَى: تصغير الهُونَى، والهونى: مؤنّث الأهون، والوَجي: الظّالع وهو الّذي قد حَفِيَ فليس يكاد يستقلُّ على رجله، والوَحِلُ: الّذي قدَ وقع في الوَحَل؛ والعِشرِقُ: نبتٌ يَبِسَ فتحرِّكه الرّيح؛ شبَّه صوتَ حَلْيها بصوته، الزَّجِلُ: المُصَوِّتُ، من العِشْرِق. وعُلِّقْتها: أحببتُها، وعَرَضاً: على غير موعدٍ. والوَعِلُ: التَّيْسُ الجبليّ، والجمع أوعال. مَأْلُكة: رسالة، والجمع مآلِك؛ ما تَنْفَكُّ: ما تزال؛ وتأتكلُ: تتحرّق؛ وقال أبو عُبيدة: الشّاوي: الّذي يشوي اللَّحْمَ.

(١) النفنف: المهوى بين الشيئين.

والنَّشُولُ: الّذي ينشُلُ اللّحمَ من القِدْر؛ ومِشَلٌّ: سَوَّاقٌ سريع يسوق به؛ وشُلْشُلٌ: خفيف؛ وشَوِلٌ: طيِّبُ الرِّيح.

[مناسبة الشعر]

الشّعر للأعشى وقد تقدّمَ نسبه وأخباره، يقول هذه القصيدة ليزيدَ بنِ مُسْهِر أبي ثابت الشَّيْباني. قال أبو عُبيدة: وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلاً من بني كعب بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثَعْلبة، يقال له ضُبَيْع، قتل رجلاً من بني هَمَّام يقال له زاهِر بن سَيّار بن أسعد بن هَمّام بن مُرَّة بن ذهل بن شَيْبان، وكان ضُبَيْع مطروقاً ضعيفَ العقل. فنهاهم يزيد بن مُسْهِر أن يقتلوا ضُبَيْعاً بزاهر وقال: اقتلوا به سيِّداً من بني سعد بن مالك بن ضُبَيعة، فَحَضَّ بني سَيَّار بن أسعد على ذلك وأمرهم به. وبلغ بني قيس ما قاله، فقال الأعشى هذه الكلمة يأمره أن يدعَ بني سَيَّار وبني كَعْب ولا يُعِينَ بني سَيَّار؛ فإنه إن أعانهم أعانت قبائلُ بني قيس بن كعب، وحَذَّرَهم أن تَلْقَى شَيْبانُ منهم مثلَ ما لَقُوا يوم العَيْن عَيْنِ مُحَلِّم بِهَجَر[1].

[يوم عين مُحَلّم]

قال أبو عُبيدة: وكان من حديث ذلك اليوم، كما زعم عمر بن هلال أحدُ بني سعد بن قيس بن ثعلبة، أنَّ يزيد بن مُسْهِر كان خالَع أَصْرَمَ بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة، وكان عوف أبو بني الأصرم يقال له الأَعْجَف والضَّيْعةُ له وهي قرية باليمامة. فلمّا خلعَ يزيدُ أصرمَ من ماله خالعه على أن يَرْهَنَهُ ابْنَيْه أَفْلَتَ وشِهاباً ابني أَصْرم، وأُمُّهما فُطيمة بنت شُرَحْبيل بن عَوْسَجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس، وأن يزيد قَمر أَصْرمَ فطلبَ أن يدفع إليه ابنيه رهينةً؛ فأبَتْ أُمّهما وأبي يزيدُ إلاّ أَخْذَهما. فنادت قومَها، فحضر الناسُ للحرب، فاشتملتْ فطيمة على ابنيها بثوبها، وفَكَّ قَوْمُها عنها وعنهما. فذلك قول الأعشى: [البسيط]

نحنُ الفَوارِسُ يَوْمَ العَيْنِ ضَاحِيَةً جَنْبَيْ فُطَيْمَةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ[2]

---

(١) عين مُحَلِّم: عين فوّارة بالبحرين كثيرة الماء (معجم البلدان ٤/ ١٧٩). وهَجَر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وسمِّيت عين هجر بهجر بنت المكفف وكانت من العرب المتعرّبة وزوجها هو محلّم بن عبد الله صاحب النهر الذي يقال له نهر محلّم وعين محلّم (معجم البلدان ٥/ ٣٩٣).

(٢) ضاحية: علانيةً. والمِيل: جمع الأميل: الذي لا يثبت في الحرب.

قال: فانهزمتْ بنو شَيْبان؛ فحذِرَ الأعشى أن يلقَى مُسْهِرٌ مثلَ تلك الحال.

قال أبو عُبيدة: وذكر عامر ومِسْمَعٌ عن قَتادةَ الفقيه أن رجلين من بني مَرْوانَ تنازعا في هذا الحديث، فجرَّدا رسولاً في ذلك إلى العراق حتى قَدِمَ إلى الكوفة فسأل فأُخْبِر أنّ فُطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني شَيْبان، وكانت له زوجة أُخرى من بني شيبان، فتعايَرتا فعمَدتِ الشَّيْبانيّة فحلَّت ذوائبَ فُطيمة، فاهتاجَ الحَيّانِ فاقتتلوا، فهُزِمَتْ بنو شَيْبانَ يومئذٍ.

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال: حَدّثنا أحمد بن محمد القَصير قال: حَدّثنا محمد بن صالح قال: حَدّثنا أبو اليَقْظان قال: حَدّثني جُوَيْرِيةُ عن يَشْكُر بن وائل اليَشْكُريّ، وكان من علماء بكر بن وائل ووُلِدَ أيام مُسَيْلِمةَ فجِيءَ به إليه فمسح على رأسه فعَمِيَ، قال جُويرية: فحَدّثني يَشْكُرُ هذا قال: حَدّثني جَرير بن عبد الله البَجَليّ قال: سافرت في الجاهليّة فأقبلتُ على بَعيري ليلةً أريد أن أسقِيه، فجعلت أريده على أن يتقدّمَ فوالله ما يتقدّمُ، فتقدّمت فدنوت من الماء وعَقَلته، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوَّهون عند الماء فقعدت. فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشدّ تشويهاً منهم فقالوا: هذا شاعرهم. فقالوا له: يا فلان أنشدْ هذا فإنه ضيف؛ فأنشد:

وَدِّعْ هُـرَيْـرَةَ إنَّ الـرَّكْـبَ مُـرْتَـحِـلُ

فلا والله ما خرَم منها بيتاً واحداً حتى انتهى إلى هذا البيت: [البسيط]

تَسمعُ لِلحَلْيِ وَسْواساً إذا انْصَرَفَتْ ... كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

فأعجبَ به. فقلت: من يقول هذه القصيدة؟ قال: أنا. قلت: لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثَعْلبة أنشَدَنِيها عامَ أوَّلَ بنَجْرانَ. قال: فإنك صادق، أنا الذي ألقيتُها على لسانه وأنا مِسْحَلٌ صاحبه، ما ضاع شعرُ شاعرٍ وضعه عند ميمون ابن قيس:

صوت

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو ... إلى الخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِاليَمِينِ

عَروضه من الوافر، الشعر لِلشَّماخ، والغِناء لمَعْبد خفيفُ الثقيلِ الأوّل بالوسطى. وذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه، وذكر ابن المكّيّ أن له فيه لحناً آخر من خفيف الثقيل، وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدّثني عمر بن شَبَّة عن محمد بن يحيى أبي غَسّان قال: غَنَّى أبو نؤي:

رَأَيْــتُ عَــرَابَــةَ الأَوْسِــيَّ يَـسْـمُــو   إلـى الـخَـيْـرَاتِ مُـنْـقَـطِـعَ الـقَـرِيـنِ

فنسبه النَّاسُ إلى مَعْبد، ولعلّه يعني اللَّحنَ الآخَر الّذي ذكره ابن المكيّ. وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات؛ أخبرني حَمَّاد عن ابن أبي جَناح قال: النّاسُ ينسبون هذا الصّوت إلى معبد.

ذكر الشَّمَّاخ ونسبه وخبره

[توفي ٢٢ هـ/ ٦٤٣ م]

[نسبه وإخوته وبعض أخبارهم]

هو، فيما ذكر لنا أبو خليفة عن محمد بن سلاَّم، الشَّمَّاخ بن ضِرَار بن سنَان بن أميّة بن عمر بن جحاش بن بَجَالة بن مازِن بن ثَعْلبة بن سعد بن ذُبْيان. وذكر الكوفيّون أنه الشَّمَّاخ بن ضِرار بن حَرْمَلة بن صَيْفيّ بن إياس بن عبد بن عثمان بن جِحَاش بن بَجَالة بن مازِن بن ثَعْلَبة بن سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان. وأمُّ الشَّمَّاخ أنْماريّة من بنات الخُرْشُب ويقال إنهنّ أنجبُ نساء العرب، واسمها مُعاذة بنت بُجَير بن خالد بن إياس. والشَّمَّاخ مُخَضْرَم مِمَّن أدرك الجاهليّة والإسلام، وقد قال لِلنّبيّ ﷺ: [الطويل]

تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أنّا كَأنَّنَا ... أَفَأْنَا بِأَنْمارٍ ثَعَالِبَ ذِي غِسْلِ[1]

يعني أَنْمارَ بن بغِيض وهم قومه، وهو أحد مَنْ هجا عشيرتَه وهجا أضيافَه ومَنَّ عليهم بالقِرَى. والشَّمَّاخ لقب واسمه مَعْقِل، وقيل الهَيْثم، والصحيح معقل. قال جَبَل بن جَوّال له في قصة كانت بينهما: [الطويل]

لَعَمْرِي لَعَلَّ الخَيْرَ لو تَعْلَمَانِهِ ... يَمُنُّ عَلينا مَعْقِلٌ ويَزِيدُ
مَنِيحةَ عَنْزٍ أو عَطَاءَ فَطِيمَةٍ ... أَلاَ إنَّ نَيْلَ الثَّعْلبِيِّ زَهِيدُ[2]

ولِلشَّمَّاخ أخوان من أُمّه وأبيه شاعران، أحدهما مُزَرِّد وهو مشهور، واسمه يزيد وإنّما سُمِّيَ مُزَرِّداً لقوله:

---

(١) ذو غِسْل: بين اليمامة والنباح كانت لبني كليب بن يربوع ثم صارت لبني نمير (معجم البلدان ٤/ ٢٠٤).

(٢) المنيحة: الناقة أو الشاة يأخذها الغير ليحتلبها ثم يردّها.

فَقُلْتُ تَزَرَّدْهَا عُبَيْدُ فَإِنَّنِي ... لِدُرْدِ الشُّيوخِ في السِّنِينَ مُزَرِّدُ[١]

والآخر جَزْء بن ضِرار، وهو الّذي يقول يرثي عمرَ بن الخطاب رَضِيَ الله عنه: [الطويل]

عليكَ سَلامٌ مِنْ أَمِيرٍ وبَارَكَتْ ... يَدُ اللّهِ في ذَاكَ الأَدِيمِ المُمَزَّقِ
فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبْ جَنَاحَيْ نَعَامَةٍ ... لِيُدْرِكَ ما حَاوَلْتَ بِالأَمْسِ يُسْبَقِ

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثنا شِهاب بن عَبّاد قال: حَدّثنا محمد بن بشر قال: حَدّثنا مِسْعَر عن عبد الملك بن عُمير عن الصَّقْر بن عبد الله عن عُرْوة عن عائشة قالت: ناحَتِ الجِنُّ على عمر قبل أن يُقْتَلَ بثلاثٍ فقالت: [الطويل]

أَبَعْدَ قَتِيلٍ بِالمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ ... له الأَرْضُ تَهْتَزُّ العِضَاهُ بِأَسْؤُقِ[٢]
جَزَى اللّهُ خَيْراً مِنْ إمَامٍ وبَارَكَتْ ... يَدُ اللّهِ في ذَاكَ الأَدِيمِ المُمَزَّقِ
فَمَنْ يَسْعَ أو يَرْكَبْ جَنَاحَيْ نَعَامَةٍ ... لِيُدْرِكَ ما حَاوَلْتَ بِالأَمْسِ يُسْبَقِ
قَضَيْتَ أُمُوراً ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا ... بَوَائِقَ في أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتَّقِ
ومَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ ... بِكَفَّيْ سَبَنْتَى أَزْرَقِ العَيْنِ مُطْرِقِ[٣]

أخبرني أحمد قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثنا سليمان بن داود الهاشميّ قال: أخبرني إبراهيم بن سعد الزّهْريّ عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أبي رَبيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصدِّيق أن عائشة حَدَّثَتْها أن عمرَ أَذِنَ لأزواج النّبيّ ﷺ أن يَحجُجْنَ في آخر حِجَّةٍ حَجَّها عمر. قال: فلمّا ارتحل عمر من المُحَصَّبِ[٤] أقبل رجل مُتَلَثِّمٌ فقال وأنا أسمع: هذا كان منزله، فأناخ في منزل عمر ثم رَفعَ عَقِيرَتَه يَتَغَنَّى: [الطويل]

عَلَيْكَ سَلامٌ مِنْ أَمِيرٍ وبَارَكَتْ ... يَدُ اللّهِ في ذَاكَ الأَدِيمِ المُمَزَّقِ
فَمَنْ يَجْرِ أو يَرْكَبْ جَنَاحَيْ نَعَامَةٍ ... لِيُدْرِكَ ما قَدَّمْتَ بِالأَمْسِ يُسْبَقِ
قَضَيْتَ أُمُوراً ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا ... بَوَائِقَ في أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتَّقِ

---

(١) تزرَّدَ اللقمةَ: بلعها وأسرعَ. والدُّردُ: جمع الأدرد: الذي لا أسنانَ له.
(٢) العِضاه: شجر يعظمُ وله شوك. والأسؤق: جمع الساق.
(٣) السَّبنتى: الجريء. وأزرق العين: يريد الأعجميّ. والمطرق: المسترخي العين.
(٤) المُحَصَّب: موضع رمي الجمار بمنًى. وهو موضع بين مكة ومنًى. (معجم البلدان ٥/ ٦٢).

قالت عائشة: فقلت لِبعض أهلي: اعْلَموا لي علمَ هذا الرجل، فذهبوا فلم يجدوا في مُناخِه أحداً. قالت عائشة: فواللّه إني لأَحسَبه من الجنّ. . فلمّا قُتل عمر نحلَ الناس هذه الأبيات لِلشَّمَّاخ بن ضِرار أو جَمَّاع بن ضِرار. هكذا في الخبر، وهو جَزْء بن ضرار.

[طبقته بين الشعراء، ورأي الشعراء والنّقاد فيه]

وجعل محمد بن سَلاَّم في الطّبقة الثالثة الشَّمَّاخ وقرَنَهُ بالنَّابغة ولَبيد وأبي ذُؤَيْب الهُذَليّ، ووصفه فقال: كان شديدَ متون الشّعر أشدَّ كلاماً من لبيد، وفيه كَزَازةٌ[1]، ولبيدُ أسهلُ منه منطقاً. أخبرنا بذلك أبو خَليفة عنه.

وقد قال الحُطيئة في وَصِيَّته: أَبْلِغوا الشَّمَّاخَ أنه أشعرُ غَطَفانَ، قد كُتِبَ ذلك في شعر الحطيئة.

وهو أوصفُ النَّاس لِلحَمِير أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حَدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ قال: أُنشِدَ الوليدُ بن عبد الملك شيئاً من شعر الشمّاخ في صفة الحمير فقال: ما أوصفه لها! إني لأَحْسَبُ أن أحدَ أبويه كان حَمَّاراً.

أخبرني إبراهيم بن عبد الله قال: حَدّثنا عبد الله بن مسلم قال: كان الشمّاخُ يهجو قومَه ويهجو ضيفَهُ ويَمُنُّ عليه بِقِرَاه، وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأَرْجَز النَّاس على البديهة.

[خبره مع أمّه وأخيه مزرّد، وبعض من أخباره الأُخرى]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حَدّثنا عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه قال: قال مزَرِّد لأُمّه: كان كعب بن زُهير لا يهابني وهو اليوم يهابني. فقالت: يا بُنَيَّ نَعَمْ! إنه يرى جَرْوَ الهرَاشِ مُوثَقاً ببابِكَ، تعني أخاه الشمَّاخ. وقد ذكر محمد بن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابيّ عن المفَضَّل قال: قالت قال مُعاذة بنت بُجَيْر بن خَلَف للشمّاخ ومُزَرِّد: عَرَّضْتُماني لشعراء العرب الحطيئةِ وكعب بن زُهَير. فقالا: كَلاّ! لا تخافي. قالت: فما يؤمِّنُني؟ قالا: إنك ربَطتِ بباب بيتك جَرْوَيْ هِراشٍ لا يجترىءُ أحدٌ عليهما. يعنيان أنفسَهما.

---

(١) الكزازة: التقبض واليبس.

أخبرني أبو خَليفة قال: حَدّثنا محمد بن سَلاّم قال: أخبرني شعيب بن صخر قال: كانت عند الشَّمَّاخ امرأةٌ من بني سُلَيم أحدِ بني حَرَام بن سِمَاك، فنازعَتْهُ وادَّعَتْهُ طلاقاً وحضرَ معها قومُها فاختصموا إلى كَثِير بن الصَّلْت ـ وكان عثمان بن عفّان أقعده للنظر بين الناس، وهو رجل من كِنْدة وعداده في بني جُمَح وقد ولدتهم بنو جمح، ثم تحوّلوا إلى بني العبَّاس فهم فيهم اليوم ـ فرأى كَثِيرٌ عليهم يميناً، فالتَوَى الشَّمَّاخُ بِاليمين يُحَرِّضُهم عليها، ثم حلف وقال: [الطويل]

أَتَتْنِي سُلَيْمٌ قَضُّهَا وقَضِيضُها ... تُمَسِّحُ حَوْلِي بِالبَقِيعِ سِبَالَها[1]
يقولونَ لي يَا احْلِفْ ولَسْتُ بِحَالِفٍ ... أُخَاتِلُهُمْ عَنْها لِكَيْمَا أَنالَها
فَفَرَّجْتُ هَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحَلْفَةٍ ... كَمَا شَقَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْها جِلاَلَها

أخبرني الحَرَميّ قال: حَدّثنا الزُّبير بن بَكَّار قال: قَدِمَ ناسٌ من بَهْزٍ المدينةَ يستَعْدُونَ على الشَّمّاخ وزعموا أنه هجاهم ونفاهم، فجحَدَ ذلك الشَّمّاخُ. فأمر عثمانُ كَثِيرَ بنَ الصَّلْت أن يستحلفه على مِنْبَر النبيّ ﷺ: ما هجاهم. فانطلق به كَثِيرٌ إلى المسجد ثم انتحاه دون بني بَهْز ـ وبهز: اسمه تَيْم بن سُلَيم بن منصور ـ فقال له: وَيْلَكَ يا شَمَّاخُ! إنَّكَ لَتَحْلِفُ على منبرِ رسول اللّه ﷺ، ومَنْ حلف به آثِماً يتبوَّأُ مقعدَه من النّار! قال: فكيف أفعل فداؤك أبي وأمّي؟! قال: إنّي سوفَ أُحَلِّفُكَ ما هَجَوْتَهم، فاقْلِبِ الكلامَ عَلَيَّ وعلى ناحيتي فقل: واللّه ما هجوتكم، فأرِدْني وناحيتي بذلك، وإنّي سأدفع عنك. فلمَّا وقفَ حلَفَ كما قال له وأقبل على كَثِيرٍ فقال: ما هجوتكم. فقالت بَهْز: ما عنَى غيرَكُم، فأَعِدِ اليمين عليه. فقال: ما لي أتأوّله! هل استحلفتُه إلاّ لكم! وما اليمين إلاّ مرّةٌ واحدةٌ! انْصرِفْ يا شَمَّاخ. فانصرف وهو يقول:

أَتَتْنِي سُلَيْمٌ قَضُّها وقَضِيضُها ... تُمَسِّحُ حَوْلِي بِالبَقِيعِ سِبَالَها
يقولونَ لي يا احْلِفْ ولَسْتُ بِحَالِفٍ ... أُخَادِعُهُمْ عَنْها لِكَيْمَا أَنالَها
فلولا كَثِيرٌ نَعَّمَ اللّهُ بالَهُ ... أَزَلَّتْ بِأَعْلَى حُجَّتَيْكَ نِعَالَها
فَفَرَّجْتُ هَمَّ المَوْتِ عَنِّي بِحَلْفَةٍ ... كَمَا شَقَّتِ الشَّقْراءُ عنها جِلاَلَها

---

(١) القَضّ: صغار الحصى وما تفتّت منها. والقضيض: ما تكسّر من الحصى ودقّ، ويقال: جاء القوم قضّهم وقضيضُهم: أي جميعهم. والبقيع: مقبرة أهل المدينة، وهو اسم لعدة مواقع ومنه بقيع الزبير وبقيع الخيل (معجم البلدان ١/ ٤٧٤). والسِّبال: جمع السَّبَلَة، ويقال: جاء وقد نشر سَبَلَته: أي متوعِّداً، وجَرَّ سَبَلته: أي ثيابه.

ونسختُ هذا الخبر على التّمام من كتاب يحيى بن حازم قال: حَدّثني عليّ بن صالح صاحب المصلَّى قال: قال القاسم بن مَعن: كان الشَّمَّاخ تزوّج امرأة من بني سُلَيم، فأساء إليها وضربها وكسَر يدها. فعرَضَت امرأةٌ من قومها، يقال لها أسماءُ، ذاتَ يوم للطريق تسأل عن صاحبتها. فاجتاز الشَّمَّاخ وهي لا تعرفه: فقالت له: ما فعل الخبيث شَمّاخ؟ فقال لها: وما تريدين منه؟ قالت: إنّه فعل بصاحبةٍ لنا كيت وكيت. فتجاهل عليها وقال: لا أعلم له خبراً، ومضى وتركها وهو يقول: [الطويل]

تُعَارِضُ أَسْمَاءُ الرِّفَاقَ عَشِيَّةً ... تُسَائِلُ عَنْ ضِغْنِ النِّسَاءِ النَّواكِحِ
وَمَاذَا عَلَيْهَا إنْ قَلُوصٌ تَمَرَّغَتْ ... بِعذلَيْنِ أَوْ أَلْقَتْهُما بالصَّحَاصِحِ[1]
فَإنَّكِ لو أُنكِحْتِ دَارَتْ بِكِ الرَّحَا ... وأَلْقَيْتِ رَحْلِي سَمْحَةً غيرَ طَامِحِ[2]
أَأَسْمَاءُ إنِّي قَدْ أَتَانِي مُخَبِّرٌ ... بِفيقَةَ يُنْبِي مَنْطِقاً غيرَ صَالِحِ[3]
بَعَجْتُ إليه البَطْنَ ثم انْتَصَحْتُهُ ... ومَا كُلُّ مَنْ يُفْشَى إليه بِنَاصِحِ
وإنّيَ مِنْ قَوم علَى أَنْ ذَمَمْتِهِمْ ... إذا أَوْلَمُوا لم يُولِمُوا بِالأَنَافِحِ[4]
وإنَّكِ مِنْ قَوْمٍ تَحِنُّ نِسَاؤُهُمْ ... إلى الجَانِبِ الأَقْصَى حَنِينَ المَنَائِحِ[5]

ثم دخل المدينةَ في بعض حوائجه، فتعلَّقَتْ به بنو سُلَيم يطلبونه بظُلامة صاحبتهم، فأنكر. فقالوا: احْلِفْ، فجعل يطلُب إليهم ويغلِّظ عليهم أمرَ اليمين وشدّتَها عليه لِيرضَوْا بها منه حتى رَضُوا، فحلَف لهم وقال: [الطويل]

ألاَ أَصْبَحَتْ عِرْسِي مِنَ البَيْتِ جَامِحاً ... بِغَيْرِ بَلاءٍ أَيُّ أَمْرٍ بَدا لَهَا
على خَيْرَةٍ كانَتْ أَم العِرْسُ جَامِحٌ ... فكيفَ وقد سُقْنَا إلى الحَيِّ ما لَها
سَتَرْجِعُ غَضْبَى رَثَّةَ الحَالِ عِنْدَنا ... كَمَا قَطَعَتْ مِنَّا بِلَيْلٍ وِصَالَها

فذكر بعد هذه الأبيات قولَه:

أَتَتْنِي سُلَيْم قَضُّها وقَضِيضُها

---

(١) القَلُوص: من الإبل: الشابة الفتيّة. والصحاصح: الأرض الجرداء المستوية.
(٢) دارت بك الرّحى: تغيّر حالُكِ. وسمحة: منقادة. وغير طامح: غير ملتفتة للرجال.
(٣) فيقة الضحى: أوّلها وارتفاعها وينبي: يُخبر.
(٤) الأنافح: جمع الإنفَحة: هي كرش الحمل والجدي إذا لم يؤكلا.
(٥) المنائح: جمع المنيحة: الناقة أو الشاة التي تُعار لتُحتَلَب.

إلى آخر الأبيات.

وقال ابن الكلبيّ: كان الشَّمَّاخ يَهْوَى امرأةً من قومه يقال لها كَلْبَةُ بنتُ جَوّال أختُ جَبَل بن جَوّال الشَّاعر ابن صَفْوان بن بِلال بن أَصْرَم بن إياس بن عبد تَميم بن جِحَاش بن بَجَالة بن مازِن بن ثَعْلَبة، وكان يتحَدّث إليها ويقول فيها الشعر؛ فخطَبها فأجابته وهَمَّتْ أن تتزوّجَه. ثم خرج إلى سفر له فتزوّجها أخوه جَزْءُ بن ضِرَار، فآلى الشَّمَّاخ ألاّ يُكَلِّمُه أبداً، وهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

[الطويل]

لَنَا صَاحِبٌ قَدْ خَانَ مِنْ أَجْلِ نَظْرَةٍ ... سَقِيمُ الفُؤَادِ حُبُّ كَلْبَةَ شَاغِلُهْ

فماتا متهاجِرَيْن.

[شعر الشمّاخ من أجود ما قالت العرب]

أخبرني أحمد بن عُبَيْد اللَّه بن عَمَّار قال: حَدّثني عبد الله بن أبي سعد الورّاق قال: حَدّثني أحمد بن محمد بن بكر الزُّبَيريّ قال: حَدّثنا الحسن بن موسى بن رَبَاح مولى الأنصار عن أبي غُزَيَّةَ الأنصاريّ قال: كنتُ على باب المهديّ يوماً، فخرج حاجبه فقال: أين ابن دَأب؟ فقال: هأنذا. فقال: ادخل؛ فدخل ثم خرج فجلس. فقلت: يابنَ دأب، ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين؟ قال: قال لي: أنشِدْني أبياتاً من أشعر ما قالت العرب؛ فأردتُ أن أُنشده قولَ صاحبك أبي صِرْمةَ الأنصاريّ التي يقول فيها: [الوافر]

لَنَا صُوَرٌ يَؤُولُ الحَقُّ فِيهَا ... وأَخْلاقٌ يَسُودُ بِهَا الفَقِيرُ
ونُصْحٌ لِلعَشِيرَةِ حَيْثُ كَانَتْ ... إذا مُلِئَتْ مِنَ الغِشِّ الصُّدورُ
وحِلْمٌ لا يَصُوبُ الجَهْلُ فيه ... وإطْعَامٌ إذا قَحِطَ الصَّبِيرُ[1]
بِذَاتِ يَدٍ على ما كانَ فيها ... نَجُودُ به قَلِيلٌ أو كَثِيرُ

فتركتُها وقلت: إن من أشعر ما قالت العرب قولَ الشَّمَّاخ: [الطويل]

وأَشْعَثَ قَدْ قَدَّ السِّفَارُ قَمِيصَهُ ... يَجُرُّ شِوَاءً بِالعَصَا غَيْرَ مُنْضَجِ[2]

---

(١) الصَّبير: السحاب الأبيض لا يكاد يمطر.

(٢) قَدَّ: قطع، والسِّفار: السفر.

دَعَوْتُ إلى ما نابَنِي فَأجَابَني كَرِيم مِنَ الفتيانِ غيرِ مُزَلَّجِ[١]
فتًى يملأُ الشِّيزَى ويُروِي سِنَانَهُ ويَضرِبُ في رَأسِ الكمِيِّ المُدَجَّجِ[٢]
فَتىً ليسَ بالرَّاضِي بأدْنَى مَعِيشَةٍ ولا في بُيوتِ الحَيِّ بالمُتَوَلِّجِ

فقال: أحسنتَ! ثم رفع رأسه إلى عبد الله بن مالك فقال: هذه صفتُك يا أبا العباس. فأكَبَّ عليه عبد الله فقبَّل رأسه وقال: ذكَركَ اللَّهُ بخير الذِّكْر يا أمير المؤمنين. قال أبو غُزَيَّة فقلت له: الأبياتُ التي تركتَ واللَّهِ أشعرُ من التي ذكرت.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: عَرَابَةُ الّذي عَناه الشَّمّاخ بمدحه هو أحد أصحاب النبيّ ﷺ وهو عرابة بن أَوْس بن قَيْظِيّ بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخَزْرَج. وإنما قال له الشَّمّاخ: عَرَابة الأَوْسيّ، وهو من الخَزْرَج، نسبةً إلى أبيه أوس بن قَيْظيّ، ولم يصنعْ إسحاقُ في هذا القول شيئاً. عَرَابة من الأَوْس لا من الخَزْرَج؛ وفي الأوس رجل يقال له الخَزْرَج ليس هذا هو الجدَّ الذي ينتهي إليه الخَزْرجيّون الذي هو أخو الأوس، هذا الخَزْرَج بن النَّبيت بن مالك بن الأَوْس، وهكذا نَسبه النسَّابون.

وأخبرني به الحَرَميّ بن أبي العَلاَء عن عبد الله بن جعفر بن مُصْعَب عن جدّه مصعَب الزُّبيريّ عن ابن القَدّاح: وأتى النبيّ ﷺ في غَزَاة أُحُد ليغزوَ معه؛ فردّه في غِلْمة استصغرهم، منهم: عبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأُسَيْد بن حُضَير والبَرَاءُ بن عازِب وعَرَابة بن أَوْس وأبو سعيد الخُدْريّ.

[قصة أبي عَرَابة وعمّه مع النبي ﷺ]

أخبرني بذلك محمد بن جرير الطّبريّ عن الحارث بن سعد عن الواقدِيّ عن محمد بن حُمَيد عن سلمَةَ عن ابن إسحاق: وأوس بن قَيْظِيّ أبو عَرَابة من المنافقين الذين شَهِدوا أُحُداً مع النبيّ ﷺ وهو الّذي قال له: إنْ بيوتنا عَوْرةٌ. وأخوه مِرْبَع بن قَيْظِيّ الأعمى الذي حَثَا في وجه رسول الله ﷺ الترابَ لمّا خرج إلى أُحُدٍ وقد مَرَّ في حائطه[٣] وقال له: إن كنتَ نبياً فما أُحِلُّ لكَ أن تدخلَ في حائطي. فضربه سعد بن

(١) المزلَّج: الملصَق بالقوم وليس منهم.
(٢) الشِّيزَى: شجر يؤخذ منه الخشب فتصنَع منه القدور والقصاع. والكَمِيّ: الشجاع أو لابس السلاح.
(٣) الحائط: البستان.

زيد الأَشْهَلي بقوسه فشَجَّهُ وقال: دَعْنِي يا رسولَ الله أَقْتُلْهُ فإنّه منافقٌ. فقالﷺ: «دَعُوه فإنه أعمى القلب أعمى البصر»[١]. فقال أخوه أَوْس بن قَيْظِيّ أبو عَرَابة: لا واللّه ولكنَّها عداوتُكم يا بني عبد الأَشْهَل. فقال رسول اللهﷺ: «لا والله ولكنه نِفاقُكم يا بني قَيْظِيّ».

[عَرَابة يُكرم الشمّاخ فيمدحه بشعره]

أخبرنا بذلك الحَرَميّ عن عبد الله بن جعفر الزُّبيريّ عن جدّه مُصْعَب عن ابن القَدّاح: أنَّ عَرابة كان سَيِّداً من سادات قومه وجواداً من أجوادهم، وكان أبوه أوس بن قَيْظِيّ من وجوه المنافقين.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدائنيّ عن ابن جُعْدُبة، وأخبرني عليّ بن سليمان عن محمد بن يَزيد، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم: أنَّ الشَّمَّاخ خرجَ يريد المدينة، فلَقِيَهُ عَرَابَةُ بن أوس فسأله عما أقدمه المدينةَ، فقال: أردت أن أَمْتارَ[٢] لأهلي. وكان معه بَعيران فأوقرهما له بُرّاً وتمراً وكساه وبَرَّه وأكرمه. فخرج عن المدينة وامتدحه بهذه القصيدة التي يقول فيها: [الوافر]

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الأَوْسِيَّ يَسْمُو ... إلى الخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ

أخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيديّ قال: حَدّثنا الرِّياشي قال: حَدّثنا الأصمعيّ قال: قال معاوية لعرابة بن أوس: بأيِّ شيء سُدْتَ قومَكَ؟ فقال: أعفو عن جاهِلِهم، وأُعطي سائلَهم، وأسعى في حاجاتهم، فمَنْ فعل كما أفعل فهو مثلي، ومَنْ قَصَّرَ عنه فأنا خيرٌ منه، ومَنْ زادَ فهو خيرٌ منّي. قال الأصمعيُّ: وقد انقرضَ عَقِبُ عرابة فلم يبقَ منهم أحدٌ.

أخبرني أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهَمْداني قال: قال يحيى بن الحسن بن جعفر بن عُبيد الله بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رَضِي الله عنه: قال ابنُ دَأْب وسمع قولَ الشَّمّاخ بن ضِرار في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رَضِيَ الله عنه:

---

(١) أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣: ٢٣٩.

(٢) يمتار: يأتي بالميرة أي الطعام.

إنَّـكَ يَـابْـنَ جَـعْـفَـرٍ نِـعْـمَ الـفَـتَـى ونِـــعْـــمَ مَـــأوَى طَـــارِقٍ إذا أَتَـــى
وجَـارُ ضَـيْـفٍ طَـرَقَ الـحَـيَّ سُـرَى صَـادَفَ زَاداً وحَـدِيـثـاً مَـا اشْـتَـهـى
إنَّ الـــحَـــدِيـــثَ طَـــرَفٌ مِـــنَ الـــقِـــرَى

فقال ابنُ دأب: العَجَبُ لِلشَّمَّاخ! يقول مثلَ هذا لابن جعفر ويقول لِعَرَابَة:

[الوافر]

إذا مَـا رَايَـةٌ رُفِـعَـتْ لِـمَـجْـدٍ تَـلَـقَّـاهـا عَـرَابَـةُ بِـالـيَـمِـيـنِ

ابن جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة!.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع قال: حَدّثني الكُرَانيُّ محمد بن سعد قال: حَدّثني طائع قال: أخبرني أبو عمرو الكيِّس قال: قال لي أبو نواس: ما أحسن الشَّماخ في قوله:

إذا بَـلَّـغْـتِـنـي وحَـمَـلْـتِ رَحْـلِـي عَـرابَـةَ فَـاشْـرَقِـي بِـدمِ الـوَتِـيـنِ(١)

لا كما قال الفرزدق: [الوافر]

عَـلامَ تَـلَـفَّـتِـيـنَ وأَنْـتِ تَـحْـتِـي وخَـيْـرُ الـنَّـاسِ كُـلُّـهِـمُ أَمَـامِـي
مَـتَـى تَـرِدي الـرُّصَـافَـةَ تَـسْـتَـرِيـحِـي مِـنَ الـتَّـهْـجِـيـر والـدَّبَـر الـدَّوَامـي(٢)

قلت أنا: وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داودُ بن سَلْم في مدحه قُثَم بن العباس فأحسن فقال: [السريع]

نَـجَـوْتِ مِـنْ حِـلِّـي ومِـنْ رِحْـلَـتِـي يَـا نَـاقُ إنْ أَدْنَـيْـتِـنِـي مِـنْ قُـثَـمْ
إنَّـــكِ إنْ أَدْنَـيْـتِ مِـــنْـــهُ غَـــداً حَـالَـفَـنَـا الـيُـسْـرُ ومَـاتَ الـعَـدَمْ
فِـــي كَـــفِّـــهِ بَـــحْـــرٌ وفـــي وَجْـــهِـــهِ بَـدْرٌ وفي الـعِـرْنِـيـنِ مِـنْـهُ شَـمَـمْ(٣)
أَصَـمُّ عَـنْ قِـيـلِ الـخَـنَـا سَـمْـعُـهُ ومَـا عَـنِ الـخَـيْـرِ بـه مِـنْ صَـمَـمْ
لَـم يَـدْرِ مـا «لاَ» و«بَـلَـى» قَـد دَرَى فَـعَـافَـهَـا واعْـتَـاضَ مِـنـهـا «نَـعَـمْ»

---

(١) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه.
(٢) التهجير: المشي في الهاجرة. والدَّبَر: جمع الدَّبَرَة: قرحة الدابّة تحدث من الرَّحْل ونحوه.
(٣) العرنين: الأنف.

[النذور وتحقيقُها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا الخَرّاز عن المَدائنيّ قال: أنشد عبدُ الملك قولَ الشَّمَّاخ في عَرابة بن أوس: [الوافر]

إذا بَلَّغتِني وحَمَلْتِ رَحْلي عَرابةَ فاشْرَقِي بِدمِ الوَتِينِ

فقال: بئست المكافأةُ كافأها! حملتْ رحلَهُ وبَلَّغتْه بُغْيَتَه فجعل مكافأتها نَحْرَها!.

قال الخَرّاز: ومثل هذا ما حَدَّثناه المدائنيُّ عن ابن دَأْب أن رجلاً لَقِيَ المُهَلَّبَ فنحر ناقته في وجهه؛ فتطيَّرَ من ذلك وقال له: ما قصّتك؟ فقال: [الكامل]

إنِّي نَذَرْتُ لَئِنْ لَقِيتُكَ سَالِماً أَنْ تَسْتَمِرَّ بِها شِفَارُ الجازِرِ

فقال المُهَلَّب: فأطعمونا من كَبِدِ هذه المظلومة، ووصَلَه.

قال المدائنيّ: ولَقِيته امرأةٌ من الأَزْد وقد قَدِمَ من حرب كان نهض إليها، فقالت: أيُّها الأمير، إنّي نذرتُ إن وافيتكَ سالماً أن أُقبِّلَ يدك وأصوم يوماً وتهبَ لي جارية صُغْديّة[1] وثلاثمائة درهم. فضحك المهلَّبُ وقال: قد وفَينا لكِ بنذرك فلا تعاودي مثله، فليس كلّ أحد يَفِي لكِ به.

وأخبرني الحسن قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثني بعض أصحابنا عن القَحْذَميّ: أن أبا دُلاَمة لَقِيَ المَهديَّ لمّا قدِمَ بغدادَ، فقال له:

[الكامل]

إنِّي نَذَرْتُ لَئِنْ رَأَيْتُكَ وَارداً أَرْضَ العِرَاقِ وأنتَ ذو وَفْرِ
لَتُصَلِّيَنَّ على النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ولَتَمْلأَنَّ دَرَاهِماً حِجْرِي

فقال له: أمّا النبيّ فصَلَّى الله على النّبيّ محمد وآلِه وسلَّم، وأمّا الدَّراهم فلا سبيل إليها. فقال له: أنتَ أكرمُ من أن تُعطِيَني أسهلَهما عليك وتمنعَني الأُخرى. فضحكَ وأمر له بما سأل. وهذا مما ليس يجري في هذا الباب ولكن يُذْكَرُ الشَّيء بمثله.

(١) صُغدية: نسبة إلى الصُغْد: وهما صُغدان، صُغد سمرقند وصغد بخارى، (معجم البلدان ٣/ ٤٠٩).

[شعر الشّمّاخ يُجْعَل أحاجي في مجالس الخلفاء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حَدّثنا مسعود بن عيسى العَبْديّ قال: حَدّثني أحمد بن طالب الكناني (كنانة تَغْلِب)، وأخبرني به محمد بن أحمد بن الطَّلاَّس عن الخَرَّاز عن المَدائنيّ لم يتجاوزه به قال: نَصبَ عبدُ الملك بن مروان الموائدَ يُطعمُ النَّاس؛ فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد، فنظر إليه خادمٌ لِعبد الملك فأنكره، فقال له: أَعِرَاقيٌّ أنتَ؟ قال: نعم. قال: أنت جاسوسٌ؟ قال: لا. قال: بَلَى. قال: وَيْحَكَ! دَعْنِي أَتَهنَّأُ بِزادِ أمير المؤمنين ولا تُنَغِّصْني به. ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال مَنِ القائل: [الوافر]

إذا الأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ خدودُ جَوازِىءٍ بِالرَّمْلِ عِينِ[1]

وما معناه؟ ومَنْ أجاب فيه أَجَزْناه، والخادم يسمع. فقال العراقيُّ للخادم: أتحبُّ أن أشرحَ لك قائله وفيم قاله؟ قال: نعم. قال: يقوله عَدِيّ بن زيد في صفة البِطِّيخ الرَّمْسِيّ. فقال ذلك الخادم. فضحك عبد الملك حتى سقط. فقال له الخادم: أخطأتُ أم أصبتُ؟ فقال: بل أخطأتَ. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا العراقيّ فعل الله به وفعل لَقَّنَنِيه. فقال: أيُّ الرِّجالِ هو؟ فأراه إياه. فعاد إليه عبد الملك وقال: أنتَ لقَّنْتَه هذا؟ قال: نعم. قال: أفخطأً لَقَّنْتَه أم صواباً؟ قال: بل خطأً. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّي كنت مُتَحَرِّماً بمائدتك فقال لي كيت وكيت، فأردتُ أن أَكُفَّهُ عَنِّي وأُضْحِكَك. قال: فكيف الصَّواب؟ قال: يقوله الشَّمَّاخ بن ضِرَار الغَطَفانيّ في صفة البقر الوحشيَّة قد جَزَأَتْ بِالرُّطْبِ عن الماء. قال: صَدَقْتَ وأجازه. ثم قال له: حاجَتَكَ؟ قال: تُنَحِّي هذا عن بابك فإنّه يَشِينُهُ.

أخبرني الحَرَميُّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليُّ أن أبا عُبيدة حَدَّثه عن غير واحد من أهل المدينة أن يزيد بن عبد الملك لمّا قَدِمَ عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم. فأقبل إليه كُثَيِّر يرجو أكثر من ذلك، وكان قد عَوَّده مَنْ كان قبلَ يزيدَ من الخلفاء أن يُلْقِيَ عليهم

---

(١) الأرطى: شجر من أشجار البادية تُدبَغ به الجلود. وتوسّد: اتخذه كالوسادة. والأبردان: الظّلّ والفيء، وهما أيضاً الغداة والعشيّ. والجوازىء: البقر، والعِين: الواسعات العيون وهي من صفات البقر.

بيوتَ الشّعر ويسألَهم عن المعاني. فألقى على يزيدَ بيتاً وقال: يا أمير المؤمنين، ما يَعْني الشمَّاخُ بقوله: [الوافر]

فَـمَـا أَرْوَى وإنْ كَـرُمَـتْ عَـلَـيْـنَـا بِـأَدْنَـى مِـنْ مُـوَقَّـفَـةٍ حَـرُونِ[(١)]
تُـطِـيفُ عـلـى الـرُّمَـاةِ فَـتَـتَّـقِـيـهِـمْ بِـأَوْعَـالٍ مُـعَـطَّـفَـةِ الـقُـرونِ

فقال يزيد: وما يضرُّ يا مَاصَّ بَظْر أُمِّه ألاَّ يعلمَ أمير المؤمنين هذا! وإن احتاج إلى علمه سأل عبداً مثلَك عنه!. فنَدِمَ كُثَيِّر وسَكّنه مَنْ حضر من أهل بيته، وقالوا له: إنّه قد عَوَّدَه مَنْ كان قبلك من الخلفاء أن يُلقي عليه أشباهَ هذا، وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه؛ فطَفِئَ عنه غضبُه. وكانت جائزته ثلاثين ألفاً، وكان يطمع في أكثر من جائزة الأحوص.

وأخبرنا أبو خَليفة بهذا الخبر عن محمّد بن سَلاَّم فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشَّمَّاخ: [الوافر]

وقـد عَـرِقَـتْ مَـغَـابِـنُـهـا وجَـادَتْ بِـدِرَّتِـهـا قِـرَى حَـجِـنٍ قَـتِـيـنِ[(٢)]

فسكت عنه يزيد، فقال يزيد: وما على أمير المؤمنين لا أُمَّ لك ألاّ يعرفَ هذا! هو القُرَادُ أشبهُ الدَّوَابِّ بك!.

نسخت من كتاب يحيى بن حازم حَدّثنا عليّ بن صالح صاحب المُصَلَّى قال: حَدّثنا ابن دَأْب قال: قال معاوية لِعبدِ الله بن الزّبير وهو عنده بالمدينة في أناس: يابنَ الزُّبَير، ألاَ تَعْذِرني في حسن بن عليّ! ما رأيتُه مُذْ قَدِمتُ المدينةَ إلاّ مرَّةً. قال: دَعْ عنك حسناً، فأنت والله وهو كما قال الشمّاخ: [الطويل]

أُجَـامِـلُ أَقْـوَامـاً حَـيَـاءً وقَـدْ أَرَى صُـدورَهُـمُ تَـغْـلِـي عَـلَـيَّ مِـرَاضُـهـا

والله لو يشاء حسنٌ أن يضربكَ بمائة ألف سيف ضربك! والله لأَهْلُ العراق

(١) المُوَقَّفَة: أنثى الوعول (الأروية) التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل، والوقف: الخلخال، والتوقيف: البياض مع السواد، والحرون: التي تحرن في أعلى الجبل ولا تتحرّك. وأروى: اسم محبوبته.

(٢) المغابن: جمع المَغْبِن: كلُّ مطوّى من الجسد، الإبط أو غيره. والحَجِن: القُرَاد والقُرَّاد: جمع قُرْدَة وقُرَادة: دويبة تتعلّق بالبعير ونحوه وهي كالقمل للإنسان. والقتين: مثله.

أَزْأَمُ له من أمِّ الحُوارِ لِحُوارِها. فقال معاوية رحمه الله: أردتَ أن تُغريَني به! والله لأصلَنَّ رَحِمَهُ ولأُقْبِلَنَّ عليه، وقال: [الطويل]

أَلاَ أَيُّهـا الـمَـرْءُ الـمُـحَـرِّشُ بَيْنَنَـا ... أَلاَ اقْـتُـلْ أَخَـاكَ لَـسْـتُ قَـاتِـلَ أَرْبَـدِ
أَبَـى قُـرْبُـهُ مِـنِّـي وحُـسْـنُ بَـلاَئِـهِ ... وعِلْمِي بِمَا يَأتي به الدَّهْرُ في غَدِ

ـ والشّعر لِعُرْوَة بن قَيْس ـ فقال ابن الزُّبَير: أَمَا واللّهِ إنِّي وإيَّاه لَيَدٌ عليك بِحِلْفِ الفُضُول[1]. فقال معاوية: مَنْ أنتَ! لا أُعرِضُ لكَ وحِلْفَ الفُضول! والله ما كنتَ فيها إلاّ كَالرَّهِينة تُثْخَنُ معنا وتَرْدَى هَزِيلاً، كما قال أخو هَمْدَان: [الطويل]

إذا مـا بَـعِـيـرٌ قَـامَ عَـلَّـقَ رَحْـلَـهُ ... وإنْ هُـوَ أَبْـقَـى بِـالـحَـيَـاةِ مُـقَـطَّـعَـا

صوت من مُدُن معبد

وهو الّذي أوّله:

كَـم بِـذَاكَ الـحَـجُـون مِـنْ حَـيٍّ صِـدْقِ

أَسْـعِـدَانِـي بِـعَـبْـرَةٍ أَسْـرَابِ ... مِـنْ شُـؤُونٍ كَـثِـيـرَةِ الـتَّـسْـكَـابِ
إنَّ أَهْـلَ الـحِـصَـابِ قَـدْ تَـرَكُـونِـي ... مُـوزَعـاً مُـولَـعـاً بِـأَهْـلِ الـحِـصَـابِ[2]
كَـمْ بِـذَاكَ الـحَـجُـونِ مِـنْ حَـيٍّ صِـدْقٍ ... وكُـهُـولٍ أَعِـفَّـةٍ وشَـبَـابِ
سَـكَـنُـوا الـجِـزْعَ جِـزْعَ بـيـتِ أبـي مُـو ... سَى إلى النَّخْلِ مِنْ صُفِيِّ السِّبَابِ
فَـارَقُـونِـي وقـد عَـلِـمْـتُ يَـقِـيـنـاً ... مَـا لِـمَـنْ ذَاقَ مِـيـتَـةً مِـنْ إِيَـابِ
فَـلِـيَ الـوَيْـلُ بَـعْـدَهُـمْ وعَـلَـيْـهِـمْ ... صِـرْتُ فَـرْداً ومَـلَّـنِـي أَصْـحَـابِـي

عَروضه من الخفيف. الشُّؤون: الشُّعَب التي يتداخل بعضُها في بعض من عظام الرَّأس، واحدها شأن مهموزاً، والجِزْع: مُنْعَطَف الوادي؛ وصُفِيُّ السِّباب: جمع صَفَاة وهي الحجارة، ولُقِّبَتْ صُفِيّ السِّباب لأنَّ قوماً من قريش ومواليهم كانوا يخرجون إليها بِالعَشِيَّات يتشاتمون ويذكرون المعايبَ والمثالبَ التي يُرمَوْن

(١) حِلف الفُضُول: هو أن هاشماً وزُهرةَ وتَيْماً دخلوا على عبد الله بن جُدْعان فتحالفوا بينهم على دفع الظُّلم وأخذِ الحقِّ من الظَّالم، وسُمِّي بذلك لأنهم تحالفوا أن لا يتركوا عند أحدٍ فضلاً لِظلمُه أحداً إلا أخذوه له منه. وقيل: سُمِّي كذلك لأنه قام به رجالٌ من جُرْهُم كلّهم يُسمّي الفضل. راجع الروض الانف للسهيلي، والمضاف والمنسوب للثعالبي والمعارف لابن قتيبة.

(٢) الحِصاب: موضع رمي الجمار بمِنى. (معجم البلدان ٢/ ٢٦٢).

بها؛ فسُمِّيَتْ تلك الحجارةُ صُفِيَّ السِّباب.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عليّ بن محمد النَّوْفَليّ عن أبيه قال يقال: صَفَا السِّبَاب وصُفِيّ السِّبَاب بفتح الفاء وكسرها جميعاً، وهو شِعْبٌ من شِعاب مكة فيها صَفاً أي صخرٌ مطروح. وكانت قريش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشاتمون وذلك في الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال؛ ثم صار ذلك في صدرِ الإسلام أيضاً حتى نشأ سُديف مولى عُتبة بن أبي سُدَيْف وشَبِيبٌ مولى بني أُمَيّة، فكان هذا يخرج في موالي بني هاشم وهذا في موالي بني أُميّة، فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف، وكان يقال لهم السُّدَيفِيّة والشَّبِيبيَّة، وكان أهل مكّة مقتسَمين بينهما في العصبيّة؛ ثم درسَ ذلك فصارت العصبيّة بمكة بين الجزّارين والحنّاطين، فهي بينهم إلى اليوم، وكذلك بالمدينة في القِمار وغيره.

الشّعر لِكَثِير بن كَثِير بن المطّلِب بن أبي وَدَاعة السَّهْمِيّ، وقيل: بل هو لِكُثَيِّر عَزَّة، وقد رُوِيَ في ذلك خبر نذكره، والغناء لمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه ثقيلاً أوّل بالخِنصر للغَريض ولحناً آخر لابن عَبَّاد ولم يُجَنِّسْهُ، ولابن جامع في الخامس والسادس رَمَلٌ بالوسطى، ولابن سُرَيج في الأربعة الأُوَل ثقيلٌ أوّل بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، ولابن أبي دُبَاكِل الخُزَاعيّ فيها ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وأبي أيّوبَ المَدنيّ وحَبَش، فمَنْ روى هذا الشّعر لِكُثَيّر عزّة يرويه:

إنَّ أهلَ الخضاب قد تركوني

ويزعم أن كُثَيِّراً قاله في خِضاب خَضَبتْه عَزَّةُ به.

[ابن عائشة يغنّي بشعر لكثير عزّة]

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبَّة ولم يتجاوزه، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: حَدّثني الزُّبَيريّ قال: حَدّثني بهذا الخبر أيضاً وفيه زيادة وخبرُه أحسن وأكثر تلخيصاً وأدحل[1] في معنى الكتاب، قال الزُّبَيريُّ: حَدّثني أبي قال: خرجت إلى ناحية

(١) أدحل: أوسع.

فَيْد[١] مُتَنَزِّهاً، فرأيت ابن عائشة يمشي بين رجلين من آل الزُّبَيْر وإحدى يديه على يد هذا والأُخرى على يد هذا، وهو يمشي بينهما كأنه امرأة تُجْلَى على زوجها. فلَمَّا رأيتهم دنوتُ فسَلَّمتُ وكنت أحدثَ القوم سِنّاً، فاشتهيتُ غِناء ابن عائشة فلم أدْرِ كيف أصنعُ، وكان ابن عائشة إذا هَيَّجْتَهُ تَحرَّكَ. فقلت: رَحِمَ الله كُثَيِّراً وعَزّة! ما كان أوفاهما وأكرمَهما وأصْوَنَهما لأنْفُسِهما! لقد ذكرتُ بهذه الأودية التي نحن فيها خبر عَزّة حين خَضَبَتْ كُثَيِّراً. فقال ابن عائشة: وكيف كان حديث ذلك؟ قلت: حَدّثني مَنْ حضره بذلك ـ ومِن هاهنا تتفق رواية عمر بن شَبَّة والزُّبَيريّ ـ قال: خرج كثيِّر يريد عَزّة وهي منتجعة بالصَّوَارِي وهي الأودية بناحية فَدَك[٢]، فلمّا كان منها قريباً وعلم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابياً فقال له: اذهبْ إلى ذلك الماء فإنَّكَ ترى امرأةً جسيمةً لَحِيمةً تُبالِطُ الرِّجالَ الشِّعْرَ ـ قال إسحاق: المبالَطَة: أن تُنْشِدَ أوّلَ الشِّعْر وآخِرَه ـ فإذا رأيتَها فنَادِ: مَنْ رأى الجملَ الأحمر؟ مِرَاراً. ففعل. فقالت له: وَيْحَكَ قد أسمعْتَ فانْصَرِفْ، فانصرف إليه فأخبره. فلم يلبَثْ أن أقبلَتْ جاريةٌ معها طَسْتٌ وتَوْرٌ[٣] وقِربة ماء حتى انتهتْ إليه، ثم جاءت بعد ذلك عَزَّةُ فرأته جالساً محتبياً قريباً من ذراع راحلته. فقالت له: ما على هذا فارقْتُكَ!. فركبَ راحلتَه وهي باركةٌ وقامت إلى لِحْيته فأخذت التَّوْرَ فخضَبتْه وهو على ظهر جمله حتى فرغَتْ من خِضابِه، ثم نزل فجعلا يتحدَّثانِ حتى عَلِقَ الخِضابُ، ثم قامَتْ إليه فغسلت لِحيتَه ودهَنَتْه، ثم قام فركب وقال:

إنَّ أهْـلَ الـخِـضَـابِ قَـدْ تَـرَكُـونِـي مُـوزعـاً مُـولـعـاً بِـأَهْـلِ الـخِـضَـابِ

وذكر باقيَ الأبيات كلّها؛ وإلى هاهنا رواية عمر بن شَبّة. فقال ابن عائشة: فأنا والله أُغَنِّيه وأُجِيدُه، فهل لكم في ذلك؟ فقلنا: وهل لنا عنه مَدْفَعٌ! فاندفع يُغَنِّي بالأبيات، فخُيِّلَ إليّ أن الأودية تنطقُ معه حسناً. فلمّا رجعنا إلى المدينة قصصتُ القِصّةَ، فقيل لي: إن ذلك أحسن صوت يغنّيه ابن عائشة؟ فقلت: لا أدري إلاّ أني سمعت شيئاً وافق محبّتي.

(١) فَيْد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة (معجم البلدان ٤/ ٢٨٢).
(٢) فَدَك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان (معجم البلدان ٤/ ٢٣٨).
(٣) التَّوْر: إناءٌ صغير.

[معبد وسريج يغنيان في مكّة فيبكي أهلُها لتأثرهم]

وقال عبد الله بن أبي سعد: حَدَّثني عبد الله بن الصَّبّاح عن هشام بن محمّد عن أبيه قال: زار معبدٌ ابنَ سُريج والغَرِيضَ بمكة؛ فخرجا به إلى التَّنْعيم[1] ثم صاروا إلى الثَّنِيَّة العُلْيا ثم قالوا: تعالَوْا حتى نُبْكِيَ أهلَ مكَّة؛ فاندفع ابن سُرَيج فغَنَّى صوتَه في شعر كَثِير بن كَثِير السَّهْمِيّ:

أَسْـعِـدِيـنِـي بِـعَـبْـرَةٍ أَسْـرَابِ مِـنْ دُمُـوعٍ كَـثِـيـرَةِ الـتَّـسْـكَـابِ

فأخذ أهلُ مكَّة في البكاء وأَنُّوا حتى سُمِعَ أنينُهم. ثم غَنَّى معبد:

صوت

[الكامل]

يَـا رَاكِـبـاً نَـحْـوَ الـمَـدِيـنَـةِ جَـسْـرَةً أُجُـداً تُـلاَعِـبُ حَـلْـقَـةً وزِمَـامَـا[2]
اقْـرَأْ عـلـى أَهْـلِ الـبَـقِـيـعِ مِـنِ امْـرِئٍ كَـمِـدٍ عـلـى أَهْـلِ الـبـقـيـعِ سَـلاَمَـا
كـم غَـيَّـبُـوا فـيـه كَـرِيـمـاً مَـاجِـداً شَـهْـمـاً ومُـقْـتَـبِـلَ الـشَّـبَـابِ غُـلاَمَـا
ونَـفِـيـسَـةً فـي أَهْـلِـهَـا مَـرْجُـوَّةً جَـمَـعَـتْ صَـبَـاحَـةَ صُـورَةٍ وتَـمَـامَـا

فنادَوْا من الدّروب بالويل والحَرَب والسَّلَب، وبَقِيَ الغَريض لا يقدِرُ من البكاء والصُّراخ أن يُغَنّي.

الشّعر لعمر بن أبي رَبيعة، والغِناء لمَعْبد ثقيل أوّل بالوسطى، وذكر عمرو بن بانة أنه ليحيى المكي، وقد غَلِطَ، وذكر حبش أن لعَلّويه فيه ثقيلاً أوّل آخر.

ومن مُدُن معبد:

صوت

وقد أُضيف إليه غيره من القصيدة[3]:

سَلِي هل قَلاَنِي مِنْ عَشِيرٍ صَحِبْتُهُ وَهَـلْ ذَمَّ رَحْـلِـي فـي الـرِّفَـاقِ رَفِـيـقُ

---

(١) التنعيم: موضع بمكة، منه يحرم المكيّون بالعمرة وسُمِّي بذلك لأن جبلاً عن يمينه يقال له نعيم وآخر عن شماله يقال له ناعم والوادي نعمان (معجم البلدان ٢/٤٩).

(٢) الجسرة: الضخمة. والناقة الأُجُد: القوية.

(٣) القصيدة في الأمالي ٢: ٢٥٧ وقد نسبها إلى مضرّس بن قرط بن الحارث المزني.

وهل يَجْتَوي القَوْمُ الكِرَامُ صِحَابَتِي ... إذا اغْبَرَّ مَخْشِيُّ الفِجَاجِ عَمِيقُ
ولو تَعْلَمِينَ الغَيْبَ أَيْقَنْتِ أَنَّنِي ... لكم، والهَدَايا المُشْعَرَاتِ، صَدِيقُ
تَكَادُ بِلادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَعْمَرِ ... بِمَا رَحُبَتْ يَوْماً عَلَيَّ تَضِيقُ
أَذُودُ سَوَامَ الطَّرْفِ عَنْكِ وهَلْ لها ... إلى أَحَدٍ إلاَّ إليكِ طَرِيقُ
وحَدَّثْتَنِي يَا قَلْبُ أَنَّكَ صَابِرٌ ... على البَيْنِ مِنْ لُبْنَى فسوفَ تَذُوقُ
فَمُتْ كَمَداً أو عِشْ سَقِيماً فَإِنَّما ... تُكَلِّفُنِي ما لا أراكَ تُطِيقُ
بِلُبْنَى أُنَادَى عِنْدَ أَوَّلِ غَشْيَةٍ ... ولو كُنْتُ بينَ العَائِدَاتِ أُفِيقُ
إذا ذُكِرَتْ لُبْنَى تَجَلَّتْكَ زَفْرَةٌ ... ويَثْنِي لكَ الدَّاعِي بِها فتُفِيقُ

عروضه من الطويل، الشعر لقيس بن ذَرِيح، والغناء لمَعْبد في اللحن المذكور ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق في الأول والثاني والثالث، وذكر في موضع آخر وافقتْه دَنَانيرُ أن لمعبد ثقيلاً أوّل بالبنصر في مجرى الوسطى أوّله:

صوت

[الطويل]

أَتَجْمَعُ قَلْباً بِالعِراقِ فَرِيقُهُ ... ومِنْهُ بِأَطْلالِ الأَرَاكِ فَرِيقُ
فكيفَ بِها لا الدَّارُ جَامِعةُ النَّوَى ... ولا أنتَ يَوْماً عن هَوَاكَ تُفِيقُ
ولو تعلمينَ الغَيْبَ أَيْقَنْتِ أَنَّنِي ... لكم، والهدايا المُشْعَراتِ، صَدِيقُ

البيتان الأوّلان يُرْويان لجرير وغيره، والثالث لقيس بن ذَرِيح أضافه إليهما مَعْبد. وذكر عمرو ويونس أن لحن معبد الأوّل في خمسة أبيات أُولَى من الشعر، وذكر عمرو بن بانة أنّ لبَذل الكبيرة خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى في الرابع من الأبيات وبعده: [الطويل]

دَعَوْنَ الهوى ثمَّ ارتَمَيْنَ قُلُوبَنا ... بِأَعْيُنِ أَعْدَاءٍ وهُنَّ صَدِيقُ

وبعده الخامس من الأبيات وهو «أَذُود سَوَامَ الطَّرْف»، وزعم حَبَشٌ أن في لحن معبدٍ الثاني الذي أوّله: «أتجمع قلباً» لابن سُرَيج خفيفَ رملٍ بالبنصر، وذكر أيضاً أن للغَرِيض في الأوّل والثاني والسابع ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر، ولابن مِسْجَح خفيف رملٍ بالبنصر. وفي السادس وما بعده لحَكَم الواديّ ثقيلٌ أوّل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر حَبَش أن للغرِيض فيها ثقيلاً أوّل بالوسطى.

ذكر قيس بن ذَرِيح ونسبه وأخباره

[توفي ٦٨ هـ/٦٨٨ م]

[نسبه]

هو، فيما ذكر الكلبيّ والقَحْذَمِيّ وغيرهما، قيس بن ذَريح بن سُنَّة بن حُذَافة بن طَريف بن عُتْوارةَ بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مَنَاةَ وهو عليّ بن كنانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكة بن الياس بن مُضَر بن نِزار. وذكر أبو شُرَاعة القَيْسِيّ أنه قيس بن ذَريح بن الحُبَاب بن سُنَّة؛ وسائر النسب مُتَّفق، واحتجَّ بقول قيس:

[الطويل]

فَإنْ يَكُ تَهْيَامِي بِلُبْنَى غَوَايَةً فَقَدْ يَا ذَرِيحُ بنَ الحُبَابِ غَوَيْتُ[1]

وذكر القَحْذَمِيّ أنّ أمّه بنتُ سُنّة بن الذاهِل بن عامر الخُزَاعيّ، وهذا هو الصحيح؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سُنّة شاعر، وهو الذي يقول: [الخفيف]

ضَرَبُوا الفِيلَ بِالمُغَمَّسِ حَتّى ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّه مَحْمُومُ[2]

وفيه يقول قيس: [البسيط]

أُنبِئتُ أَنَّ لِخَالِي هَجْمَةً حُبُساً كَأَنَّهُنَّ بِجَنْبِ المَشْعَرِ النُّصُلُ[3]

قد كُنْتَ فِيمَا مَضَى تُجَاوِرنا لا نَاقَةٌ لَكَ تَرْعَاهَا ولا جَمَلُ

---

(١) الغَواية: الضلال والانقياد للهوى والهلاك.

(٢) المغمَّس: موضع قرب مكة في طريق الطائف (معجم البلدان ٥/ ١٦١).

(٣) الهجمة من الإبل: ما بين الأربعين أو السبعين إلى المائة. والحُبُسُ: جمع حبوس وحبيس: كلّ شيء وَقَفَهُ صاحبه لوجه الله حيواناً كان أم أرضاً أم داراً يُحبس أصلُه وتُسَبَّل غَلَّتُه أي تُجعل في سبيل الله. والنُّصُل: جمع النصيل: وهو حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحدّدة، وهو يشبه به رأس البعير إذا رجف في سيره.

مـا ضَـرَّ خَـالِـيَ عَـمْـراً لـو تَـقَـسَّـمَـهـا بَعْضُ الحِياضِ وجَمُّ البِئْرِ مُحْتَفِلُ[(١)]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثني محمد بن موسى بن حَمّاد قال: حَدَّثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال: حَدّثني جَزْء بن قَطَن قال: حَدّثنا جَسّاس بن محمد بن عمرو أحدُ بني الحارث بن كعب عن محمد بن أبي السَّرِيّ عن هشام بن الكَلْبيّ قال: حَدّثني عدد من الكنانيّين: أن قيس بن ذَرِيح كان رضيعَ الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما، أرضعتْه أُمّ قَيْس.

[حُبُّه للُبنى وزواجه بها]

أخبرني بخبر قيس ولُبْنَى امرأتِه جماعةٌ من مشايخنا في قِصَص مُتَّصلة ومنقطعة وأخبار منثورة ومنظومةٍ، فألَّفْتُ ذلك أجمعَ لِيتَّسقَ حديثُه إلاّ ما جاء مفرداً وعَسُر إخراجُه عن جملة النظم فذكرته على حِدَة. فممّن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة ولم يتجاوزه إلى غيره، وإبراهيم بن محمد بن أيُّوب عن ابن قتيبة، والحسنُ بن عليّ عن محمد بن موسى بن حَمّاد البَرْبريّ عن أحمد بن القاسم بن يوسف عن جَزْء بن قَطَن عن جَسّاس بن محمد عن محمد بن أبي السَّرِيّ عن هشام بن الكَلْبيّ وعلى روايته أكثر المعوَّل. ونسختُ أيضاً من أخباره المنظومة أشياء ذكرها القَحْذَمِيّ عن رجاله، وخالدُ بن كُلثوم عن نفسه ومَنْ روى عنه، وخالدُ بن جَمَل ونُتفاً حكاها اليوسفيّ صاحبُ الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حَمّاد عن جميل عن ابن أبي جَنَاح الكَعْبيّ؛ وحكيتُ كلَّ مُتَّفِقٍ فيه متّصلاً، وكلّ مختلِفٍ في معانيه منسوباً إلى راويه: قالوا جميعاً: كان منزل قومه في ظاهر المدينة، وكان هو وأبوه من حاضِرة المدينة. وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسَرِف[(٢)]؛ واحتجّ بقوله: [البسيط]

الـحَـمْـدُ لِـلّـهِ قَـدْ أَمْـسَـتْ مُـجَـاوِرَةً أَهْـلَ الـعَـقـيـقِ وأَمْـسَـيْـنـا عـلـى سَـرِفِ

قالوا: فمرّ قيسٌ لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خُزَاعة، فوقف على خَيْمة منها والحيّ خُلُوف[(٣)] والخيمةُ خيمة لُبْنَى بنت الحُبَاب الكَعْبيّة، فاستسقَى ماءً،

(١) جَمُّ البئر: معظمه. ومحتفل: ملآن.
(٢) سَرِف: موضع على ستة أميال من مكّة (معجم البلدان ٣/ ٢١٢).
(٣) خلوف: غُيَّب.

فسقَتْه وخرجتْ إليه به، وكانت امرأةً مَديدةَ القامةِ شَهْلاءَ[1] حُلْوةَ المنظر والكلام. فلمّا رآها وقعَتْ في نفسه، وشرب الماء. فقالت له: أتنزل فتتبرَّد عندنا؟ قال: نعم. فنزل بهم. وجاء أبوها فنحر له وأكرمه، فانصرف قيس وفي قلبه من لُبْنَى حَرٌّ لا يَطْفَأ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوِيَ. ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتدّ وَجْدُهُ بها، فسلّمَ فظهرتْ له وردّت سلامَه وتحفَّتْ به؛ فشكا إليها ما يَجِدُ بها وما يَلْقَى من حبّها، وشكَتْ إليه مثل ذلك فأطالَتْ، وعرف كلٌّ واحد منهما ما له عند صاحبه، فانصرف إلى أبيه وأعلمه حالَه وسأله أن يزوّجه إياها. فأبى عليه وقال: يا بنيّ، عليك بإحدى بناتِ عمّك فهنّ أحقُّ بك. وكان ذَرِيحٌ كثير المال موسِراً، فأحبَّ ألاّ يخرج ابنه إلى غريبة. فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به، فأتى أُمَّه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه، فلم يجدْ عندها ما يحبُّ. فأتى الحسينَ بن عليّ بن أبي طالب وابنَ أبي عتيق فشكا إليهما ما به وما ردّ عليه أبوه، فقال له الحسين: أنا أَكْفيكَ. فمشى معه إلى أبي لُبْنَى، فلمَّا بَصُرَ به أعظمه ووثَبَ إليه، وقال له: يا بنَ رسول الله، ما جاء بك؟ ألاَ بعثتَ إليّ فأتيتُكَ! قال: إنَّ الَّذي جِئتُ فيه يُوجبُ قصدَكَ وقد جئتكَ خاطباً ابنتَكَ لُبنى لِقيس بن ذَرِيح. فقال: يا بنَ رسول الله، ما كنّا لِنَعْصِيَ لكَ أمراً وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أَحَبُّ الأمرِ إلينا أن يخطُبها ذَرِيحٌ أبوه علينا وأن يكون ذلك عن أمره، فإنّا نخاف إن لم يَسْعَ أبوه في هذا أن يكون عاراً وسُبَّةً علينا. فأتى الحسينُ رَضِيَ اللّه عنه ذَرِيحاً وقومَه وهم مجتمعون، فقاموا إليه إعظاماً له وقالوا له مثل قول الخُزَاعِيّين. فقال لِذَرِيح: أقسمتُ عليكَ إلاَّ خطبتَ لُبْنَى لابنكَ قيس. قال: السَّمعَ والطَّاعةَ لأمرك. فخرج معه في وجوه من قومه حتى أَتَوْا لُبْنَى فخطبها ذَرِيحٌ على ابنه إلى أبيها فزوّجه إيّاها، وزفت إليه بعد ذلك. فأقامت معه مدّة لا يُنكر أحدٌ من صاحبه شيئاً. وكان أبرَّ الناس بأُمّه، فألهتْه لُبْنَى وعكوفُه عليها عن بعض ذلك، فوجَدَتْ أُمُّه في نفسها وقالت: لقد شغلَتْ هذه المرأةُ ابني عن بِرّي؛ ولم تَرَ للكلام في ذلك موضعاً حتى مرِضَ مرضاً شديداً، فلمَّا بَرَأ من عِلَّتِه قالت أمّه لأبيه: لقد خَشِيتُ أن يموت قيسٌ وما يتركُ خَلَفاً وقد حُرِمَ الولدَ من هذه المرأة، وأنت ذو مال فيصيرُ مالك إلى الكَلاَلة[2]، فزوِّجه بغيرِها لعلَّ اللّه أن يرزقَه ولداً، وألَحَّتْ عليه في ذلك. فأمهلَ

---

(١) والعيون الشهلاء: التي يخالط سوادها زرقة.

(٢) الكَلالة: مَن لا ولد له ولا والد، ومن القرابة: ما خلا الوالد والولد سُمّوا كلالة لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب، وأيضاً الرجل من العشيرة إذا لم يكن قريباً ملاصقاً.

قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال: يا قيس، إنك اعتللتَ هذه العلّةَ فخِفْتُ عليك ولا ولدَ لكَ ولا لي سواك. وهذه المرأة ليست بِوَلُود؛ فتزوّجْ إحدى بناتِ عَمِّكَ لعلّ اللّه أن يَهَبَ لك ولداً تَقَرُّ به عينُك وأعينُنا. فقال قيس: لستُ متزوِّجاً غيرها أبداً. فقال له أبوه: فإنَّ في مالي سَعَةً فتَسَرَّ بالإماء. قال: ولا أسوؤها بشيءٍ أبداً واللّه. قال أبوه: فإنّي أُقسِمُ عليك إلاّ طَلَّقْتَها، فأبى وقال: الموتُ واللّه عَلَيَّ أسهل من ذلك، ولكنّي أُخَيِّرُكَ خَصْلةً من ثلاث خصال. قال: وما هي؟ قال: تتزوّجُ أنتَ فلعلَّ اللّه أن يرزُقَكَ ولداً غيري. قال: فما فِيَّ فَضْلة لذلك. قال: فدَعْنِي أرتحلْ عنك بأهلي واصنَعْ ما كنتَ صانعاً لو متُّ في عِلّتي هذه. قال: ولا هذه. قال: فأَدَعُ لُبْنَى عندك وأرتحِلُ عنك فلَعَلّي أسلوها فإنّي ما أُحبُّ بعد أن تكون نفسي طيّبة أنها في خيالي. قال: لا أرضَى أو تطلِّقَها، وحلَفَ لا يَكُنُّه سقفُ بيت أبداً حتى يُطَلِّقَ لُبْنَى، فكان يخرج فَيقِفُ في حَرِّ الشّمس، ويَجيءُ قيسٌ فيقف إلى جانبه فيُظِلّه بردائه ويَصْلَى هو بِحَرِّ الشّمس حتى يَفِيءَ الفيءُ فينصرفَ عنه، ويدخل إلى لُبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له: يا قيس، لا تُطِعْ أباكَ فتَهلِكَ وتُهْلِكَني. فيقول: ما كنت لأُطيعَ أحداً فيكِ أبداً. فيقال: إنه مكث كذلك سنةً. وقال خالد بن كُلثوم: ذكر ابنُ عائشة أنه أقام على ذلك أربعينَ يوماً ثم طَلّقها. وهذا ليس بصحيح.

[طلاقٌ فنَدَمٌ]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: حَدّثني أحمد بن زُهير قال: حَدّثني يحيى بن معين قال: حَدّثنا عبد الرزّاق قال: أخبرنا ابن جُرَيْج قال: أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو: أنه سمع قيس بن ذَرِيح يقول لزيد بن سليمان: هَجرني أبواي في لُبْنَى عشرَ سنين أستأذِنُ عليهما فيردّاني حتى طَلَّقْتُها. قال ابن جُرَيج: وأُخْبِرْتُ أن عبد الله بن صَفْوان الطويل لَقِيَ ذَرِيحاً أبا قيس فقال له: ما حمَلكَ على أن فرَّقْتَ بينهما؟ أمَا عَلِمْتَ أن عمر بن الخطاب قال: ما أُبالي أفرقتُ بينهما أو مشيتُ إليهما بالسّيف. وروَى هذا الحديثَ إبراهيم بن يَسَار الرَّمَاديّ عن سُفْيان بن عُيَينة عن عمرو بن دينار قال: قال الحسين بن عليّ رضي اللّه عنهما لِذَرِيح بن سُنّة أبي قيس: أَحَلَّ لكَ أن فَرَّقْتَ بين قيس ولُبنى؟! أما إني سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما أُبالي أَفَرَّقْتُ بين الرّجل وامرأته أو مشيتُ إليهما بالسيف. قالوا: فلمّا بانت لُبنى بطلاقه إيّاها وفُرِغَ من الكلام، لم يلبَثْ حتى

استُطِيرَ عقلُه وذُهِبَ به ولحقه مثلُ الجنون. وتذكَّر لُبنى وحالَها معه فأسِفَ وجعلَ يبكي ويَنْشِج أحرَّ نَشيج. وبلغها الخبرُ فأرسلتْ إلى أبيها ليحتملها، وقيل: بل أقامت حتى انقضت عدّتها وقيسٌ يدخل عليها. فأقبل أبوها بِهَوْدَجٍ على ناقة وبإبل تحملُ أثاثها. فلمَّا رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال: وَيْحَكِ! ما دهاني فيكم؟ فقالت: لا تسألني وسَلْ لُبْنَى. فذهب لِيُلِمَّ بخبائِها فيسألَها، فمنعه قومُها. فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له: ما لك وَيْحَكَ تسألُ كأنَّكَ جاهلٌ أو تتجاهلُ! هذه لُبْنَى ترتحلُ اللَّيلةَ أو غداً. فسقط مغشيّاً عليه لا يَعْقِلُ ثم أفاق وهو يقول:

[الطويل]

وإنِّي لَمُفْنٍ دَمْعَ عَيْنِيَ بِالبُكَا حِذَارَ الَّذي قد كانَ أو هو كائِنُ
وقَالُوا غَداً أو بَعْدَ ذاكَ بِلَيْلَةٍ فِرَاقُ حَبِيبٍ لم يَبِنْ وهو بَائِنُ
وما كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي بِكَفَّيْكِ إلاَّ أَنَّ مَا حَانَ حَائِنُ

في هذه الأبيات غِناء ولها أخبار قد ذُكرت في أخبار المجنون قال: وقال قيس:

[الطويل]

يَقولونَ لُبْنَى فِتْنَةٌ كُنتَ قَبْلَها بِخَيْرٍ فلا تَنْدَمْ عَلَيها وَطَلِّقِ
فَطَاوَعْتُ أَعْدَائِي وعَاصَيْتُ نَاصِحِي وأَقْرَرْتُ عَيْنَ الشَّامِتِ المُتَخَلِّقِ
وَدِدْتُ، وبَيْتِ اللَّهِ، أنِّي عَصَيْتُهُمْ وحُمِّلْتُ في رِضْوَانِها كُلَّ مُوبِقِ(١)
وكُلِّفْتُ خَوْضَ البَحْرِ والبَحْرُ زَاخِرٌ أَبِيتُ على أَثْبَاجِ مَوْجٍ مُغَرِّقِ(٢)
كَأنِّي أَرَى النَّاسَ المُحِبِّينَ بَعْدَها عُصَارَةَ مَاءِ الحَنْظَلِ المُتَفَلِّقِ
فَتُنْكِرُ عَيْنِي بَعْدَها كُلَّ مَنْظَرٍ ويَكْرَهُ سَمْعِي بَعْدَها كُلَّ مَنْطِقِ

قال: وسقط غرابٌ قريباً منه فجعل يَنْعَقُ مراراً، فتطيَّرَ منه وقال: [الوافر]

لَقَدْ نَادَى الغُرَابُ بِبَيْنِ لُبْنَى فطَارَ القَلْبُ مِنْ حَذَرِ الغُرَابِ
وقَالَ غَداً تَبَاعَدُ دَارُ لُبْنَى وتَنْأَى بَعْدَ وُدٍّ واقْتِرَابِ
فَقُلْتُ: تَعِسْتَ وَيْحَكَ مِنْ غُرَابٍ وكَانَ الدَّهْرَ سَعْيُكَ في تَبَابِ(٣)

وقال أيضاً وقد منعه قومه من الإلمام بها:

---

(١) الموبق: المهلك.
(٢) الأثباج: جمع الثَّبَج: معظم الشيء وأعلاه.
(٣) التّباب: الخسارة والهلاك.

صوت

[الطويل]

أَلاَ يَا غُرَابَ البَيْنِ وَيْحَكَ نَبِّنِي ... بِعِلْمِكَ في لُبْنَى وأَنتَ خَبِيرُ
فَإِنْ أَنتَ لَمْ تُخْبِرْ بِمَا قد عَلِمْتَهُ ... فَلا طِرْتَ إِلاَّ والجَنَاحُ كَسِيرُ
ودُرْتَ بِأَعْدَاءٍ حَبِيبُكَ فِيهِمُ ... كَمَا قد تَرَانِي بِالحَبِيبِ أَدُورُ

غَنَّى سليمانُ أخو حَجَبَةَ رملاً بالوسطى.

قالوا: وقال أيضاً وقد أُدخِلَتْ هودَجها ورحلتْ وهي تَبكي ويتبعُها:

صوت

[الطويل]

أَلاَ يَا غُرَابَ البَيْنِ هل أَنتَ مُخْبِرِي ... بِخَيْرٍ كَمَا خَبَّرْتَ بِالنَّأْيِ والشَّرِّ
وقُلْتَ كَذَاكَ الدَّهْرُ ما زالَ فَاجِعاً ... صَدَقْتَ وهل شَيءٌ بِبَاقٍ على الدَّهْرِ

غَنَّى فيهما ابن جامع ثانيَ ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ، وذكر حَبَش أنّ لقَفَا النجّار فيهما ثقيلاً أوّل بالوسطى قالوا: فلمّا ارتحل قومُها مَلِيّاً، ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها، فوقف ينظر إليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فكَرَّ راجعاً ونظر إلى أثر خُفِّ بعيرها فأكَبَّ عليه يُقَبِّله ورجعَ يُقَبِّلُ موضعَ مجلسها وأَثَرَ قَدَمِها. فلِيمَ على ذلك وعَنَّفَه قومُه على تَقْبيلِ التراب؛ فقال:

[الوافر]

ومَا أَحْبَبْتُ أَرْضَكُمُ ولَكِنْ ... أُقَبِّلُ إِثْرَ مَنْ وَطِىءَ التُّرَابَا
لَقَدْ لاَقَيْتُ مِنْ كَلَفِي بِلُبْنَى ... بَلاَءً مَا أُسِيغُ بِهِ الشَّرَابَا
إذا نَادَى المُنَادِي بِاسْمِ لُبْنَى ... عَيِيتُ فَمَا أُطِيقُ لَهُ جَوَابَا

وقال وقد نظر إلى آثارها:

صوت

[الوافر]

أَلا يَا رَبْعَ لُبْنَى ما تَقُولُ ... أَبِنْ لي اليَوْمَ ما فَعَلَ الحُلُولُ
فلَو أَنَّ الدِّيَارَ تُجِيبُ صَبّاً ... لَرَدَّ جَوَابِيَ الرَّبْعُ المُحِيلُ
ولَوْ أَنِّي قَدَرْتُ غَدَاةَ قَالَتْ ... غَدَرْتَ ومَاءُ مُقْلَتِهَا يَسِيلُ
نَحَرْتُ النَّفسَ حِينَ سَمِعْتُ مِنها ... مَقَالَتَها وذَاكَ لَهَا قَلِيلُ
شَفَيْتُ غَلِيلَ نَفسي مِنْ فِعَالِي ... ولَمْ أَغْبُرْ بِلا عَقْلٍ أَجُولُ

غَنَّى فيه حسين بن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ من روايتي بَذْل وقُرَيض. وتمام هذه الأبيات:

كَـأَنِّـي وَالِـهٌ بِـفِـراقِ لُـبْـنَـى ... تَـهِـيـمُ بِـفَـقْـدِ وَاجِـدِهَـا ثَـكُـولُ
أَلاَ يَـا قَـلْـبُ وَيْـحَـكَ كُـنْ جَـلِـيـداً ... فَـقَـدْ رَحَـلَـتْ وفَـاتَ بِـهـا الـذَّمِـيـلُ[١]
فَـإِنَّـكَ لا تُـطِـيـقُ رُجُـوعَ لُـبْـنَـى ... إذا رَحَـلَـتْ وإنْ كَـثُـرَ الـعَـوِيـلُ
وكَـمْ قَـدْ عِـشْـتَ كَـمْ بِـالـقُـرْبِ مـنـهـا ... ولَـكِـنَّ الـفِـرَاقَ هُـوَ الـسَّـبِـيـلُ
فَـصَـبْـراً كُـلُّ مُـؤْتَـلِـفَـيْـنِ يَـومـاً ... مِـنَ الأَيَّـامِ عَـيْـشُـهُـمَـا يَـزُولُ

قال: فلما جنَّ عليه اللَّيلُ وانفردَ وأَوَى إلى مضجعه لم يأخذه القرارُ وجعل يتململ فيه تململ السّليم[٢]، ثم وثَب حتى أتى موضعَ خِبائها، فجعل يتمرَّغ فيه ويبكي ويقول:

صوت

[الخفيف]

بِـتُّ والـهَـمُّ يَـا لُـبَـيْـنَـى ضَـجِـيـعِـي ... وجَـرَتْ مُـذْ نَـأَيْـتِ عَـنِّـي دُمُـوعِـي
وتَـنَـفَّـسْـتُ إذْ ذَكَـرْتُـكِ حَـتَّـى ... زَالَـتِ الـيَـوْمَ عـن فُـؤَادِي ضُـلُـوعِـي
أَتَـنَـاسَـاكِ كَـيْ يُـرِيـغَ فُـؤَادِي ... ثُـمَّ يَـشْـتَـدُّ عِـنْـدَ ذَاكَ وَلُـوعِـي[٣]
يَـا لُـبَـيْـنَـى فَـدَتْـكِ نَـفْـسِـي وأَهْـلِـي ... هَـلْ لِـدَهْـرٍ مَـضَـى لـنـا مِـنْ رُجُـوعِ

غَنّت في البيتين الأوّلين شارِيَةُ خفيفَ رملٍ بالوسطَى، وغَنّى فيهما حسين بن مُحْرِز ثانيَ ثقيل، هكذا ذكر الهشاميّ؛ وقد قيل إنه لهاشم بن سليمان.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: قال الزُّبَير بن بَكّار: حَدّثني عبد الجبّار بن سعيد المُسَاحِقيّ عن محمد بن مَعْن الغِفَاريّ عن أبيه عن عجوز لهم يقال لها حَمّادةُ بنت أبي مُسافِر قالت: جاورت آلَ ذَرِيح بقَطيع لي فيه الرَّائِمة وذات البَوّ والحائلُ والمُتْبع[٤]. قالت: فكان قيسُ بن ذَرِيح إلى شَرَفٍ في ذلك القطيع

(١) الذَّميل: ضرب من سير الإبل وهو السير اللّيّن.
(٢) السليم: اللّديغ أو الجريح المشرف على الهلاك.
(٣) يريغ: يحيد.
(٤) الرَّائمة: العاطفة على غير ولدها، والبَوّ: ولد الناقة، والحائل: الناقة التي لا تحمل. والمُتْبِع: التي يتبعها ولدها.

ينظر إلى ما يَلْقَينَ فيتعجَّبُ. فقلّما لَبِثَ حتى عزمَ عليه أبوه بطلاق لُبْنَى فكاد يموتُ، ثم آلَى أبوه لَئِنْ أقامَتْ لا يُساكِنُ قيساً. فظعَنَتْ فقال: [الطويل]

أَيَا كَبِداً طَارَتْ صُدُوعاً نَوَافِذاً ... ويَا حَسْرَتَا مَاذَا تَغَلْغَلَ في القَلْبِ
فَأُقْسِمُ ما عُمْشُ العُيونِ شَوَارِفٌ ... رَوَائِمُ بَوٌّ حَائِمَاتٌ على سَقْبِ(١)
تَشَمَّمْنَهُ لو يَسْتَطِعْنَ ارْتَشَفْنَهُ ... إذا سُفْنَهُ يَزْدَدْنَ نَكْباً على نَكْبِ(٢)
رَئِمْنَ فَمَا تَنْحَاشُ مِنْهُنَّ شَارِفٌ ... وحَالَفْنَ حَبْساً في المُحُولِ وفي الجَدْبِ
بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ وَلَّتْ حُمُولُها ... وقَدْ طَلَعَتْ أُولَى الرِّكابِ مِنَ النَّقْبِ
وكُلُّ مُلِمَّاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُها ... سِوَى فُرْقَةِ الأَحبابِ هَيِّنَةَ الخَطْبِ

أخبرني عمّي قال: حَدّثني الكُرَانيّ قال: سَمعتُ ابن عائشةَ يقول: قال إسحاق بن الفَضْل الهاشميّ: لم يقل النَّاسُ في هذا المعنى مثل قول قَيْس بن ذَرِيح:

وكُلُّ مُصِيباتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُها ... سِوَى فُرْقَةِ الأَحبابِ هَيِّنَةَ الخَطْبِ

قال: وقال ابن النطّاح قال أبو دِعَامةَ: خرج قيسٌ في فِتْية من قومه واعتلَّ على أبيه بالصَّيد، فأتى بلادَ لُبْنَى، فجعل يتوقَّعُ أن يراها أو يرى مَنْ يُرسِل إليها. فاشتغل الفتيانُ بالصيد؛ فلمّا قَضَوْا وَطَرَهم منه رجعوا إليه وهو واقفٌ، فقالوا له: قد عرفنا ما أردتَ بإخراجنا معك وأنك لم تُرِدِ الصّيدَ وإنّما أردتَ لقاءَ لبنى، وقد تعذَّرَ عليك فانصرِف الآن. فقال: [الطويل]

ومَا حَائِمَاتٌ حُمْنَ يَوْماً ولَيْلَةً ... على المَاءِ يَغْشَيْنَ العَصِيَّ حَوَانِ(٣)
عَوَافِيَ لا يَصْدُرْنَ عنه لِوُجْهَةٍ ... ولا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الحِيَاضِ دَوَانِ(٤)
يَرَيْنَ حَبَابَ المَاءِ والمَوْتُ دُونَهُ ... فَهُنَّ لأَصْوَاتِ السُّقَاةِ رَوَانِ(٥)
بِأَجْهَدَ مِنِّي حَرَّ شَوْقٍ ولَوْعَةٍ ... عَلَيْكِ ولَكِنَّ العَدُوَّ عَدَانِي
خَلِيلَيَّ إنِّي مَيِّتٌ أوْ مُكَلِّمٌ ... لُبَيْنَى بِسِرِّي فَامْضِيَا وذَرَانِي(٦)

---

(١) السَّقْب: ولد الناقة.
(٢) سافه: شَمَّهُ. والنَّكْبُ: داء يصيب الإبل في مناكبها فتمشي منحرفة.
(٣) الحائمات: جمع الحائمة: العَطْشى.
(٤) العوافي: جمع العافية: التي تَرِدُ الماءَ. لا يصدرن: لا يرجعن.
(٥) حَباب الماء: الفقاقيع التي تعلوه.
(٦) ذراني: اتركاني.

أَنَلْ حَاجَتِي وَحْدِي ويَا رُبَّ حَاجَةٍ قَضَيْتُ على هَوْلٍ وخَوْفِ جَنَانِ
فَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ ألاَّ تُجَاوِزَا وتَطَّرِحَا مَنْ لَوْ يشاءُ شَفَانِي
ومَنْ قَادَنِي لِلمَوْتِ حَتَّى إذا صَفَتْ مَشَارِبُهُ السُّمَّ الذُّعَافَ سَقَانِي[١]

قال: فأقاموا معه حتى لَقِيَها، فقالت له: يا هذا، إنَّكَ متعرِّضٌ لِنفسك وفاضِحي. فقال لها:

صَدَعْتِ القَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتِ فِيهِ هَوَاكِ فَلِيمَ فَالْتَأَمَ الفُطُورُ[٢]
تَغَلْغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ ولا حُزْنٌ ولَمْ يَبْلُغْ سُرورُ

وقال القَحْذَمِيّ: حَدّثني أبو الوَرْدانِ قال: حَدّثني أبي قال: أَنْشدتُ أبا السّائب المَخْزوميّ قولَ قيس: [الوافر]

صَدَعْتِ القَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتِ فيه هَوَاكِ فَلِيمَ فَالْتَأَمَ الفُطُورُ

فصاح بجارية له سِنْدِيّةٍ تُسَمَّى زُبْدة، فقال: أيْ زبدةُ عَجِّلي. فقالت: أنا أعجِنُ. فقال: وَيْحَكِ! تعاليْ ودَعِي العجينَ. فجاءت فقال لي: أَنشِدْ بَيْتَيْ قيس، فأعدتُهما. فقال لها: يا زُبْدة، أحسنَ قيس وإلاّ فأنت حُرَّة! ارجعي الآنَ إلى عجينك أدْرِكيه لا يَبْرُدْ.

قالوا: وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه في طلاقه لُبْنَى ويقول: فألا رحلتُ بها عن بلده فلم أَرَ ما يفعل ولم يَرَني! فكان إذا فقَدني أقلع عمّا يفعله وإذا فَقدتُه لم أتحرّجْ من فعله! وما كان عليّ لو اعتزلْتُه وأقمتُ في حَيِّها أو في بعض بَوَادِي العرب، أو عَصَيتُه فلم أُطِعْهُ! هذه جنايتي على نفسي فلا لومَ على أحد! وهأنذا مَيِّتٌ ممّا فعلته، فمَنْ يَرُدُّ رُوحي إليّ! وهل لي سبيل إلى لُبنى بعد الطّلاق؟! وكلَّما قَرَّعَ نفسَه وأنّبها بلونٍ من التقريع والتأنيب بكى أَحَرَّ بكاء وألصق خدّه بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال:

صوت

[البسيط]

وَيْلِي وعَوْلِي ومَالِي حين تُفْلِتُني مِنْ بَعْدِ ما أَحْرَزَتْ كَفّي بها الظَّفَرا

---

(١) السّم الذُّعاف: الذي يقتل بسرعة.

(٢) الفطور: الشقوق.

قَـد قَـال قَـلبي لِطَـرْفِـي وَهْـوَ يَـعْـذُلُـهُ هَـذَا جَـزَاؤُكَ مِـنّـي فَـاكْـدِم الـحَـجَـرا[١]
قَـد كُـنْـتُ أَنْـهَـاكَ عَـنْـهـا لـو تُـطَـاوِعُـنـي فَـاصْـبِـرْ فَـمَـا لَـكَ فـيـهـا أَجْـرُ مَـنْ صَـبَـرا

غَنَّاه الغَرِيض خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو، وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن حَبَش، وفي الثالث والأوّل خفيفُ رَمَلٍ يقال إنه لابن الهِرْبِذ.

قالوا وقال أيضاً: [البسيط]

بَـانَـتْ لُـبَـيْـنَـى فَـأَنْـتَ الـيَـوْمَ مَـتْـبُـولُ والـرَّأْيُ عِـنْـدَكَ بـعـدَ الـحَـزْمِ مَـخْـبُـولُ
أَسْـتَـودِعُ الـلَّـهَ لُـبْـنَـى إذ تُـفَـارِقُـنِـي بِـالـرَّغْـمِ مِـنّـي وقَـوْلُ الـشَّـيْـخِ مـفـعـولُ
وقَـد أَرَانِـي بِـلُـبْـنَـى حَـقَّ مُـقْـتَـنِـعٍ والـشَّـمْـلُ مُـجْـتَـمِـعٌ والـحَـبْـلُ مَـوصـولُ

قال خالد بن كُلْثوم وقال: [الطويل]

أَلاَ لَـيْـتَ لُـبْـنَـى فـي خَـلاَءٍ تَـزُورُنِـي فَـأَشْـكُـو إلـيـهـا لَـوْعَـتـي ثـمّ تَـرْجِـعُ
صَـحَـا كُـلُّ ذِي لُـبٍّ وكُـلُّ مُـتَـيَّـمٍ وقَـلْـبِـي بِـلُـبْـنَـى مَـا حَـيِـيـتُ مُـرَوَّعُ
فَـيَـا مَـنْ لِـقَـلْـبٍ مَـا يُـفِـيـقُ مِـنَ الـهَـوَى ويَـا مَـنْ لِـعَـيْـنٍ بِـالـصَّـبَـابَـةِ تَـدْمَـعُ

قالوا وقال في ليلته تلك: [البسيط]

قَـد قُـلْـتُ لِـلـقَـلْـبِ لا لُـبْـنَـاكَ فَـاعْـتَـرِفِ واقْـضِ الـلُّـبَـانَـةَ مَـا قَـضَّـيْـتَ وانْـصَـرِفِ
قَـد كـنـتُ أَحْـلِـفُ جَـهْـداً لا أُفَـارِقُـهـا أُفٍّ لِـكَـثْـرَةِ ذَاكَ الـقِـيـلِ والـحَـلِـفِ
حَـتـى تَـكَـنَّـفَـنِـي الـوَاشـونَ فَـافْـتُـلِـتَـتْ لا تَـأْمَـنَـنْ أَبَـداً مِـنْ غِـشِّ مُـكْـتَـنِـفِ[٢]
هـيـهـات هـيـهـات قَـدْ أَمْـسَـتْ مُـجَـاوِرةً أَهْـلَ الـعَـقـيـقِ وأَمْـسَـيْـنـا عـلـى سَـرِفِ

ـ قال: وسَرِف على ستة أميال من مكة، والعَقيق: وادٍ باليمامة ـ

حَـيٌّ يَـمَـانُـونَ والـبَـطْـحَـاءُ مَـنْـزِلُـنـا هَـذَا لَـعَـمْـرُكَ شَـمْـلٌ غَـيْـرُ مُـؤْتَـلِـفِ

قالوا: فلمَّا أصبحَ خرج متوجِّهاً نحوَ الطريق الذي سلكَتْهُ يتنسَّمُ روائحَها، فسنَحتْ له ظبيةٌ فقصدها فهربتْ منه فقال: [الوافر]

أَلاَ يَـا شِـبْـهَ لُـبْـنَـى لا تُـرَاعِـي ولا تَـتَـيَـمَّـمِـي قُـلَـلَ الـقِـلاعِ[٣]

---

(١) كدمَ الحجر: عَضَّه.
(٢) افْتُلِتت: أُخِذَت.
(٣) لا تُرَاعي: لا تخافي. والقُلَل: جمع القُلَّة: أعلى الجبل أو الرأس، وأعلى كلّ شيء.

وهي قصيدة طويلة يقول فيها:

فَـوَا كَـبِـدِي وعَـاوَدَنـي رُدَاعِـي ... وكَـانَ فِـرَاقُ لُـبْـنَـى كَـالـخِـدَاعِ[١]
تَـكَـنَّـفَـنِـي الـوُشَـاةُ فَـأَزْعَـجُـونِـي ... فَـيَـا لَـلَّـهِ لِـلْـوَاشِـي الـمُـطَـاعِ
فَـأَصْـبَـحْـتُ الـغَـدَاةَ أَلـومُ نَـفْـسِـي ... عَـلَـى شَـيءٍ ولَـيْـسَ بِـمُـسْـتَـطَـاعِ
كَـمَـغْـبُـونٍ يَـعَـضُّ عـلـى يَـدَيْـهِ ... تَـبَـيَّـنَ غَـبْـنَـهُ بَـعْـدَ الـبِـيَـاعِ
بِـدَارِ مَـضِـيـعَـةٍ تَـرَكَـتْـكَ لُـبـنَـى ... كَـذَاكَ الـحَـيْـنُ يُـهْـدَى لِـلْـمُـضَـاعِ[٢]
وقـد عـشْـنـا نَـلَـذُّ الـعَـيْـشَ حِـيـنـاً ... لَـوَ انَّ الـدَّهْـرَ لِـلإِنـسَـانِ دَاعِ
ولَـكِـنَّ الـجَـمِـيـعَ إلـى افْـتِـرَاقٍ ... وأَسْـبَـابُ الـحُـتُـوفِ لَـهَـا دَوَاعِ

غنّاه الغَرِيض من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مَجرى البنصر عن إسحاق، وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو والهِشاميّ، ولشارِيَةَ في البيتين الأوّلين ثقيلٌ أوّلُ آخر بالوسطى، ولابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن الهشاميّ في:

بِـدَارِ مَـضِـيـعَـةٍ تَـرَكَـتْـكَ لُـبْـنَـى

وقبله:

فَـوَاكَـبِـدِي وعَـاودنِـي رُدَاعِـي

ولِسيَاطٍ في البيتين الأوّلين خفيفُ رملٍ بالبنصر عن حَبَش.

حَدَّثني عَمِّي عن الكُرَانيّ عن العُتْبِيّ عن أبيه قال: بعثَتْ أمُّ قيس بن ذَريح بفتيات من قومه إليه يَعِبْنَ إليه لُبْنَى ويَعِبْنَه بِجَزَعِه وبكائه ويتعرَّضْنَ لِوصاله، فأتيْنَه فاجتمعْنَ حوالَيْه وجعلن يمازحْنَه ويَعِبْنَ لُبْنَى عنده ويُعَيِّرْنَه ما يفعله، فلمَّا أَطَلْنَ أقبل عليهنّ وقال:

صوت

[الطويل]

يَـقَـرُّ بِـعَـيْـنِـي قُـرْبُـهَـا ويَـزِيـدُنِـي ... بِـهـا كَـلَـفـاً مَـنْ كـان عِـنْـدِي يَـعِـيـبُـهـا

(١) الرُّداع: وجع الجسد كلّه.
(٢) الحَيْن: الهلاك.

وكَـمْ قَـائِـلٍ قـد قـالَ تُـبْ فـعَـصَـيْـتُـهُ ... وتِـلْـكَ لَـعَـمْـرِي تَـوْبَـةٌ لا أَتُـوبُـهَـا
فَيَا نَفْسُ صَبْراً لَسْتِ واللَّهِ فَاعْلَمِي ... بِـأَوَّلِ نَـفْـسٍ غَـابَ عـنـهـا حَـبِـيـبُـهَـا

ـ غنَّاه دَحْمانُ ثقيلاً أوّلَ بالوسطى، وفيه هَزَجٌ بالبِنصر لسُلَيم، وذكر حَبَش أنه لإسحاق ـ قال: فانصرفْنَ عنه إلى أُمّه فَأَيْأَسْنَها من سَلْوته. وقال سائر الرُّواة الذين ذكرتهم: اجتمعَ إليه النِّسوةُ فأطلْنَ الجلوسَ عنده وحادثْنه وهو ساهٍ عنهنّ ثم نادَى: يا لُبْنَى! فقلن له: ما لكَ وَيْحَكَ! فقال: خَدِرَتْ رجلي، ويقال: إنَّ دعاءَ الإنسان باسم أَحَبِّ النَّاس إليه يُذْهِبُ عنه خَدَر الرِّجل فناديتُها لذلك. فقمن عنه، وقال:

[الطويل]

إذا خَـدِرَتْ رِجْـلِـي تَـذَكَّـرْتُ مَـنْ لَـهَـا ... فَـنَـادَيْـتُ لُـبْـنَـى بَـاسْـمِـهَـا ودَعَـوْتُ
دَعَـوْتُ الّـتي لَـوْ أَنَّ نَـفْـسِي تُـطِـيـعُـنـي ... لَـفَـارَقْـتُـهـا مِـنْ حُـبِّـهـا وقَـضَـيْـتُ
بَـرَتْ نَـبْـلَـهـا لِـلـصَّـيْـدِ لُـبْـنَـى ورَيَّـشَـتْ ... ورَيَّـشْـتُ أُخْـرَى مِـثْـلَـهـا وبَـرَيْـتُ
فَـلَـمَّـا رَمَـتْـنِـي أَقْـصَـدَتْـنِـي بِـسَـهْـمِـهَـا ... وأَخْـطَـأْتُـهـا بِـالـسَّـهْـمِ حِـيـنَ رَمَـيْـتُ[1]
وفَـارَقْـتُ لُـبْـنَـى ضَـلَّـةً فـكـأَنَّـنِـي ... قُـرِنْـتُ إلى الـعَـيُّـوقِ ثـم هَـوَيْـتُ[2]
فـيـا لَـيْـتَ أَنِّـي مُـتُّ قَـبْـلَ فِـرَاقِـهَـا ... وهَـلْ تَـرْجِـعَـنْ فَـوْتَ الـقَـضِـيَّـةِ لَـيْـتُ
فَـصِـرْتُ وشَـيْـخِـي كَـالَّـذِي عَـثَـرَتْ بـه ... غَـدَاةَ الـوَغَـى بـيـنَ الـعُـدَاةِ كُـمَـيْـتُ[3]
فـقَـامَـتْ ولـم تُـضْـرَرْ هُـنَـاكَ سَـوِيَّـةً ... وفَـارِسُـهـا تَـحْـتَ الـسَّـنَـابِـكِ مَـيْـتُ[4]
فَـإِنْ يَـكُ تَـهْـيَـامِـي بِـلُـبْـنـى غَـوَايَـةً ... فـقـدْ يَـا ذَرِيـحُ بـنَ الـحُـبَـاب غَـوَيْـتُ
فـلا أَنْـتَ مَـا أَمَّـلْـتَ فِـيَّ رَأَيْـتَـهُ ... ولا أَنَـا لُـبْـنَـى والـحَـيَـاةَ حَـوَيْـتُ
فَـوَطِّـنْ لِـهُـلْـكِـي مِـنْـكَ نَـفْـساً فَـإِنَّـنِـي ... كَـأَنَّـكَ بِـي قَـدْ يَـا ذَرِيـحُ قَـضَـيْـتُ

وقال خالد بن كلثوم: مَرِضَ قيس، فسأل أبوه فتياتِ الحيّ أن يَعُدْنَهُ ويحدِّثنه لَعلَّه أن يتسلَّى أو يعلَق بعضَهن، ففعلن ذلك. ودخل إليه طبيب ليداويَه والفتياتُ معه، فلمّا اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علّته، فقال:

---

(١) أقصده: طعنه فلم يُخطِئه.
(٢) الضَّلّة: المرّة من ضَلَّ. والعَيّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرَّة الأيمن يتلو الثريّا ولا يتقدّمها، سُمِّيَ بذلك لأنه يعوق الدَّبَران عن لقاء الثريّا.
(٣) الوغى: الحرب. والكُمَيت من الخيل: ما كان لونه بين الأسود والأحمر.
(٤) السَّنابك: جمع السُّنْبُك: طرف الحافر.

صوت

عِيدَ قَيْسٌ مِنْ حُبِّ لُبْنَى ولُبْنَى ... دَاءُ قَيْسٍ والحُبُّ دَاءٌ شديدُ
وإذا عَادَنِي العَوَائِدُ يَوْماً ... قَالَتِ العَيْنُ لا أرَى مَنْ أُرِيدُ
لَيْتَ لُبْنَى تَعُودُنِي ثُمَّ أقْضِي ... إنَّهَا لا تَعُودُ فِيمَنْ يَعُودُ
وَيْحَ قَيْسٍ لَقَدْ تَضَمَّنَ مِنْهَا ... دَاءَ خَبْلٍ فَالقَلْبُ مِنْهُ عَمِيدُ(١)

ـ غَنَّاه ابن سُرَيْج خَفِيف رملٍ عن الهِشاميّ، وفيه للحَجَبِيّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى، وفيه ليحيى المكي رَمَلٌ ـ قالوا: فقال له الطبيب: منذُ كم هذه العلّةُ؟ ومنذُ كم وجَدْتَ بهذه المرأة ما وجدتَ؟ فقال:

صوت

[الطويل]

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنا ... ومِنْ بَعْدِ ما كُنَّا نِطَافاً وفي المَهْدِ
فَزَادَ كما زِدْنَا فَأَصْبَحَ نَامِياً ... ولَيسَ إذا مُتْنا بِمُنْصَرِمِ العَهْدِ
ولَكِنَّهُ بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَادِثٍ ... وزَائِرُنا في ظُلْمَةِ القَبْرِ واللَّحْدِ

ـ غَنَّاه الغَرِيض ثقيلاً أوّلَ بالوسطى من رواية حَبَش ـ قالوا: فقال له الطبيب: إنَّ مما يُسْلِيكَ عنها أن تتذكر ما فيها من المساوىء والمعايب وما تَعافُه النَّفس من أقذار بني آدم؛ فإن النفس تنبو حينئذٍ وتسلو ويخفّ ما بها. فقال: [الطويل]

إذا عِبْتُها شَبَّهْتُها البَدْرَ طَالِعاً ... وحَسْبُكَ مِنْ عَيْبٍ لَهَا شَبَهُ البَدْرِ
لقد فُضِّلَتْ لُبْنَى على النَّاسِ مِثْلَ مَا ... على ألْفِ شَهْرٍ فُضِّلَتْ لَيْلَةُ القَدْرِ

صوت

إذا مَا مَشَتْ شِبْراً مِنَ الأرْضِ أرْجَفَتْ ... مِنَ البُهْرِ حَتَّى ما تَزِيدُ على شِبْرِ(٢)
لَهَا كَفَلٌ يَرْتَجُّ مِنْهَا إذا مَشَتْ ... ومَتْنٌ كَغُصْنِ البَانِ مُضْطَمِرُ الخَصْرِ(٣)

ـ غَنَّى في هذين البيتين ابن المَكِّيّ خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى، وفيهما رمل يُنسب

(١) العميد: الشديد الحزين أو الذي هَدَّه العشق.
(٢) أرجفت: اضطربت. والبُهر: انقطاع النَّفَس من الإعياء والتعب.
(٣) الكَفَل: العَجُز.

إلى ابن سُرَيج وإلى ابن طُنْبورة عن الهِشاميّ - قالوا: ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة، فأنَّبَهُ ولامه وقال له: يا بنيّ! اللَّهَ اللَّهَ في نفسِك! فإنكَ مَيِّتٌ إن دمتَ على هذا! فقال: [الطويل]

وفـي عُـرْوةَ الـعُـذْرِيِّ إنْ مِـتُّ أُسْـوَةٌ وعَمْرِو بنِ عَجْلانَ الَّذي قَتَلَتْ هِنْدُ
وبـي مِـثْـلُ مَـا مَـاتَـا بـه غَـيْـرَ أَنَّـنِـي إلـى أَجَـلٍ لَـمْ يَـأْتِـنـي وَقْـتُـهُ بَـعْـدُ

صوت

هَـلِ الـحُـبُّ إلاّ عَـبْـرَةٌ بَـعْـدَ زَفْـرَةٍ وحَـرٌّ عـلـى الأَحْـشَـاءِ لَـيْـسَ لَـه بَـرْدُ
وفَـيْـضُ دُمُـوعٍ تَـسْـتَـهِـلُّ إذا بَـدَا لَـنَـا عَـلَـمٌ مِـنْ أَرْضِـكُـمْ لـم يَـكُـنْ يَـبْـدُو

غَنَّى في هذين البيتين زيد بن الخَطّاب مولى سليمان بن أبي جعفر، وقيل: إنه مولى سليمان بن عليّ، ثقيلاً أوّلَ بالوسطى عن الهِشاميّ.

وأخبرني الحَرَميُّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبَير، وأخبرنا اليَزيديّ عن ثَعْلَب عن الزُّبَير قال: حَدّثني إسماعيل بن أبي أُوَيس قال: جلستُ أنا وأبو السائب في النبَّالين، فأنشدني قولَ قيس بن ذَريح:

عِـيـدَ قَـيْـسٌ مِـنْ حُـبِّ لُـبْـنَـى ولُـبْـنَـى دَاءُ قَـيْـسٍ والـحُـبُّ دَاءٌ شَـدِيـدُ
لَـيْـتَ لُـبْـنَـى تَـعُـودُنِـي ثُـمَّ أَقْـضِـي إنَّـهَـا لا تَـعُـودُ فِـيـمَـنْ يَـعُـودُ

قال: فأنشدته أنا لِقيس:

تَـعَـلَّـقَ رُوحِـي رُوحَـهـا قـبـلَ خَـلْـقِـنَـا ومِـنْ بَـعْـدِ مـا كُـنَّـا نِـطَـافـاً وفـي الـمَـهْـدِ
فـزادَ كـمـا زِدْنَـا وأَصـبـحَ نَـامِـيـاً ولَـيـسَ إذا مِـتْـنـا بِـمُـنْـتَـقِـضِ الـعَـهْـدِ
ولَـكِـنَّـهُ بَـاقٍ عـلـى كُـلِّ حَـادِثٍ وزَائِـرُنـا فـي ظُـلْـمَـةِ الـقَـبْـرِ والـلَّـحْـدِ

فحلفَ لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويَها، فدخل زُقَاقَ النبَّالين وجعلتُ أُرَدِّدها عليه ويقوم ويقعد حتى رواها.

رجع الخبر إلى سِياقته.

[لبنى تعلم بخبر زواجه فتتزوج]

وقال خالد بن جَمَل: فلمَّا طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن

يزوِّجَهُ امرأةً جميلة فلعلَّه أن يسلو بها عن لُبنى. فدعاه إلى ذلك فأباه وقال:

[الطويل]

لقد خِفتُ ألاَّ تقنَعَ النَّفسُ بَعْدَها ... بِشَيءٍ مِنَ الدُّنيا وإنْ كانَ مَقْنَعا
وأَزْجُرُ عَنهَا النَّفسَ إذْ حِيلَ دُونَها ... وتَأبى إلَيْهَا النَّفسُ إلاَّ تَطَلُّعا

فأعلمهم أبوه بما رَدَّ عليه، قالوا: فمُرْهُ بِالمَسيرِ في أحياء العرب والنزول عليهم فلعلَّ عينه أن تقع على امرأةٍ تُعجبه، فأقسم عليه أبوه أن يفعل. فسار حتى نزل بحيٍّ من فَزارة، فرأى جاريةً حسناء قد حَسَرَتْ بُرْقُعَ خَزٍّ عن وجهها وهي كالبدر ليلة تِمِّه، فقال لها: ما اسمكِ يا جارية؟ قالت: لُبْنَى. فسقط على وجهه مغشيّاً عليه، فنضَحَتْ على وجهه ماء وارتاعَتْ لِما عَرَاهُ، ثم قالت: إن لم يكن هذا قيسَ بن ذَرِيح إنه لمجنون! فأفاق فَنَسَبْته فانتسب. فقالت: قد علمتُ أنك قيس، ولكن نَشَدْتُك باللّه وبحقّ لُبْنَى إلاَّ أصبتَ من طعامنا. وقدَّمَتْ إليه طعاماً، فأصاب منه بإصبَعه. وركب فأتى على أَثَره أخٌ لها كان غائباً، فرأى مُناخ ناقته، فسألهم عنه فأخبروه، فركب حتى ردَّه إلى منزله، وحلف عليه ليُقيمنَّ عنده شهراً. فقال له: لقد شَقَقْتَ عليَّ، ولكنِّي سأتبع هواك، والفَزاريُّ يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته، فعرض عليه الصِّهْرَ. فقال له: يا هذا إن فيكَ لَرَغبةً، ولكنِّي في شغل لا يُنتفعُ بي معه. فلم يزل يعاوده والحيُّ يلومونه ويقولون له: قد خشينا أن يصير علينا فِعْلُكَ سُبَّةً. فقال: دعوني، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام. فلم يَزَلْ به حتى أجابه وعقد الصِّهرَ بينه وبينه على أخته المسمَّاة لُبنى، وقال له: أنا أسوق عنك صَداقها. فقال: أنا واللّه يا أخي أكثر قومي مالاً، فما حاجتكَ إلى تَكَلُّفِ هذا؟ أنا سائر إلى قومي وسائق إليها المَهْرَ. ففعل وأعلم أباه الذي كان منه، فسَرَّه وساق المهرَ عنه. ورجع إلى الفزاريين حتى أُدخلت عليه زوجته، فلم يَرَوْهُ هَشَّ إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرفٍ ولا نظر إليها. وأقام على ذلك أياماً كثيرة، ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً فأَذِنُوا له في ذلك، فمضى لوجهه إلى المدينة. وكان له صديق من الأنصار بها؛ فأتاه فأعلمه الأنصاريُّ أن خبر تزويجه بلغ لُبني فغَمَّها وقالت: إنه لَغَدَّارٌ! ولقد كنت أمتنعُ من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أُجيبهم، وقد كان أبوها شكا قيساً إلى معاوية وأعلمه تعرُّضَه لها بعد الطّلاق. فكتب إلى مروان بن الحكم يُهْدِرُ دمَه إن تعرّض لها، وأمر أباها أن يزوِّجها رجلاً يعرف بخالد بن حِلِّزة من بني عبد الله بن غَطَفان ـ ويقال: بل أمره بتزويجها رجلاً من آل

كَثِير بن الصَّلْت الكِنْديّ حليفِ قريش - فزوَّجها أبوها منه. قال: فجعل نساءُ الحيِّ يقلنَ ليلةَ زِفافها: [الهزج]

لُبَيْنَى زَوْجُهَا أصبَحَ لا حُرَّ بِوَادِيهِ
لهُ فَضْلٌ على النَّاسِ بِمَا بَاتَتْ تُنَاجِيهِ
وقَيْسٌ مَيِّتٌ حَيٌّ صَرِيعٌ في بَوَاكِيهِ
فلا يُبْعِدُهُ اللَّهُ ويُغْداً لِنَوَاعِيهِ

قال: فجزِع قيس جزعاً شديداً وجعل ينْشِج أحرَّ نَشيج ويبكي أحرَّ بكاء. ثم ركب من فَوْره حتى أتى مَحَلَّة قومها، فناداه النساء: ما تصنع الآن هاهنا! قد نُقِلَتْ لُبنى إلى زوجها!. وجعل الفتيانُ يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يُجيبهم حتى أتى موضع خبائِها فنزل عن راحلته وجعل يتمعَّك في موضعها ويُمرِّغُ خدَّه على ترابها ويبكي أحرَّ بكاء. ثم قال:

صوت

[الطويل]

إلى اللَّه أَشْكُو فَقْدَ لُبْنَى كما شَكَا إلى اللَّهِ فَقْدَ الوَالِدَيْنِ يَتِيمُ
يتيمٌ جَفَاهُ الأقربونَ فجِسمُهُ نَحِيلٌ وعَهْدُ الوَالِدَيْنِ قَدِيمُ
بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ نَأْيِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ دُمُوعِي فَأَيَّ الجَازِعَيْنِ أَلُومُ
أَمُسْتَعْبِراً يَبْكِي من الشَّوقِ والهَوَى أَم آخَرَ يَبْكِي شَجْوَهُ ويَهِيمُ

لابن جامع في البيتين الأولين ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهِشاميّ، ولِعَرِيبَ فيهما ثاني ثقيلٍ، وفي الثالث والرابع لمَيَّاسةَ خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو وحَبَش والهِشاميّ، وتمام هذه الأبيات، وليست فيها صنعة، قوله: [الطويل]

تَهَيَّضَنِي مِنْ حُبِّ لُبْنَى عَلائِقٌ وأَصْنَافُ حُبٍّ هَوْلُهُنَّ عَظِيمُ[1]
ومَنْ يَتَعَلَّقْ حُبَّ لُبْنَى فُؤَادُهُ يَمُتْ أو يَعِشْ ما عَاشَ وهو كَلِيمُ[2]
فَإِنِّي وإنْ أَجْمَعْتُ عَنْكِ تَجَلُّداً على العَهْدِ فيما بيننا لَمُقِيمُ
وإنَّ زَمَاناً شَتَّتَ الشَّمْلَ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمُ فيهِ العِدَا لَمَشُومُ
أفي الحَقِّ هذا أنَّ قَلْبَكِ فَارِغٌ صَحِيحٌ وقَلْبِي في هَوَاكِ سَقِيمُ

---

(١) تهيّضَه: عاوده الحزنُ والهمّ.
(٢) الكليم: المجروح المكلوم.

وقد قيل: إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خُلِطَتْ بشعره، ولكنَّها في هذه الرواية منسوبة إليه.

قال: وقال أيضاً في رحيل لُبنى عن وطنها وانتقالها إلى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حيّها:

صوت

[البسيط]

بَانَتْ لُبَيْنَى فَهَاجَ القَلْبَ مَنْ بَانَا ... وكَانَ ما وَعَدَتْ مَطْلاً وَلَيَّانَا[1]
وأَخْلَفَتْكَ مُنًى قد كُنْتَ تَأْمُلُهَا ... فأصبحَ القَلْبُ بعدَ البَيْنِ حَيْرَانا
اللَّه يَدْرِي وما يَدْرِي بِه أَحَدٌ ... ماذا أُجَمْجِمُ مِنْ ذِكْرَاكِ أَحْيَانا
يا أَكْمَلَ النَّاسِ مِنْ قَرْنٍ إلى قَدَمٍ ... وأَحْسَنَ النَّاسِ ذَا ثَوْبٍ وعُرْيَانَا[2]
نِعْمَ الضَّجِيعُ بُعَيْدَ النَّوْمِ تَجْلُبُهُ ... إِلَيْكَ مُمْتَلِئاً نَوْماً ويَقْظَانا

للغَريض في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاقَ وعمرو، وذكر الهِشاميّ أنّ فيه لابن مُحْرِز ثانيَ ثقيلٍ آخَر، وقال أحمد بن عبيد: فيه لحنانِ ليحيى المَكّيّ وعَلّويه. وتمام هذه القصيدة:

لا بَارَكَ اللَّهُ فِيمَنْ كَانَ يَحْسَبُكُمْ ... إلاّ على العَهْدِ حَتَّى كَانَ ما كَانَا
حَتَّى اسْتَفَقْتُ أَخِيراً بعدما نُكِحَتْ ... كَأَنَّمَا كانَ ذَاكَ القَلْبُ حَيْرَانا
قد زَارَنِي طَيْفُكُمْ لَيْلاً فَأَرَّقَنِي ... فَبِتُّ لِلشَّوْقِ أُذْرِي الدَّمْعَ تَهْتَانَا[3]
إن تَصْرِمِي الحَبْلَ أو تُمْسِي مُفَارِقَةً ... فالدَّهْرُ يُحْدِثُ لِلإنسانِ أَلْوَانا
ومَا أَرَى مِثْلَكُمْ في النَّاسِ مِنْ بَشَرٍ ... فَقَدْ رَأَيْتُ بِهِ حَيّاً ونِسْوَانا

[أبو لبنى يشكوه إلى معاوية فيهدر دمه، وهي ترسل إليه تحذّره]

وقال ابن قُتَيبة في خبره عن الهَيْثم بن عَدِيّ، ورواه عمر بن شَبَّة أيضاً أن أبا لُبنى شخَصَ إلى معاوية فشكا إليه قيساً وتعرُّضَهُ لابنته بعد طلاقه إيّاها. فكتب معاوية إلى مروانَ أو سعيدِ بن العاص يُهْدِرُ دمَه إن أَلَمَّ بها وأن يشتدَّ في ذلك. فكتب مروان أو سعيد في ذلك إلى صاحب الماء الذي ينزله أبو لُبْنَى كتاباً وَكيداً.

(١) المَطْل: التسويف والوعد. وليَّان: مصدر لوى يلوي ليّاً وليَّاناً: مَطَلَ.
(٢) القرن: الرأس.
(٣) دمع تهتان: غزير.

ووَجَّهَتْ لُبنى رسولاً قاصداً إلى قيس تُعلمه ما جَرى وتحذِّره، وبلغ أباه الخبرُ فعاتبه وتجهَّمَهُ وقال له: انتهى بك الأمر إلى أن يُهْدِرَ السلطانُ دمكَ! فقال:

صوت

[الطويل]

فَإنْ يَحْجُبُوها أَوْ يَحُلْ دونَ وَصْلِها مَقَالَةُ وَاشٍ أَو وَعِيدُ أَمِيرِ
فَلنْ يَمْنَعُوا عَيْنَيَّ مِنْ دَائِمِ البُكَا ولَنْ يُذْهِبوا ما قَدْ أَجَنَّ ضَمِيري[1]
إلى اللَّهِ أَشْكو ما أُلاَقِي مِنَ الهَوَى ومِنْ حُرَقٍ تَغْتَادُني وزَفِيرِ
ومِنْ حَرَقٍ لِلْحُبِّ في بَاطِنِ الحَشَى ولَيْلٍ طَوِيلِ الحُزْنِ غَيْرِ قَصِيرِ[2]
سَأَبْكِي على نَفْسِي بِعَيْنٍ غَزِيرَةٍ بُكَاءَ حَزِينٍ في الوَثَاقِ أَسِيرِ[3]
وكُنَّا جَمِيعاً قبلَ أنْ يَظْهَرَ الهَوَى بِأَنْعَمِ حَالَيْ غِبْطَةٍ وسُرورِ
فما بَرِحَ الوَاشونَ حَتَّى بَدَتْ لَهُمْ بُطُونُ الهَوَى مَقْلُوبَةً لِظُهورِ
لقد كُنْتِ حَسْبَ النَّفْسِ لو دَامَ وَصْلُنا ولَكِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعُ غُرورِ[4]

ـ هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذَريح، وذكر الزُّبَير بن بَكّار أنه لِجَدِّه عبد الله بن مُصْعَب ـ غَنَّى يزيدُ حَوْراء في الأوّل والثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى، وغَنَّى إبراهيم في الأوّل والثاني لحناً من كتابه غيرَ مُجَنَّس، وذكر حَبَش أنّ فيهما لإسحاق خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى، وفي الخامس وما بعده لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ ابتداؤه نشيد. وقال ابن الكلبيّ في خبره: قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها:

[الطويل]

إنْ تَكُ لُبْنَى قَدْ أَتَى دونَ قُرْبِها حِجَابٌ مَنِيعٌ ما إليهِ سَبِيلُ
فَإنَّ نَسِيمَ الجَوِّ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ونُبْصِرُ قَرْنَ الشَّمْسِ حِينَ تَزُولُ
وأرواحُنَا بِاللَّيْلِ في الحَيِّ تَلْتَقِي ونَعْلَمُ أَنَّا بِالنَّهَارِ نَقِيلُ[5]
وتَجْمَعُنا الأَرْضُ القَرَارُ وفَوْقَنا سَمَاءٌ نَرَى فيها النُّجُومَ تَجُولُ

---

(١) أَجنَّ: أخفى.
(٢) الحَرَق: النار.
(٣) الوَثاق: ما يُشَد به من قيدٍ أو حبلٍ.
(٤) حَسْب النفس: كفايتها.
(٥) نَقيلُ: ننام في القائلة، أي منتصف النهار.

إلى أَنْ يعودَ الدَّهْرُ سَلْماً وتَنْقَضِي ... تِـرَاتٌ بَـغَـاهـا عِـنْـدَنـا وذُحُـولُ[1]

وممّا وجد في كتاب لابن النَّطاح قال العُتْبيّ: حَدّثني أبي قال: حَجّ قيس بن ذَرِيح، واتّفق أن حَجّتْ لُبْنَى في تلك السنة، فرآها ومعها امرأة من قومها، فدَهِشَ وبَقِي واقفاً مكانه ومضت لسبيلها. ثم أرسلت إليه بالمرأة تُبلغه السلامَ وتسأله عن خبره؛ فألْفَتْه جالساً وحدَه يُنشد ويبكي: [الطويل]

ويَـومَ مِـنًى أعْـرَضْـتِ عَـنِّي فـلـمْ أَقُـلْ ... بِـحَـاجَـةِ نَـفْـسٍ عِـنْـدَ لُـبْـنَـى مَـقَـالُـهـا

وفي الـيَـأْسِ لِـلـنَّـفْـسِ الـمَـرِيـضَـةِ رَاحَـةٌ ... إذا الـنَّـفْـسُ رَامَـتْ خُـطَّـةً لا تَـنَـالُـهـا

فدخلَتْ خباءه وجعلتْ تحدّثه عن لُبنى ويحَدّثها عن نفسه مَلِيّاً، ولم تُعْلِمْه أنّ لُبنى أرسلتْها إليه. فسألها أن تُبلغها عنه السلامَ، فامتنعت عليه؛ فأنشأ يقول:

[الطويل]

إذا طَـلَـعَـتْ شَـمْـسُ الـنَّـهَـارِ فَـسَـلِّـمِـي ... فَـآيَـةُ تَـسْـلِـيـمـي عَـلَـيْـكِ طُـلُـوعُـهـا

بِـعَـشْـرِ تَـحِـيَّـاتٍ إذا الـشَّـمْـسُ أَشْـرَقَـتْ ... وعَـشْـرٍ إذا اصْـفَـرَّتْ وحَـانَ رُجُـوعُـهـا

ولـو أَبْـلَـغَـتْـهـا جَـارَةٌ قَـوْلِـيَ اسْـلَـمِـي ... بَـكَـتْ جَـزَعـاً وارْفَـضَّ مِـنْـهَـا دُمُـوعُـهـا

وبَانَ الَّذي تُخفِي مِنَ الوَجْدِ في الحَشَى ... إذا جَـاءَهـا عَـنِّـي حَـدِيـثٌ يَـرُوعُـهـا

ـ غَنّى في البيتين الأوّلين عَلّويه خفيفَ رملٍ بالوسطى ـ قال: وقضَى الناسُ حَجَّهم وانصرفوا. فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً أشْفَى[2] منه على الموت، فلم يأتِهِ رسولها عائداً لأنَّ قومها رأوْه وعلموا به؛ فقال: [الطويل]

أَلُبْنَى لَقَدْ جَلَّتْ عَلَيْكِ مُصِيبَتِي ... غَـدَاةَ غَـدٍ إذْ حَـلَّ مـا أَتَـوَقَّـعُ

تُـمَـنِّـيـنَـنِـي نَـيْـلاً وتَـلْـوِيـنَـنِـي بـه ... فَـنَـفْـسِـيَ شَـوقـاً كُـلَّ يَـوم تَـقَـطَّـعُ

وقَـلْـبُـكِ قَـطُّ مـا يَـلِـيـنُ لِـمَـا يَـرَى ... فَـوَاكَـبِـدِي قَـدْ طَـالَ هـذا الـتَّـضَـرُّعُ

أَلُـومُـكِ فـي شَـأْنِـي وأَنْـتِ مُـلِـيـمَـةٌ ... لَـعَـمْـرِي وأَجْـفَـى لِـلْـمُـحِـبِّ وأَقْـطَـعُ

أَخُـبِّـرْتِ أَنِّـي فِـيـكِ مَـيِّـتُ حَـسْـرَتـي ... فـمَـا فَـاضَ مِـنْ عَـيْـنَـيْـكِ لِلوَجْـدِ مَـدْمَـعُ

ولَـكِـنْ لَـعَـمْـرِي قَـدْ بَـكَـيْـتُـكِ جَـاهِـداً ... وإنْ كَـانَ دَائِـي كُـلُّـهُ مِـنْـكِ أَجْـمَـعُ

صَـبِـيـحَـةَ جَـاءَ الـعَـائِـدَاتُ يَـعُـدْنَـنِـي ... فَـظَـلَّـتْ عَـلَـيَّ الـعَـائِـدَاتُ تَـفَـجَّـعُ

فـقَـائِـلَـةٌ جِـئْـنَـا إلـيـه وقـد قَـضَـى ... وقَـائِـلَـةٌ لا، بَـلْ تَـرَكْـنَـاهُ يَـنْـزِعُ

(١) التِّرَات: العداوة والثأر. والذُّحول: جمع الذَّحْل: الحقد والعداوة.

(٢) أشفى على الموت: أشرف.

وروى القَحْذَمِيّ هاهنا:

فَمَا غَشِيَتْ عَيْنَيْكِ مِنْ ذَاكَ عَبْرَةٌ وعَيْنِي على ما بي بِذِكْرَاكِ تَدْمَعُ
إذا أَنْتِ لم تَبْكِي عَلَيَّ جِنَازَةً لَدَيْكِ فلا تَبْكِي غَداً حِينَ أُرْفَعُ[1]

قال: فبلغَتْها الأبياتُ، فجزِعَتْ جزعاً شديداً وبكت بكاءً كثيراً. ثم خرجتْ إليه ليلاً على موعد فاعتذرتْ وقالت: إنما أُبقِي عليك وأخشى أن تُقْتَلَ، فأنا أتحاماكَ لذلك، ولولا هذا لما افترقنا. وودّعته وانصرفتْ.

وقال خالد بن كُلْثوم: فبلغه أنّ أهلها قالوا لها: إنه عَليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا. فقالت لهم لتدفَعهم عن نفسها: ما أراهُ إلاّ كاذباً فيما يدّعي ومُتَعَلِّلاً لا عَليلاً، فبلغه ذلك فقال: [الطويل]

تَكَادُ بِلادُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَعْمَرٍ بِمَا رَحُبَتْ يَوْماً عَلَيَّ تَضِيقُ
تُكَذِّبُنِي بِالوُدِّ لُبْنَى ولَيْتَهَا تُكَلَّفُ مِنِّي مِثْلَهُ فَتَذُوقُ
ولو تَعْلَمِينَ الغَيْبَ أَيْقَنْتِ أَنَّنِي لَكُمْ، والهَدَايا المُشْعَراتِ، صَدِيقُ
تَتُوقُ إِلَيْكِ النَّفْسُ ثمّ أَرُدُّهَا حَيَاءً ومِثْلِي بِالحَيَاءِ حَقِيقُ
أَذُودُ سَوَامَ النَّفْسِ عَنْكِ ومَا لَهُ عَلَى أَحَدٍ إلاّ عَلَيْكِ طَرِيقُ
فَإِنِّي وإنْ حَاوَلْتِ صُرْمِي وهِجْرَتي عَلَيْكِ مِنَ احْدَاثِ الرَّدَى لَشَفِيقُ
ولم أَرَ أَيَّاماً كَأَيَّامِنا الَّتي مَرَرْنَ عَلَيْنَا والزَّمَانُ أَنِيقُ
وَوَعْدُكِ إِيَّانا، ولو قُلْتِ عَاجِلٌ بَعِيدٌ كَمَا قد تَعْلَمِينَ سَحِيقُ
وحَدَّثْتَنِي يا قَلْبُ أَنَّكَ صَابِرٌ على البَيْنِ مِنْ لُبْنَى فَسَوْفَ تَذُوقُ
فَمُتْ كَمَداً أَو عِشْ سَقِيماً فَإِنَّما تُكَلِّفُنِي ما لاَ أَرَاكَ تُطِيقُ
أَطَعْتَ وُشَاةً لم يَكُنْ لَكَ فِيهِمُ خَلِيلٌ ولا جَارٌ عَلَيْكَ شَفِيقُ
فَإِنْ تَكُ لَمَّا تَسْلُ عَنْهَا فَإِنَّنِي بِهَا مُغْرَمٌ صَبُّ الفُؤادِ مَشُوقُ
بِلُبْنَى أُنَادَى عِنْدَ أَوّلِ غَشْيَةٍ ويَثْنِي بها الدَّاعِي لها فَأفِيقُ
شَهِدْتُ على نَفْسِي بِأَنَّكِ غَادَةٌ رَدَاحٌ وأَنَّ الوَجْهَ مِنْكِ عَتِيقُ[2]
وأَنَّكِ لا تَجْزِيَنَنِي بِصَحَابةٍ ولا أَنَا لِلهِجْرَانِ مِنْكِ مُطِيقُ
وأَنَّكِ قَسَّمْتِ الفُؤَادَ فَنِصْفُهُ رَهِينٌ ونِصْفٌ في الحِبالِ وَثِيقُ

(١) الجِنازة: السرير مع الميت، وربما أراد هنا المريض المشرف على الموت.

(٢) الغادة: المرأة اللّيّنة البيّنة الغَيَد. والرَّدَاح: الثقيلة الأوراك. والعتيق: الجميل الكريم.

صَبُوحِي إذا مَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ ذِكْرُكُمْ ... ولِي ذِكْرُكُمْ عِنْدَ المَسَاءِ غَبُوقُ[١]
إذا أَنا عَزَّيْتُ الهَوَى أو تَرَكْتُهُ ... أَتَتْ عَبَرَاتٌ بِالدُّموعِ تَسُوقُ
كَأَنَّ الهَوَى بينَ الحَيازِيمِ والحَشَى ... وبينَ التَّرَاقِي واللَّهَاةِ حَرِيقُ[٢]
فَإنْ كُنْتِ لَمَّا تَعْلَمِي العِلْمَ فَاسْأَلِي ... فَبَعْضٌ لِبَعْضٍ في الفَعَالِ فَؤُوقُ
سَلِي هَلْ قَلاَنِي مِنْ عَشِيرٍ صَحِبْتُهُ ... وهَلْ مَلَّ رَحْلِي في الرِّفَاقِ رَفِيقُ
وهل يَجْتَوِي القَوْمُ الكِرَامُ صِحَابَتِي ... إذا اغْبَرَّ مَخْشِيُّ الفِجاجِ عَمِيقُ
وأَكْتُمُ أَسْرَارَ الهَوَى فَأُمِيتُها ... إذا بَاحَ مَزَّاحٌ بِهِنَّ بَرُوقُ
سَعَى الدَّهْرُ والوَاشُونَ بيني وبينها ... فَقُطِّعَ حَبْلُ الوَصْلِ وهو وَثِيقُ
هَلِ الصَّبْرُ إلاَّ أَنْ أَصُدَّ فَلاَ أَرَى ... بِأَرْضِكِ إلاَّ أَنْ يَكُونَ طَرِيقُ

[زوج لبنى يشتري منه ناقة دون أن يعرفه]

قال: ثم أتى قومَه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويَمْتارَ[٣] لأهله بثمنها. فعرَف أبوه أنه إنما يريد لُبْنَى، فعاتبه وزجَره عن ذلك؛ فلم يقبل منه، وأخذ إبلَه وقدِمَ بها المدينة. فبينا هو يَعْرِضُها إذ ساومه زوجُ لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان، فباعه إيّاها. فقال له: إذا كان غَدٌ فَأْتِنِي في دار كَثِير بن الصَّلْت فاقبِض الثّمنَ؛ قال: نعم. ومضى زوج لُبنى إليها فقال لها: إنّي ابتعتُ ناقة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً لقبض ثمنها، فأَعِدِّي له طعاماً، ففعلتْ. فلمَّا كان من الغد جاء قيس فصوّتَ بالخادم: قُولِي لِسَيِّدِكِ: صاحبُ النَّاقة بالباب. فعرفتْ لُبْنى نَغْمَته فلم تقل شيئاً. فقال زوجها للخادم: قولي له: ادخلْ، فدخل فجلس. فقالت لُبْنَى للخادم: قولي له: يا فَتى، مالي أراكَ أشعثَ أغبر؟ فقالت له ذلك. فتنفّس ثم قال لها: هكذا تكون حالُ مَنْ فارق الأحبَّةَ واختار الموتَ على الحياة، وبكى. فقالت لها لُبنى: قولي له: حَدِّثْنا حديثَكَ. فلمَّا ابتدأ يحدّث به كشفت الحجابَ وقالت: حَسْبُكَ! قد عرفنا حديثَكَ! وأسْبَلتِ الحجابَ. فبُهِتَ ساعةً لا يتكلّمُ ثم انفجرَ باكياً ونَهضَ فخرج. فناداه زوجها: وَيْحَكَ! ما قصّتك؟

(١) الصَّبوح: كل ما شُرِبَ أو أُكل في الصباح، وعكسه الغبوق.
(٢) الحيازيم: جمع الحيزوم: وسط الصدر. والتراقي: جمع الترقوة: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق. واللَّهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.
(٣) يمتار: يشتري الطعام لأهله.

ارجع اقبض ثمن ناقتك، وإن شئتَ زدْناكَ. فلم يكلِّمه وخرج فاغتَرز[1] في رَحْلِه ومضى. وقالت لُبنى لِزَوجها: وَيْحَكَ! هذا قيس بن ذرِيح. فما حَمَلَكَ على ما فعلتَ به؟ قال: ما عرفتُه. وجعل قيسُ يبكي في طريقه ويندُبُ نفسه ويُوَبِّخُها على فعله ثم قال:

صوت

[الطويل]

أَتَبْكِي عَلى لُبْنَى وأَنتَ تَرَكْتَها ... وأنتَ عليها بِالمَلاَ أَنتَ أَقْدَرُ[2]

فَإنْ تَكُنِ الدُّنيَا بِلُبْنَى تَقَلَّبَتْ ... عَلَيَّ فَلِلدُّنيَا بُطُونٌ وأَظْهُرُ

لَقَدْ كانَ فيها لِلأَمَانَةِ مَوْضِعٌ ... ولِلكَفِّ مُرْتَادٌ ولِلعَيْنِ مَنْظَرُ

ولِلحَائِمِ العَطْشَانِ رِيٌّ بِرِيقِها ... ولِلمَرِحِ المُخْتَالِ خَمْرٌ ومُسْكِرُ

كَأَنِّي لَهَا أُرْجُوحَةٌ بينَ أَحْبُلٍ ... إذا ذُكْرَةٌ منها على القَلْبِ تَخْطُرُ

لِلغَرِيض في البيتين الأوّلين ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو والهِشامي وفيهما لعَرِيبَ رَمَلٌ، ولِشارِيَةَ خفيفُ رملٍ من رواية أبي العُبَيْس.

أخبرني الحَرميّ بن أبي العَلاء قال: حَدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حَدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: تزوّجَ رجل من أهل المدينة يقال له أبو دُرَّة امرأةً كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بُطَينة؛ فلقيه زوجُها الأوّل فضربه ضربة شُلَّتْ يدُه منها. فلقيه أبو السائب المخزومي فقال له: يا أبا دُرّة! أضربكَ أبو بُطَينة في زوجته؟ قال: نعم. قال: أمَا إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذَرِيح في زوجته لُبْنَى: [الطويل]

لقد كانَ فيها لِلأَمَانَةِ مَوْضِعٌ ... ولِلكَفِّ مُرْتَادٌ ولِلعَيْنِ مَنْظَرُ

ولِلحائمِ العَطْشَانِ رِيٌّ بِرِيقِها ... ولِلمَرِحِ المُخْتَالِ خَمْرٌ ومُسْكِرُ

قال: وكانت زوجة أبي دُرَّة هذه سوداء كأنها خُنْفَساء.

[مرضه وشعره للبنى]

قال: وعاد إلى قومه بعد رؤيته إيَّاها وقد أنكر نفسه وأسِفَ ولحقه أمر عظيم؛

(١) اغترز في رحله: أي ركبَ.

(٢) المَلا: ما بين نقعاء وملتقى الرمل (معجم البلدان ٥/ ٧٨٨).

فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يُخبرْهم؛ ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، فدخل إليه أبوه ورجال قومه فكلَّموه وعاتبوه وناشدوه اللّهَ، فقال: وَيْحَكُمْ! أتُرَوْنِي أمرضْتُ نفسي أو وجدت لها سَلوةً بعد اليأس فاخترتُ الهَمَّ والبلاء، أوَلِي في ذلك صُنْعٌ! هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به. فجعل أبوه يبكي ويدعو له بالفَرَجِ والسَّلْوة. فقال قيس: [الوافر]

لَقَدْ عَذَّبْتَنِي يا حُبَّ لُبْنَى ... فَقَعْ إمَّا بِمَوْتٍ أو حَيَاةِ
فَإنَّ المَوْتَ أرْوَحُ مِنْ حَيَاةٍ ... تَدُومُ على التَّبَاعُدِ والشَّتَاتِ
وقَالَ الأقْرَبُونَ تَعَزَّ عَنْهَا ... فقُلْتُ لَهُمْ إذاً حَانَتْ وَفَاتِي

قال: ودَسَّتْ إليه لُبنى بعد خروجه رسولاً وقالت له: استنشِدْه، فإن سألك عن نسبتك فانتسِبْ له خُزَاعياً؛ فإذا أنشدك فقل له: لِمَ تَزَوَّجْتَ بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوّجَ بعدك؟ واحفَظْ ما يقول لك حتى تردَّه عَلَيَّ. فأتاه الرسول فسلَّمَ وانتسبَ خُزاعياً، وذكر أنه من أهل الشأم واستنشده؛ فأنشده قوله: [الطويل]

فَأُقْسِمُ مَا عُمْشُ العُيونِ شَوَارِفٌ ... رَوَائِمُ بَوٌّ حَانِياتٌ على سَقْبِ

ـ وقد مضت هذه الأبيات ـ فقال له الرّجل: فلم تزوَّجْتَ بعدها؟ فأخبره الخبر، وحلف له أنّ عينه ما اكتحلتْ بالمرأة التي تزوّجها، وأنه لو رآها في نِسْوة ما عرفها، وأنه ما مدّ يدَه إليها ولا كَلَّمها ولا كشف لها عن ثوب. فقال له الرجل: فإنّي جارٌ لها وإنها من الوجْدِ بك على حالٍ قد تمنَّى زوجها معها أن تكون بقربها لِتصلُحَ حالُها بك؛ فحمِّلْني إليها ما شئت أُؤَدِّهِ إليها. قال: تَعُود إليَّ إذا أردتَ الرحيل، فعاد إليه لمَّا أراد الرحيلَ. فقال تقول لها: [الطويل]

ألاَ حَيِّ لُبْنَى اليَوْمَ إنْ كُنْتَ غَادِيَا ... وَألْمِمْ بِهَا مِنْ قَبْلِ أنْ لاَ تَلاَقِيَا
وأهْدِ لَها مِنْكَ النَّصِيحَةَ إنَّهَا ... قَلِيلٌ ولا تَخْشَ الوُشَاةَ الأدَانِيا
وقُلْ إنَّنِي والرَّاقِصَاتِ إلى مِنًى ... بِأجْبُلِ جَمْعٍ يَنْتَظِرْنَ المُنَادِيا[1]
أصُونُكِ عن بَعْضِ الأمُورِ مَضِنَّةً ... وأخْشَى عَلَيْكِ الكَاشِحِينَ الأعَادِيا
تَسَاقَطُ نَفْسِي حِينَ ألْقَاكِ أنْفُساً ... يَرِدْنَ فَمَا يَصْدُرْنَ إلاَّ صَوَادِيَا
فَإنْ أخيَ أوْ أهْلِكْ فلَسْتُ بِزَائِلٍ ... لكم حَافِظاً ما بَلَّ رِيقٌ لِسَانِيَا
أقُولُ إذا نَفْسِي مِنَ الوَجْدِ أصْعَدَتْ ... بِهَا زَفْرَةٌ تَعْتَادُنِي هِيَ مَا هِيَا

---

(١) جمع: المزدلفة.

وبـيـنَ الـحَـشَـى والـنَّـحْـرِ مِـنِّـي حَـرَارَةٌ ولَـوْعَـةُ وَجْـدٍ تَـتْـرُكُ الـقَـلْـبُ سَـاهِـيـا
ألاَ لَـيْـتَ لُـبْـنَـى لـم تَـكُـنْ لِـيَ خُـلَّـةً ولـم تَـرَنِـي لُـبْـنَـى ولَـمْ أَدْرِ مَـا هِـيـا
سَلِي النَّاسَ هل خَبَّرْتُ سِرَّكِ مِنْهُمُ أَخَـا ثِـقَـةٍ أو ظَـاهِـرَ الـغِـشِّ بَـادِيـا
يـقـولُ لِـيَ الـوَاشـونَ لَـمَّـا تَـظَـاهَـرُوا عَلَيْكِ وأَضْحَى الحَبْلُ لِلبَيْنِ وَاهِيا
لَعَمْرِي لَقَبْلَ اليومِ حُمِّلْتَ ما تَرَى وأُنْذِرْتَ مِنْ لُبْنَى الَّذي كُنْتَ لاَقِيـا
خَلِيلَيَّ مَا لِي قد بَلِيتُ ولا أَرَى لُبَيْنَى على الهِجْرانِ إلاّ كَمَا هيا
ألاَ يَـا غُـرَابَ الـبَـيْـنِ مَـا لَـكَ كُـلَّـمـا ذَكَرْتُ لُبَيْنَى طِرْتَ لي عن شِماليا[1]
أَعِنْدَكَ عِلْمُ الغَيْبِ أَمْ لَسْتَ مُخْبِرِي عَـنِ الـحَـيِّ إلاَّ بِـالَّـذِي قـد بَـدَا لِـيـا
جَزِعْتُ عـلـيـهـا لـو أَرَى لِيَ مَجزَعـاً وأَفْـنَـيْـتُ دَمْـعَ الـعَـيْـنِ لـو كـانَ فَـانِـيـا
حَـيَـاتَـكَ لا تُـغْـلَـبْ عـلـيـهـا فـإنَّـهُ كَفَى بالَّذي تَلْقَى لِنَفْسِكَ نَاهِيا
تَـمُـرُّ الـلَّـيَـالـي والـشُّـهُـورُ ولا أَرَى وَلُـوعِـي بِـهَـا يَـزْدَادُ إلاَّ تَـمَـادِيـا
فـمَـا عَـنْ نَـوَالٍ مِـنْ لُـبَـيْـنَـى زِيَـارَتِـي ولا قِـلَّـةُ الإلـمـام أَنْ كُـنْـتُ قَـالِـيـا
ولَـكِـنَّـهـا صَـدَّتْ وحـمِّـلْـتُ مِـنْ هَـوَى لـهـا مَـا يَـؤُودُ الـشَّـامِـخَـاتِ الـرَّوَاسِـيـا[2]

وهذه القصيدة تُخْلَط بقصيدة المجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما، فقلَّما يتميّزان.

غَنَّى الحسين بن مُحْرِز في البيت الأوّل والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلاً أوّلَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من روايتيْ بَذْل والهِشاميّ.

حَدَّثني المَدائنيّ عن عَوانة عن يحيى بن عليّ الكِنانيّ قال: شُهِرَ أمرُ قيس بالمدينة وغَنَّى في شعره الغَريض ومَعْبَد ومالك وذووهم، فلم يبقَ شريفٌ ولا وضيعٌ إلاّ سمع بذلك فأطربه وحزِنَ لِقَيْس ممّا به. وجاءها زوجها فأنّبها على ذلك وعاتبها وقال: قد فضحتني بذكرك. فغضِبتْ وقالت: يا هذا، إنّي واللّه ما تزوّجْتُكَ رغبةً فيك ولا فيما عندك ولا دُلِّس أمري عليكَ ولقد علمتَ أني كنتُ زوجته قبلك وأنه أُكْرِهَ على طلاقي، وواللّه ما قَبِلْتُ التزويج حتى أُهدِرَ دمه إن أَلَمَّ بِحَيِّنا، فخشيتُ أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيُقْتَل، فتزوّجتك. وأمْرُكَ الآنَ إليك، ففارقني فلا

(١) كان العرب يتشاءمون بالطير. الذي يأتي عن شمالهم.
(٢) يؤود: يُثْقِلُ ويُضني. والشامخات: الجبال.

حاجة بي إليك. فأمسكَ عن جوابها وجعل يأتيها بجواري المدينة يغنِّينَها بشعر قيس كيما يستصلحَها بذلك؛ فلا تزدادُ إلاّ تمادياً وبُعْداً، ولا تزال تبكي كلّما سمعتْ شيئاً من ذلك أحرَّ بكاءٍ وأشجاه.

رجع الحديث إلى سِياقته.

[زيارة في السّرّ في بيت بُرَيكة]

وقال الجِرْمازِيُّ وخالد بن جَمَل: كانت امرأة من موالي بني زُهْرة يقال لها برَيْكَة من أظرف النساء وأكرمهنّ، وكان لها زوج من قريش له دارُ ضيافة. فلمّا طالت عِلَّةُ قيس قال له أبوه: إنّي لأَعْلَمُ أن شفاءك في القرب من لُبنى فارحَلْ إلى المدينة. فرحَل إليها حتى أتى دارَ الضيافة التي لزوج بُريكة. فوثَب غِلمانُه إلى رَحْل قيس لِيحطُّوه. فقال: لا تفعلوا فلستُ نازلاً أو ألقَى بُرَيْكة فإنّي قصدتها في حاجة؛ فإن وجدتُ لها عندها موضعاً نزلتُ بكم وإلاّ رحلت. فأتوها فأخبروها، فخرجتْ إليه فسلَّمَتْ عليه ورحَّبتْ به وقالت: حاجتُك مقضيةٌ كائنةً ما كانت، فانزِلْ. فنزل ودنا منها فقال: أَذْكُرُ حاجتي؟ قالت: إن شئتَ. قال: أنا قيس بن ذَريح. قالت: حَيَّاكَ اللّه وقرَّبَكَ! إنّ ذكرك لجديدٌ عندنا في كلّ وقت. قال: وحاجتي أن أرى لُبْنَى نظرةً واحدةً كيف شئتِ. قالت: ذلك لك عليّ. فنزل بهم وأقام عندها وأخفَتْ أمرَهُ، ثم أهدى لها هدايا كثيرةً وقال: لاطِفِيها وزوجَها بهذا حتى يأنَسَ بِكِ. ففعلتْ وزارتْها مراراً، ثم قالت لزوجها: أخبِرْني عنك: أنت خيرٌ من زوجي؟ قال: لا. قالت: فلُبْنَى خيرٌ منّي؟ قال: لا قالت: فما بالي أزورها ولا تزورني؟ قال: ذلك إليها. فأتتها وسألتها الزّيارةَ وأعلمَتْها أن قيساً عندها. فتسارعتْ إلى ذلك وأَتَتْها. فلمّا رآها ورأتْه بكيَا حتى كادا يَتْلَفان. ثم جعلت تسأله عن خبره وعِلَّته فيخبرُها، ويسألها فتخبره. ثم قالت: أنشِدْني ما قلتَ في علّتك؛ فأنشدها قولَه: [الطويل]

أُعَالِجُ مِنْ نَفْسِي بَقَايا حُشَاشَةٍ ... على رَمَقٍ والعَائِدَاتُ تَعُودُ
فَإنْ ذُكِرَتْ لُبْنَى هَشِشْتُ لِذِكْرِهَا ... كَمَا هَشَّ لِلثَّدْيِ الدَّرُورِ وَلِيدُ
أُجِيبُ بِلُبْنَى مَنْ دَعَانِي تَجَلُّداً ... وبِي زَفَرَاتٌ تَنْجَلِي وتعودُ
تُعِيدُ إلى رُوحِي الحَيَاةَ وإنّني ... بِنَفْسِيَ لو عَايَنْتِني لأَجُودُ

قال: وفي هذه القصيدة يقول:

صوت

أَلاَ لَيْتَ أَيَّاماً مَضَيْنَ تعودُ فَإنْ عُدْنَ يَوْماً إنَّني لَسَعِيدُ
سَقَى دارَ لُبْنَى حيثُ حَلَّتْ وخَيَّمَتْ مِنَ الأرضِ مُنْهَلُ الغَمَامِ رَعودُ

في هذين البيتين لعَريبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى الوسطى، وقيل: إنّه لغيرها. وتمام هذه القصيدة: [الطويل]

على كُلِّ حَالٍ إنْ دَنَتْ أو تباعَدَتْ فَإنْ تَدْنُ مِنَّا فالدُّنُوُّ مزيدُ
فلا اليَأسُ يُسْلِيني ولا القُرْبُ نافِعي ولُبْنَى مَنُوعٌ ما تَكادُ تَجُودُ
كَأَنِّيَ مِنْ لُبْنَى سَلِيمٌ مُسَهَّدٌ يَظَلُّ على أيدي الرِّجالِ يَمِيدُ[1]
رَمَتْنِي لُبَيْنَى في الفؤادِ بِسَهْمِها وسَهْمُ لُبَيْنَى لِلفُؤادِ صَيُودُ
سَلاَ كُلُّ ذِي شَجْوٍ عَلِمْتُ مَكَانَه وقَلْبِي لِلُبْنَى مَا حَيِيتُ وَدودُ
وقَائِلَةٍ قد مَاتَ أو هو مَيِّتٌ ولِلنَّفْسِ مِنِّي أَنْ تَفِيضَ رَصِيدُ
أُعَالِجُ مِنْ نَفْسِي بقايا حُشَاشَةٍ على رَمَقٍ والعَائِدَاتُ تعودُ

وقال الجِرْمازيّ في خبره خاصّة: وعاتَبَتْهُ على تَزَوُّجه؛ فحلف أنه لم ينظر إليها ملءَ عينه ولا دنا منها، فصدّقته. وقال:

صوت

[الكامل]

ولَقَدْ أردتُ الصَّبْرَ عَنْكِ فَعَاقَني عَلَقٌ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكِ قَدِيمُ
يَبْقَى على حَدَثِ الزَّمانِ ورَيْبِهِ وعلى جَفَائِكِ، إنَّه لَكَرِيمُ
فَصَرَمْتِهِ وصَحَحْتِ وهو بِدَائِهِ شَتَّانَ بينَ مُصَحَّحٍ وسَقِيمِ
وَارَبْتِهِ زَمَناً فعادَ بِحِلْمِهِ إنَّ المُحِبَّ عَنِ الحبيبِ حَلِيمُ[2]

ـ لِعَريبَ في هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ، وللدَّارِميّ خفيفُ رملٍ من رواية الهِشاميّ، ومن النّاس من يَنسُب خفيفَ الثَّقيل إليه وخفيفَ الرمل إليها ـ قالوا: فلم يزل يومَه معها يحدّثها ويشكو إليها أعفَّ شكوى وأكرمَ حديث حتى أمسى؛ فانصرفتْ ووعدتْه الرجوعَ إليه من غدٍ فلم ترجع. وشاع خبره فلم تُرسل إليه

(١) السّليم: الجريح المشرف على الهلاك، سمّوه بذلك تفاؤلاً بالسلامة. ويميد: يضطرب.
(٢) الموارِبة: المخاتلة والمخادعة.

رسولاً، فكتب هذه الأبيات في رُقعة ودفعها إلى بُرَيْكة وسألها أن تُوصلها إليها، ورحَل متوجِّهاً إلى معاوية. والأبياتُ:

صوت [الطويل]

بِنَفْسِيَ مَنْ قَلْبِي له الدَّهرَ ذَاكِرُ ... ومَنْ هو عَنِّي مُعْرِضُ القَلْبِ صَابرُ
ومَنْ حُبُّهُ يَزْدَادُ عِنْدِيَ جِدَّةً ... وحُبِّي لَدَيْهِ مُخْلَقُ العَهْدِ دَاثِرُ

- غَنَّت في هذين البيتين ضنين جاريةُ خاقان بن حامد خفيفَ رَمَلٍ - قالوا:

[يزيد يرقّ لحاله ويلغي أمر إهدار دمه]

ثم ارتحل إلى معاوية، فدخل إلى يزيد فشكا ما به إليه وامتدحه؛ فرَقّ له وقال: سَلْ ما شئتَ، إن شئتَ أن أكتب إلى زوجها فأُحَتِّمَ عليه أن يطلِّقها فعلتُ. قال: لا أُريد ذلك، ولكن أُحبّ أن أقيم بحيث تقيم من البلاد، أَتعرَّفُ أخبارَها وأقنَعُ بذلك من غير أن يُهْدَرَ دمي. قال: لو سألتَ هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لَمَا وجب أن تُمْنَعَه، فأَقِمْ حيث شئت؛ وأخذ كتابَ أبيه له بأن يُقيمَ حيث شاء وأحبَّ ولا يَعترِضَ عليه أحد، وأزال ما كان كتب به في إهدار دمه؛ فقدِمَ إلى بلده. وبلغ الفَزَاريّين خبرُه وإلمامُه بِلُبْنَى، فكاتبوه في ذلك وعاتبوه. فقال للرسول: قل للفتى (يعني أخا الجارية التي تزوّجها): يا أخي ما غرِرْتُكَ من نفسي، ولقد أعلمتكَ أني مشغول عن كلِّ أحد، وقد جعلتُ أمرَ أُختكَ إليك فأَمْضِ فيه من حكمك ما رأيتَ. فتكرَّمَ الفتى عن أن يُفَرِّق بينهما، فمكثتْ في حِباله مدّةً ثم ماتت.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حَدّثني سليمان بن عَيّاش السَّعْديّ عن أبيه قال: أقبلتُ ذاتَ يوم من الغابة[1]؛ فلما كنت بالمَذَاد[2]، إذا رَبْعٌ حديثُ العهدِ بالساكن، وإذا رجل مجتمِعٌ في جانب ذلك الربع يَبْكِي ويحدِّثُ نفسَه. فسلَّمْتُ فلم يَرُدّ عليّ سلاماً. فقلت في نفسي: رجلٌ مُلْتَبَسٌ به فوَلَّيْتُ عنه. فصاح بي بعد ساعة: وعليكَ السَّلام، هَلُمَّ هَلُمَّ إليَّ يا صاحب

(١) الغابة: بريد من المدينة على طريق الشام بينها وبين سلع ثمانية أميال (معجم البلدان ٤/ ١٨٢).
(٢) المَذَاد: موضع بالمدينة وهو بين سَلْع وخندق المدينة (معجم البلدان ٥/ ٨٨).

السَّلام! فأتيته فقال: أمَا واللّهِ لقد فهمتُ سلامَكَ ولكنِّي رجل مُشْتَرَكُ اللُّبِّ يَضِلُّ عنّي أحياناً ثم يعود إليّ. فقلت: ومن أنت؟ قال: قيس بن ذَريح اللَّيْثيّ. قلت: صاحبُ لُبْنَى؟ قال: صاحبُ لُبْنَى لَعَمْرِي وقتيلُها!. ثم أرسل عينيه كأنهما مَزادتانِ؛ فما أَنْسَى حُسْنَ قوله: [الطويل]

أَبَائِنَةٌ لُبْنَى ولم تَقْطَعِ المَدَى ... بِوَصْلٍ ولا صُرْمٍ فَيَيْأَسَ طَامِعُ
نَهَارِي نَهَارُ الوَالِهِينَ صَبَابَةً ... ولَيْلِيَ تَنْبُو فيهِ عَنِّي المَضَاجِعُ
وقد كُنْتُ قَبْلَ اليَوْمِ خِلْواً وإِنَّمَا ... تُقَسَّمُ بين الهَالِكِينَ المَصَارِعُ
فلولا رَجَاءُ القَلْبِ أَنْ تُسْعِفَ النَّوَى ... لَمَا حَبَسَتْهُ بَيْنَهُنَّ الأَضَالِعُ
له وَجَبَاتٌ إِثْرَ لُبْنَى كَأَنَّها ... شَقَائِقُ بَرْقٍ في السَّمَاءِ لَوَامِعُ
أَبَى اللّهُ أَنْ يَلْقَى الرَّشَادَ مُتَيَّمٌ ... أَلاَ كُلُّ أَمْرٍ حُمَّ لا بُدَّ وَاقِعُ
هُمَا بَرَّحَابِي مُعْوِلَيْنِ كِلاَهُما ... فُؤَادٌ وعَيْنٌ جَفْنُهَا الدَّهْرَ دَامِعُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا أحمد بن سَعيد قال: حَدّثنا الزُّبَير قال، وأخبرنا به وَكيع عن أبي أيُّوب المَدينيّ، قال الزُّبَير: قال حَدّثتني ظَبْية قالت:

سمعتُ عبد الله بن مُسْلِم بن جُنْدَب يُنْشِدُ زوجي قولَ قيس بن ذَرِيح:

إذا ذُكِرَتْ لُبْنَى تَأَوَّهَ واشْتَكَى ... تَأَوُّهَ مَحْمُومٍ عليهِ البَلابِلُ[1]
يَبِيتُ ويُضْحِي تحتَ ظِلِّ مَنِيَّةٍ ... بهِ رَمَقٌ تَبْكِي عَلَيهِ القَبائِلُ
قَتِيلٌ لِلُبْنَى صَدَّعَ الحُبُّ قَلْبَهُ ... وفي الحُبِّ شُغْلٌ لِلْمُحِبِّين شَاغِلُ

فصاح زوجي: أَوَّه! واحَرَباه واسَلَباه!. ثم أقبلَ على ابن جُنْدَب فقال: وَيْلَكَ! أَتُنْشِدُ هذا كذا! قال: فكيف أُنشِدُه؟ قال: لم لا تتأوّه كما يتأوه وتشتكي كما يشتكي!.

وقال القَحْذَمِيّ: قال ابن أبي عَتيق لِقَيس يوماً: أَنْشِدْني أَحَرَّ ما قلتَ في لُبْنَى، فأنشده قولَه: [الطويل]

وإِنّي لأَهْوَى النَّوْمَ في غَيْرِ حِينِهِ ... لَعَلَّ لِقَاءً في المَنَامِ يَكُونُ
تُحَدِّثُنِي الأَحْلامُ أَنِّي أَرَاكُمُ ... فَيَا لَيْتَ أَحْلاَمَ المَنَامِ يَقِينُ
شَهِدْتُ بِأَنِّي لم أَحُلْ عَنْ مَوَدَّةٍ ... وأَنِّي بِكُمْ لو تَعْلَمِينَ ضَنِينُ

(١) البلابل: شدّة الهمّ والوسواس في الصدر.

وأنَّ فُـؤَادِي لا يَـلِـيـنُ إلـى هَـوَى سِـوَاكِ وإنْ قـالُـوا بَـلَـى سَـيَـلِـيـنُ

فقال له ابن أبي عَتيق: لَقَلَّ ما رَضِيتَ به منها يا قَيْس. قال: ذلك جُهْدُ المُقِلّ. غَنَّى في البيتين الأوّلين قَفَا النَّجار ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: أنشدني أحمد بن يحيى ثَعْلب لقيس بن ذريح وكان يستحسن هذه الأبياتَ من شعره: [الطويل]

سَقَى طَلَلَ الدَّارِ الَّتي أَنْتُمُ بِهَا حَـيـاً ثـم وَبْـلٌ صَـيِّـفٌ وربـيـعُ[1]
مَضَى زَمَنٌ والنَّاسُ يَسْتَشْفِعونَ بِي فَهَلْ لِي إلى لُبْنَى الغَدَاةَ شَفيعُ
سَأَصْرِمُ لُبْنَى حَبْلَكِ اليَومَ مُجْمِلاً وإنْ كانَ صَرْمُ الحَبْلِ منكِ يَرُوعُ
وسوفَ أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْكِ كَمَا سَلاَ عَنِ البَلَدِ النَّائِي البَعِيدِ نَزِيعُ[2]
وإنْ مَسَّني لِلضُّرِّ مِنْكِ كَآبَةٌ وإنْ نَالَ جِسْمِي لِلفِرَاقِ خُشوعُ
يقولونَ صَبٌّ بالنِّسَاءِ مُوَكَّلٌ وما ذاكَ مِنْ فِعْلِ الرِّجَالِ بَدِيعُ
نَدِمْتُ على ما كانَ مِنِّي نَدَامَةً كَمَا نَدِمَ المَغْبُونُ حِينَ يَبِيعُ
فَقَدْتُكِ مِنْ نَفْسٍ شَعَاعٍ أَلَمْ أَكُنْ نَهَيْتُكِ عَنْ هذا وأَنْتِ جَميعُ[3]
فَقَرَّبْتِ لي غيرَ القَرِيبِ وأَشْرَفَتْ هُنَاكَ ثَنَايا ما لَهُنَّ طُلُوعُ
إلى اللّهِ أَشْكُو نِيَّةً شَقَّتِ العَصَا هِيَ اليومُ شَتَّى وَهْيَ أَمْسِ جَمِيعُ
فيا حَجَراتِ الدَّارِ حَيْثُ تَحَمَّلوا بِذِي سَلَمٍ لا جَادَكُنَّ رَبِيعُ[4]

صوت

فلو لم يَهِجْني الظَّاعِنُونَ لَهَاجَنِي حَمَائِمُ وُرْقٌ في الدِّيارِ وُقوعُ[5]
تَدَاعَيْنَ فاسْتَبْكَيْنَ مَنْ كانَ ذا هَوىً نَوَائِحَ لم تَقْطُرْ لَهُنَّ دُموعُ

ـ غَنَّى في هذين البيتين ابنُ سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوّل عن الهِشاميّ ـ

---

(١) الحَيَا: المطر لأنه يحيي الأرض والناس. والوَبل: المطر الشديد.
(٢) النَّزيع: الغريب.
(٣) الشَّعَاع: المتفرّق.
(٤) ذو سلم: وادٍ ينحدر عن الذنائب والذنائب: أرض على طريق البصرة إلى مكة (معجم البلدان ٣/ ٢٤٠).
(٥) الوُرْقُ: جمع الأورق والورقاء: الذي لونه لون الرَّماد. ووقوع: نازلات

صوت

إذا أَمَـرَتْـنِـي الـعَـاذِلاتُ بِـهَـجْـرِهـا ... أَبَـتْ كَـبِـدٌ عَـمَّـا يَـقُـلْـنَ صَـدِيـعُ
وكـيـفَ أُطِـيـعُ الـعَـاذِلاتِ وذِكْـرُهَـا ... يُـؤَرِّقُـنِـي والـعَـاذِلاتُ هُـجُـوعُ

غَنَّى في هذين البيتين إبراهيمُ ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو.

[بعض أخبار أبي السائب المخزومي مع شعر قيس]

أخبرني الحَرَمِيُّ قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: حَدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال: أنشدتُ أبا السائبِ المَخْزُومِيّ قولَ قيس بن ذَرِيح:

صوت

[الطويل]

أُحِـبُّـكَ أَصْـنَـافـاً مِـنَ الـحُـبِّ لـم أَجِـد ... لـهـا مَـثَـلاً في سَـائِـرِ الـنَّـاسِ يُـوصَـفُ
فَـمِـنْـهُـنَّ حُـبٌّ لِـلْـحَـبِـيـبِ ورَحْـمَـةٌ ... بِـمَـعْـرِفَـتـي مـنـه بـمـا يَـتَـكَـلَّـفُ
ومِـنْـهُـنَّ أَلاَّ يَـعْـرِضَ الـدَّهْـرَ ذِكْـرُهـا ... على القَلْبِ إلاَّ كَادَتِ النَّفْسُ تَتْلَفُ
وحُـبٌّ بَـدَا بِـالـجِـسْـمِ والـلَّـوْنِ ظَـاهِـرٌ ... وحُبٌّ لَدَى نَفْسِي مِنَ الرُّوحِ أَلْطَفُ

قال أبو السَّائب: لا جَرَمَ[1] والله لأُخْلِصَنَّ له الصَّفَاءَ ولأَغْضَبَنَّ لغضبه ولأرضَيَنّ لرضاه. غَنَّى في البيتين الأوّلين الحسين بن مُحْرِز خَفَيفَ ثقيلٍ عن الهِشامي وبَذْل.

أخبرني الحَرَميُّ قال: حَدّثنا الزُّبَيْر قال: حَدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن أبي السّائب المخزوميّ أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمٰن بن عبد الله بن كَثِير في سَقيفة دار كَثِير، إذ مُرَّ بجنازة؛ فقال لي: يا أبا السَّائب، جارُك ابن كَلَدة، ألاَ تقوم بنا فنصلِّيَ عليه! قال: قلت: بَلَى واللّه فديتُكَ!. فقمنا حتى إذا كنّا عند دار أُوَيْس إذ ذكرتُ أن جدّه كان تزوّج لُبْنَى ونزل بها المدينة، فرجعتُ فطرحْتُ نفسي في السَّقيفة وقلت: لا يراني الله أُصَلِّي عليه. فرجع الكَثِيرِيُّ فقال: أكنتَ جُنُباً؟ قلت: لا والله. قال: فعلى غير وُضوء؟ قلتُ: لا والله. قال: فما لكَ؟ قلتُ: ذكرتُ أن

(١) لا جَرَم: كلمة معناها في الأصل لا بُدَّ ولا محالة، ثم أصبحت تُقال بمعنى القسم وهي بمنزلة (حقاً).

جَدَّهُ كان تزوّجَ لُبْنَى وفرّق بينها وبين قيس بن ذَرِيح لمّا ظعَنَ بها من بلادها، فما كنت لأُصَلِّيَ عليه.

أخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيديّ قال: حَدّثنا أحمد بن يحيى قال: حَدّثنا عبد الله بن شَبِيب قال: حَدّثني هارون بن موسى الفَرَويّ قال: أخبرنا الخليل بن سعيد قال: مَرَرْتُ بِسُوقِ الطَّيْرِ، فإذا النَّاسُ قد اجتمعوا يركبُ بعضُهم بعضاً، فاطَّلعتُ فإذا أبو السَّائب المخزوميّ قائمٌ على غراب يُبَاعُ وقد أخذ بطَرَفِ ردائه وهو يقول للغراب: يقول لك قيس بن ذَرِيح: [الطويل]

أَلاَ يَا غُـرَابَ الـبَيْـنِ قَـدْ طِـرْتَ بِـالَّـذي ... أُحَـاذِرُ مِـنْ لُـبْـنَـى فَـهَـلْ أَنْـتَ وَاقِـعُ

لِمَ لا تقعُ! ويضربه بردائه والغراب يصيح. قال: فقال قائل له: أصلحكَ اللَّهُ يا أبا السَّائب! ليس هذا ذاك الغرابَ. فقال: قد علمت، ولكن آخذ البريء حتى يقع الجريء.

وقال الحِرْمازيُّ في خبره: لما بلغ لُبنى قولُ قيس:

أَلاَ يَا غُـرَابَ الـبَيْـنِ قَـدْ طِـرْتَ بِـالَّـذي ... أُحَـاذِرُ مِـنْ لُـبْـنَـى فَـهَـلْ أَنْـتَ وَاقِـعُ

آلَتْ أَلاَّ ترى غُرَاباً إلاّ قتلتْه؛ فكانت كلّما رأته أو رأته خادمٌ لها أو جارة ابتيع ممّن هو معه وذبحتْه.

وهذه القصيدة العينيّة أيضاً من جيِّد شعر قيس. والمختارُ منها قوله: [الطويل]

أَتَـبْـكِـي عـلـى لُـبْـنَـى وأَنـتَ تَـرَكْـتَـهـا ... وكُـنْـتَ كَـآتٍ حَـتْـفَـهُ وَهْـوَ طَـائِـعُ
فَـيَـا قَـلْـبُ صَـبْـراً واعْـتِـرَافـاً لِـمَـا تَـرَى ... ويـا حُـبَّـهـا قَـعْ بِـالَّـذِي أَنْـتَ وَاقِـعُ[1]
ويـا قَـلْـبُ خَـبِّـرْنِـي إذا شَـطَّـتِ الـنَّـوَى ... بِـلُـبْـنَـى وبَـانَـتْ عَـنْـكَ ما أنـتَ صَـانِـعُ
أَتَـصْـبِـرُ لِـلـبَـيْـنِ الـمُـشِـتِّ مَـعَ الـجَـوَى ... أَمَ انْـتَ امْـرُؤٌ نَـاسِـي الـحَـيَـاءَ فـجـازِعُ
كـأنَّـك بِـدْعٌ لـم تَـرَ الـنَّـاسَ قـبْـلَـهـا ... ولـمْ يَـطَّـلِـعْـكَ الـدَّهْـرُ فِـيـمَـنْ يُـطَـالِـعُ
أَلاَ يَـا غُـرَابَ الـبَـيْـنِ قـد طِـرْتَ بِـالّـذِي ... أُحَـاذِرُ مِـنْ لُـبْـنَـى فَـهَـلْ أَنـتَ وَاقِـعُ
فـلـيـسَ مُـحِـبٌّ دَائِـمـاً لِـحَـبِـيـبِـهِ ... ولا ثِـقَـةٌ إلاّ لـه الـدَّهْـرَ فـاجِـعُ
كَـأَنَّ بِـلادَ الـلَّـهِ مَـا لَـمْ تَـكُـنْ بِـهـا ... وإنْ كَـانَ فِـيـهـا الـنَّـاسُ قَـفْـرٌ بَـلاَقِـعُ[2]

---

(١) اعترفَ للأمر: صبرَ.
(٢) البلاقع: جمع البلقع والبلقعة: الأرض القفر.

فَمَا أَنتَ إذ بَانَتْ لُبَيْنَى بِهَاجِعٍ إذا ما اطْمَأَنَّتْ بِالنِّيَامِ المَضَاجِعُ

صوت

أُقَضِّي نَهَارِي بِالحَدِيثِ وبِالمُنَى وَيَجْمَعُنِي والهَمَّ بِاللَّيْلِ جَامِعُ
نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إذا دَجَا لِيَ اللَّيْلُ هَزَّتْنِي إِليكِ المَضَاجِعُ
لقد رَسَخَتْ في القَلْبِ مِنكِ مَوَدَّةٌ كَمَا رَسَخَتْ في الرَّاحَتَيْنِ الأَصَابِعُ
أَحَالَ عَلَيَّ الهَمُّ من كُلِّ جانبٍ ودَامَتْ فلم تَبْرَحْ عَلَيَّ الفَوَاجِعُ
أَلاَ إِنَّما أَبْكِي لِمَا هو وَاقِعٌ فهلْ جَزَعِي مِنْ وَشْكِ ذلكَ نَافِعُ
وقد كُنْتُ أَبْكِي والنَّوَى مُطْمَئِنَّةٌ بِنَا وبِكُمْ مِنْ عِلْمِ مَا البَيْنُ صَانِعُ
وأَهْجُرُكُمْ هَجرَ البَغِيضِ وحُبُّكُمْ على كَبِدِي مِنْهُ كُلُومٌ صَوَادِعُ
وأَعْمِدُ لِلأَرْضِ الّتي لا أُرِيدُهَا لِتَرْجِعَنِي يَوْماً إِلَيْكِ الرَّوَاجِعُ
وأُشْفِقُ مِنْ هِجْرَانِكُمْ وتَرُوعُنِي مَخَافَةُ وَشْكِ البَيْنِ والشَّمْلُ جَامِعُ
فما كُلُّ ما منَّتْكَ نَفْسُكَ خَالِياً تُلاَقِي ولا كُلُّ الهَوَى أنتَ تَابِعُ
لَعَمْرِي لَمَنْ أَمْسَى ولُبْنَى ضَجِيعُهُ مِنَ النَّاسِ ما اخْتِيرَتْ عليه المَضَاجِعُ
فتلكَ لُبَيْنَى قد تَرَاخَى مَزَارُهَا وتلكَ نَوَاهَا غُرْبَةٌ ما تُطَاوِعُ
وليسَ لأَمْرٍ حَاوَلَ الله جَمْعَهُ مُشِتٌّ ولا ما فَرَّقَ اللَّهُ جَامِعُ
فلا تَبْكِيَنْ في إِثْرِ لُبْنَى نَدَامَةً وقد نَزَعَتْهَا مِنْ يَدَيْكَ النَّوَازِعُ

غَنَّى الغَرِيضُ في الثالث والرابع والأوّل والعشرين وهو «لعمري لَمَنْ أمسى ولُبنى ضجيعُه» ثقيلاً أوّل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وغَنَّى إبراهيم الموصليّ في العاشر وهو: «أُقَضِّي نهاري بالحديث وبالمُنى» والحادي عشر والثاني عشر رَمَلاً بالوسطى عن عمرو، وقد قيل: إن ثلاثة أبيات من هذه وهي: «أُقَضِّي نهاري بالحديث وبالمنى» والبيتان اللذان بعده لابن الدُّمَيْنة الخَثْعَميّ؛ وهو الصحيح؛ وإنما أدخلها الناس في هذه الأبيات لتشابهها.

[نهايات لقصّة حبّ قيس ولبنى]

وقد اخْتُلفَ في آخر أمر قيس ولُبْنَى؛ فذكر أكثر الرُّواة أنهما ماتا على افتراقهما، فمنهم من قال: إنّه مات قبلَها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه. ومنهم من قال: بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها، وممّن ذكر ذلك اليوسُفِيّ عن عليّ بن صالح صاحبِ المُصَلَّى؛ قال: قال لي أبو عمرو المَدَنيّ: ماتت لُبْنَى، فخرج قيسٌ

ومعه جماعةٌ من أهله فوقف على قبرها فقال: [المنسرح]

مَاتَتْ لُبَيْنَى فَمَوْتُهَا مَوْتِي هل تَنْفَعَنْ حَسْرَتي على الفَوْتِ
وسَوْفَ أَبْكِي بُكَاءَ مُكْتَئِبٍ قَضى حَيَاةً وَجْداً على مَيْتِ

ثم أكبَّ على القبر يبكي حتى أُغْمِيَ عليه؛ فرفعه أهلُه إلى منزله وهو لا يعقل، فلم يَزَلْ عليلاً لا يُفيق ولا يجيبُ مكلِّماً ثلاثاً حتى مات فدُفِنَ إلى جنبها.

[نهاية طريفة]

وذكر القَحْذَمِيّ وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابنَيْ عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعةٍ من قريش، فقال لهم: إنَّ لي حاجةً إلى رجل أخشى أن يَرُدَّني فيها، وإنّي أستعينُ بجاهكم وأموالكم فيها عليه. قالوا: ذلك لك مُبْتَذَلٌ منّا. فاجتمعوا ليومٍ وعَدَهُمْ فيه، فمضى بهم إلى زوج لُبْنَى، فلمّا رآهم أَعْظم مصيرَهم إليه وأكْبره، فقالوا: لقد جئناكَ بأجمعنا في حاجة لابن أبي عَتيق. قال: هي مقضيّة كائنةً ما كانت. قال ابن أبي عَتيق: قد قضيتَها كائنةً ما كانت من مِلْكٍ أو مالٍ أو أهل؟ قال: نعم. قال: تَهَبُ لهم ولي لُبْنى زوجتَكَ وتطلّقها. قال: فإنّي أُشْهِدُكم أنها طالقٌ ثلاثاً. فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إيّاها. وقال ابن عائشة: فعوَّضَهُ الحسنُ من ذلك مائةَ ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه. فلم تزل عنده حتى انقضت عدَّتُها. فسأل القومُ أباها فزوَّجَها قيساً، فلم تزل معه حتى ماتا. قالوا: فقال قيس يمدح ابن أبي عَتيق:

[الوافر]

جَزَى الرَّحْمٰنُ أَفْضَلَ ما يُجَازِي على الإِحْسَانِ خَيْراً مِنْ صَدِيقِ
فَقَدْ جَرَّبْتُ إِخْوَانِي جَمِيعاً فَمَا أَلْفَيْتُ كَابْنِ أَبِي عَتِيقِ
سَعَى في جَمْعِ شَمْلِي بَعْدَ صَدْعٍ ورَأْيٍ حِدْتُ فيه عن الطَّرِيقِ
وأَطْفَأَ لَوْعَةً كَانَتْ بِقَلْبِي أَغَصَّتْنِي حَرَارَتُها بِرِيقِي

قال: فقال له ابن أبي عتيق: يا حبيبي أَمْسِكْ عن هذا المديح؛ فما يسمعه أحد إلاّ ظنّني قَوّاداً. مضى الحديث.

[معلّقة عنترة ومناسبتها]

ومن مُدُن مَعْبَد وهو الذي أوّله:

يَـا دَارَ عَـبْـلَـة بـالـجِـواء تَـكَـلَّـمـي

وقد جُمِعَ معه سائرُ ما يُغَنَّى فيه من القصيدة.. منها:

صوت

[الكامل]

هَـلْ غَـادَرَ الـشُّـعَـرَاءُ مِـنْ مُـتَـرَدَّمِ ... أَمْ هَـلْ عَـرَفْـتَ الـدَّارَ بـعـد تَـوَهُّـمِ

يـا دَارَ عَـبْـلَـةَ بِـالـجِـوَاءِ تَـكَـلَّـمِـي ... وَعِـمِـي صَـبَـاحـاً دارَ عَـبْـلَـةَ واسْـلَـمِـي

وتَـحُـلُّ عَـبْـلَـةُ بِـالـجِـوَاءِ وأَهْـلُـنـا ... بِـالـحَـزْنِ فَـالـصَّـمَّـانِ فَـالـمُـتَـثَـلَّـمِ(١)

كـيـفَ الـقَـرَارُ وقـد تَـرَبَّـعَ أَهْـلُـهـا ... بِـعُـنَـيْـزَتَـيْـنِ وأَهْـلُـنَـا بِـالـغَـيْـلَـمِ(٢)

حُـيِّـيـتَ مِـنْ طَـلَـلٍ تَـقَـادَمَ عَـهْـدُهُ ... أَقْـوَى وأَقْـفَـرَ بـعـدَ أُمِّ الـهَـيْـثَـمِ

ولـقـد نَـزَلْـتِ فَـلا تَـظُـنِّـي غَـيْـرَهُ ... مِـنِّـي بِـمَـنْـزِلَـةِ الـمُـحَـبِّ الـمُـكْـرَمِ

ولـقـد خَـشِـيـتُ بِـأَنْ أَمُـوتَ ولـم تَـدُرْ ... لِـلـحَـرْبِ دَائِـرَةٌ عـلـى ابْـنَـيْ ضَـمْـضَـمِ

الـشَّـاتِـمَـيْ عِـرْضِـي ولـم أَشْـتُـمْـهُـمَـا ... والـنَّـاذِرَيْـنِ إذا لَـمَ الـقَـهُـمَـا دَمِـي

ولَـقَـدْ شَـفَـى نَـفْـسِـي وأَبْـرَأَ سُـقْـمَـهَـا ... قِـيـلُ الـفَـوَارِسِ وَيْـكَ عَـنْـتَـرُ فَـاقْـدُمِ

مَـا زِلْـتُ أَرْمِـيـهِـمْ بِـثُـغْـرَةِ نَـحْـرِهِ ... ولَـبَـانِـهِ حَـتّـى تَـسَـرْبَـلَ بِـالـدَّمِ(٣)

هَـلاَّ سَـأَلْـتِ الـخَـيْـلَ يَـابْـنَـةَ مَـالِـكٍ ... إنْ كُـنْـتِ جَـاهِـلَـةً بِـمَـا لـم تَـعْـلَـمِـي

يُـخْـبِـرْكِ مَـنْ شَـهِـدَ الـوَقِـيـعَـةَ أَنَّـنـي ... أَغْـشَـى الـوَغَـى وأَعِـفُّ عِـنْـدَ الـمَـغْـنَـمِ

يَـدْعُـونَ عَـنْـتَـرَ والـرِّمَـاحُ كَـأَنَّـهـا ... أَشْـطَـانُ بِـئْـرٍ فـي لَـبَـانِ الأَدْهَـمِ

فَـشَـكَـكْـتُ بِـالـرُّمْـحِ الـطَّـويـلِ ثِـيَـابَـهُ ... لـيـسَ الـكَـرِيـمُ عـلـى الـقَـنـا بِـمُـحَـرَّمِ

---

(١) الحَزْن: اسم يطلق على عدّة مواضع منها حَزْن يربوع وحَزْن مُلَيْحة، وحزن كلب وغيرها (معجم البلدان ٢/ ٢٥٤). والصَّمَّان: جبل في أرض تميم، وهو يُطلق على مواضع كثيرة (معجم البلدان ٣/ ٤٢٣). والمتثلّم: جبل في بلاد بني مرة. (معجم البلدان ٥/ ٥٣).

(٢) عنيزتين: قيل: هو تثنية عنيزة، وقيل: بل هو موضع آخر (معجم البلدان ٤: ١٦٤). والغَيْلَم: اسم موضع ذكره ياقوت في (معجم البلدان ٤/ ٢٢٣).

(٣) اللّبان: الصدر.

فـإذا شَـرِبْـتُ فَـإنَّـنـي مُـسْـتَـهْـلِـكٌ مَـالِـي، وعِـرْضِـي وَافـرٌ لـم يُـكْـلَـمِ
وإذا صَـحَـوْتُ فـمـا أُقَـصِّـرُ عـن نَـدًى وكَـمَـا عَـلِـمْـتِ شَـمَـائِـلـي وتَـكَـرُّمِـي

الشّعر لعنترة بن شَدَّاد العَبْسيّ، وقد تقدَّمت أخباره ونسبه. وغَنّى في البيت الأوّل، على ما ذكره ابن المَكّيّ، إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى، وما وجدتُ هذا في رواية غيره، وغَنَّى مَعْبد في البيت الثاني والثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، وهو الصوت المعدود في مُدُن معبد، وغَنّى سَلاَّم الغَسَّال في السابع والثامن والثالث والعاشر رَمَلاً بالسبَّابة في مجرى البنصر، ووجدت في بعض الكتب أن له أيضاً في السابع وحده ثانيَ ثقيلٍ أيضاً، وذكر عمرو بن بانة أن هذا الثقيل الثانيَ بالوسطى لمعبد ووافقه يونس، وذكر ابن المكيّ أن هذا الثقيل الثانيَ للهُذَليّ، وذكر غيره أنه لابن مُحْرِز. وذكر أحمد بن عُبَيْد أنّ في السابع ثقيلاً أوّل للهُذَليّ، ووافقه حَبَش، وذكر حبش أن في الثاني لمعبد ثقيلاً أوّل، وأن لابن سُرَيج فيه رملاً آخر غير رمل ابن الغَسَّال، وأن لابنِ مِسْجَح أيضاً فيه خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى. وفي كتاب أبي العُبَيْس: له في الثالث لحن. وفي كتاب أبي أيّوب المَدِينيّ: لابن جامع في هذه الأبيات لحن، ولمعبد في الحادي عشر والثاني عشر والخامس عشر والسادس عشر خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً، ولِعَلّويه في السادس والرابع ثاني ثقيلٍ، وله أيضاً في الرابع عشر والثالث عشر رَمَلٌ، وفي كتاب هارون بن الزَّيّات لعبدِ آلٍ في الخامس ثقيلٌ أوّل؛ وقد نسَب الثقيلَ الثانيَ المختلَفَ فيه لابن مُحْرِز، وفي كتاب هارون: لأحمد النَّصْبيّ في الرابع والخامس لحن.

«هل غادر الشُّعَرَاء» البيتَ، يدفع أكثرُ الرُّوَاة أن يكون لعنترة؛ وممن يدفعه الأصمعيّ وابن الأعرابيّ، وأوّل القصيدة عندهما «يا دارَ عَبْلَةَ»، فذكر أبو عمرو الشَّيْبَانيّ أنه لم يكن يَرْويه حتى سمع أبا حِزَامٍ العُكْليّ يرويه له.

قوله: «هل غادر الشّعراء من متردَّم» يقول: هل تركوا شيئاً يُنْظَرُ فيه لم ينظروا فيه؟. والمُتَرَدَّم: المُتَعَطَّف، وهو مصدر. يقول: هل تركوا شيئاً يُتَرَدَّمُ عليه أي يُتَعَطَّفُ؛ ويقال: تَرَدَّمَتِ النَّاقةُ على ولدها إذا تَعَطَّفَتْ عليه، وثوبٌ مُرَدَّم ومُلَدَّم إذا سُدَّتْ خروقُه بِالرِّقاع. والرَّبع: المنزل، سُمِّيَ ربعاً لارتباعهم فيه؛ والرَّبِيعة: الصَّخرة. حكى أبو نصر أنه يقول: هل ترك الشّعراء من خَرْقٍ لم يرقَعوه وفَتْقٍ لم يرتُقوه! وهو أشبهُ بقوله من مُتَرَدَّم. وقال غيره: يعني بقوله من متردَّم البناءَ وهو الرَّدْم، أي لم يتركوا بناءً إلاّ بنَوْه؛ قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ

رَدْماً﴾[١] يعني بناءً؛ وردَم فلان حائطَه أي بناه. والجِواء: بلد بعينه؛ والجواء أيضاً: جمع جَوٍّ وهو البطن الواسع من الأرض. عِمِي صباحاً وانْعِمي صباحاً: تَحِيَّةٌ. تَربَّعَ أَهْلُها: نزلوا في الرَّبيع. وعُنَيْزَتَيْن: أَكَمةٌ سوداء بين البَصْرة ومكة. والغَيْلَم: موضع. والطَّلَل: ما كان له شخص من الدار مثل أُثْفِيَّة[٢] أو وَتِدٍ أو نُؤْيٍ؛ وتقول العرب: حَيَّا اللّه طَلَلَكَ، أي شخصَكَ. وابنا ضَمْضَم: حصَيْن وهَرِم المُرِّيَّانِ. وثُغْرة نحره: موضع لَبّته. واللَّبَان: مَجْرَى لَبَبِه من صدره وهو الصَّدر نفسه. ويروى «بِغُرَّةِ وجهِه». وتَسَرْبل، أي صار له سِربال من الدم. وقوله: «هَلاّ سألتِ الخيلَ» يريد فرسانَ الخيل؛ كما قال اللّه تعالى: ﴿واسألِ القَرْيَةَ﴾. والوَقيعة: الوَقْعةُ. والوَغَى والوَحَى: أصواتُ النَّاس وجَلَبتُهم في الحرب؛ وقال الشاعر: [الطويل]

ولَيْلٍ كَسَاجِ الحِمْيَرِيِّ ادَّرَعْتُهُ كَأَنَّ وَغَى حَافَاتِه لَغَطُ العُجْمِ[٣]

والأشطان: الحبال، واحدها شَطَن. شَبَّهَ اختلافَ الرِّماح في صدر فرسه بالأشطان. وشَكَكْتُ بالرّمح: نظمتُ. وقال أبو عمرو: يعني بثيابه قلبَه. والعِرْضُ: موضعُ المدح والذَّمّ من الرجل؛ يقال: طَيِّب العِرْض أي طيِّب ريح الجسم والكُلوم الجراح، والوافر: التامّ. وشمائلي: أخلاقي، واحدها شِمَال. يقال: فلان حلو الشَّمائل والنَّحائت والضَّرائب والغرائز.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حَدّثنا أبو سعيد السُّكَّري قال: قال أبو عمر الشَّيْبانيّ: قال عنترةُ هذه القصيدةُ لأنَّ رجلاً من بني عَبْس سَابَّهُ فذكر سوادَه وسوادَ أُمّه وإخوته وعَيَّرَهُ ذلك. فقال عنترة: والله إنَّ النَّاسَ لَيَتَرَافَدُون[٤] بِالطُّعْمَةِ، فوالله ما حضرتَ مَرْفِدَ النَّاس أنتَ ولا أبوك ولا جَدُّك قَطُّ. وإنّ الناس لَيُدْعَوْن في الفزع فما رأيتُكَ في خَيْلٍ قَطُّ، ولا كنتَ في أوّل النساء. وإن اللَّبْس (يعني الاختلاط) لَيكونُ بيننا فما حضرتَ أنت ولا أحدٌ من أهل بيتك لِخُطّةٍ فيصلٍ قطُّ، وكنتَ فَقْعاً بِقَرْقَرَة[٥]. ولو

(١) سورة الكهف: الآية ٩٥.
(٢) الأثفيّة: الحجر تُوضع عليه القِدْر
(٣) سورة يوسف: الآية ٨٢.
(٤) السَّاج: الطيلسان الأسود. الوَغَى: الجلبة والصوت.
(٥) يترافدون: يتعاونون.
(٦) فقع بقرقرة: مَثَل يُضْرَب للضعيف الذليل، والفَقْع: ضرب من الكمأة وهي البيضاء الرخوة، والقرقرة: الأرض المستوية السهلة.

كنتُ في مَرْتَبتك ومَغْرِسِكَ الذي أنت فيه ثم ماجَدْتُك لَمَجَدْتُكَ، أو طاوَلْتُكَ لَطُلْتُكَ. ولو سألتَ أُمَّكَ وأباك عن هذا لأخبراكَ بصحّته. وإنّي لأَحْتَضِرُ الوغَى، وأُوَفِّي المَغْنَم، وأَعِفُّ عن المسألة، وأَجُودُ بما ملكتُ، وأفصِلُ الخُطَّةَ الصَّمْعاء[1]. فقال له الآخر: أنا أشعرُ منك. فقال: ستعلم!. وكان عنترة لا يقول من الشِّعر إلاّ البيتَ أو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة، ويزعمون أنها أوّل قصيدة قالها، وكانت العرب تُسَمِّيها المُذَهَّبَة.

[شِعرُ كُثيّر ومناسبته]

نسبة الأصوات التي جُعِلَتْ مكان بعض هذه الأصوات في مدن معبد، وهنّ:

صوت

[الطويل]

تَقَطَّعَ مِنْ ظَلاَّمَةَ الوَصْلُ أَجْمَعُ	أَخِيراً على أَنْ لم يَكُنْ يَتَقَطَّعُ
وأَصْبَحْتُ قد وَدَّعْتُ ظَلاَّمَةَ الَّتي	تَضُرُّ وما كَانَتْ مع الضُّرِّ تَنْفَعُ

الشعر لِكُثَيِّر، والغِناء لِمَعْبَد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنصر عن عمرو ويونس.

أخبرني الحَرَميُّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال: حَدّثني سليمان بن عَيّاش السَّعْديّ قال: قال السائبُ راويةُ كُثَيِّر، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: زعم ابن الكَلْبيّ عن أبي المُقَوَّم قال: حَدّثني سائب راوية كُثَيِّر قال: كنتُ مع كُثَيِّر عند ظَلاَّمةَ فأقمنا أيّاماً، فلمّا أردنا الانصراف عقدتْ له في عِلاَقة سَوْطه عُقَداً وقالت: احْفَظْها. ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبني ضَمْرة، فقال: إنّ في هذه الأخبية جاريةً ظريفةً ذاتَ جمال، فهل لك أن تستبرزها؟ فقلت: ذاك إليك. قال: فمِلْنا إليهم فخرجَتْ إلينا جاريتها فأخرجَتْها إلينا، فإذا هي عَزّة، فجلس معها يحادثها، وطرح سَوْطَه بينه وبينها إلى أن غَلَبتْه عيناه. وأقبلتْ عَزّةُ على تلك العُقَد تَحُلُّها واحدةً واحدةً. فلمّا استيقظ انصرَفْنا. فنظر إلى عِلاقة سوطه فقال: أَحَلَّتْها؟ قلت: نعم! فلا وَصَلَها اللّهُ! والله إنّكَ لمجنون. قال: فسكتَ عنّي طويلاً ثم رفع السَّوْطَ فضربَ به واسطةَ رَحْلِه وأنشأ يقول:

تَقَطَّعَ مِنْ ظَلاَّمَةَ الوَصْلُ أَجْمَعُ	أَخِيراً على أَنْ لَمْ يَكُنْ يَتَقَطَّعُ

(١) الصَّمعاء: الحازمة.

وأَصْبَحْتُ قد وَدَّعْتُ ظَلاَّمَةَ الَّتي تَضُرُّ وما كَانَتْ مَعَ الضُّرِّ تَنْفَعُ
وقد سُدَّ مِنْ أبوابِ ظَلاَّمَةَ الَّتي لَنَا خَلَفٌ لِلنَّفس مِنْها ومَقْنَعُ

ثم وصل عزّة بعد ذلك وقطع ظَلاّمة.

ومنها: وهو الذي أوّله «خَمْصانةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها».

صوت

أَقْوَى مِنَ آلِ ظُلَيْمَةَ الحَزْمُ فَالغَمْرَتَانِ فَأَوْحَشَ الخَطْمُ[(١)]
فَجُنُوبُ أَثْبِرَةٍ فَمُلْحَدُها فالسِّدْرَتَانِ فَمَا حَوَى دَسْمُ[(٢)]
وبِمَا أَرَى شَخْصاً به حَسَناً في القَوْمِ إذ حَيَّتْكُمُ نُعْمُ
إذ وُدُّهَا صَافٍ ورُؤْيَتُهَا أُمْنِيَّةٌ وَكَلاَمُهَا غُنْمُ
لَفَّاءُ مَمْلُوءٌ مُخَلْخَلُها عَجْزَاءُ ليسَ لِعَظْمِها حَجْمُ[(٣)]
خَمْصَانَةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُهَا رُؤْدُ الشَّبَابِ عَلاَ بِهَا عَظْمُ[(٤)]
وكَأَنَّ غَالِيَةً تُبَاشِرُهَا تَحْتَ الثِّيَابِ إذا صَغَا النَّجمُ[(٥)]
أَظُلَيْمُ إنَّ مُصَابَكُمْ رَجُلاً أَهْدَى السَّلاَمَ تَحِيَّةً ظُلْمُ
أَقْصَيْتِهِ وَأَرادَ سَلْمَكُمُ فَلْيَهْنِهِ إذْ جَاءَكِ السَّلْمُ

عروضه من الكامل، الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ، والغِناء لِمَعْبد، ولحنه من القدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البِنصر. قال: ولحن معبد:

خَمْصَانَةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُهَا

وأوّل لَحْن مالك:

أقوى مِنَ آلِ ظُلَيْمَةَ الحَزْمُ

---

(١) أقوى: خلا. والحزم: موضع أمام خَطم الحجون الذي دون سدرة آل أُسَيّد يساراً على طريق نخلة والحاجّ العراقي (معجم البلدان ٢/ ٢٥٣). وغمرة: منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها (معجم البلدان ٤/ ٢١٢). وخَطْم: موضع دون سِدرة آل أُسَيِّد (معجم البلدان ٢/ ٣٧٩).

(٢) أثبرة: عدّة جبال بمكة (معجم البلدان ٢/ ٧٢). والسّدرتان: اسم موضع ذكره البعيث في شعره وذكره ياقوت في (معجم البلدان ٣/ ٢٠٠). ودَسْم: موضع قرب مكة فيه قبر ابن سريج.

(٣) اللفّاء: المكتنزة الفخذين.

(٤) خمصانة: ضامرة البطن. والرُّؤدة: الشابّة الحَسَنة تشبيهاً بالغصن الرَّؤود.

(٥) الغالية: ضرب من الطِّيب. وصغا النجم: مال للغروب.

ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره في هذا الشعر

[نسبه]

الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغِيرة بن عبد اللّه بن عُمَر بن مخزوم؛ وقد تقدّم ذكره وأخباره في كتاب المائة المختارة في بعض الأغاني المختارة التي شعرُها له وهو:

إنَّ أمــــرأً تَــــغــــتـــــادُه ذِكَــــرُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: بلغني أن الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة ـ ويقال: بل خالد بن المهاجِر بن خالد بن الوليد بن المغيرة ـ كان تزوّج حُمَيْدة بنت النُّعْمان بن بَشِير بِدمَشْق لمّا قَدِمَ على عبد الملك بن مَرْوان، فقالت فيه:

نَـكَـحْـتُ الـمَـدِيـنِـيَّ إذ جَـاءَنـي ... فَـيَـا لَـكِ مِـنْ نَـكْـحَـةٍ غَـاوِيَـهْ
كُـهُـولُ دِمَـشْـقَ وشُـبَّـانُـهـا ... أَحَـبُّ إِلَـيْـنـا مِـنَ الـجَـالِـيَـهْ
صُـنَـانٌ لـهـم كَـصُـنَـانِ الـتُّـيُـو ... سِ أَعْـيَـا عـلـى الـمِـسْـكِ والـغَـالِـيَـهْ

فقال الحارث يجيبها:

صوت

[الخفيف]

أَسَـنـا ضَـوءِ نَـارِ ضَـمْـرةَ بِـالـقَـفْـ ... ـرَةِ أَبْـصَـرْتَ أَمْ سَـنَـا ضَـوْءِ بَـرْقِ
قَـاطِـنَـاتُ الـحَـجُـونِ أَشْـهَـى إلى قَـلْـ ... ـبِـيَ مِـنْ سَـاكِـنَـاتِ دُورِ دِمَـشْـقِ[1]

(١) الحجون: جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها (معجم البلدان ٢/ ٢٢٥).

يَتَضَوَّعْنَ لَوْ تَضَمَّخْنَ بِالمِسْـ ـكِ صُنَاناً كَأَنَّهُ رِيحُ مَرْقِ[١]

غَنَّاه مالكُ بن أبي السَّمْح خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالسَّبَّابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق، وفيه لابن مُحْرِز لحنٌ من رواية عمرو بن بانة ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى.

رجعت الرواية إلى خبر الحارث.

قال: وطَلَّقها الحارث؛ فخلَف عليها رَوْح بن زِنْباع. قال: وكان الحارث خطَب أَمَةً لمالك بن عبد اللَّه بن خالد بن أَسِيد، وخطبها عبد اللَّه بن مُطِيع. فتزوّجها عبد اللَّه ثم طلَّقها أو مات عنها، فتزوّجها الحارث بن خالد بعد ذلك وقال فيها قبل أن يتزوّج:

أَقْوَى مِنَ آلِ ظُلَيْمَةَ الحَزْمُ فَالغَمْرَتَانِ فَأَوْحَش الخَطْمُ

الأبياتَ التي فيها الغناء.

قال: وأخبرني محمد بن العبّاس اليَزيدي، قال: حَدَّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال: حَدَّثنا محمد بن الحَكَم عن عَوَانة بهذا الخبر فذكر مثلَه، ولم يذكر أنّ الحارث هو المتزوِّجُها، وفسّر قولَها:

أَحَبُّ إليـنـا مـن الـجـالِـيَـةْ

وقال: الجالية أهل الحجاز، كان أهل الشام يسمُّونهم بذلك لأنهم كانوا يَجْلُون عن بلادهم إلى الشّام. وقال في الحديث: فبلغ عبدَ الملك قولُها فقال: لولا أنها قدّمت الكهولَ على الشبّان لَعاقَبْتُها.

قال عَوَانة: وكانت لِحُمَيْدة أختٌ يقال لها عَمْرة، وكانت تحت المختار بن أبي عُبَيد الثَّقَفيّ، فأخذها مُصْعَب بعد قتله المختار وأخذ امرأته الأخرى وهي بنت سَمُرةَ بنِ جُنْدَب، فأمرهما بالبراءة من المختار. أمّا بنت سَمُرةَ فبرئَتْ منه، وأبَتْ ذلك عَمْرةُ، فكتب به مُصْعَب إلى أخيه عبد اللَّه، فكتب إليه: إن أَبَتْ أن تَبْرأَ منه فاْقتُلْها. فأبتْ فحفَر لها حَفِيرةً وأقيمت فيها

(١) الصُّنان: النَّتن. والمَرَق: الجلد المتن.

فقُتِلَت. فقال عمر بن أبي رَبيعة في ذلك: [الخفيف]

إنَّ مِنْ أَعْجَبِ العَجَائِبِ عِنْدِي قَتْلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عُطْبُولِ[1]
قُتِلَتْ حُرَّةٌ على غَيْرِ جُرْمٍ إنَّ لِلَّهِ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلِ
كُتِبَ القَتْلُ والقِتَالُ عَلَيْنَا وعلى الغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ

رجع الحديث إلى رواية عمر بن شَبّة.

قال أبو زيد: وحدّثني ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوِه، وزاد فيه أن الحارث لما تزوّجها قالت فيه:

نَكَحْتُ المدِينِيَّ إذ جَاءَنِي فيا لَكِ مِنْ نَكْحَةٍ غَاوِيَهْ

وذكر الأبيات المتقدّمة، وقال عمر بن شَبَّة فيه: وتزوّجها رَوْح بن زِنْباع، فنظر إليها يوماً تنظر إلى قومه جُذَامَ، وقد اجتمعوا عنده فلامها. فقالت: وهل أرى إلاّ جُذَامَ! فواللّه ما أُحِبُّ الحَلالَ منهم فكيف بالحرام!. وقالت تهجوه: [الطويل]

بَكَى الخَزُّ مِنْ رَوْحٍ وأَنْكَرَ جِلْدَهُ وعَجَّتْ عَجِيجاً مِنْ جُذَامَ المَطَارِفُ
وقالَ العَبَا قد كُنْتُ حِيناً لِبَاسَكُمْ وأَكْسِيَةٌ كُرْدِيَّةٌ وقَطَائِفُ

فقال رَوْح: [الطويل]

إنْ تَبْكِ مِنَّا تَبْكِ مِمَّنْ يُهِينُها وإنْ تَهْوَكُمْ تَهْوَ اللِّئام المقَارِفَا[2]

وقال رَوْح: [الكامل]

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فَإِنَّنِي مُثْنٍ عَلَيْكِ لبئس حَشْوُ المِنْطَقِ[3]

فقالت: [الكامل]

أُثْنِي عَلَيْكَ بِأَنَّ بَاعَكَ ضَيِّقٌ وبِأَنَّ أَصْلَكَ في جُذَامٍ مُلْصَقُ[4]

فقال رَوْح: [الكامل]

أَثْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتِ فَإِنَّنِي مُثْنٍ عَلَيْكِ بِمثْلِ رِيحِ الجَوْرَبِ

---

(١) العطبول: المرأة الشابّة الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

(٢) المقارف: الأنذال.

(٣) المِنْطَق والنّطاق: هو الإزار الذي تنتطق به المرأة.

(٤) يقال: قصير الباع وضيّق الباع: أي بخيل عاجز، والمُلْصَق: الدّعِيّ.

فقالت: [الكامل]

فـثَـنَـاؤُنَـا شَـرُّ الـثَّـنَـاءِ عَـلَـيْـكُـمُ أَسْـوَا وَأَنْـتَـنُ مِـنْ سُـلاَحِ الـثَّـعْـلَـبِ

وقالت: [الطويل]

وهَــلْ أَنَــا إلاَّ مُــهْــرَةٌ عَــرَبِــيَّــةٌ سَـلِـيـلَـةُ أفـراسٍ تَـجَـلَّـلـهـا بَـغْـلُ
فَإنْ نُتِجَتْ مُهْراً كَرِيماً فَبِالحَرَى وإنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَما أَنْجب الفحلُ[1]

فقال رَوْح: [الطويل]

فـمـا بَـالُ مُـهْـرٍ رَائِـعٍ عَـرَضَـتْ لـه أَتَانٌ فبَالَتْ عِنْدَ جَحْفَلَةِ البَغْلِ[2]
إذا هُــوَ وَلَّــى جَــانِـبـاً رَبَـخَـتْ لـه كما رَبَخَتْ قَمْرَاءُ في دَمَسٍ سَهْلِ[3]

وقالت عَمْرة لأخيها أَبَان بن النُّعْمان: [الوافر]

أَطَــالَ الــلَّــهُ شَــأْوَكَ مِــنْ غُــلاَمٍ مَـتَـى كَـانَـتْ مَـنَـاكِـحَـنـا جُـذَامُ
أَتَــرضَــى بِــالأَكَــارِعِ والــذُّنَــابَــى وقـد كُـنَّـا يَـقِـرُّ بِـنَـا الـسَّـنَـامُ[4]

وقال أبن عمٍّ لِرَوْح: [الوافر]

رَضِـيَ الأَشـيـاخُ بِـالـفِـطْـيَـوْنِ فَـخـلاً وتَـرْغَـبُ لِـلـحَـمَـاقَـةِ عـن جُـذَامِ[5]
يَــهُــودِيٌّ لــه بُــضْــعُ الــعَــذَارَى فَـقُـبْـحـاً لِـلـكُـهُـولِ ولِـلـغُـلاَمِ
تُــزَفُّ إلــيــه قَــبْــلَ الــزَّوْجِ خَــوْدٌ كَـأَنَّ شَـمْـسـاً تَـدَلَّـتْ مِـنْ غَـمَـامِ
فَــأَبْــقَــى ذَلِــكُــمْ عَــاراً وخِــزْيــاً بَـقَـاءَ الـوَحْـيِ فـي صُـمِّ الـسِّـلامِ[6]
يَــهُــودٌ جُــمِّــعُــوا مِــنْ كُــلِّ أَوْبٍ ولَـيـسـوا بِـالـغَـطَـارِيـفِ الـكِـرامِ[7]

وقالت: [البسيط]

سُمِّيتَ رَوْحاً وأنتَ الغَمُّ قد عَلِمُوا لا رَوَّحَ الـلَّـهُ عـن رَوْحِ بـن زِنْـبَـاعِ

---

(١) المقرف: النَّذْل.
(٢) الجَحفلة: لذي الحافر كالشّفة للإنسان.
(٣) ربخت: استرخت. والقمراء: البيضاء. والدَّمَسُ والدَّميسُ: ما غُطِيَ.
(٤) الأكارع: مفردها الكراع: مستدَقّ الساق.
(٥) الفِطْيَون: هو رجل من اليهود سيء فاجر كان يدخل على كل امرأة قبل دخولها على زوجها، حتى كان زفاف أخت لمالك بن العجلان فأثارت الحميّة في أخيها فقتله.
(٦) الوحي: الكتابة. والسِّلام: الحجارة.
(٧) الغطاريف: السَّادة.

فقال رَوْح: [البسيط]

لا رَوَّحَ اللَّهُ عَمَّنْ لَيسَ يَمْنَعُنَا مَالٌ رَغِيبٌ وبَعْلٌ غيرُ مِمْنَاعِ[١]
كشَافِعٍ جَوْنَةٍ ثُجْلٍ مَخَاصِرُها دَبَّابَةٍ شَثْنَةِ الكَفَّيْنِ جُبّاعِ[٢]

قال: والجُبَّاع: القصيرة، والجُبَّاع من السهام: الذي لا نصل له، والجُبّاع: الرَّصَفُ[٣].

وقالت: [المتقارب]

تُكَحِّلُ عَيْنَيْكَ بَرْدَ العَشِيِّ كَأَنَّكَ مُومِسَةٌ زَانِيَهْ
وآيَةُ ذلكَ بَعْدَ الخُفُوقِ تَغَلُّفُ رَأْسِكَ بِالغَالِيَهْ
وأنّ بَنِيكَ لِرَيْبِ الزَّمانِ أَمْسَتْ رِقَابُهُمُ حَالِيَهْ[٤]
فلو كانَ أَوْسٌ لهم حَاضِراً لَقَالَ لهم إنّ ذَا مَالِيَهْ

وأَوْس رجل من جُذَام يقال: إنه استودَع رَوْحاً مالاً فلم يردّه عليه. فقال لها رَوْح: [المتقارب]

إنْ يَكُنِ الخُلْعُ مِنْ بَالِكُمُ فليسَ الخَلاَعَةُ مِنْ بَالِيَهْ
وإنْ كانَ مَنْ قد مَضَى مِثْلَكُم فَأُفٌّ وتُفٌّ على المَاضِيَهْ
ومَا إنْ بَرَا اللَّهُ فَاسْتَيْقِنِيهِ مِنْ ذات بَعْلٍ ومِنْ جَارِيَهْ
شَبِيهاً بكِ اليومَ فِيمَنْ بَقِي ولا كانَ في الأَعْصُرِ الخَالِيَهْ
فبُعداً لِمَحْيَاكِ إذ ما حَيِيتِ وبُعْداً لأَعْظُمِكِ البَالِيَهْ

وقال رَوْح في بعض ما يتنازعانِ فيهِ: اللّهُمّ إن بَقِيتْ بعدي فأبْتَلِها ببعلٍ يلطِمُ وجهَها ويملأ حِجْرَها قيئاً. فتزوّجها بعده الفَيْض بن محمد بن الحَكَم بن أبي عَقِيل وكان شابًّا جميلاً يُصيب من الشَّراب فأحبَّته، فكان ربّما أصاب من الشَّراب مُسْكِراً فيلطمُ وجْهَها ويقيءُ في حجرها؛ فتقول: يرحَم اللّه أبا زُرْعة! قد أُجيبتْ دعوتُه فيّ. وقالت لفَيْض:

---

(١) الرغيب: الكثير.
(٢) الشافع من النوق والشاء: التي في بطنها ولد ويتبعها آخر. والجونة: السوداء. والثُّجل: جمع الأثجل والثجلاء: الواسع البطن. وشثنة: غليظة.
(٣) الرَّصَف: جمع الرِّصاف: العَقب الذي يُلْوى فوق مدخل النصل في السهم.
(٤) حالية: لابسة الحلي.

سُمِّيتَ فَيْضاً ومَا شَيءٌ تَفِيضُ بهِ إلاَّ سُلاَحُكَ بينَ البابِ والدَّارِ
فتلكَ دَعْوةُ رَوْحِ الخَيْرِ أَعْرِفُها سَقَى الإلٰهُ صَدَاه الأَوْطَفَ السَّارِي[1]

وقالت لفَيْض أيضاً: [الوافر]

أَلاَ يَا فَيْضُ كُنْتُ أَرَاكَ فَيْضاً فلا فَيْضاً أَصَبْتُ ولا فُرَاتَا

وقالت: [البسيط]

وليس فَيْضٌ بِفَيَّاضِ العَطَاءِ لنا لَكِنَّ فَيْضاً لَنَا بِالقَيْءِ فَيَّاضُ
لَيْثُ اللُّيوثِ عَلينا بَاسِلٌ شَرِسٌ وفي الحروب هَيُوبُ الصَّدْرِ جَيَّاضُ[2]

فولدتْ من الفَيْض ابنة فتزوّجها الحَجّاج بن يوسف؛ وقد كانت قبلها عند الحَجّاج أُمُّ أَبَانٍ بنتُ النُّعْمان بن بَشير. فقالت حُمَيْدة للحَجّاج: [الرجز]

إذا تَذَكَّرْتُ نِكَاحَ الحَجَّاجْ مِنَ النَّهارِ أو مِنَ اللَّيلِ الدَّاجْ
فَاضَتْ له العَيْنُ بِدَمْعٍ ثَجَّاجْ وأُشْعِلَ القَلْبُ بِوَجْدٍ وَهَّاجْ[3]
لو كانَ نُعْمَانُ قَتِيلُ الأَعْلاَجْ مُسْتَوِيَ الشَّخْصِ صَحِيحَ الأَوْدَاجْ[4]
لَكُنْتَ مِنْها بِمَكانِ النَّسَّاجْ قد كنتُ أرجو بَعْضَ ما يَرْجُو الرَّاجْ
أَنْ تَنْكِحِيهِ مَلِكاً أو ذَا تَاجْ

فقَدمتْ حُمَيْدة على ابنتها زائرةً. فقال لها الحَجَّاج: يا حُمَيْدة، إنّي كنتُ أحتمل مُزَاحَكِ مَرَّةً، وأمّا اليوم فإنّي بالعراق وهم قومُ سَوْءٍ فإيّاكِ!. فقالت: سأكُفُّ حتى أرحَلَ. أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: حَدّثنا سليمان بن أيوب قال: حَدّثنا المدائنيّ عن مَسْلَمةَ بن مُحارِب قال:

قالت حُمَيْدة بنت النُّعْمان لِزوجها رَوْح بن زِنْباع، وكان أسودَ ضخماً: كيف تَسُودُ وفيك ثلاثُ خِصَال: أنتَ من جُذَام، وأنت جَبَانٌ، وأنت غَيُور؟! فقال: أمّا جُذَام فأنا في أُرُومتها[5]، وبِحَسْبِ الرَّجلِ أن يكون في أُرُومة قومه. وأمّا الجُبْنُ

(١) الأوطف من السحاب: القريب من الأرض.
(٢) جاض جَيضاً: مال وانحرف وحاد.
(٣) الدمع الثَّجّاج: الغزير.
(٤) الأعلاج: جمع العِلج: الرجل من كفّار العجم. والأوداج: جمع الوَدَج: عِرْق في العنق ينتفخ عند الغضب.
(٥) الأرومة: الأصل.

فإنّما لي نفسٌ واحدة، ولو كان لي نفسانِ لجُدْتُ بإحداهما. وأمّا الغَيْرة فهو أمر لا أُحِبُّ أن أُشارَكَ فيه، وإنَّ المرء لَحقيقٌ بالغيرة على المرأة مثلِكِ الحَمْقاء الوَرْهاء[1] لا يأمَنُ أن تأتِيَ بولد من غيره فتقذِفَه في حِجْرِه. ثم ذكر باقيَ خبرها مثلَ ما تقدّم، وقال فيه: فخَلَفَ بعده عليها الفَيْضُ بن محمد عمُّ يوسف بن عمر، فكان يشرب ويلطِمُها ويَقيءُ في حِجْرها؛ فقالت: [البسيط]

سُمِّيتَ فَيْضاً وما شَيءٌ تَفيضُ به ... إلاّ سُلاحَكَ بينَ البابِ والدّارِ

قال المدائنيّ: وَتَمثَّل فيضٌ يوماً بهذا البيت: [البسيط]

إنْ كُنتِ سَاقِيةً يوماً على كَرَمٍ ... صَفْوَ المُدامَةِ فَاسْقِيها بَنِي قَطَنِ

ثم تحرّك فضَرَط، فقالت: وٱسْقِ هذه أيضاً بني قَطَن.

وهذا الصّوت أَعْني:

أَقْوَى مِنَ الِ ظُلَيْمَةَ الحَزْمُ

هو الصوت الذي أشْخَص الواثقُ له أبا عثمان المازِنيّ بسبب بيت منه ٱختُلف في إعرابه بحضرته؛ وهو قوله:

أَظُلَيْمُ إنّ مُصَابَكُمْ رَجُلاً ... أَهْدَى السَّلامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

وقال آخرون: «رجلٌ». حدّثني بذلك عليُّ بن سليمان الأخْفَش عن أبي العباس محمد بن يَزيد عن أبي عثمان، وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال: حَدّثنا القاسم بن إسماعيل وعَوْنُ بن محمد وعبدُ الواحد بن العبَّاس بن عبد الواحد والطيِّبُ بن محمد الباهِليّ، يزيد بعضُهم على بعض، قالوا: حَدّثنا أبو عثمان المازِنيّ قال: كان سبب طلب الواثق لي أنّ مُخَارِقاً غَنَّى في مجلسه:

[الكامل]

أَظُلَيْمُ إنّ مُصَابَكُمْ رَجُلاً ... أَهْدَى السَّلامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

فغنّاه مخارق «رجلٌ»، فتابعه بعض القوم وخالفه آخرون، فسأل الواثقُ عَمَّن بقي من رؤساء النحويين فذُكِرْتُ له، فأمر بِحَمْلي. فلمّا وصلتُ إليه قال: مِمّن الرّجلُ؟ قلت: من بني مازِن. قال: أمن مازِن تَميم أم مازِن قَيْس أم مازِن رَبِيعَة أم

(١) الورهاء: الحمقاء التي لا تتقن عملاً.

مازِن اليمن؟. قلت: من مازن ربيعة. فقال لي: بَا ٱسمُك؟ (يريد ما ٱسمُك وهي لغة كثيرة في قومنا) فقلت على القياس: مَكْرٌ (أي بكر). فضحِكَ فقال: اجلِس واطْبَئنّ (يريد: واطمئنّ) فجلست. فسألني عن البيت، فقلت: «إنَّ مصابكم رجلاً» فقال: أين خبرُ «إن»؟ قلت: «ظلم» وهو الحرف الذي في آخر البيت. وقال الأخفش في خبره: وقلتُ له: إن معنى «مصابِكم» إصابتكُم، مثل ما تقول: إنَّ قتلكم رجلاً حَيَّاكُم ظُلْمٌ. ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إن البيت كله معلَّق لا معنى له حتى يتمّ بقوله «ظلم». ألا ترى أنه لو قال: أَظُلَيم إنَّ مصابكم رجلٌ أهدى السَّلام تحيّةً، لَمَا ٱحْتِيجَ إلى «ظلم» ولا كان له معنًى، إلاّ أن يجعل التّحيةَ بالسّلام ظلماً، وذلك محال، ويجب حينئذ أن يقول:

أَظُـلَـيْـمُ إنَّ مُـصَـابَـكُـمْ رَجُـلٌ أَهْـدَى الـسَّـلامَ تَـحِـيَّـةً ظُـلْـمـا

ولا معنى لذلك، ولا هو، لو كان له وجهٌ، معنى قولِ الشاعر في شعره. فقال: صدقتَ، ألكَ ولدٌ؟ قلت: بُنَيَّةٌ لا غيرُ. قال: فما قالت حين ودَّعتَها؟ قال قلتُ: أَنْشَدَتْ شِعرَ الأعشى: [المتقارب]

تـقـولُ ٱبْـنَـتـي حِـيـنَ جَـدَّ الـرَّحِـيـلُ أَرَانَـا سَـوَاءً ومَـنْ قَـدْ يَـتِـمْ
أَبَـانـا فـلا رِمْـتَ مِـنْ عِـنْـدِنـا فَـإنّـا بِـخَـيْـرٍ إذا لـم تَـرِمْ
أرَانَـا إذا أَضْـمَـرَتْـكَ الـبِـلاَ دُ نُـجْـفَـى وتُـقْـطَـعُ مِـنَّـا الـرَّحِـمْ

قال: فما قلتَ لها؟ قال: قلتُ لها قولَ جرير: [الوافر]

ثِـقِـي بِـالـلّـهِ لـيـسَ لـه شَـرِيـكٌ ومِـنْ عِـنْـدِ الـخـلـيـفـةِ بِـالـنَّـجَـاحِ

فقال: ثِقْ بالنّجاح إن شاء الله تعالى. إنّ ها هنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحِنْهم، فمَنْ كان منهم عالماً يُنتفَعُ به ألزمناهم إيّاه، ومَنْ كان بغير هذه الصورة قطعناه عنهم. فأمر فجُمعوا إليّ فامتحنتُهم فما وجدت فيهم طائلاً؛ وحَذِروا ناحيتي، فقلت: لا بأسَ على أحد. فلمّا رجعت إليه قال: كيف رأيتَهم؟ قلت: يَفْضُلُ بعضهم بعضاً في علوم، ويفضُلُ الباقون في غيرها، وكلٌّ يُحتاج إليه. فقال لي الواثق: إنّي خاطبتُ منهم واحداً فكان في نهاية من الجهل في خطابه ونظره. فقلت: يا أمير المؤمنين، أكثرُ مَنْ تَقَدَّمَ منهم بهذه الصفة؛ ولقد أَنْشدتُ فيهم:

[الكامل]

إنّ الـمُـعَـلِّـمَ لا يَـزَالُ مُـضَـعَّـفـاً ولَـوِ ٱبْـتَـنَـى فـوقَ الـسَّـمـاءِ بِـنَـاءَ

مَنْ عَلَّمَ الصِّبيانَ أَضنَوْا عَقْلَهُ ... مِمَّا يُلاقِي غُدْوَةً ومَسَاءَ

ومنها الحديث.

ومضيا*

صوت [الخفيف]

يَوْمَ تُبْدِي لَنَا قُتَيلةُ عن جِيدٍ ... أَسِيلٍ تَزِينُهُ الأَطْواقُ
وشَتِيتٍ كالأُقْحوانِ جَلاهُ الطَّلُّ ... فيه عُذوبَةٌ واتّساقُ

الشعر للأعشى، والغناء لمعبد، وذكر إسحاق أن لحنه خفيفُ ثقيلٍ من أصواتِ قليلاتِ الأشباه، وذكر عمرو بن بانة أنّ لحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر، ولإسحاق لحنٌ من الثقيل أيضاً وهو مما عارَض فيه معبداً فانْتَصف منه، ومن أوائل أغانيه وصدُورها.

أخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال: ذَكَرَ الحسن بن عُتْبة اللِّهْبيّ المعروف بِفَوْرَكٍ قال: قال لي الوليد بن يزيد: أريد الحجَّ، فما يمنعني منه إلاّ أن يلقاني أهل المدينة بِقُتَيْلاتِ معبد وبِقَصْره ونَخْله فأفتضحَ به طرباً. يعني ثلاثةَ أصوات لمعبد من شعر الأعشى في قُتَيْلة هذه، ونسبتُها تأتي بعدُ. ويعني بقصره ونخله لحنَه:

القصرُ فالنَّخلُ فَالجَمَّاء بينهما

قال أبو زيد: قال إسحاق وحَدَّثني عبد الملك بن هِلاَل: وبلغني أن فِتْيةً من قريش دخلوا إلى قَيْنةٍ ومعهم رَوْح بن حاتم المهَلَّبيّ، فتمارَوْا فيما يختارونه من الغناء. فقالت لهم: أُغَنِّي لكم صوتاً يُزيلُ الاختلاف ويُوقِع بينكم الاجتماع، فرَضُوا بها. فغنَّتْ:

يَوْمَ تُبْدِي لَنَا قُتَيلةُ عن جِيـ ... ـدٍ أَسِيلٍ تَزِينُهُ الأَطْواقُ

فرضُوا به واتّفقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه، وأقاموا عندها أسبوعاً لا يسمعون غيرَه.

نسبة أصوات معبد في قُتَيلة

منها : [الكامل]

أَثْـوَى وقَـصَّـرَ لَـيْـلَـهُ لِـيُـزَوَّدا فمَضَى وأُخْلِفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا

يَجْحَذْنَ دَيْنِي بِالنَّهارِ وأَقْتَضِي دَيْنِي إذا وَقَذَ النُّعَاسُ الرُّقَّدا[1]

وأرى الغَوَانِيَ لا يُوَاصِلْنَ آمْرَأً فَقَدَ الشَّبَابَ وقَدْ يَصِلْنَ الأَمْرَدَا

الشّعر للأعشى، والغِناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى.

أخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيديّ قال: حَدَّثنا أبو شُرَاعة في مجلس الرِّياشيّ قال: حُدِّثْتُ أنّ رجلاً نظر إلى الأعشَى يَدُور بين البيوت ليلاً؛ فقال له: يا أبا بَصير، إلى أين في هذا الوقت؟ فقال: [الكامل]

يَجْحَذْنَ دَيْنِي بِالنَّهارِ وأَقْتَضِي دَيْنِي إذا وَقَذَ النُّعَاسُ الرُّقَّدَا

أخبرني أحمد بن عُبَيد اللّه بن عَمَّار قال: حَدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حَدَّثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان قال: حَدّثني إسحاق الموصليّ قال: حَدَّثني أبي قال: غَنَّيْتُ بين يَدَيِ الرّشيد وسِتارتُه منصوبةٌ:

وأَرَى الغَوَانيَ لا يُوَاصِلْنَ آمْرَأً فَقَدَ الشَّبَابَ وقد يَصِلْنَ الأَمْرَدا

فطرِبَ وآستعاده وأمر لي بمال، فلمّا أردتُ أن أنصرف قال لي: يا عاضَّ كذا وكذا! أَتُغَنِّي بهذا الصّوت وجواريّ من وراء ستارةٍ يسمعْنَه! لولا حُرْمَتُكَ لَضَربْتُ عنقكَ!. فتركته واللّه حتى أُنسيته.

ومنها :

صوت

[الطويل]

أَلَـمَّ خَـيَـالٌ مِنْ قُتَيْلَةَ بَعْدَ مَا وَهَى حَبْلُها مِنْ حَبْلِنَا فَتَصرَّمَا

فَبِتُّ كَأَنِّي شَارِبٌ بَعْدَ هَجْعَةٍ سُخَامِيَّةً حَمْرَاءَ تُحْسَبُ عَنْدَمَا[2]

الشعر للأعشى، والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنصر عن عمرو، وفيه لابن مُحْرِز ثاني ثقيلٍ بالوسطى عنه وعن آبن المكيّ.

---

(١) وَقَذه النعاس: غَلَبَهُ.

(٢) الخمر السّخَامية: اللّيّنة السّلسة. والعندم: خشبُ نبات يُصْبَغ به ويقال له: دم الأخوين.

[سبعة ابن سريج]

فأمّا السَّبعة التي جعلت لابن سُرَيج بإزاء سبعة مَعْبد فإنّي قرأت خبرها في كتاب محمد بن الحسن، قال: حَدّثني الحسين بن أحمد الأَكْثَميُّ عن أبيه قال: ذكرنا عند إسحاق يوماً أصواتَ معبد السّبعةَ فقال: والله ما سبعة ٱبن سُرَيج بدونهنّ. فقلنا له: وأيُّ سبعة؟ فقال: إن مُغَنِّي المكّيِّين لمّا سمعوا بسبعة معبد وشهرتها لحقتْهم لذلك غَيْرة، فٱجتمعوا فٱختاروا من غِناء ٱبن سُرَيج سبعةً فجعلوها بإزاء سبعة معبد، ثم خايروا أهل المدينة فٱنتصفوا منهم، فسألوا إسحاقَ عن السبعة السُّرَيْجيّة؛ فقال: منها:

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لما جَهَدتُه

وقد مضت نسبتُه في الثلاثة الأصوات المختارة.

و لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلينا بوجهها

و قَرَّبَ جيرانُنا جِمالَهُمُ

و أَرِقْتُ وما هذا السُّهَادُ المُؤَرِّقُ

ـ وقد مضى في أخبار الأعشى المذكورة في مُدُن معبد ـ.

و بَيْنَا كَذَاكَ إذا عَجَاجَةُ مَوْكِبِ

و فلم أَرَ كالتَّجْميرِ منظَرَ ناظرِ

ـ وقد مضى في الأرمال المختارة ـ.

و تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطنُ نَعْمَانَ إذ مَشَتْ

ـ وقد ذُكر في المائة مع غيره في شعر النُّمَيْريّ ـ.

و إنْ جَاءَ فَلْيَأْتِ على بَغْلةٍ

نسبة ما لم تَمْضِ نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدّماً. فمنها:

صوت

لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلَيْنا بِوَجْهِها ... مَسَاكِنَ ما بَيْنَ الوَتَائِرِ فَالنَّقْعِ[(١)]
ومِنْ أجْلِ ذَاتِ الخَالِ أعْمَلْتُ نَاقَتِي ... أُكَلِّفُهَا سَيْرَ الكَلاَلِ مع الظَّلْعِ[(٢)]

عروضه من الطويل، والشعر لعمرَ بن أبي رَبيعة، والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيلٍ بالبنصر، وذاتُ الخالِ التي عَنَاها هاهنا عمر امرأةٌ من ولد أبي سُفْيانَ بنِ حَرْب، كان عمر يَكْني عنها بذلك.

حَدَّثني عليّ بن صالح بن الهَيْثَم قال: حدّثني أبو هِفَّان عن إسحاق بن إبراهيم المَوْصلي عن الزُّبَيريّ والمُسَيَّبيُّ ومحمد بن سَلاَّم والمَدائنيّ، وأخبرنا به الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدَّثني عَمِّي ولم يتجاوزه، أنَّ عمر بن أبي رَبيعة وٱبنَ أبي عَتيق كانا جالسين بفناء الكعبة، إذ مرّتْ بهما ٱمرأة من آل أبي سُفْيان، فدعا عُمَرُ بِكَتِفٍ فكتب إليها وكَنَى عن ٱسمها:

صوت

[الطويل]

أَلِمَّا بِذَاتِ الخَالِ فَٱسْتَطْلِعَا لَنَا ... على العَهْدِ بَاقٍ وُدُّهَا أَمْ تَصَرَّما
وقُولاَ لَهَا إنَّ النَّوَى أَجْنَبِيَّةٌ ... بِنَا وبِكُمْ قَدْ خِفْتُ أَنْ تَتَيَمَّما

ـ غَنَّاه ٱبن سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالسبَّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ـ قال: فقال له ٱبن أبي عَتيق: سبحانَ اللَّه! ما تريدُ إلى ٱمرأةٍ مُسْلمة مُحْرِمةٍ أن تكتب إليها مثل هذا! قال: فكيف بما قد سَيَّرْتُهُ في النَّاس من قولي:

لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلينا بِوَجْهِها ... مَسَاكِنَ ما بَيْنَ الوَتَائِرِ والنَّقْعِ
ومِن أجْلِ ذَاتِ الخَالِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي ... أُكَلِّفُهَا سَيْرَ الكَلاَلِ مَعَ الظَّلْعِ

---

(١) الوتائر: موضع بين مكة والطائف يذكره عمر بن أبي ربيعة في شعره كثيراً (معجم البلدان ٥/ ٣٦). والنَّقْع: موضع قرب مكّة في جنبات الطائف (معجم البلدان ٥/ ٣٠٠).

(٢) الظَّلْع: العَرَج والميل في المشي.

ومِنْ أَجْلِ ذَاتِ الخَالِ يَوْمَ لَقِيتُها بِمُنْدَفَعِ الأَخْبَابِ أَخْضَلَنِي دَمْعِي[1]
ومِنْ أَجْلِ ذَاتِ الخَالِ آلَفُ مَنْزِلاً أُحُلُّ بِهِ لا ذا صَدِيقٍ ولا زَرْعِ
ومِنْ أَجْلِ ذاتِ الخَالِ عُدْتُ كَأَنَّني مُخَامَرُ سُقْمٍ دَاخِلٍ أَو أخو رَبْعِ[2]
أَلِمَّا بِذَاتِ الخَالِ إِنَّ مُقَامَها لَدَى البابِ زادَ القلبَ صَدْعاً على صَدْعِ
وأُخْرَى لَدَى البَيتِ العَتيقِ نَظَرْتُها إليها تَمَشَّتْ في عِظَامي وفي سَمْعِي

وقال الحَرَمِيّ في خبره: أَمَا ترى ما سار لي من الشعر! ما علم اللَّهُ أنّي اَطّلعتُ حراماً قطّ! ثم انصرفنا. فلمّا كان من الغدِ التقينا، فقال عمر: أشعرت أنّ ذلك الإنسان قد رَدَّ الجواب؟ قال: وما كان من ردّه؟ قال: كتب.

صوت

[الكامل]

أَمْسَى قَرِيضُكَ بِالهَوَى نَمَّامَا فَارْبَعْ هُدِيتَ وكُنْ له كَتَّامَا[3]
واعْلَمْ بِأَنَّ الخَالَ حِينَ وَصَفْتَهُ قَعَدَ العَدُوُّ بهِ عليكَ وقَامَا
لا تَحْسَبَنَّ الكَاشِحِينَ عَدِمْتَهُمْ عَمَّا يَسُوؤُكَ غَافِلِينَ نِيَامَا
لا تُمْكِنَنَّ مِنَ الدَّفِينَةِ كَاشِحاً يَتْلُو بها حفظاً عليكَ إِمَامَا

غَنّى فيه سُلَيم خفيفَ رَمَلٍ بالبِنصر عن عمرو، قال: وفيه لفَرِيدة وإبراهيمَ لحنان، وفي بعض النسخ: لإسحاقَ فيه ثَقيلٌ أوّل غير منسوب، وذكر حَبَش أن خفيف الرَّمَل لفَريدة.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: أخبرنا أبو أيُوب المَدينِيّ عن محمد بن سَلاَّم قال وأخبرني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلاَّم قال: سألتُ عمر بن أبي خَليفة العَبْديّ ـ وكان عابداً وكان يُعجِبُهُ الغِناء ـ: أيُّ القوم كان أحسنَ غناء؟ قال: ابن سُرَيج إذا تَمَعْبَدَ ـ يريد: إذا غَنّى في مذهب مَعْبَد من الثقيل ـ قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل صوته:

(١) الأخباب: موضع ذكر في شعر عمر وهو قرب مكّة (معجم البلدان ١/ ١١٨).
(٢) الرَّبْع: النعش.
(٣) القريض: الشعر.

صوت

لَقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إلَينا بِوَجْهِها ... مَسَاكِنَ ما بَيْنَ الوَتَائِرِ فَالنَّقْعِ

وقال حَمّاد بن إسحاق: حَدّثني أبي قال: حَدّثني أبو محمد العامِريّ قال:

جلس مَعْبَد والأَبْجَر وجماعةٌ من المُغَنِّين فتذاكروا ٱبنَ سُرَيج وما ٱشتهاه الناس من غِنائه، فقالوا: ما هو إلاّ من غِناء الزُّفَّافِ والمُخَنَّثين، فنُمِيَ الحديثُ إلى ٱبن سُرَيج فغَنَّى:

لَقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ إليـنا بوجهها

فلمّا جاء مَعْبد وأصحابه وٱجتمعوا غنَّاهم إيّاه، فلمّا سمعوه قاموا هاربين، وجعل ٱبن سُرَيج يصفِّق خَلْفَهم ويقول: إلى أين؟! إنما هو ٱبن ليلته فكيف لو ٱختَمر! . قال: فقال معبد: دَعُوه مع طرائِقِه الأُوَلِ ولا تَهِيجُوه على طرائقكم، وإلاّ لم يَدَعْ لكم والله خبزاً تأكلونه.

قال الزُّبَير في خبره عن عَمّه: وعَلِقَ نُعْماً هذه فقال فيها شعراً كثيراً. ونحن نذكر ها هنا ما فيه غِناءٌ من ذلك. فمنه قولُه:

صوت

خَطَرَتْ لِذَاتِ الخَالِ ذِكْرَى بَعْدَما ... سَلَكَ المَطِيُّ بِنَا على الأَنْصَابِ[1]

أَنْصَابِ عَمْرَةَ والمَطِيُّ كَأَنَّها ... قِطَعُ القَطَا صَدَرَتْ عَنِ الأَجْبابِ[2]

فَأَنْهَلَّ دَمْعِي في الرِّداءِ صَبَابَةً ... فَسَتَرْتُهُ بِالبُرْدِ عن أصحَابي

فَرَأَى سَوَابِقَ دَمْعَةٍ مَسْكُوبَةٍ ... بَكْرٌ فقال بَكَى أبو الخَطَّابِ

عروضه من الكامل، «بكر» الذي ذكره ها هنا عمر هو ٱبن أبي عَتيق وهو يسمِّيه في شعره ببكر وبعَتيق، وإياه يَعْني بقوله: [الخفيف]

لا تَلُمْني عَتِيقُ حَسْبِي الّذي بي ... إنَّ بي يَا عَتِيقُ ما قَدْ كَفَاني

الغناء في «خطرت لذات الخال» للغَريض، ولحنه ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في

(١) الأنصاب: ماء لبني يربوع (معجم البلدان ١/ ٢٦٥).
(٢) القطا: جمع القَطَاة: طائر في حجم الحمام. والأجباب: جمع الجبّ: البئر التي لم تُبْنَ.

مجرى البِنصر عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانةَ أنّ فيه ثقيلاً أوّلَ بالبِنصر لأبي سَعيد مولى فائد.

وأخبرني الحَرَميّ قال: حَدّثني الزُّبَير قال: حَدّثني عمِّي: أنّ عمر بن أبي ربيعة وافقها وهي تستلم الرّكنَ، فقَرُبَ منها، فلمّا رأته تأخّرَتْ وبعثَتْ إليه جاريتَها. فقالت له: تقول لك ٱبنةُ عَمِّكَ: إنّ هذا مَقامٌ لا بُدَّ منه كما ترى، وأنا أعلم أنك ستقول في موقفنا هذا فلا تقولنَّ هُجْراً. فأرسَلَ إليها: لستُ أقول إلاّ خيراً. ثم تعرّضَ لها وهي ترمي الجِمار، فأعرضتْ عنه وٱستترتْ؛ فقال:

صوت

دِينَ هذا القَلْبُ مِنْ نُعْمِ ... بِسَقَامٍ لَيسَ كَالسُّقْمِ

إنَّ نُعْماً أَقْصَدَتْ رَجُلاً ... آمِناً بِالخَيْفِ إذ تَرْمي

إسْمَعِي مِنَّا تَحَاوُرَنا ... وٱحْكُمِي رُضِّيتُ بِالحُكْمِ

بِشَتِيتٍ نَبْتُهُ رَتِلٍ ... طَيِّبِ الأنْيَابِ والطَّعْمِ[1]

يَأتِكُمْ مِنْهُ بِحُجَّتِهِ ... فَلَهُ العُتْبَى ولا أَحْمِي

عَروضُه من المَديد، الغِناء لإسحاقَ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو، وفيه لمالك ثقيلٌ أوّل من أصوات قليلاتِ الأشباه عن إسحاق، وفيه لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر عن حَبَش، وفيه لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حبش أيضاً، وذكر الهِشاميُّ أنّ هذا الصوت مِمّا يُشَكّ فيه أنه لمعبد أو غيره.

قال: وقال فيها أيضاً:

صوت

أَبِينِي اليَوْمَ أَيْ نُعْمُ ... أَوَصْلٌ مِنْكِ أَمْ صُرْمُ

فَإنْ يَكُ صُرْمُ عَاتِبَةٍ ... فَقَدْ نَغْنَى وهُو سَلْمُ

تَلُومُكَ في الهَوَى نُعْمُ ... ولَيْسَ لَهَا بِهِ عِلْمُ

صَحِيحٌ لَوْ رَأَى نُعْماً ... لَخَالَطَ جِسْمَهُ سُقْمُ

(١) ثَغْرٌ شتيت: أفلج، وثغرٌ رَتَلٌ: حَسَنُ التنضيد متناسق الأسنان.

عروضه من الهَزَج، غَنَّاه مالك ولحنه ثقيلٌ أوّل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وفيه لِمتيَّم خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر عن إسحاق، وذكر أنّ فيه أيضاً صنعةً لابن سُرَيج.

وممّا يُغَنَّى فيه مما قاله فيها ـ وهو من قصيدة طويلة ـ:

صوت

فقلتُ لِجَنَّادٍ خُذِ السَّيْفَ وٱشْتَمِلْ عليه بِحَزْمٍ وٱنْظُرِ الشَّمْسَ تَغْرُبِ
وَأَسْرِجْ لَنَا الدُّهْمَاءَ وٱعجَلْ بِمِمْطَرِي ولا تُعْلِمَنْ خُلْقاً مِنَ النَّاسِ مَذْهَبِي(١)

عروضه من الطويل، غَنَّاه زُرْزور غلامُ المارِقيّ خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر.

أخبرني الحَرَميُّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني عَمّي قال: قيل لعمر بن أبي ربيعة: ما أَحَبّ شيء أصبتَه إليك؟ قال: بينا أنا في منزلي ذاتَ ليلة إذ طرَقني رسول مُصْعَب بن الزُّبَير بكتابه يقول: إنّه قد وقعت عندنا أثوابٌ مما يُشْبِهُكَ، وقد بعثتُ بها إليك وبدنانيرَ ومِسك وطِيب وبغلة. قال: فإذا بثياب من وَشْيٍ وخَزِّ العراق لم أَرَ مثلها قطّ وأربعمائة دينار ومسكٍ وطِيبٍ كثير وبغلة. فلمّا أصبحتُ لَبِسْتُ بعضَ تلك الثّياب وتطيَّبتُ وأحرزتُ الدّنانير وركبت البغلة وأنا نشيط لا همَّ لي قد أحرزتُ نفقةَ سنتي؛ فما أفدتُ فائدةً كانت أحبَّ إليّ منها. وقلت في ذلك:

[الطويل]

ألاَ أَرْسَلَتْ نُعْمٌ إلينا أَنِ ٱئْتِنَا فَأَحْبِبْ بها مِنْ مُرْسِلٍ مُتَغَضِّبِ
فأرسلْتُ أنْ لا أستطيعُ فَأَرْسَلَتْ تُؤَكِّدُ أَيْمَانَ الحَبيبِ المُؤَنِّبِ
فقلتُ لِجَنَّادٍ خُذِ السَّيْفَ وٱشْتَمِلْ عليه بِحَزْمٍ وٱنْظُرِ الشَّمْسَ تَغْرُبِ
وأَسْرِجْ ليَ الدُّهْمَاء واعْجَلْ بِمِمْطَرِي ولا تُعلِمَنْ خَلْقاً مِنَ النَّاسِ مَذْهَبِي
ومَوْعِدُك البَطْحَاءُ أو بَطْنُ يَأْجِجٍ أو الشِّعْبُ بِالمَمْرُوخِ مِنْ بَطْنِ مُغْرِبِ(٢)
فلما ٱلتقينا سَلَّمَتْ وتَبَسَّمَتْ وقالَتْ مَقَالَ المُعْرِضِ المُتَجَنِّبِ

(١) المِمْطَر: ما يُلبَس فوق الثياب للوقاية من المطر. ومذهبي: المكان الذي أنا ذاهبٌ إليه.

(٢) البطحاء: اسم لعدة مواضع منها بطحاء مكّة وأبطحها (معجم البلدان ١/ ٤٤٦) ويأجج: مكان على بعد ثمانية أميال من مكة (معجم البلدان ٥/ ٤٢٤). والممروخ: موضع ببلاد مُزَينة (معجم البلدان ٥/ ١٩٧).

أَمِنْ أَجْلِ وَاشٍ كَاشِحٍ بِنَمِيمَةٍ ... مَشَى بيننا صَدَّقْتَهُ لَمْ تُكَذِّبِ
قَطَعْتَ وِصَالَ الحَبْلِ مِنَّا ومَنْ يُطِعْ ... بِذِي وُدِّهِ قَوْلَ المُحَرِّشِ يُعْتِبِ
فباتَ وِسَادِي ثِنْيَ كَفٍّ مُخَضَّبٍ ... مُعَاوِدَ عَذْبٍ لَمْ يُكَدَّرْ بِمَشْرَبِ
إذا مِلْتُ مَالَتْ كَالكَثِيبِ رَخِيمَةٌ ... مُنَعَّمَةٌ حُسَّانَةُ المُتَجَلْبَبِ[١]

أخبرني الحَرميُّ قال: حَدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني عَمِّي قال: بلغ عمرَ بن أبي ربيعة أنَّ نُعْماً اغتسلَتْ في غَدير؛ فنزل عليه ولم يزل يشرب منه حتى نضَب.

قال الزُّبَير: قال عَمِّي: وقال فيها أيضاً:

صوت

طَالَ لَيْلِي وعَادني اليَوْمَ سُقْمُ ... وأَصَابَتْ مَقَاتِلَ القَلْبِ نُعْمُ[٢]
وأَصابَتْ مَقَاتِلِي بِسِهَامٍ ... نَافِذَاتٍ وما تَبَيَّنَ كَلْمُ[٣]
حُرَّةُ الوَجْهِ والشَّمَائِلِ والجَوْ ... هَرِ تَكْلِيمُهَا لِمَنْ نَالَ غُنْمُ
هكذا وَصْفُ ما بَدَا لِي مِنْهَا ... لَيسَ لِي بِالَّذِي تَغَيَّبَ عِلْمُ
غَيْرَ أَنِّي أَرَى الثِّيَابَ مِلاَءً ... في يَفَاعٍ يَزِينُ ذلك جِسْمُ
وحَدِيثٍ بِمِثْلِهِ تَنْزِلُ العُصْـ ... ـمُ رَخِيمٍ يَشُوبُ ذلكَ حِلْمُ

عَرُوضه من الخَفيف، غنّى ابن سُرَيج في الأربعة الأبيات لحناً ذكره إسحاق وأبو أيّوب المَدِيني في جامع غنائه ولم يجَنِّسْهُ، وذكر حبش أنه خفيفُ رملٍ بالبنصر.

[رأي إسحاق وإبراهيم بن المهدي في معبد وابن سريج]

أخبرني عمي قال: حَدّثني الحسين بن يحيى أبو الحِمار قال: حَدّثني عمرو بن بانة قال: كنتُ حاضراً مع إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند إبراهيمَ بنِ المهديّ فتفاوضْنا حديثَ المُغَنِّين، حتى انتَهوْا إلى أن حَكى إسحاقُ قولَ عمر بن أبي خَليفة: «إذا تَمَعْبَدَ ابن سُرَيج كان أحسن الناس غِناءً». فقال إبراهيم لإسحاق:

---

(١) الكثيب: التلّ من الرمل.
(٢) المقاتل: جمع المَقْتَل: العضو الذي إذا أُصيبَ لا يكاد صاحبه يسلَمُ.
(٣) الكَلْم: الجرح.

حاشاك يا أبا محمّد أن تقول هذا! فقد رفع اللّه عِلمَكَ وقَدْرَ ٱبن سُرَيج عن مثل هذا القول، وأغنَى ٱبنَ سُرَيج بنفسه عن أن يقال له تَمَعْبَد؛ وما كان مَعْبَد يضع نفسه هذا الموضعَ؛ وكيف ذلك وهو إذا أحسن يقول: أصبحتُ اليومَ سُرَيْجِيّاً. وما قد أنصف أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن المهديّ معبداً في هذا القول؛ لأن معبداً وإن كان يعظِّم ابنَ سُرَيج ويوفِّيه حقّه فليس بدونه ولا هو بمرذول عنده. وقد مضى في صدر الكتاب خبرُ ابن سُرَيج لمّا قَدِمَ المدينةَ مع الغَريض ليستمنحا أهلَها، فسمعاه وهو يصيد الطير يُغَنِّي لحنه:

القَصْرُ فالنَّخلُ فَالجَمَّاءُ بينهما

فرجع ٱبن سريج وردَّ الغَريضَ وقال: لا خيرَ لنا عند قوم هذا غناء غلامٍ فيهم يصيد الطير، فكيف بمَنْ داخل الجَونة[1]!.

وأظرفُ من ذلك من أخباره وأدلُّ على تعظيم ٱبن سُرَيج معبداً ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدّثني عليّ بن سليمان النَّوْفليّ، قال: حَدّثني أبي قال: التقى ٱبن سُرَيج ومعبد ليلة بعد ٱفتراق طويل وبُعْد عهد؛ فتساءلا عَمّا صنعا من الأغاني بعد ٱفتراقهما؛ فتغَنَّى هذا وتَغَنَّى هذا؛ ثم تَغَنَّى ٱبنُ سُرَيج لحنَه في: [الطويل]

أنا الهالِكُ المَسْلُوبُ مُهْجَةَ نَفْسه إذا جَاوَزَتْ مَرًّا وعُسْفَانَ عِيرُها[2]

فغَنَّاه مُرْسَلاً لا صَيْحة فيه، فقال له معبد: أفَلاَ حَسَّنْتَه بصيحة! قال: فأين أضعها؟ قال: في:

غَدَتْ سَافِراً والشَّمْسُ قد ذَرَّ قَرْنُها

قال: فصِحْ أنت فيه حتى أسمعَ منك، قال: فصاح فيه معبدٌ الصَّيْحة التي يُغَنَّى بها فيه اليوم، فٱستعاده ٱبن سُرَيج حتى أخذه فغنَّى صوته كما رسمه معبدٌ فحسن به جدًّا. وفي هذا دليل يَبِينُ فيه التّحاملُ على معبد في الحكاية.

---

(١) الجونة: اسم قرية بين مكة والطائف (معجم البلدان ٢/ ١٨٩).

(٢) مَرّ: يريد مَرّ الظّهران: موضع على مرحلة من مكة فيه عيون كثيرة ونخيل (معجم البلدان ٥/ ١٠٤). وعُسفان: اسم لعدّة أماكن منها: موضع على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (معجم البلدان ٤/ ١٢١).

صوت

[الطويل]

غَدَتْ سَافِراً والشَّمْسُ قَدْ ذَرَّ قَرْنُها فَأَغْشَى شُعَاعَ الشَّمْسِ مِنْها سُفورُها[١]
وقد عَلِمَتْ شَمْسُ النَّهَارِ بِأَنَّها إذا مَا بَدَتْ يَوْماً سَيَذْهَبُ نُورُها
أَنَا الهَالِكُ المَسْلُوبُ مُهجَةَ نَفْسِهِ إذا جَاوَزَتْ مَرًّا وعُسْفَانَ عِيرُها
أَهَاجَتْكَ سَلْمَى إذْ أَجَدَّ بُكُورُها وهَجَّرَ يَوْماً لِلرَّوَاحِ بَعِيرُها

الشّعر يقال: إنه لِطَريف العَنْبَريّ، والغِناء لابن سُرَيج خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى في مجراها عن ابن المَكّيّ، وذكر عمرو أنه لِسياط، ولإبراهيمَ في الثالث والأوّل والرابع خفيفُ رَمَلٍ مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو، وفيه لبَسْباسَةَ ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن حَبَش، وفيه لابن جامع لحنٌ عن حَبَش من رواية أبي أيُّوبَ المَدينيّ. ومن سبعة ابن سريج:

صوت

[المنسرح]

قَرَّب جِيرَانُنَا جِمَالَهُمُ لَيْلاً فَأَضْحَوْا مَعاً قَدِ ارْتَفَعُوا
ما كُنْتُ أَدْرِي بِوَشْكِ بَيْنِهِمُ حَتَّى رَأَيْتُ الحُدَاةَ قد طَلَعُوا
على مِصَكَّيْنِ مِنْ جِمَالِهِمُ وعَنْتَرِيسَيْنِ فِيهِما شَجَعُ[٢]
يا نَفْسُ صَبْراً فَإِنَّهُ سَفَهٌ بِالحُرِّ أَنْ يَسْتَفِزَّهُ الجَزَعُ

الشعر لعمر بن أبي رَبيعة، والغِناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو، وذكر حَبَش أن فيه للغَريض ثقيلاً أوّل بالبِنْصر، وذكر ابن أبي حَسَّان أن هِبةَ اللَّهَ بنَ إبراهيم بن المهديّ حدّثه عن أبيه عن ابن جامع قال: عِيبَ على ابن سُرَيج خِفَّةُ غِنائه، فأخذ أبياتَ عمر بن أبي رَبيعة:

قَرَّبَ جِيرانُنا جِمالَهُم

فغَنَّى فيها في كلّ إيقاع لحناً، فجميع ما فيها من الألحان له.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال: حَدّثني منصور بن أبي

(١) ذَرَّ قرن الشمس: طلعت.
(٢) المِصَكّ: القويّ.
والعنتريس: الناقة الغليظة. الوثيقة. والشَّجَع: سرعة نقل القوادم.

مُزاحِم قال: حَدّثني رِزَام أبو قَيْس مولى خالد بن عبد اللّه قال: قال لي إسماعيل بن عبد اللّه: يا أبا قَيس، أيّ رجل أنت لولا أنك تحبُّ السَّماعَ!.

قلت: أصلحكَ اللّه! أمَا واللّه لو سمعتَ فلانةَ تُغنِّيك:

قَرَّب جِيرَانُنا جِمَالهُم لَيلاً فَأَضحَوْا معاً قَدِ ارتفعوا

لَعَذَرْتَني. فقال: يا أبا قيس، لا عاتبتُكَ بعد هذا أبداً.

ومنها: **صوت** [الكامل]

بَيْنَا كَذلِكَ إذ عَجَاجَةُ مَوْكِبٍ رَفَعُوا ذَمِيلَ العِيسِ في الصَّحْراءِ[1]
قَالَتْ أَبو الخَطَّابِ أَعْرِفُ زِيَّهُ ولِبَاسَهُ لا شَكَّ غَيْرَ خَفَاءِ

الشّعر لابن أبي رَبيعة، والغِناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وذكر الهِشاميّ وأبو العُبَيس أنه لمعبد؛ وليس الأمر كما ذكرا.

ومنها: **صوت** [السريع]

وهو الذي أوّله:

إنْ جاءَ فَلْيَأتِ على بَغلةٍ

سَلْمَى عِدِيهِ سَرْحَتَيْ مَالِكٍ أَوِ الرُّبَا دُونَهُمَا مَنْزِلاَ
إنْ جاءَ فَلْيَأتِ على بَغْلةٍ إنِّي أَخَافُ المُهْرَ أَنْ يَصْهِلاَ

الشّعر لعمر بن أبي رَبيعة، والغِناء لابن سُرَيج من رواية يحيى بن المَكّيّ والهِشاميّ ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وذكر يونس أنه للغَريض، وذكره إسحاق في أغاني الغريض ولم يجنّسه.

---

(١) العَجَاجة: الغبار. والذَّميل: ضربٌ من سير الإبل وهو فوق العَنَق.

أغاني الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم

قال مؤلف هذا الكتاب: المنسوبُ إلى الخلفاء من الأغاني والمُلصَقُ بهم منها لا أصلَ لِجُلِّهِ ولا حقيقةَ لأكثره، لا سِيَّما ما حكاه ٱبن خُرداذْبَة فإنه بدأ بعُمر بن الخطاب رضي اللّه عنه فذكر أنه تَغَنَّى في هذا البيت:

كَـأَنَّ رَاكِـبَـهـا غُـصْـنٌ بِـمَـرْوَحَـةٍ

ثمَّ وَالَى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بدّ منه ولا مَعْدِلَ عنه، يخبِطُ خَبْطَ العَشْواء ويجمع جمع حاطب اللَّيْلِ. فأمّا عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يُرْوَى عن كلِّ أحد لَبَعُدَ عنه؛ وإنّما رُوِيَ أنه تمثَّلَ بهذا البيت وقد ركب ناقةً فٱستوطأها، لا أنه غَنَّى به، ولا كان الغِناء العربيُّ أيضاً عُرِفَ في زمانه إلاَّ ما كانت العرب تستعمله من النَّصْب[1] والحُدَاءِ، وذلك جارٍ مَجْرَى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريبٍ وترجيع يسير ورَفْع للصّوت. والذي صَحَّ من ذلك عن رُوَاةِ هذا الشَّأن فأنا ذاكرٌ منه ما كانَ مُتْقَنَ الصَّنْعة لاحقاً بِجيّدِ الغناء قريباً من صنعة الأوائل وسالكاً مذاهبهم لا ما كان ضعيفاً سخيفاً، وجامعٌ منه ما ٱتَّصَلَ به خبرٌ له يُستحسَن ويجري مجرى هذا الكتاب وما تضمّنه.

فأوّل مَنْ دُوِّنَتْ له صنعةٌ منهم عمر بن عبد العزيز؛ فإنّه ذُكِرَ عنه أنه صنع في أيّام إمارته على الحجاز سبعةَ ألحان يذكر سُعَاد فيها كلِّها؛ فبعضُها عرفتُ الشاعر القائلَ له فذكرتُ خبره، وبعضها لم أعرف قائله فأتيتُ به كما وقع إليّ. فإن مرّ بي بعد وقتي هذا أثبتُّهُ في موضعه وشَرَحْتُ من أخباره ما ٱتّصلَ بي، وإن لم يقعْ لي ووقع إلى بعض من كتَب هذا الكتاب فمن أقلِّ الحقوق عليه أن يتكلَّفَ إثباته ولا يستثقلَ تجشُّمَ هذا القليل فقد وصل إلى فوائد جَمَّة تجشَّمناها له ولِنظرائه في هذا

---

(١) النَّصب: نوع من الغناء يشبه الحداء إلا أنه أرقّ منه.

الكتاب، فحَظِيَ بها من غير نَصَبٍ ولا كَدْح؛ فإنَّ جمالَ ذلك مُوَفَّرٌ عليه إذا نُسِبَ إليه، وعيبَه عنّا ساقطٌ مع اعتذارنا عنه إن شاء اللّه.

ومن الناس مَنْ يُنكر أن تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصَّنْعةُ ويقول: إنَّها أصواتٌ مُحْكَمَةُ العمل لا يقدِرُ على مثلها إلاّ مَنْ طالت دُرْبته بالصَّنعة وحَذِقَ الغناءَ ومهَر فيه وتمكّن منه. ولم يوجد عمر بن عبد العزيز في وقت من الأوقات ولا حال من الحالات ٱشتهر بالغِناء ولا عُرف به ولا بمعاشرة أهله، ولا جالس مَنْ يُنقل ذلك عنه ويؤدِّيه؛ وإنّما هو شيء يحسِّنُ المغنُّون نسبته إليه. ورُوِيَ من غير وجه خلافٌ لذلك وإثباتٌ لصنعته إيّاها، وهو أصحُّ القولين؛ لأنَّ الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بِحجَّة أكثر من هذا الظّنّ والدعوى، ومخالفوهم قد أيّدتهم أخبارٌ رُوِيَتْ.

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع والحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق قال: حَدّثني أبي عن أبيه وعن إسماعيل بن جامع عن سِيَاط عن يونس الكاتب عن شُهْدة أمِّ عاتكةَ بنتِ شُهْدة عن كَرْدَم بن معبد عن أبيه أنّ عمر بن عبد العزيز طارحه لحنه في:

أَلِمَّا صاحِبَيَّ نَزُرْ سُعَادَا

ونسختُ هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال: حَدّثْني أبو يَعْلَى زُرْقانُ غلامُ أبي الهُذَيْل وصاحبُ أحمد بن أبي داود قال: حَدّثني محمد بن يونس قال: حَدَّثني هاتفٌ أرَاه قال أمَّ ولد المعتصم قالت: حَدّثتني عُلَيّة ابنة المهديّ قالت: حَدّثتني عاتكة بنت شُهْدة عن أمِّها شهدة عن كَرْدَم قال:

طَرحَ عَلَيَّ عمرُ بن عبد العزيز لحنَه: [مجزوء الرمل]

عَلِقَ القَلْبُ سُعَادا عَادَتِ القَلْبَ فَعَادا
كُلَّمَا عُوتِبَ فِيهَا أو نُهِي عَنْهَا تَمَادَى
وهو مَشْغُوفٌ بِسُعْدَى قَدْ عَصَى فِيهَا وَزادَا

قال كَرْدَم: وكان عمر أحسنَ خَلْقِ اللّهِ صوتاً، وكان حَسَنَ القراءةِ للقرآن.

ونسختُ من كتاب ٱبن الكَرْنَبيّ بخطّه: حَدَّثني أحمد بن الفَتْح الحَجّاجيّ في مجلس حَمّاد بن إسحاق قال: أخبرني أحمد بن الحسين قال: رأيت عمر بن عبد العزيز في النوم وعليه عِمامةٌ ورأيت الشَّجَّةَ في وجهه تدلُّ على أنها ضربةُ حافرٍ،

فسمعته يقول: قال عمر بن الخَطّاب: لا تُعَلِّموا نساءَكم الخُلْعَ[1]. قال: حَدّثني محمد بن الحسين: فأقبلتُ عليه في نومي فقلت له: يا أمير المؤمنين، صوتٌ يزعمُ النّاسُ أنك صنعتَه في شعر جرير: [الوافر]

أَلِـمَّـا صَـاحِـبَـيَّ نَـزُرْ سُـعَـادا ... لِـوَشْـكِ فِـراقِـهَـا وذَرَا الـبِـعَـادَا
لَـعَـمْـرُكَ إنَّ نَـفْـعَ سُـعَـاد عَـنِّـي ... لَـمَـصْـرُوفٌ ونَـفْـعِـي عَـنْ سُـعَـادا
إلـى الـفَـاروقِ يَـنْـتَـسِـبُ ٱبْـنُ لَـيْـلَـى ... ومَـرْوانَ الَّـذِي رَفَـعَ الـعِـمَـادا

فتبسَّمَ عمر ولم يردّ عليّ شيئاً.

نسبة هذين الصوتين

صوت

أَلِـمَّـا صَـاحِـبَـيَّ نَـزُرْ سُـعَـادا ... لِـوَشْـكِ فِـراقِـهَـا وذَرَا الـبِـعَـادَا
لَـعَـمْـرُكَ إنَّ نَـفْـعَ سُـعَـاد عَـنِّـي ... لَـمَـصْـرُوفٌ ونَـفْـعِـي عَـنْ سُـعَـادا
إلـى الـفَـاروقِ يَـنْـتَـسِـبُ ٱبْـنُ لَـيْـلَـى ... ومَـرْوانَ الَّـذِي رَفَـعَ الـعِـمَـادا

الشّعر لجرير يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان، والغناء لعمر بن عبد العزيز ثقيلٌ أوّلُ مطلَق في مجرى البِنصر، وفيه خَفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى مَعْبَد.

صوت

عَـلِـقَ الـقَـلْـبُ سُـعَـادا ... عَـادَتِ الـقَـلْـبَ فـعَـادا
كُـلَّـمـا عُـوتِـبَ فِـيـهـا ... أو نُـهِـي عَـنْـهَـا تَـمَـادَى
وهـو مَـشْـغُـوفٌ بِـسُـعْـدَى ... قـد عَـصَـى فـيـهـا وزَادَا

الغناء لعمر بن عبد العزيز خفيفُ ثقيلٍ، وفيه ثاني ثقيلٍ يُنسَبُ إلى الهُذَلِيّ.

---

(١) الخُلْع: أن تبذل المرأة مالاً لزوجها ليطلّقها.

ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره

[٦١ـ ١٠١ هـ/ ٦٨١ ـ ٧٢٠ م]

[نسبه وبعض أخباره]

عمرُ بن عبد العزيز بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العاصي بن أُمَيّة بن عبد شمس بن عبدَ مَناف، ويُكَنّى أبا حَفْص، وأُمُّه أُمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخَطّاب رضي اللّه عنه. وكان يقال له أَشَجُّ قريش؛ لأنه كان في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافرٍ. فذكر يحيى بن سعيد الأمويّ عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كان يُؤْثِرُ عمرَ بن عبد العزيز ويَرِقُّ عليه ويُدْنِيه، وإذا دخل عليه رَفعه فوق ولده جميعاً إلاّ الوليدَ، فعاتبه بعضُ بَنِيه على ذلك، فقال له: أوَ ما تَعْلم لِمَ فعلتُ ذلك؟ قال: لا. قال: إن هذا سَيَلِي الخلافةَ يوماً وهو أَشَجُّ بني مَرْوان الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن تُملأَ جَوْراً، فما لي لا أُحبُّه وأدْنِيه!.

أخبرني محمد بن يزيد قال: حَدّثنا الرِّياشيّ قال: حَدّثنا سالم بن عَجْلان قال: خرج عمر بن عبد العزيز يلعب فرمَحَتْه[1] بغلة على جبينه، فبلغ الخبرُ أُمَّه أُمَّ عاصم، فخرجَتْ في خَدَمِها، وأقبل قبل عبد العزيز بن مروان إليها فقالت: أمّا الكبير فَيُخْدَم، وأمّا الصّغير فيُكْرَم، وأما الوَسَطُ فَيَضيع! لِمَ لا تَتّخذ لابني حاضِناً حتى أصابه ما ترى! فجعل عبدُ العزيز يمسَحُ الدَّمَ عن وجهه، ثم نظر إليها وقال لها: وَيْحَكِ! إن كان أَشَجَّ بني مَرْوان، أو أَشَجَّ بني أُميّة، إنه لَسَعيدٌ!.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثني محمد بن أحمد المقدميّ قال: حَدّثنا عُبيد اللّه بن سعد الزّهْريّ قال: حَدّثنا هارون بن معروف قال: حَدَّثنا ضَمْرة قال:

---

(١) رمحته: رفسته.

سمعت ثَرْوانَ مولى عمرَ بنِ عبد العزيز قال: دخل عمر بن عبد العزيز وهو غلام إصطبلَ أبيه، فضربه فرس على وجهه، فأُتِيَ به أبوه يُحْمَل، فجعل أبوه يمسَح الدَّمَ عن وجهه ويقول: لئن كنتَ أشجَّ بني أميّة إنك لَسَعيدٌ.

حَدَّثنا محمد بن العبَّاس اليَزيديّ قال: حَدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال: حَدَّثنطا مُصْعَب الزُّبَيري قال: كانت بنتٌ لِعُبيد اللّٰه بن عمر بن الخَطّاب تحت إبراهيم بن نُعَيْم النَّحّام فماتت، فأخذ عاصمُ بن عمر بيده فأدخله منزلَه، وأخرج إليه ابنتيه حَفْصَةَ وأُمَّ عاصم، فقال له: ٱخْتَرْ، فٱختار حفصة فزوّجها إيّاه. فقيل له: تركتَ أُمَّ عاصم وهي أجملُهما! فقال: رأيت جاريةً رائعة، وبلغني أن آل مروان ذكروها فقلت: عَلَّهم أن يُصيبوا من دنياهم. فتزوّجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له أبا بكر وعمر وكانت عنده. وقُتل إبراهيم بن نُعَيم يوم الحَرَّة[1]. وماتت أمُّ عاصم عند عبد العزيز بن مروان؛ فتزوّجَ أختها حَفْصةَ بعدها، فحُمِلَتْ إليه بمصر؛ فمَرَّت بِأَيْلَةَ[2] وبها مُخَنَّثٌ أو معتوهٌ وقد كان أهْدَى لأمِّ عاصم حين مرّتْ به فأثابَتْه، فلمَّا مرّتْ به حفصةُ أَهْدَى لها فلم تُثِبْهُ، فقال: «ليست حَفْصَةُ من رجال أُمِّ عاصم» فذهبتْ مثلاً.

أخبرني أحمد بن عُبَيد اللّٰه بن عَمَّار قال: حَدّثنا أبو بكر الرَّمَاديّ وسليمان ابن أبي شَيْخ قالا: حَدّثنا أبو صالح كاتبُ اللَّيْث قال: حَدّثني اللّيث قال: لمّا وَلِيَ عُمر بن عبد العزيز، بدأ بِلُحْمته[3] وأهلِ بيته، فأخذ ما كان في أيديهم وسَمَّى أعمالَهم المظالم. فَفَزِعَتْ بنو أميّة إلى فاطمة بنت مَرْوان عمَّته. فأرسلتْ إليه: إنّه قد عناني أمرٌ لا بُدَّ من لقائك فيه. فأتَتْه ليلاً فأنزلها عن دابتها، فلمّا أخذَتْ مجلسَها قال: يا عَمَّة، أنتِ أَوْلى بالكلام لأنّ الحاجة لكِ فتكلَّمي. قالت: تَكَلَّمْ يا أمير المؤمنين. فقال: إنَّ اللّٰهَ تبارك وتعالى بعث محمداًﷺ رحمةً، لم يبعثه عذاباً، إلى النَّاس كافّة، ثم اختار له ما عنده فقبَضه إليه، وترك لهم نهراً شِرْبُهم فيه سواء،

---

(١) الحَرَّة: اسم يطلق على عدة أماكن في بلاد العرب ومنها حرة واقم في المدينة وفيها كانت وقعة الحَرَّة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ (معجم البلدان ٢/٢٤٩).

(٢) أيلة: اسم لعدة أماكن ذكرها ياقوت في معجمه (١: ٢٩٢) وقال: هي آخر الحجاز وأوّل الشام، وأيضاً أيلة مدينة بين الفُسطاط ومكة على شاطىء بحر القلزم تُعَدُّ في بلاد الشام، وقيل هي المعروفة الآن باسم العقبة.

(٣) لحمته: قرابته.

ثم قام أبو بكر فترك النَّهرَ على حاله، ثم وَلِيَ عمرُ فعمِلَ على عمل صاحبه، فلمّا وَلِيَ عثمانُ اَشْتَقَّ من ذلك النهر نهراً، ثم وَلِيَ معاويةُ فشَقَّ منه الأنهار، ثمَّ لم يَزَلْ ذلك النهر يَشُقُّ منه يزيدُ ومروانُ وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أَفْضَى الأمرُ إليَّ، وقد يَبِسَ النهرُ الأعظم ولن يَرْوَى أصحابُ النّهر حتى يعودَ إليهم النهرُ الأعظم إلى ما كان عليه. فقالت له: قد أردت كلامَك ومُذاكرتَك، فأمّا إذ كانت هذه مقالتَكَ فلستُ بِذاكرةٍ لك شيئاً أبداً. ورجعتْ إليهم فأبلغتْهم كلامَه.

وقال سليمان بن أبي شَيْخ في خبره: فلمَّا رجعتْ إلى بني أميّة قالت لهم: ذُوقُوا مَغَبَّةَ أمرِكُم في تزويجكم آلَ عمرَ بنِ الخطاب.

كثير والأحوص ونُصيب ينشدون الشعر بين يدي عمر بن عبد العزيز فيكافئهم

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال: أخبرني عبد اللَّه بن دِينار مولى بني نصر بن مُعاوية قال: حَدّثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيْميّ قال: حَدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن سُهَيل عن حَمّاد الراوية، وأخبرني محمد بن حسين الكِنْديّ خطيبُ القادسيّة قال: حَدّثنا الرِّيَاشيّ قال: حَدّثنا شَيْبان بن مالك قال: حَدّثنا عبد اللَّه بن إسماعيل الجَحْدَريّ عن حَمّاد الراوية، والرّوايتان متقاربتان وأكثر اللّفظ للرِّيَاشي، قال: دخلتُ المدينَةَ ألتمسُ العلم، فكان أوّل مَنْ لَقِيتُ كُثَيِّر عَزَّة. فقلت: يا أبا صَخْر، ما عندكَ من بضاعتي؟ قال: عندي ما عند الأحوص ونُصَيْب. قلت: وما هو؟ قال: هما أحقّ بإخبارك. فقلت له: إنَّا لم نَحُثَّ المَطِيَّ نحوَكم شهراً نطلب ما عندكم إلاّ ليبقى لكم ذِكرٌ، وقَلَّ مَنْ يفعل ذلك، فأخبِرْني عما سألتُك ليكون ما تُخبرني به حديثاً آخُذه عنك. فقال: إنّه لمّا كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان، قَدِمْتُ أنا ونُصَيْب والأحوصُ وكلٌّ واحدٍ منا يُدِلُّ بسابقته عند عبد العزيز وإخائِه لعمر. فكان أوّلُ مَنْ لَقِينَا مَسْلَمَةَ بن عبد الملك وهو يومئذٍ فتى العرب، وكلُّ واحد منّا ينظر في عِطْفَيْه لا يَشُكُّ أنه شريكُ الخليفة في الخلافة، فأحسنَ ضيافَتنا وأكرم مَثْوانا، ثم قال: أَمَا علمتم أنَّ إمامَكم لا يُعْطِي الشّعراءَ شيئاً؟ قلنا: قد جئنا الآن، فوجِّهْ لنا في هذا الأمر وَجْهاً. فقال: إن كان ذو دِينٍ من آل مروان قد وَلِيَ الخلافة فقد بَقِيَ من ذوي دنياهم من يَقْضِي حوائِجَكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل. فأقمنا على بابه أربعةَ أشهرٍ لا نصلُ إليه، وجعل مَسْلَمَةُ يستأذنُ لنا فلا يُؤْذَن.

فقلت: لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفَّظْتُ من كلام عمرَ شيئاً!. فأتيتُ المسجدَ فأنا أوّل مَنْ حفظ كلامه، سمعته يقول في خطبة له: لِكُلِّ سَفَرٍ زادٌ لا محالةَ، فتزوّدوا من الدّنيا إلى الآخرة التَّقْوَى، وكونوا كمن عايَنَ ما أعَدَّ اللَّهُ له من ثوابه وعقابه، فعمِلَ طلباً لهذا وخوفاً من هذا. ولا يَطُولَنَّ عليكم الأمَدُ فَتَقْسُو قلوبكم، وتنقادوا لِعَدوِّكم، واعلموا أنّه إنّما يطمئنّ بالدّنيا من وَثِقَ بالنَّجاة من عذاب اللّه في الآخرة، فأمّا مَنْ لا يُداوي جُرْحاً إلاّ أصابه جُرْحٌ من ناحيةٍ أُخرى، فكيف يطمئنّ بالدنيا! أعوذ باللّه أن آمُرَكم بما أنْهَى نفسي عنه فَتَخْسَرَ صَفْقتي، وتَبْدُو عَيْلَتي، وتظهرَ مَسْكَنتي يومَ لا يَنْفع فيه إلاّ الحقُّ والصّدق. فٱرْتَجَّ المسجدُ بالبكاء، وبكى عمر حتى بُلَّ ثوبُه، حتى ظَنَنَّا أنه قاضٍ نَحْبَه. فبلغتُ إلى صاحِبَيَّ فقلت: جَدِّدا لعمر من الشِّعر غيرَ ما أعددناه، فليس الرجلُ بدُنْيويّ. ثم إنّ مَسْلَمة استأذن لنا يومَ جُمُعَة بعدما أُذِنَ للعامّة، فدخلنا فسلّمنا عليه بالخلافة فردَّ علينا. فقلت له: يا أميرَ المؤمنين، طال الثَّوَاءُ وقَلَّتِ الفائدة وتحدّثَتْ بجفائك إيّانا وفودُ العرب. فقال: يا كثيِّر، أمَا سمعتَ إلى قول اللّه عزّ وجل في كتابه **﴿إنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ والمَساكِينِ والعَامِلِينَ عَلَيْها والمؤَلَّفَة قُلُوبُهُمْ وفي الرِّقَابِ والغَارِمينَ وفِي سَبِيلِ اللَّهِ وٱبنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللّهِ واللّه عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**(١) أفَمِنْ هؤلاء أنتَ؟ فقلت له وأنا ضاحكٌ: أنا ابن سبيلٍ ومُنقطَعٌ به. قال: أو لستَ ضيفَ أبي سَعيد؟ قلت: بَلَى. قال: ما أحسَبُ مَنْ كانَ ضَيْفَ أبي سعيد ٱبنَ سبيلٍ ولا مُنْقَطَعاً به. ثم استأذنْتُه في الإنشاد، فقال: قل ولا تقل إلاّ حقّاً؛ فإنّ الله سائلك. فقلت: [الطويل]

وَلِيتَ فلم تَشْتُمْ عَلِيًّا ولم تُخِفْ ... بَرِيًّا ولم تَتْبَعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ
وقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذي قلتَ بِالَّذي ... فَعَلْتَ، فَأَضْحَى رَاضِياً كلُّ مُسْلِمِ
ألاَ إنَّما يَكْفِي الفَتَى بعدَ زَيْغِهِ ... مِنَ الأوَدِ البَاقي ثِقَافُ المُقَوِّمِ(٢)
لقد لَبِسَتْ لُبْس الهَلُوكِ ثِيَابَها ... وأبْدَتْ لكَ الدُّنيا بِكَفٍّ ومِعْصَمِ(٣)
وتُومِضُ أحْيَاناً بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ ... وَتَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ الجُمَانِ المُنَظَّمِ
فَأَعْرَضْتَ عَنْها مُشْمَئِزًّا كَأنَّما ... سَقَتْكَ مَدُوفاً مِنْ سِمَامٍ وعَلْقَمِ(٤)

---

(١) سورة التوبة: الآية: ٦٠.

(٢) زاغ: مال وجارَ. والأوَد: الكدّ والتعب. والثِّقاف: آلة تُثَقَّف بها الرماح.

(٣) الهَلُوك من النساء: الفاجرة المتساقطة على الرجال.

(٤) المدوف: المخلوط.

وقد كُنْتَ من أَجْبَالِها في مُمَنَّعٍ ومِنْ بَحْرِها في مُزْبِدِ المَوْجِ مُفْعَمِ
ومَا زِلْتَ سَبَّاقاً إلى كُلِّ غَايَةٍ صَعِدْتَ بها أَعْلَى البِناءِ المُقَدَّمِ
فلمّا أَتاكَ المُلْكُ عَفْواً ولم يَكُنْ لِطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمِ
تَرَكْتَ الَّذي يَفْنَى وإنْ كَانَ مُونِقاً وآثَرْتَ مَا يَبْقَى بِرَأْيٍ مُصَمِّمِ[1]
فَأَضْرَرْتَ بِالفَانِي وشَمَّرْتَ لِلّذي أَمَامَكَ في يَومٍ مِنَ الهَوْلِ مُظْلِمِ
وما لكَ أَنْ كُنْتَ الخَليفةَ مَانِعٌ سِوَى اللّه مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ ولا دَمِ
سَمَا لَكَ هَمٌّ في الفُؤادِ مُؤَرِّقٌ صَعِدْتَ به أَعْلَى المَعَالي بِسُلَّمِ
فما بين شَرْقِ الأرضِ والغَرْبِ كُلِّها مُنادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وأَعْجَمِ
يقول: أَمِيرَ المؤمنينَ ظَلَمْتَني بِأَخْذٍ لِدِينَارٍ ولا أَخْذِ دِرْهَمِ
ولا بَسْطِ كَفٍّ لامْرِىءٍ ظَالِمٍ لَهُ ولا السَّفْكِ منه ظَالماً مِلْءَ مِحْجَمِ
فلو يَسْتَطِيعُ المسلمونَ تَقَسَّمُوا لكَ الشَّطرَ مِنْ أعمارِهِمْ غيرَ نُدَّمِ
فَعِشْتَ به ما حَجَّ لِلّهِ رَاكِبٌ مُغِذٌّ مُطِيفٌ بِالمُقَامِ وَزَمْزَمِ
فَأَرْبِحْ بِها مِنْ صَفْقَةٍ لِمُبَايِعٍ وأَعْظِمْ بها أَعْظِمْ بها ثُمَّ أَعْظِمِ

فقال لي: يا كُثَيِّر، إن الله سائلك عن كلِّ ما قلتَ، ثم تقدَّم إليه الأحوص فاستأذنه فقال: قُلْ ولا تقلْ إلاَّ حَقًّا؛ فإنَّ الله سائلك. فأنشده: [الطويل]

ومَا الشِّعْرُ إلاَّ خُطْبَةٌ مِنْ مُؤَلِّفٍ بِمَنْطِقِ حَقٍّ أو بِمَنْطِقِ بَاطِلِ
فَلا تَقْبَلَنْ إلاَّ الَّذي وَافقَ الرِّضَا ولا تَرْجِعَنَّا كَالنِّسَاءِ الأَرَامِلِ
رَأيناكَ لم تَعْدِلْ عَنِ الحَقِّ يَمْنَةً ولا يَسْرَةً فِعْلَ الظَّلُوم المُجَادِلِ
ولَكِنْ أَخَذْتَ القَصْدَ جَهْدَكَ كُلَّهُ وتَقْفُو مِثَالَ الصَّالِحِينَ الأوائلِ
فقُلْنَا ولم نَكْذِبْ بِمَا قد بَدَا لنا وَمَنْ ذا يَرُدُّ الحَقَّ مِنْ قَوْلِ عَاذِلِ
ومَنْ ذا يَرُدُّ السَّهْمَ بعدَ مُروقِهِ على فُوقِهِ إنْ عَارَ من نَزْعِ نَابِلِ[2]
ولولا الَّذي قد عَوَّدَتْنا خَلائِفٌ غَطَارِيفُ كانَتْ كاللّيوثِ البَوَاسِلِ
لَما وَخَدَتْ شَهْراً بِرَحْلِيَ جَسْرَةٌ تَفُلُّ مُتُونَ البِيدِ بَيْنَ الرَّواحِلِ[3]
ولَكِنْ رَجَوْنا مِنكَ مِثْلَ الَّذِي به صُرِفْنا قَدِيماً مِنْ ذَوِيكَ الأَفَاضِلِ
فَإنْ لم يَكُنْ لِلشِّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ وإنْ كانَ مِثْلَ الدُّرِّ مِنْ قَوْلِ قَائِلِ

---

(١) المونق: الحَسَن المُعْجِب.
(٢) الفُوق: مشقّ رأس السهم حيث يقع الوتر. والعائر من السهام: الذي لا يُدْرَى راميه.
(٣) وخدت: سارت مسرعةً. والجسرة: الناقة الضخمة.

وكَانَ مُصِيباً صَادِقاً لا يَعِيبُهُ سِوَى أَنَّهُ يُبْنَى بِنَاءَ المَنَازِلِ
فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى ومَحْضَ مَوَدَّةٍ ومِيرَاثَ آبَاءٍ مَشَوْا بِالمَنَاصِلِ[1]
فذَادُوا عَدُوَّ السِّلْمِ عن عُقْرِ دَارِهِمْ وأَرْسَوْا عَمُودَ الدِّينِ بعدَ تَمَايُلِ
فقَبْلَكَ ما أَعْطَى الهُنَيْدَةَ جِلَّةً على الشِّعْرِ كَعْباً مِنْ سَدِيسٍ وبَازِلِ[2]
رَسُولُ الإلهِ المُصْطَفَى بِنُبُوَّةٍ عليه سَلَامٌ بالضُّحَى والأَصَائِلِ
فَكُلُّ الَّذي عَدَّدْتُ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ ونَيْلُكَ خَيْرٌ من بُحُورِ السَّوَائِلِ

فقال له عمر: يا أحوصُ، إنّ اللّه سائلُك عن كلِّ ما قلت. ثم تقدّم إليه نُصَيْب فٱستأذن في الإنشاد، فأبى أن يأذَنَ له وغَضِبَ غضباً شديداً، وأمره باللَّحاقِ بِدَابِق[3] وأمر لي وللأحوص لكلِّ واحد بمائة وخمسين درهماً.

وقال الرِّياشيّ في خبره: فقال لنا: ما عندي ما أُعطيكم، فٱنتظروا حتى يَخْرُجَ عطائي فأُواسِيَكُمْ منه. فٱنتظرناه حتى خرج، فأمر لي وللأحوص بثلاثمائة درهم، وأمر لِنصيب بمائة وخمسين درهماً. فما رأيت أعظمَ بركةً من الثلاثِ المائةِ التي أعطاني، ابتعتُ بها وَصِيفةً فعلَّمْتُها الغِناء فبِعتُها بألْفِ دينار.

[دكين الراجز يقول شعراً فيعطيه عمر نصف ما يملك]

أخبرني عمِّي عبد العزيز بن أحمد قال: حَدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المَدائنيّ قال: قال دُكَيْنٌ الرّاجز: امتدحتُ عمَر بن عبد العزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمسَ عشرةَ ناقةً كرائمَ، فكرِهتُ أن أَرْمِيَ بهنّ الفجاج، ولم تَطِبْ نفسي ببيعهنّ. فقدِمَتْ علينا رُفْقةٌ من مصر، فسألْتُهم الصُّحْبَةَ، فقالوا: ذاك إليك، ونحن نخرج اللّيلَة. فأتيتُه فودَّعتُه وعنده شيخان لا أعرفهما. فَقال لي: يا دُكَيْنُ، إنَّ لي نفساً تَوَّاقة، فإنْ صِرْتُ إلى أكثر مِمّا أنا فيه فَأْتِنِي ولك الإحسان. قلت: أَشْهِدْ لي بذلك. قال: أُشْهِدُ اللّهَ به. قلت: وَمِنْ خَلْقِهِ؟ قال: هذين الشيخين. فأقبلتُ على أحدهما فقلت: مَنْ أنت أعرفك؟ قال: سالم بن عبد اللّه بن عمر. فقلت له: لقد استسمنت الشّاهد. وقلت للآخر: من أنت؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير. فخرجتُ

---

(١) المناصل: جمع المُنْصُل والمُنْصَل: السيوف.

(٢) الهنيدة: اسم للمائة من الإبل وغيرها. وكعب: هو كعب بن زهير. والسديس: الذي دخل في سنته الثامنة من الإبل. والبازل: الذي انشقّ نابه وذلك في السنة التاسعة.

(٣) دابق: قرية قرب حلب من أعمال عَزاز (معجم البلدان ٢/٤١٦).

إلى بلدي بِهِنّ، فرمَى اللّه في أذنابهنّ بالبَرَكةِ حتى اعتقدتُ[١] منهن الإبلَ والعَبيد. فإنِّي لَبِصَحْراء فَلْج[٢] إذا ناعٍ يَنْعَى سليمانَ. قلت: فمن القائِمُ بعده؟ قال: عمرُ بن عبد العزيز. فتوجَّهْتُ نَحْوَه، فلقيني جريرٌ منصرفاً من عنده. فقلت: يا أبا حَزْرة، من أين؟ فقال: من عند من يُعطِي الفقراء، ويمنع الشعراء. فانطلقتُ فإذا هو في عَرْصَةِ دار وقد أحاط الناسُ به، فلم أخلُصْ إليه فناديتُ: [الرجز]

يا عُمَرَ الخَيْرَاتِ والمَكَارِمِ ... وعُمَرَ الدَّسَائِعِ العَظَائِمِ[٣]
إنِّي امْرُؤٌ مِنْ قَطَنِ بْنِ دَارِمِ ... طَلَبْتُ دَيْنِي مِنْ أخِي مَكَارِمِ
إذ تَنْتَحِي واللَّيْلُ غيرُ نَائِمِ ... عِنْدَ أبي يَحْيَى وعِنْدَ سَالِمِ

فقام أبو يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، لهذا البدويّ عندي شهادة عليك. فقال: أعرفُها؛ ادْنُ يا دُكَيْن، أنا كما ذكرتُ لكَ، إن نفسي لم تَنَلْ شيئاً قطُّ إلا تاقت لما هو فوقه، وقد نلتُ غايةَ الدّنيا فنفسي تَتُوقُ إلى الآخرة، واللهِ ما رَزَأْتُ من أموال الناس شيئاً، ولا عندي إلا ألف درهم، فخذ نصفَها. قال: فواللهِ ما رأيت ألفاً كان أعظمَ بركةً منه. قال: ودُكَين الذي يقول[٤]: [الطويل]

إذا المَرْءُ لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤمِ عِرْضُهُ ... فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرتَدِيهِ جَمِيلُ
وإنْ هُوَ لم يَرْفَعْ عَنِ اللُّؤمِ نَفْسَهُ ... فليسَ إلى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ

[حُبّه آل البيت، وزهده بالدنيا]

أخبرني الحَرَمِيّ عن الزُّبَير عن هارون بن صالح عن أبيه قال: كنّا نعطي الغَسَّالَ الدَّراهمَ الكثيرةَ حتى يَغسِلَ ثيابَنا في أثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطِّيبِ فيها يعني المِسْكَ. قال: ثم رأيت ثيابَه بعد ذلك وقد وَلِيَ الخلافةَ فرأيتُ غيرَ ما كنتُ أعرف.

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حَدّثنا الرِّيَاشيّ قال: حَدّثنا الأصمعيّ عن نافع بن أبي نُعَيْم قال: قَدِمَ عبد اللّه بن الحسن بن الحسن على

(١) اعتقدتُ: اشتريتُ.
(٢) فَلْج: وادٍ بين البصرة وحمى ضرية من طريق مكة (معجم البلدان ٤/ ٢٧٢).
(٣) الدّسائع: العطايا الجزيلة.
(٤) المعروف أن هذين البيتين للسموأل بن عادياء.

عمر بن عبد العزيز فقال: إنك لا تُغْنِمُ أهلَكَ شيئاً خيراً من نفسك فارجعْ، وأتبَعه حوائجَه.

قال الرِّياشيّ وحَدّثنا نصر بن عليّ قال: حَدّثنا أبو أحمد محمد بن الزُّبَير الأَسَديّ عن سعيد بن أَبَان قال: رأيت عمر بن عبد العزيز آخِذاً بِسُرَّةِ عبد اللّه بن حسن وقال: أُذْكُرْها عندكَ تَشْفَعْ لي يَومَ القيامة.

حَدّثني أبو عُبَيْد الصَّيْرَفيّ قال: حَدّثنا الفَضْل بن الحسن المصريّ قال: حَدّثنا عبد اللّه بن عمر القَوَارِيريّ قال: حَدّثنا يحيى بن سعيد بن أَبَان القُرَشيّ قال: دخل عبد اللّه بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السِّنّ وله وَفْرةٌ فرفَع مجلسَه وأقبل عليه وقضى حوائجَه، ثم أخذ عُكْنَةً[1] من عُكَنِهِ فغمَزها حتى أَوْجَعه وقال له: أُذكُرْها عندك للشَّفَاعة، فلمّا خرج لامَه أهله وقالوا: فعلتَ هذا بغلام حديثِ السنّ! فقال: إنَّ الثِّقَةَ حدّثني حتى كأنّي أسمعه مِنْ فِي رسول اللّهﷺ قال: «إنّما فاطمةُ بَضْعَةٌ منّي يَسُرُّني ما يسرُّها» وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حَيّة لَسَرَّها ما فعلتُ بأبنها. قالوا: فما معنى غَمْزِكَ بطنَه وقولِكَ ما قلتَ؟ قال: إنه ليس أحدٌ من بني هاشم إلاّ وله شفاعة، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا.

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدّثنا عيسى بن عبد اللّه بن محمد بن عمر بن عليّ قال: أخبرني يزيد بن عيسى بن مُورِق قال: كنت بالشّام زمنَ وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز، وكان بخُناصِرَةَ[2]، وكان يعطي الغرباءَ مائتيْ درهم. قال: فجئتُه فَأَجِدُه مُتَّكئاً على إزار وكِساء من صوف. فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل الحجاز. قال: من أيِّهم؟ قلت: من أهل المدينة. قال: من أيِّهم؟ قلت: من قريش. قال: من أيِّ قريش؟ قلت: من بني هاشم. قال: من أيِّ بني هاشم؟ قلت: مولى عليّ. قال: مَنْ عليٌّ؟ فسكتُّ. قال: مَنْ؟! فقلتُ: ابنُ أبي طالب. فجلس وطَرح الكِساء ثم وضع يده على صدره وقال: وأنا واللّه مَوْلَى عليّ، ثم قال: أَشْهَد على عددٍ ممّن أدرك النبيّﷺ يقول: قال رسول اللهﷺ: «مَنْ كنتُ مولاه فعَلِيٌّ مولاه». أين مُزاحِم؟ كم تُعْطِي مثلَه؟ قال: مائتي درهم. قال: أعطِه خمسين ديناراً لولائه من عليّ. ثم قال: أفي فَرْضٍ

---

(١) العُكْنة: ما انطوى وتثنّى من لحم البطن.

(٢) خُناصرة: بليدة من أعمال حلب (معجم البلدان ٢/ ٣٩٠).

أنت؟ قلت لا. قال: وٱفْرِضْ له، ثم قال: الْحَقْ بلادكَ فإنه سيأتيك إن شاء اللّه ما يأتي غيرَك.

قال أبو زيد: فَحَدّثني عيسى بن عبد اللّه قال: حَدّثني أبي عن أبيه قال: قال أبي: وُلِدَ لي غلامٌ يومَ قام عمر بن عبد العزيز، فغدوتُ عليه فقلت له: وُلِدَ لي في هذه اللّيلة غلام. فقال لي: ممّن؟ قلت: من التَّغْلَبيّة. قال: فَهَبْ لي ٱسمَه. قلت: نعم. قال: قد سَمَّيْتُه ٱسمي ونَحَلْتُه غُلامِي مُورِقاً، وكان نُوبِياً فأعتقه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك؛ فولدُه اليومَ مَوالينا.

أخبرني محمد بن العبّاس قال: حَدّثنا عمر قال: حَدّثنا عيسى بن عبد اللّه قال: أخبرني موسى بن عبد اللّه بن حسن عن أبيه قال: كان عمر بن عبد العزيز يراني إذا كانت لي حاجةٌ أترَدَّدُ إلى بابه، فقال لي: ألم أقلْ لك: إذا كانت لك حاجةٌ فٱرفَعْ بها إليّ! فواللّه إني لأستحيي من اللّه أن يراكَ على بابي.

[وفاته]

أخبرني عمّي قال: حَدّثني الكُرَانِيّ قال: حَدّثني العُمَريّ عن العُتْبِيّ عن أبيه قال: لمّا حَضرَتْ عمرَ بن عبد العزيز الوفاةُ جمع ولدَه حولَه، فلما رآهم استعبَر ثم قال: بأبي وأُمّي مَنْ خَلَّفْتُهم بعدي فقراء!. فقال له مَسْلَمة بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين، فَتَعَقَّبْ فِعْلَكَ وأَغْنِهم، فما يمنعكَ أحدٌ في حياتك ولا يرتجعُه الوالي بعدك. فنظر إليه نظرَ مُغْضَبٍ مُتَعَجِّب فقال: يا مَسْلَمة، منعتُهم إيّاه في حياتي وأشْقَى به بعد وفاتي! إنَّ ولدي بين رجلين: إمّا مطيع لله فاللّهُ مصلِحٌ له شأنه ورازقُه ما يَكْفيه، أو عاصٍ له فما كنتُ لأُعينَه على معصيته. يا مَسْلَمة، إنّي حضرتُ أباك لَمّا دُفِنَ فحملَتْني عيني عند قبره فرأيته قد أَفْضى إلى أمرٍ من أمر اللّه راعَنِي وهالَنِي، فعاهدت اللّه ألاّ أعملَ بمثل عمله إن وَلِيتُ، وقد ٱجتهدتُ في ذلك طولَ حياتي، وأرجو أن أُفْضِيَ إلى عفوٍ من اللّه وغُفْران. قال مَسْلَمة: فلمّا دُفِنَ حضرتُ دفنَه، فما فُرِغَ من شأنه حتى حملَتْني عيني، فرأيته فيما يَرى النّائم وهو في رَوْضةٍ خَضْراءَ نَضِرَة فَيْحاء وأنهارٍ مُطَّرِدَةٍ وعليه ثيابٌ بِيضٌ؛ فأقبل عليّ فقال: يا مَسْلَمة، لمثل هذا فليعمَلِ العاملون. هذا أو نحوَه، فإن الحكاية تزيد أو تنقص.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثنا محمد بن القاسم قال: حَدّثنا عبد

اللَّه بن أبي سعد قال: حَدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ عن يحيى بن سَعيد الأمَويّ قال: لمّا مات عمر بن عبد العزيز وقف مَسْلَمة عليه بعد أن أُدْرِجَ في كفنه فقال: رحمكَ اللَّه يا أمير المؤمنين! فقد أورثْتَ صالحينا بك اقتداءً وهُدًى، وملأتَ قلوبَنا بمواعظك وذِكْرِكَ خَشْيَةً وتُقًى، وأَثَّلْتَ[1] لنا بفضلك شرفاً وفخراً، وأبقيتَ لنا في الصالحين بعدَكَ ذِكْراً.

[عمر بن عبد العزيز يراسل أسارى قسطنطينية]

أخبرني الحسن قال: أخبرنا الغَلاَبيُّ عن ابن عائشة عن أبيه: إنّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأسَارَى بقُسْطَنْطِينيّة: أمّا بعدُ، فإنكم تَعُدُّون أنفسكم أسارَى ولستم أسارَى. معاذَ اللّه! أنتم الحُبَساء في سبيل الله. وأعلموا أنّي لستُ أَقْسِمُ شيئاً بين رَعِيَّتي إلا خَصَصْتُ أهلَكم بأوفرِ ذلك وأطيبِه. وقد بعثتُ إليكم خمسةَ دنانير، خمسةَ دنانير، ولولا أنّي خَشيتُ إن زدتُكم أن يَحبسه عنكم طاغيةُ الرُّوم لَزِدْتُكم، وقد بعثتُ إليكم فلانَ بن فلان يُفادِي صغيرَكم وكبيرَكم، ذَكَركم وأُنثاكم، حُرَّكَمْ ومملوكَكم بما يسأل، فأَبْشِروا ثم أَبْشِروا.

[كتاب حسن البصري إليه وردّه على الكتاب]

أخبرني أحمد بن عُبيد اللّه بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا: حَدّثنا عمر بن شَبّة قال: حَدّثنا عبد اللّه بن مُسْلِم قال: زَعَمَ لنا سليمانُ بن أَرْقَم قال: كتب الحسن البصريّ إلى عمر بن عبد العزيز، وكان يكاتبه، فلما استُخلِفَ كتب إليه: «من الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز». فقيل له: إن الرجل قد وَلِيَ وتَغَيَّرَ. فقال: لو عَلِمْتُ أنّ غير ذلك أَحَبُّ إليه لاتَّبَعْتُ مَحَبَّته. ثم كتب: «من الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز. أما بعد، فكأنك بالدّنيا لم تَكُنْ، وكأنّك بالآخرة لم تَزَلْ». قال: فمضيتُ إليه بالكتاب فقدِمْتُ عليه به، فإنّي عنده أتوقّعُ الجواب إذ خرج يوماً غير يوم جُمُعة حتى صَعِدَ المنبَر واجتمع الناس، فلمّا كثرُوا قام فحمِدَ اللّه وأثنى عليه ثم قال: أيها النَّاس، إنكم في أسلاب الماضين، وسَيَرِثُكُمُ الباقون حتى تصيروا إلى خير الوارثين. كلَّ يومٍ تُجَهِّزونَ غادياً إلى اللّه

(١) أثّلتَ: أصّلتَ.

ورائحاً، وقد حضر أجلهُ، وطُوِي عملُه، وعاين الحساب، وخلع الأسلاب، وسكن التراب، ثم تَدَعونه غيرَ مُوَسَّدٍ ولا مُمَهَّدٍ. ثم وضع يديه على وجهه فبكى مَلِيًّا ثم رفعهما فقال: يا أيّها الناس، مَنْ وصلَ إلينا منكم بحاجته لم نَألُهُ خيراً، ومَنْ عَجز فواللّه لَوَدِدْتُ أنّه وآلَ عمر في العجز سواء. قال: ثم نزل. فأرسل إليّ فدخلتُ إليه؛ فكتب: «بسم اللّه الرحمن الرحيم. أمّا بعدُ، فإنّكَ لستَ بأوّلِ مَنْ كُتِبَ عليه الموت، وقد مات. والسلام».

[آخر خطبة له]

أخبرني ٱبن عَمّار قال: حَدَّثني سليمان بن أبي شَيْخ قال: حَدَّثنا أبو مُطَرِّف المغِيرة بن مُطَرِّف عن شُعَيب بن صَفْوان عن أبيه: أنّ عمر بن عبد العزيز خطبَ بِخُناصِرَةَ خطبةً لم يخطب بعدها، حَمِدَ اللّه وأثْنى عليه ثم قال: «أيها الناس، إنكم لم تُخْلَقوا عبثاً ولم تُتْرَكوا سُدًى، وإنَّ لكم مَعَاداً يَتَوَلَّى اللّه فيه الحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وخَسِرَ مَنْ خرج من رحمة اللّه التي وَسِعَتْ كلَّ شيء، وحُرِمَ الجنَّةَ التي عَرْضُها السماواتُ والأرضُ. وٱعلموا أنّ الأمان غداً لِمنْ حَذِرَ اللّهَ وخافَهُ، وباعَ قليلاً بكثير، ونافداً بباقٍ، وخوفاً بأمانٍ، ألاَ تَرَوْنَ أنكم في أسلاب الهالكين وسيَخْلُفها من بعدكم الباقون، وكذلك حتى تُرَدُّوا إلى خير الوارثين، ثم إنّكم في كلِّ يوم وليلة تُشَيِّعون غادياً إلى اللّه ورائحاً، قد قضى نَحْبَه، وٱنقضى أجلُه، ثم تضعونه في صَدْعٍ من الأرض في بطن لَحْد، ثم تَدَعُونه غيرَ موسَّدٍ ولا ممهَّد، قد خَلَع الأسلاب، وفارق الأحباب، ووُجِّهَ للحساب، غَنِيًّا عَمّا تركَ، فقيراً إلى ما قدّم. وٱيْمُ اللّهِ إني لأقولُ لكم هذه المقالةَ ولا أعلم عند أحدٍ منكم أكثر مما عندي، وأستغفر اللّه لي ولكم. وما يُبلغنا أحدٌ منكم حاجتَه يسعها ما عندنا إلاّ سَدَدْنا من حاجته ما قَدَرنا عليه، ولا أحدٌ يَتَّسِعُ له ما عندنا إلاّ وَدِدْتُ أنه بُدِىءَ بي وبِلُحْمَتِي الذين يَلُونني حتى يستويَ عَيْشُنا وعَيْشُكم. وٱيْمُ اللّه لو أردتُ غيرَ هذا من عيش أو غَضَارة لَكانَ اللّسانُ به منّي ناطقاً ذلولاً عالماً بأسبابه، ولكنه من اللّه عزَّ وجلَّ كتابٌ ناطق، وسُنَّةٌ عادلة، دَلّ فيهما على طاعته ونهَى فيهما عن معصيته». ثم بكى فتلقَّى دموعَه بطَرَفِ ردائه؛ ثم نزل فلم يُرَ على تلك الأعواد بَعْدُ حتى قَبَضه اللّهُ إليه. رحمة الله عليه.

[شراؤه موضع قبره]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدَّثني أبو سَلَمة المدينيّ عن إبراهيم بن مَيْسَرَة: أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير.

أخبرني اليَزيديّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حَدّثني أبو سَلَمة المدينيّ قال: أخبرني ٱبن مَسْلَمَة بن عبد الملك قال: حَدّثني أبي مَسْلَمَةُ قال: كنّا عند عمر في اليوم الذي تُوُفِّيَ فيه أنا وفاطمةُ بنت عبد الملك؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين، إنّا نرى أنّا قد منعناكَ النَّومَ، فلو تأخّرْنا عنك شيئاً عسى أن تنام! قال: ما أُبالِي لو فعلتما. قال: فتنَحَّيْتُ أنا وهي وبيننا وبينه سِتْر. قال: فما نَشِبْنا[1] أن سمعناه يقول: حَيِّ الوجوهَ حَيِّ الوجوهَ، فٱبتدرْناه أنا وهي فجئناه وقد أُغْمِضَ ميّتاً، فإذا هاتفٌ يهتِفُ في البيت لا نراه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً في الأَرْضِ ولاَ فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

ومن أصوات عمر في سعاد:

صوت

أَلا يَـا دِيـنَ قَـلْـبُـكَ مِـنْ سُـلَـيْـمَـى ... كَـمَـا قَـدْ دِيـنَ قَـلْـبُـكَ مِـنْ سُـعَـادَا
هُـمَـا سَـبَـتَـا الـفُـؤَادَ وأَصْـبَـتَـاهُ ... ولَـم يُـدْرِكْ بِـذَلِـكَ مَـا أَرَادا
قِـفَـا نَـعْـرِفْ مَـنَـازِلَ مِـنْ سُـلَـيْـمَـى ... دَوَارِسَ بَـيْـنَ حَـوْمَـلَ أو عُـرَادَا[3]
ذَكَـرْتُ بِـهَـا الـشَّـبَـابَ وآلَ لَـيْـلَـى ... فَـلَـمْ يَـرُدِ الـشَّـبَـابُ بِـهَـا مَـرَادا
فَـإِنْ تَـشِـبِ الـذُّؤَابَـةُ أُمَّ زَيْـدٍ ... فَـقَـدْ لاَقَـيْـتُ أَيَّـامـاً شِـدَادَا

عروضه من الوافر، الشعر لأشهب بن رُمَيْلة فيما ذكر ابن الأعرابيّ وأبو عمرو الشَّيْباني، وحكى ٱبن الأعرابيّ أنه سمع بعض بني ضَبَّة يذكر أنها لابن أبي رُمَيْلة الضَّبّيّ، والغناء لعمر بن عبد العزيز رَمَلٌ بالوسطَى عن الهِشاميّ وحَبَشٍ وغيرِهما، وفي نسخة عمرو بن بانة الثانية لخَزْرَجٍ رَمَلٌ بالبنصر.

---

(١) ما نشبنا: ما لبثنا.

(٢) سورة القصص: الآية ٨٣.

(٣) حومل: اسم مكان ذكره ياقوت واستشهد بشعر امرىء القيس (معجم البلدان ٢/ ٣٢٥). وعُرَاد: اسم جبل، واسم قرية بين رأس عين ونصيبين (معجم البلدان ٤/ ٩٢).

نسب الأشهب بن رُمَيلة وأخباره

[توفي بعد ٨٦ هـ/ بعد ٧٠٥ م]

[نسبه وعِزّه في قومه]

رُمَيْلة أُمُّه، وهي أَمَةٌ لخالد بن مالك بن رِبْعيّ بن سَلْمَى بن جَنْدَل بن نَهْشَل بن دَارِم بن عمرو بن تَميم. وهو الأشهب بن ثَوْر بن أبي حارثة بنِ عبد الدَّار بن جَنْدَل بن نَهْشَل بن دارِم في النَّسب. قال أبو عمرو: وولدُها يزعمون أنها كانت سَبِيَّةً من سَبَايا العرب، فولدتْ لِثور بن أبي حارِثة أربعة نفر، وهم رَبَاب، وحَجْنَاء، والأشْهَب، وسُوَيْد. فكانوا من أشدِّ إخوةٍ في العرب لساناً ويداً، وأمنعِهم جانباً. وكَثُرَتْ أموالهم في الإسلام. وكان أبوهم ثَوْرٌ ابتاع رُمَيلةَ في الجاهليّة، وولدتْهم في الجاهلية، فعَزُّوا عِزًّا عظيماً، حتى كانوا إذا وَرَدوا ماءً من مياه الصَّمّان[1] حَظَروا على النّاس ما يريدون منه. وكانت لِرُمَيْلة قَطِيفةٌ حمراء، فكانوا يأخذون الهُدْبَ من تلك القطيفة فيُلقونه على الماء، أي قد سَبَقْنا إلى هذا، فلا يَرِدُهُ أَحَدٌ لِعِزّهم، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويَدَعون ما يستغنُون عنه. فورَدوا في بعض السنين ماءً من مياه الصَّمّان وورَد معهم ناسٌ من بني قطن بن نَهْشَل. وكانت بنو قطن بن نهشل وبنو زيد بن نهشل وبنو مَنَاف بن دارم حُلفاءَ، وكان الأعجازُ حُلفاءَ عليهم، وهم جَنْدَل وجَرْوَل وصَخْر بنو نهشل، فأورد بعضُهم بعيره فأشرعه حوضاً قد حظَروا عليه. وبَلغهم ذلك فغضبوا منه واْجتمعوا وأحلافهم، واْجتمعت الأحلافُ عليهم، فاْقتتلوا قتالاً شديداً، فضرب رَبَابُ بن رُمَيلة رأسَ نُسَيْر بن صُبَيْح المعروف بأبي بَدَّال، وأمُّه بنتُ أبي الحُمَام بن قُرَاد بن مَخْزوم. وقال

---

(١) الصَّمّان: جبل في أرض تميم (معجم البلدان ٣/ ٤٢٣).

رَبَاب في ذلك: [الرجز]

ضَــرَبْــتُــهُ عَـشِـيَّـةَ الـهِـلاَلِ أَوَّلَ يَــوْمِ عُــدَّ مِــنْ شَــوَّالِ
ضَــرْبــاً عــلــى رَأْسِ أَبِــي بَــدَّالِ ثُــمَّــتَ مَــا أُبْــتُ ولا أُبَــالِــي
ألاَّ يَــؤُوبَ آخِــرَ الــلَّــيَــالِــي

فجمع كلُّ واحد منهما لصاحبه، فقالت بنو قَطَن: يا بني جَرْوَل ويا بني صَخْر ويا بني مَنَاف، ضرب صاحبُكم صاحبَنا ضربةً لا نَدْرِي أيموتُ منها أم يعيش، فأَنْصِفُونا؛ فأبى القومُ أن يفعلوا؛ فٱقتتلوا يومَهم ذلك إلى الليل. وكان أُبَيّ بن أَشْيَمَ أخو بني جَرْوَل وهو سَيِّدهم خرج في حاجة له، فلَقِيَهُ بعض بني قَطَن فأسَره وأتى به أصحابَه. فقال نَهْشَل بن حَرِّيّ: يا بني قَطَن، أطيعوني اليوم واعصوني أبداً. قالوا: نعم، فقل. فقال: إن هذا لم يشهدْ شَرَّكم ولا حربَكم، ولا يَحلُّ لكم دمُه، وإنّ قومه أَحَرُّ مَنْ يقاتلكم وشَوْكَتُهم؛ فخذوا عليه العهدَ أن يصرفَهم عنكم وخَلُّوا سبيلَه. قالوا: افعَلْ ما رأيتَ. فأتاه نَهْشَل بن حَرِّيّ فقال له: يا أبا أَسْماء، إنّ قومكَ قد حالوا بيننا وبين حقِّنا وقاتلوا دونه، وقد أمكننا اللّهُ منك، وأنت واللّه أَوْفَى دماً عندنا من بني رُمَيْلة، فوالله لأَقْتُلَنَّكَ أو تُعطيَني ما أسألك. قال: سَلْ. قال: تَجْعَل أن تَصْرِفَ بني جَرْول جميعاً، فإن لم يطيعوك انصرفْتَ ببني أَشْيَمَ، فإن لم يطيعوك أَتَيْتَنا. قال: نعم. فخُلِّيَ سبيلُه تحت اللّيل. فأتاهم وهم بحيث يَرى بعضهم بعضاً فقال: يا بني جَرْوَل انصرفوا؛ أتعترضون على قوم يريدون حقَّهم! ألاَ تَتَّقون الله!، واللّه لقد أسرني القوم ولو أرادوا قتلي لَكانَ فيه وَفَاءٌ بِحَقِّهم، ولكنّهم يكرَهون حَرْبَكم فلا تَبْغُوا عليهم. فٱنصرف منهم أكثرُ من سبعين رجلاً، فلمّا رأى ذلك بنو صخر وبنو جَرْوَل قالوا: واللّه إنّا لَنظلمُ قومنا إن قاتلناهم؛ وٱنصَرفوا، وتخاذلَ القومُ. فلما رأى ذلك الأشهبُ بن رُمَيْلة قال: وَيْلَكم! أفي ضربةٍ مِن عَصًا لم تصنع شيئاً تسفِكون دماءكم! واللّه ما به من بأس، فأَعْطوا قومَكم حقَّهم. فقال حَجْناء وَرَبَاب: واللّه لَنَنْصَرِفنَّ فلنلحَقَنَّ بغيركم ولا نُعطِي ما بأيدينا. فجعل الأشهبُ بن رُمَيْلَة يقول: وَيْلَكم! أَتُخَرِّبون دارَ قومكم في ضربة عصًا لم تبلغ شيئاً!. فلم يزل بهم حتى جاءوا بِرَبَابٍ فدفعوه إلى بني قَطَن، وأخذوا منهم أبا بَدَّال وهو المضروب فمات في تلك اللّيلة في أيديهم؛ فكتَموه، وأرسلوا إلى عَبّاد بن مسعود، ومالك بن رِبْعِيّ، ومالك بن عَوْف، والقَعْقَاع بن مَعْبد، فعَرَضوا عليهم الدِّيَةَ. فقالوا: وما الدِّيَة وصاحبُنا حيّ! قالوا: فإن صاحبكم ليس بحيٍّ. فأمْسكوا

وقالوا: ننظر. ثم جاءوا إلى رَبَاب فقالوا: أَوْصِنا بما بدا لَكَ. قال: دَعُوني أُصَلِّي. قالوا: صَلِّ. فصلَّى ركعتين ثم قال: أمَا والله إنّي إلى ربّي لذو حاجة، وما منعني أن أزيد في صلاتي إلاّ أن تَرَوْا أن ذلك فَرَقٌ من الموت، فلْيَضْرِبْني منكم رجلٌ شديد السَّاعد حديدُ السَّيف. فدفعوه إلى أبي خُزَيْمة بن نُسَيْر المَكْنِيّ بأبي بَدَّال فضرب عنقه، فدفنوه؛ وذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفّان. فقال الأشهب يرثي أخاه ويلومُ نفسَه في دفعه إليهم لِتَسكُنَ الحرب: [الطويل]

أَعَيْنَيَّ قَلَّتْ عَبْرَةٌ مِنْ أَخِيكُما ... بِأَنْ تَسْهَرَا لَيْلَ التِّمَامِ وتَجْزَعا
وبَاكِيَةٍ تَبْكي الرَّبَابَ وقَائِلٍ ... جَزَى اللّهُ خَيْراً ما أَعَفَّ وأَمْنَعا
وأَضْرَبَ في الهَيْجَا إذا حَمِسَ الوَغَى ... وأَطْعَمَ إذ أَمْسَى المَرَاضِيعُ جُوَّعا[1]
إذا ما اعْتَرَضْنَا مِنْ أَخِينا أَخَاهُمُ ... رَوِينَا ولم نَشْفِ الغَلِيلَ فَيَنْقَعا
قَرَوْنا دَماً والضَّيْفُ مُنْتَظِرُ القِرَى ... ودَعْوَةِ دَاعٍ قَدْ دَعَانا فَأَسْمَعا
مَرَدْنا وكانَتْ هَفْوَةٌ مِنْ حُلُومِنا ... بِشَذْيٍ إلَى أولادِ ضَمْرَةَ أَقْطَعا
وقد لاَمَني قَوْمِي ونَفْسِي تَلُومُني ... بِمَا فَالَ رَأْيِي في رَبَابٍ وضَيَّعا[2]
فلو كانَ قَلْبِي مِنْ حَدِيدٍ أَذَابَهُ ... ولو كانَ مِنْ صُمِّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا[3]

مضى الحديث.

[عودة إلى أصوات عمر في سعاد وإلى أخباره]

ونسختُ من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حَدَّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّي عن أبيه قال: لِعُمَرَ بن عبد العزيز في سُعَادَ سبعةُ ألحان.

منها: [الخفيف]

يا سُعَادُ الَّتي سَبَتْنِي فُؤَادِي ... ورُقَادِي هَبِي لِعَيْنِي رُقَادِي

ولحنُه رَمَلٌ مطلَق.

ومنها: [مجزوء الرمل]

حَظُّ عَيْنِي مِنْ سُعَادِ ... أَبَداً طُولُ السُّهَادِ

(١) الهيجاء: الحرب. وحَمِسَ الوغى: اشتدّ وحَمِيَ.
(٢) فال: أخطأ وضَعُفَ.
(٣) الصَّفَا: جمع الصَّفَاة: الحجر الضخم أو الصخرة.

ولحنه رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر.

ومنها: [المنسرح]

سُــبْــحَــانَ رَبِّــي بَــرَا سُــعَــادَا لا تَــعْــرِفُ الــوَصْــلَ والــوِدَادَا

ولحنهُ خفيفُ رَمَلٍ.

ومنها: [الطويل]

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ سُعَادُ هِيَ المُنَى وجَـنَّـةَ خُـلْـدٍ لا يُـمَـلُّ خُـلُـودُهـا

ولحنُه ثقيلٌ أوّل.

ومنها: [الكامل]

أَسُـعَـادُ جُـودِي لا شَـقِـيـتِ سُـعَـادَا وأَجْـزِي مُـحِـبَّـكِ رَأْفَـةً ووِدَادَا

ولَحنُه خفيفُ رَمَلٍ.

ومنها:

أَلِـمَّـا صَـاحِـبَـيَّ نَـزُرْ سُـعَـادَا

ومنها:

أَلاَ يَـا دِيـنَ قَـلْـبُـكَ مِـنْ سُـلَـيْـمَـى

وقد ذكرتُ طريقتهما.

وقد رُوِيَ عن عمر بن عبد العزيز حديثٌ كثيرٌ وفقهٌ، وحمَل عنه أهلُ العلم.

أخبرنا محمد بن جرير الطَّبَريّ قال: حدّثنا عِمْران بن بَكّار الكَلاَعيّ قال: حَدَّثنا خالد بن عليّ قال: حدّثنا بَقِيَّةُ بن الوليد عن مبشّر بن إسماعيل عن بشر بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عمر عن جدّه عبد العزيز عن معاوية بن أبي سُفْيان قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أحبّ أن تَمْثُل له الرّجالُ قِياماً فليتبوّأْ مقعدَه من النار»**[1].

(١) الحديث في مجمع الزوائد ٨/ ٤٠ والترغيب والترهيب ٣/ ٤٣١ وفتح الباري ١١/ ٥٠ وكنز العمال ٢٥٣٨٧ وتفسير ابن كثير ٨/ ٧٢، والبداية والنهاية ٨/ ١٢٦ وتذكرة الموضوعات للفتني ٧٢.

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرفيّ وعمّي قالا: حَدَّثنا العَنزيُّ قال: حدّثني وزير بن محمد أبو هشام الغَسَّانيّ قال: حدّثني محمد بن أيّوب بن سعيد السُّكَّريّ عن عمر بن عبد العزيز عن أمّه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال: قال رسول اللهﷺ: «**نِعْمَ الإِدَامُ الخَلُّ**».

ومِمَّن حُكي عنه أنه صنَع في شعره غناءً يزيدُ بن عبد الملك، ولم يأتِ ذلك برواية عمَّن يحصَّل قولُه كما حُكي عن عمر بن عبد العزيز، وإنما وُجِدَ في الكتب أنه صنَع لحناً في شعره، وذكَره من لا يُوثق به، ولم نَرْوِه عن أحد فلم نأتِ بأخباره هاهنا مشروحةً، وأتيت بها في أخباره مع حَبَابَةَ بحيث يصلُح. وأمّا اللّحن الذي ذُكر أنه صنعه فهو:

صوت

[البسيط]

أَبلِغْ حَبَابَةَ أَسْقَى رَبْعَهَا المَطَرُ ... مَا لِلفُؤادِ سِوَى ذِكْرَاكُمُ وَطَرُ
إِنْ سَارَ صَحْبِيَ لَمْ أَمْلَلْ بِذِكْرِكُمُ ... أَو عَرَّسُوا فهمومُ النَّفسِ والفِكَرُ[1]

في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ يقال إنه ليزيد بن عبد الملك، وذكر آبن المَكِّيّ أنه لحَبَابَة.

وحُكِيَ عن الهَيْثم بن عَدِيّ أن يزيد بن عبد الملك لمّا رأى حَبَابَةَ تعلَّقها ولم يقدِرْ على ابتياعِها خوفاً من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز، وقال فيها هذين البيتين وهو راحلٌ عن الحجاز، وغَنَّاه فيهما مَعْبد، فوصله بعد ذلك بما كان يُغْنِيه، وأخذتْه حَبَابةُ وغيرُها عنه. وذكر الهِشاميّ أنه مما لا يُشَكّ فيه من غناء معبد، وقد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك وحَبَابةَ في صدر هذا الكتاب فاسْتُغْنِيَ عن إعادتها هنا.

وممن غَنَّى منهم الوليد بن يزيد. وله أصوات صَنَعها مشهورةٌ، وقد كان يَضْرِب بالعود ويُوقِع بالطبل ويمشي بالدُّفّ على مذهب أهل الحجاز.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال: حَدّثني عبد اللَّه بن أبي سعد عن القَطِرانيّ عن محمد بن جَبْر قال: حَدّثني مَنْ سمع

(١) عَرّسوا: نزلوا في الليل للاستراحة.

خالدَ صامةَ يقول: كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أُغنِّيه:

أَرانِــي الله يــا سَــلْــمَــى حــيــاتــي

وهو يشرب حتى سَكِرَ، ثم قال لي: هات العودَ، فدفعتُه إليه، فغنَّاه أحسنَ غناء؛ فَنَفِسْتُ عليه إحسانَه، ودعوت بطبل فجعلت أُوقِع عليه وهو يضْرِب حتى دفع العودَ وأخذ الطَّبْل فجعل يُوقِع به أحسنَ إيقاع، ثم دعا بدُفٍّ فأخذه ومشى به وجعل يُغَنِّي أهزاجَ طُوَيْس حتى قلت قد عاش، ثم جلس وقد أنْبَهر. فقلت: يا سيِّدي، كنت أرى أنك تأخذ عنّا ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك! فقال: أسكت وَيْلَكَ! فوالله لئن سمع هذا منك أحد ما دمتُ حيًّا لأقتلنّك. فوالله ما حكيته عنه حتى قُتِلَ.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال: أخبرنا أبو أيُّوبَ المَدِينيّ قال: ذكَر أبو الحسن المَدائنيّ أن يحيى مولى العَبَلات المعروف بفيل وهو الذي غَنَّى:

أَزْرَى بــنــا أنــنــا شــالــتْ نَــعــامــتُــنــا

كان مقيماً بمكّة، فلمّا قَدِمَها الوليدُ بن يزيد سأل عن أحسن الناس غِناءً وحكايةً لابن سُرَيج؛ فقيل له: فيل. فدعاه وقال له: امشِ لي بالدُّفّ، ففعل. ثم قال له الولد: هاته حتى أمشي به، فإن أخطأتُ فقَوِّمْني. فمشى به أحسنَ من مِشية فيل. فقال له يحيى: جُعِلْتُ فِدَاءَكَ! ايْذَنْ لي حتى أختلفَ إليك لأتعلَّمَ منك.

فمن مشهور صنعته في شعره: [المتقارب]

وَصَـفْـراءَ فـي الـكَـأْسِ كَـالـزَّعْـفَـرانِ سَـبَـاهَـا الـتُّـجِـيـبِـيُّ مِـنْ عَـسْـقَـلانْ
تُـــرِيـــكَ الـــقَـــذَاةَ وعَـــرْضَ الإنـــاءِ سِـــتْـــرٌ لـــهـــا دُونَ لَـــمْـــسِ الـــبَـــنَـــانْ

لحنه فيه خَفيفُ رَمَل، وفيه لأبي كامل ثاني ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس، ولعمرَ الواديّ فيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن يونس والهِشاميّ، وقد مضت أخباره مشروحة في المائة الصوت المختارة.

ومِمن دُوِّنَتْ صنعتُه من خلفاء بني العبَّاس الواثق باللّه. ولم نعلمه حُكِيَ ذلك عن أحد منهم قبله إلاّ ما قَدَّمنا سوء العهدة فيه عن أبن خُرْداذْبَة؛ فإنّه حَكى أن للسَّفَّاح والمنصور وسائرهم غِناء وأتى فيها بأشياءَ غَثَّةٍ لا يحسُن لمحصِّلٍ ذكرها.

وأخبرني يحيى بن محمد الصُّوليّ، قال: حَدّثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلتُ يوماً دارَ الواثق بغير إذْنٍ إلى

موضع أمرَ أن أدخله إذا كان جالساً. فسمعت صوت عود من بيت وتَرَنُّماً لم أسمع أحسنَ منه قطّ، فأَطْلعَ خادمٌ رأسَه ثم رَدَّه وصاح بي فدخلت فإذا الواثق. فقال: أيّ شيء سمعتَ؟ فقلت: الطَّلاقُ لازمٌ لي وكلُّ مملوك لي حرٌّ لقد سمعتُ ما لم أسمع مثلَه قطّ حُسناً! فضحِكَ فقال: وما هو! إنَّما هذه فضلة أدب وعلم مدحه الأوائل وأشتهاه أصحاب رسول الله ﷺ ورَحِمَهم والتّابعون بعدهم وكَثُرَ في حَرَم اللَّهِ ومُهَاجَر رسولِ اللَّه، أتحبّ أن تسمعه منّي؟ قلت: إي والّذي شَرَّفني بخطابك وجميل رأيك. فقال: يا غلام، هاتِ العود وأَعْطِ إسحاق رِطْلاً. فدفع الرِّطلَ إليَّ وضربَ وغَنَّى في شعرٍ لأبي العتاهية بلحنٍ صنعه فيه: [البسيط]

أَضْحَتْ قُبُورُهُمُ مِنْ بَعْدِ عِزِّهِمُ ... تَسْفِي عليها الصَّبا والحَرجَفُ الشَّمَلُ(١)
لا يَدْفَعون هَوَاماً عن وُجُوهِهِمُ ... كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ بِالقَاعِ مُنْجَدِلُ

فشربتُ الرِّطلَ ثم قمتُ فدعوتُ له؛ فأجلَسني وقال: أتشتهي أن تسمعه ثانيةً؟ فقلت: إي والله، فغنَّانِيه ودعا لي بِرطْل، ففعلت كما فعلت ثانيةً ثم ثالثةً. وصاح ببعض خَدَمه وقال له: احملْ إلى إسحاق ثلاثمائة ألف درهم. ثم قال: يا إسحاق، قد سمعتَ ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة أرطال وأخذت ثلاثمائة ألف درهم، فأنصرِفْ إلى أهلك لِيُسَرُّوا بسرورك؛ فأنصرفت بالدّراهم.

أخبرني محمد قال: سمعت أحمد بن محمد بن الفُرَات يقول سمعتُ عَرِيبَ تقول: صنع الواثقُ مائةَ صوتٍ ما فيها صوتٌ ساقطٌ، ولقد صنع في هذا الشعر:

[البسيط]

هل تعلمينَ وَرَاءَ الحُبِّ مَنْزِلَةً ... تُدْنِي إِلَيْكِ فَإِنَّ الحُبَّ أَقْصَانِي
هذا كِتَابُ فَتًى طَالَتْ بَلِيَّتُهُ ... يقولُ يَا مُشْتَكَى بَثِّي وأَحْزَانِي

لحناً من الرَّمَل تشبّه فيه بصنعة الأوائل.

نسبة هذا الصوت

الشعر ليعقوب بن إسحاق الرَّبَعِيّ المخزوميّ، والغناء للواثق رَمَلٌ بالوسطى من رواية الهِشاميّ.

(١) الحَرجف: الريح الباردة. والشَّمَل: ريح الشمال.

أخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيديّ والحَرَميُّ بن أبي العَلاَء وعليّ بن سليمان الأخفش قالوا: حَدّثنا أحمد بن يحيى ثعْلَب قال: قال الزُّبَير بن بَكّار:

كتب ٱبن أبي مَسَرَّةَ المَكّيّ إلى أهل المدينة ببيتين وهما:

هـذا كِـتَـابُ فَـتًـى طَـالَـتْ بَـلِـيَّـتُـه ... يـقـولُ يـا مُـشْـتَـكَـى بَـثِّـي وأحـزانـي
هـل تـعـلـمـيـنَ وَرَاءَ الـحُـبِّ مَـنْـزِلَـةً ... تُـدْنـي إلـيـكِ فَـإنَّ الـحُـبَّ أَقْـصَـانـي

قال الزُّبَير: وكنتُ غائباً، فلمّا قدِمْتُ قال لي أهل المدينة ذلك، فقلت لهم: أيكتُب إليكم صاحبكم يعاتبكم فلا تُجيبونه!

أنشدني يعقوب بن إسحاق الرَّبَعِيّ المخزوميّ لنفسه: [البسيط]

قَـالَ الـوُشَـاةُ لـهِـنْـدٍ عـن تَـصَـارُمِـنَـا ... ولَـبِـسْـتُ أَنْـسَـى هَـوَى هِـنْـدٍ وتَـنْـسَـانـي
يَـعْـقُـوبُ لَـيـسَ بِـمـتـبـولٍ ولا كَـلِـفٍ ... وَيْـحَ الـوُشَـاةِ فَـإنَّ الـدَّاءَ أَضْـنَـانـي
ما بي سِوَى الحُبِّ مِنْ هِندٍ وإنْ بَخِلَتْ ... حُبِّي لِهِنْدٍ بَرَى جِسْمي وأبلاني
قد قُلْتُ حِينَ بَدا لي بُخْلُ سَيِّدَتي ... وقـد تَـتَـابَـعَ بِـي بَـثِّـي وأَحْـزَانـي
هـل تـعـلـمـيـنَ وراءَ الـحُـبِّ مَـنْـزِلَـةً ... تُـدْنِـي إلـيـكِ فَـإنَّ الـحُـبَّ أَقْـصَـانـي
قَالَتْ: نعم، قلتُ: ما ذاكُمْ أَسَيِّدَتي ... وطَـاعَـةُ الـحُـبِّ تَـنْـفِـي كُـلَّ عِـصْـيـانِ
قـالَـتْ: فَـدَعْـنـا بِـلا صُـرْمٍ ولا صِـلَـةٍ ... ولا صُـدودٍ ولا فـي حَـالِ هِـجْـرَانِ
حَـتَّـى يَـشُـكَّ وُشَـاةٌ قـد رَمَـوْكَ بِـنَـا ... وأَغْـلَـنُـوا بِـكَ فِـيـنَـا أيَّ إعـلانِ

ومن غناء الواثق باللّه:

صوت

[الطويل]

خَـلِـيـلَـيَّ عُـوجَـا مِـنْ صُـدورِ الـرَّواحِـلِ ... بِجَرْعاءِ حُزْوَى وأبْكِيا في المَنازِلِ[1]
لَـعَـلَّ ٱنْـحِـدَارَ الـدَّمْـعِ يُـعْـقِـبُ رَاحَـةً ... مِـنَ الـوَجْـدِ أَوْ يَـشْـفِـي نَـجِـيَّ الـبَـلابِـلِ

الشعر لذي الرُّمّة، والغناء للواثق باللّه رَمَلٌ مطلَق في مجرى الوسطى عن الهِشاميّ، ولإسحاق فيهما رَمَلٌ بالسبَّابة في مجرى البنصر، ولحنُ الواثق منهما الذي أوّله البيت الثاني وهو اللّحن المحثوث[2] المُسْجَح وله رَدَّةٌ في «العلّ»، ولحنُ

(١) حُزوى: موضع بنجد في ديار تميم، وقيل هو جبل من جبال الدهناء وقد ذكر ياقوت البيت في معجمه بخلاف بسيط فقال «بجمهور» بدل «بجرعاء» (معجم البلدان ٢/ ٢٥٥).

(٢) المحثوث: السريع.

إسحاق أوّلُه البيتُ الأوّل ثم الثاني وهو أشدُّهما إمساكاً وفيه صِياح.

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حَدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال: حَدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخُزَاعِيّ قال: حَدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ: أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطّاهريّ وقد كان تكلَّمَ له في حاجة فقُضِيَتْ. فقال له: أعطاكَ اللّهُ أيّها الأمير ما لم تُحِطْ به أُمنيّة ولم تَبلُغْه رغبة. قال: فاَشتهى هذا الكلامَ فاستعاده فأعدتُه. قال: ثم مكثنا ما شاء الله؛ وأرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإشخاصي إليه في الصّوت الذي أمرني أن أتغنّى فيه وهو:

لقد بَخِلَتْ حَتَّى لَوَ انّي سألتُها

فأمر لي بمائة ألف درهم، فأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِرُ على أن يأخذ هذا الصّوت منّي. فلمّا طال مُقامي قلت: يا أمير المؤمنين، ليس أحد من هؤلاء المغنِّين يقدِرُ على أن يأخذ هذا الغِناء منّي. فقال لي: ولِمَ وَيْحَكَ؟ قلت: لأنّي لا أُصَحِّحُه ولا تسخو نفسي لهم به. فما فعلتَ يا أمير المؤمنين في الجارية التي أخذتَها منّي؟ (يعني شَجَا، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعَمِلَ لها المُصَنَّفَ الذي في أيدي الناس لإسحاق). قال: وكيف؟ فقلت: لأنها تأخذه منّي وأَطِيبُ به لها نَفْساً، وهم يأخذونه منها. قال: فأَمَر بها فأُخرِجَتْ وأخَذَتْهُ على المكان. فأمر لي بمائة ألف درهم أُخرى، وأَذِنَ لي في الانصراف. وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضراً عنده، فقلت له عند وَدَاعي إيّاه: أعطاكَ اللّه يا أمير المؤمنين ما لم تُحِطْ به أُمْنِيَة ولم تَبْلُغْهُ رغبة. فاَلتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي: وَيْحَكَ يا إسحاق! تعيد الدّعاء! فقلت: إي والله أعيده قاصٌّ أنا أو مُغَنٍّ. فاَنصرفتُ إلى بغداد وأقمتُ، حتى قدِمَ إسحاقُ فجئته مسلِّماً. فقال: وَيْلَكَ يا إسحاق! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده؟ قلت: لا، أيها الأمير. قال: قال لي: وَيْحَكَ! كنّا أَغْنَى الناسِ عن أن نبعَثَ إسحاقَ على لحننا فيُفْسِدَه علينا. هذه رواية أبي أيّوب.

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى وأخبرني أبي رحمه الله عن إسحاق أنه قال: لمّا صنعتُ لحني في:

خَلِيلَيَّ عُوجَا من صدورِ الرَّوَاحِلِ

غنّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحّة قسمته، ومكث صوتَه أيّاماً ثم قال لي: يا إسحاق، قد صنعتُ لحناً في صوتك وفي إيقاعه، وأمر فغُنِّيتُ به، فقلت: يا أمير المؤمنين، بَغَّضْتَ إليَّ لحني وسَمَّجْتَه عندي. وقد كنتُ ٱستأذنته مرّاتٍ في الانحدار إلى بغداد بعد أن ألقيت اللّحنَ الذي كان أمرني بصنعه في:

لـقـد بَـخِـلَـتْ حـتـى لَـوَ أنـي سـألـتـهـا

فمنعني ودافعني بذلك، فلمّا صنع لحنه الرَّمَلَ في:

خَـلِـيـلَـيّ عُـوجَـا مـن صـدور الـرَّواحـلِ

قلت له: يا أمير المؤمنين، قد والله ٱقتصصتَ وزدتَ؛ فأَذِنَ لي بعد ذلك. قال أبو الحسن عليُّ بن يحيى قلت لإسحاق: فأيُّهما أجود الآن لحنُكَ فيه أو لحنه؟ فقال: لحني أجود قسمةً وأكثر عملاً، ولحنه أظرف، لأنه جعل رَدَّتَه من نفس قسمته، فليس يقدِرُ على أدائه إلاَّ متمكِّنٌ من نفسه. قال أبو الحسن: فتأمّلت اللَّحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق. قال: وقال لي إسحاق: ما كان يحضُرُ مجلس الواثق أعلمُ منه بالغِناء.

فأمَّا نسبة هذين الصّوتين، فإنَّ أحدهما قد مضى ومضت نسبته. والآخر:

صوت

[الطويل]

أَيَـا مُـنْـشِـرَ الـمَـوْتـى أَقِـدْنـي مِـنَ الَّـتـي ... بِـهَـا نَـهِـلَـتْ نَـفْـسِـي سَـقَـامـاً وعَـلَّـتِ

لَـقَـدْ بَـخِـلَـتْ حـتّـى لَـوَ ٱنّـي سَـأَلْـتُـهـا ... قَذَى العَيْنِ مِنْ ضَاحِي التُّرابِ لَضَنَّتِ

الشعر لأعرابيٍّ رواه إسحاق عنه ولم يذكر ٱسمَه، والنّاس يَغْلَطون فينسُبونه إلى كُثَيِّر ويظنّونه من قصيدته التي أوّلها: [الطويل]

خَـلِـيـلَـيَّ هـذا رَسْـمُ عَـزَّةَ فَـٱعْـقِـلاَ ... قَلُوصَيْكُمَا ثمَّ ٱبْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ

وهذا خطأ ممّن قال ذلك، والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ بالوسطى، ولإسحاق في البيت الثاني وبعده بيت ألحقه به ليس من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالسبَّابة في مجرى الوسطى، والبيتُ الذي ألحقه إسحاق به من شعره: [الطويل]

فـإنْ بَـخِـلَـتْ فـالـبُـخْـلُ مِـنْـهـا سَـجِـيَّـةٌ ... وإنْ بَـذَلَـتْ أَعْـطَـتْ قَـلِـيـلاً وأَكْـدَتِ[1]

---

(١) أكدتْ: بخلتْ في العطاء.

أخبرني عَمِّي رحمه الله قال: حَدّثني أبو جعفر بن الدِّهقانة النَّديم قال: كان الواثقُ إذا أراد أن يَعْرِضَ صنعتَه على إسحاق نسَبها إلى غيره وقال: وقع إلينا صوتٌ قديم من بعض العجائز ما سمعه أحدٌ، ويأمر مَنْ يغنّيه إيّاه. وكان إسحاق يأخذ نفسَه في ذلك بقول الحقّ أشدَّ أَخْذٍ، فإن كان جيِّداً من صناعته قَرَّظَهُ ووصفه وٱستحسنه، وإن كان مُطّرَحاً أو فاسداً أو متوسِّطاً ذكر ما فيه. فربّما كان للواثق فيه هَوًى فيسألهُ عن تقويمه وإصلاح فَسَاده، وربما ٱطرحه بقول إسحاق فيه؛ إلى أن صنع لحناً في قول الشاعر: [الطويل]

لقد بَخِلَتْ حَتّى لَوَ ٱنّي سَأَلْتُها ... قَذَى العَيْنِ مِنْ ضَاحِي التّرابِ لَضَنّتِ

فأُعْجِبَ به وٱستحسنه، وأمر المغنِّين فغنَّوْا فيه، وأمر بإشخاص إسحاقَ إليه من بغداد ليسمعه. فكاده مخارق عنده وقال: يا أمير المؤمنين، إن إسحاق شيطانٌ خبيث داهية، وإن قولك له فيما تصنعه: هذا صوت وقع إلينا، لا يَخْفَى عليه به أنّ الصّوت لكَ ومن صَنْعتك ولا يُوقِعُ في فهمه أنه قديم، فيقولُ لك وبحضرتك ما يُقارِبُ هواكَ، فإذا خرج عن حضرتك قال لنا ضدَّ ذلك. فأَحْفَظَ الواثقَ قولُه وغاظَه، وقال له: أريد على هذا القول منك دليلاً. قال: أنا أُقيم عليه الدّليل إذا حضر. فلما قُدِمَ به وجلس في أوّل مجلس اندفع مُخارِق يُغَنِّي لحنَ الواثق:

لقد بَخِلَت حتَّى لَوَ ٱنّي سألتُها

فزاد فيه زوائدَ أفسدَتْ قِسْمتَه فساداً شديداً وخفيتْ على الواثق لكثرة زوائد مُخارِقٍ في غِنائه. فسأله الواثق عنه؛ فقال: هذا غناء فاسدٌ غيرُ مَرْضِيّ عندي. فغضِبَ الواثقُ وأمر بإسحاقَ فسُحِبَ حتى أُخْرِجَ من المجلس. فلما كان من الغد قالت فَريدة للواثق: يا أمير المؤمنين، إن إسحاق رجل يأخذ نفسَه بقولِ الحقّ في صناعته على كل حالٍ سَاءَتْه أو سَرَّتْه، لا يخاف في ذلك ضرراً ولا يرجو نفعاً؛ وما لكَ منه عوضٌ؛ وقد كاده مخارِقٌ عندكَ فزاد في صدر الصّوت من زوائده التي تَعْرِفُ، وتركه في المِصرَاع الثاني على حاله، ونقَص من البيت الثاني، وقد تبيَّنْتُ ذلك، وأنا أعرضه على إسحاق وأُغَنِّيه إيّاه على صِحّته، وٱسمَعْ ما يقول. وما زالت تَلْطُف للواثق حتى رَضِيَ عنه وأمر بإحضاره. فغَنَّتْه إيّاه فريدة كما صنعه الواثق. فلمّا سمِعَهُ قال: هذا صوتٌ صحيحُ الصَّنْعةِ والقسمةِ والتّجزئة، وما هكذا سمعته في المرة الأولى. ثم أخبر الواثقَ عن مواضع فَساده حينئذ، وأبان ذلك له

بما فَهِمَهُ. وغَنَّته فَريدة عدَّةَ أصوات من القديم والحديث كلُّها يقول فيها بما عنده من مدحٍ لبعضها وطعنٍ على بعض. فٱستحسن الواثقُ ذلك وأجازه يومئذٍ وحَبَاه، وجفا مُخارِقاً مدّةً لِما فعله به.

[بعض أخباره مع إسحاق]

أخبرني جَحْظة قال: حَدّثني ٱبن المَكّيّ عن أبيه قال: كان الواثقُ إذا صنع شيئاً من الغناء أخبر إسحاقَ به وعرَضه عليه حتى يُصلح ما فيه ثم يُظهره.

وقد أخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمد المهلّبيّ بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرتُه ها هنا وفي ألفاظه ٱختلاف. وقد تقدَّمَ ذكره وابتدأناه في أخبار إسحاق. والأبيات الثانية التي غَنَّى فيها الواثقُ وإسحاق أنشَدَنيها عليُّ بن سليمان الأخفش وعليّ بن هارون بن علي بن يحيى جميعاً عن هارون بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاقَ لأعرابيٍّ، وأنشَدناها محمدُ بن العبّاس اليَزيديّ قال: أنشدني أحمد بن يحيى ثَعْلَب لبعض الأعراب: [الطويل]

أَلاَ قَاتَلَ اللّهُ الحَمَامَةَ غُدْوَةً ... على الغُصْنِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ
فَغَنَّتْ بِصَوْتٍ أَعْجَمِيٍّ فَهَيَّجَتْ ... هَوَايَ الّذي كَانَتْ ضُلُوعي أَكَنَّتِ[1]
فلو قَطَرَتْ عَيْنُ ٱمْرِىءٍ مِنْ صَبَابَةٍ ... دَماً قَطَرَتْ عَيْنِي دَماً وأَلَمَّتِ
فَمَا سَكَتَتْ حَتَّى أَوَيْتُ لِصَوْتِها ... وقُلْتُ أَرَى هٰذِي الحَمَامَةَ جُنَّتِ
ولِي زَفَرَاتٌ لو يَدُمْنَ قَتَلْنَنِي ... بِشَوْقٍ إلى نَادِي الّتي قَدْ تَوَلَّتِ
إذا قُلْتُ هٰذِي زَفْرَةُ اليَوْمِ قد مَضَتْ ... فَمَنْ لي بِأُخْرَى في غَدٍ قَدْ أَظَلَّتِ
أَيَا مُنْشِرَ المَوْتَى أَعِنِّي على الّتي ... بها نَهِلَتْ نَفْسِي سَقَاماً وعَلَّتِ[2]
لقد بَخِلَتْ حَتّى لَوَ ٱنّي سَأَلْتُها ... قَذَى العَيْنِ من سَافِي التُّرَابِ لَضَنَّتِ
فقُلْتُ ٱرْحَلاَ يَا صَاحِبَيَّ فلَيْتَنِي ... أَرَى كُلَّ نَفْسٍ أُعْطِيَتْ مَا تَمَنَّتِ
حَلَفْتُ لها بِاللّهِ مَا أُمُّ وَاحِدٍ ... إذا ذَكَرَتْهُ آخِرَ اللَّيْلِ أَنَّتِ
ومَا وَجْدُ أَعْرَابِيَّةٍ قَذَفَتْ بِها ... صُرُوفُ النَّوَى مِنْ حَيْثُ لم تَكُ ظَنَّتِ

---

(١) أَكَنَّتْ: أخفت وسترت.

(٢) نهلت: شربت أول الشرب وعَلّت: شربت ثانية أو مرة بعد مَرَّة.

إذا ذَكَـرَتْ مَـاءَ الـعِـضَـاهِ وطِـيـبَـهُ ... وبَطْنَ الحَصَى مِنْ بَطْنِ خَبْتٍ أَرَنَّتِ(١)
بِـأَعْـظَـمَ مِـنْ وَجْـدِي بـهـا غَـيْـرَ أنَّـنـي ... أُجَـمْـجِـمُ أَحْـشَـائِـي عـلـى مـا أَجَـنَّـتِ

أخبرني جَحْظةُ وابن أبي الأزهر ويحيى بن عليّ والحسين بن يحيى قالوا جميعاً: أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه، وقد جمعتُ روايتَهم في هذا الخبر وزدتُ فيه ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه، قال: ما وصلني أحدٌ من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثقُ، وما كان أحد منهم يُكرمني إكرامَه، ولقد غَنَّيتُه لحني: [الطويل]

لَـعَـلَّـكَ إنْ طَـالَـتْ حَـيَـاتُـكَ أَنْ تَـرَى ... بِـلاداً بـهـا مَـبْـدًى لِـلَـيْـلَـى ومَـحْـضَـرُ

فاستعاده منّي ليلةً لا يشرَب على غيره، ثم وصلني بثلاثمائة ألف درهم. ولقد قَدِمْتُ عليه في بعض قَدَماتي، فقال لي: وَيْحَكَ يا إسحاق! أَمَا اشتقتَ إليَّ! فقلتُ: بَلَى والله يا سيِّدي! وقلت في ذلك أبياتاً إن أمرتَني أنشدتُها. قال: هاتِ؛ فأنشدتُه: [البسيط]

أَشْـكُـو إلى اللّهِ بُعْدِي عن خَلِيفَتِهِ ... ومَـا أُقَـاسِـيـهِ مِـنْ هَـمٍّ ومِـنْ كِـبَـرِ
لا أسـتـطـيـعُ رَحِـيـلاً إنْ هَـمَـمْـتُ بِـهِ ... يَـومـاً إلـيـهِ ولا أَقْـوَى عـلـى الـسَّـفَـرِ
أَنْـوِي الـرَّحِـيـلَ إلـيـهِ ثـمَّ يَـمْـنَـعُـنـي ... مـا أَحْـدَثَ الـدَّهْـرُ والأَيَّـامُ فـي بَـصَـرِي

ثم استأذنتُه في إنشاد قصيدةٍ مدحته بها فأذن لي؛ فأنشدتُه قصيدتي التي أقول فيها: [البسيط]

لَـمَّـا أَمَـرْتَ بِـإِشْـخَـاصِـي إلـيـكَ هَـوَى ... قَـلْـبِـي حَـنِـيـنـاً إلـى أَهْـلِـي وأَوْلادي
ثُـمَّ اعْـتَـزَمْـتُ فَـلَـمْ أَحْـفِـلْ بِـبَـيْـنِـهِـمْ ... وطَـابَـتِ الـنَّـفْـسُ عَـنْ فَـضْـلٍ وحَـمَّـادِ
كَـمْ نِـعْـمَـةٍ لأَبِـيـكَ الـخَـيْـرِ أَفْـرَدَنـي ... بـهـا وخَـصَّ بِـأُخْـرَى بـعـدَ إفْـرَادي
فـلـو شَـكَـرْتُ أَيَـادِيـكُـمْ وأَنْـعُـمَـكُـمْ ... لَـمَـا أَحَـاطَ بـهـا وَصْـفِـي وتَـعْـدَادي
لأَشْـكُـرَنَّـكَ مـا غـارَ الـنُّـجُـومُ ومَـا ... حَدَا على الصُّبْحِ في إثْرِ الدُّجَى حَادِ

قال عليّ بن يحيى خاصّةً في خبره: فقال لي أحمد بن إبراهيم: يا أبا الحسن، أَخْبِرْني لو قال الخليفةُ لإسحاق: أَحْضِرْ لي فَضْلاً وحَمّاداً أليس كان

---

(١) العِضاه: جمع العِضَاهة: كلّ شجر يعظم وله شوك. وخبت: هو الوادي العميق الوطيء ينبت العضاه. وأرنَّتْ: صَوَّتت.

يفتضح إسحاق! (يعني من دَمَامة خِلْقتهما وتخلُّفِ شاهدِهما).

قال إسحاق: ثم ٱنحدرتُ مع الواثق إلى النَّجَفِ، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد قلتُ في النَّجَفِ قصيدةً. قال: هاتِها؛ فأنشدتُه قولي: [البسيط]

يا رَاكِبَ العِيسِ لا تَعْجَلْ بِنَا وقِفِ ... نُحَيِّ داراً لِسُعْدَى ثمّ نَنْصَرِفِ
لم يَنْزِلِ النَّاسُ في سَهْلٍ ولا جَبَلٍ ... أَصْفَى هَوَاءً ولا أَغْذَى مِنَ النَّجَفِ
حُفَّتْ بِبَرٍّ وبَحْرٍ في جَوَانِبِها ... فَالبَرُّ في طَرَفٍ والبَحْرُ في طَرَفِ
مَا إنْ يَزَالُ نَسِيمٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ ... يَأْتِيكَ مِنها بِرَيَّا رَوْضَةٍ أُنُفِ[1]

حتى ٱنتهيت إلى مديحه فقلت وقد ٱنتهيتُ إلى قولي فيه:

لا يَحْسَبُ الجُودَ يُفنِي مَالَهُ أَبَداً ... ولا يَرَى بَذْلَ ما يَحْوِي مِنَ السَّرَفِ

فقال لي: أحسنتَ يا أبا محمد! فكنّاني، وأمر لي بألف درهم. وٱنحدرنا إلى الصالحيّة[2] التي يقول فيها أبو نُواسَ:

فالصَّالِحيّةُ من أكنافِ كَلْوَاذَا[3]

وذكرتُ الصبيان وبغداد فقلت: [الطويل]

أَتَبْكِي على بَغْدَادَ وهي قَرِيبَةٌ ... فكيفَ إذا ما ٱزْدَدْتَ منها غَداً بُعْدَا
لَعَمْرُكَ ما فَارَقْتُ بَغْدادَ عن قِلًى ... لَوَ ٱنَّا وَجَدْنا مِنْ فِرَاقٍ لها بُدَّا
إذا ذَكَرَتْ بَغْدَادَ نَفْسِي تَقَطَّعَتْ ... مِنَ الشَّوْقِ أو كادَتْ تموتُ بها وَجْدَا
كَفَى حَزَناً أَنْ رُحْتَ لم تَسْتَطِعْ لها ... وَدَاعاً ولم تُحْدِثْ لِسَاكِنِهَا عَهْدَا

فقال لي: يا موصليّ، لقد ٱشتقتَ إلى بغداد! فقلت: لا واللّٰه يا أمير المؤمنين، ولكني ٱشتقتُ إلى الصّبيان، وقد حضرني بيتان، فقال: هاتِهما. فقلت: [الوافر]

حَنَنْتَ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغَارِ ... وشَاقَكَ مِنْهُمُ قُرْبُ المَزَارِ
وكُلُّ مُفَارِقٍ يَزْدَادُ شَوْقاً ... إذا دَنَتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ

(١) الروضة الأُنُف: التي لم يَرْعها أحد.
(٢) الصالحية: محلة ببغداد (معجم البلدان ٣/ ٣٨٩).
(٣) كَلْواذى: قرب مدينة السلام بغداد وبينها وبين بغداد فرسخٌ واحدٌ للمنحدر (معجم البلدان ٤/ ٤٧٧).

فقال لي: يا إسحاق، سِرْ إلى بغداد فأقم شهراً مع صِبيانك ثم عُدْ إلينا، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم.

أخبرني جَحْظة عن ٱبن حَمْدون: أن إسحاق كان يحضُرُ مجالس الخلفاء إذا جلسوا لِلشُّرْب في جملة المغنِّين وعُودُه معه إلى أيام الواثق، فإنه كان إذا قَدِمَ عليه يحضُرُ مع الجلساء بغير عُود، ويُدْنيه الواثق ولا يُغَنِّي حتى يقول له: غَنِّ، فإذا قال له غَنِّ جاءوه بِعُودٍ فَغَنَّى به، وإذا فَرَغَ رُفِعَ العودُ من بين يديه إكراماً من الواثق له.

أخبرني الحسين بن يحيى عن وَسْوَاسَةَ بنِ الموصلي عن حَمّاد بن إسحاق قال: كتب حَمْدون بن إسماعيل إلى أبي: إنَّ أمير المؤمنين الواثق يأمرك أن تصنع لحناً في هذا الشعر:

لـقـد بَـخِـلَـتْ حـتـى لَـوَ ٱنّـي سـألـتُـهـا

وقد كان الواثق غَنَّى فيه غناءً أعجبه؛ فغَنَّى فيه أبي، فلمّا سمعه الواثق قال: أفسد علينا إسحاق ما كنّا أُعْجِبْنَا به من غنائنا. قال حَمّاد: ثم لم أعلم أن أبي صنع بعده غناءً حتى مات:

ومن مشهور أغاني الواثق:

صوت

[الطويل]

سَقَى الـعَـلَـمَ الـفَـرْدَ الَّـذِي فـي ظِـلالِـهِ … غَـزَالانِ مَـكْـحُـولانِ مُـؤْتَـلِـفَـانِ

أَرَغْـتُـهُـمـا خَـتْـلاً فـلـم أَسْـتَـطِـعْـهُـمـا … ورَمْـيـاً فـفَـاتَـانِـي وقـد رَمَـيَـانِـي

ولحنُه فيه من الثقيل الأوّل، ولإسحاق فيه رَمَلٌ.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال: حَدَّثنا عبد اللّه بن أبي سعد قال: أخبرني محمد بن منصور بن عُلَيّة القُرَشيّ قال: أخبرني جعفر بن عُبَيد اللّه بن جعفر الهاشميّ عن إسحاق بن سليمان بن عليّ قال: لَقِيتُ أعرابيًّا بِالسُّمَيّة[1] فصيحاً، فٱستخففْتُهُ وتأمّلته فإذا هو مُصْفَرٌّ شاحب ناحل الجسم، فاستنشدته فأنشدني الشيءَ بعد الشيء على ٱستكراهٍ منّي له. فقلت: له: ما بالُكَ؟ فواللّه إنّكَ

(١) السُّمَيّة: تصغير سماء: اسم جبل (معجم البلدان ٣/ ٢٥٩).

لفصيح! فقال: أمَا ترى الجبلين؟ قلت: بَلَى. قال: في ظِلالِهما واللّه ما يمنعني من إنشادك ويَشْغَلُنِي ويُذْهلني عن النَّاس. قلت: وما ذاك؟ قال: بنتُ عمٍّ لي قد تيّمتْني وذهبتْ بعقلي، واللّه إنه لتأتي عليّ ساعاتٌ ما أدري أفي السماء أنا أم في الأرض، ولا أزال ثابتَ العقل ما لم يُخامِرْ ذِكْرُها قلبي، فإذا خامره بَطَلتْ حَوَاسِّي وعَزَبَ[1] عنّي لُبِّي. قلت: فما يمنعكَ منها؟ أقلّةُ ما في يدك؟ قال: واللّه ما يمنعني منها غيرُ ذلك. قلت: وكم مهرُها؟ قال: مائةُ ناقة. قلت: فأنا أدفعها إليك إذاً لتدفعها إليهم. قال: واللّه لَئِنْ فعلتَ ذلك إنَّكَ لأعظم الناس عليّ مِنّةً. فوعدتُه بذلك وٱستنشدتُه ما قال فيها، فأنشدني أشياءَ كثيرةً منها قوله:

سَقَى العَلَمَ الفَرْدَ الّذي في ظِلالِهِ غَزالانِ مَكْحُولانِ مُؤْتَلِفانِ

البيتان. فقلت له: يا أعرابيّ، واللّه لقد قتلتني بقولك «ففاتاني وقد قتلاني» وأنا بريءٌ من العبّاس إن لم أَقُمْ بأمرك. ثم دعوتُ بمركوب فركبته وحملتُ معي الأعرابيَّ، فصِرْنا إلى أبي الجارية في جماعة من أهلي ومواليّ حتى زوّجتُه إيّاها وضَمِنتُ عنه الصِّداقَ وٱشتريت له مائة ناقة فسُقْتُها عنه؛ وأقمتُ عندهم ثلاثاً ونَحرتُ لهم ثلاثين جَزُوراً، ووهبت للأعرابيّ عشرةَ آلاف درهم وللجارية مثلها، وقلت: استعينا بهذا على ٱتّصالكما وٱنصرفتُ. فكان الأعرابيّ يطرُقنا في كل سنة وامرأته معه فأهبُ له وأَصِلُه وينصرف.

[غناؤه في شعر حسان]

ومن أغانيه ـ أخبرني به ذُكَاء وجه الرُّزّة عن أحمد بن أبي العَلاَء عن مُخَارِق وأنه أخذه عنه:

صوت

إنّ الَّتِي عَاطَيْتَها فَرَدَدْتُها قُتِلَتْ قُتِلْتَ فَهاتِها لم تُقْتَلِ
كِلْتَاهُما حَلَبُ العَصِيرِ فَعَاطِني بِزُجَاجَةٍ أَرْخَاهُمَا لِلمَفْصِلِ

يروى: «كلتاهما جَلَبُ العصير» و «حَلَبُ العصير». ويروى: «للمَفْصِلِ» و «للمِفْصَلِ». والمَفْصِل: الواحد من المفاصل، والمِفْصَل هو اللّسان. ذكر ذلك

(١) عَزَب: غاب وذهب.

عليّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول عن ٱبن الأعرابيّ.

الشعر لِحَسَّان بن ثابت، والغناء للواثق خفيفُ رَمَلٍ بالبِنصر، وفيه لإبراهيمَ الموصلي رَمَلٌ مطلَقٌ في مجرى الوسطى، وهذه الأبيات من قصيدة حَسّان المشهورة التي يمدح بها بني جَفْنة، وأوّلها:

أَسَــأَلْــتَ رَسْــمَ الــدَّارِ أم لــم تــســأَلِ

وهي من فاخر المَديح، منها قوله: [الكامل]

أَوْلاَدُ جَـفْـنَـةَ عِـنْـدَ قَـبْـرِ أَبِـيـهِـمُ ... قَـبْـرِ ٱبْـنِ مَـارِيَـةَ الـكَـرِيـمِ الـمُـفْـضِـلِ

يَـسْـقُـونَ مَـنْ وَرَدَ الـبَـرِيـصَ عَـلَـيْـهِـمُ ... بَـرَدَى يُـصَـفَّـقُ بِـالـرَّحِـيـقِ الـسَّـلْـسَـلِ

بِـيـضُ الـوُجُـوهِ كَـرِيـمَـةٌ أَنْـسـابُـهُـمْ ... شُـمُّ الأُنُـوفِ مِـنَ الـطِّـرازِ الأَوَّلِ

يُـغْـشَـوْنَ حـتّـى مَـا تَـهِـرُّ كِـلاَبُـهُـمْ ... لا يَـسْـأَلُـون عَـنِ الـسَّـوَادِ الـمُـقْـبِـلِ

نسخت من كتاب الشَّاهِينيّ: حَدّثني ٱبن عُلَيْل العَنزيّ قال: حَدّثني أحمد بن عبد الملك بن أبي السَّمّال السَّعْدِيّ قال: حَدّثني أبو ظَبْيانَ الحِمَّانيّ قال: اجتمعتْ جماعةٌ من الحيّ على شراب لهم، فتغنَّى رجل منهم بشعر حَسّان:

إنَّ الَّـتـي عَـاطَـيْـتَـنِـي فَـرَدَدْتُـهـا ... قُـتِـلَـتْ قُـتِـلْـتَ فَـهَـاتِـهَـا لـم تُـقْـتَـلِ

كِـلْـتَـاهُـمَـا حَـلَـبُ الـعَـصِـيرِ فَـعَـاطِـنـي ... بِـزُجَـاجَـةٍ أَرْخَـاهُـمـا لِـلْـمَـفْـصِـلِ

فقال رجل من القوم: ما معنى قوله «إن التي عاطيتَني» فجعلها واحدة، ثم قال: «كلتاهما حلب العصير» فجعلهما ثنتين؟ فلم يعلم أحد منّا الجواب. فقال رجل من القوم: امرأتهُ طالقٌ ثلاثاً إن بات أو يسألَ القاضيَ عُبَيدَ اللّه بن الحسن عن تفسير هذا الشعر. قال أبو ظَبْيانَ: فحدّثني بعض أصحابنا السعديّين قال: فأتيناه نتخَطّى إليه الأحياءَ حتى أتيناه وهو في مسجده يصلّي بين العِشاءين. فلمّا سمع حِسَّنا أَوْجَزَ في صلاته، ثم أقبل علينا وقال: ما حاجتُكم؟ فبدأ رجل منّا كان أحسنَنا بَقِيّةً[1] فقال: نحن، أعَزَّ اللّه القاضي، قومٌ نَزَعْنا إليكَ من طَرَفِ البَصْرة في حاجةٍ مهمَّة فيها بعضُ الشيء، فإن أذِنْتَ لنا قلنا. قال: قولوا. فذكر يمينَ الرّجل والشعرَ. فقال: أمّا قولُه «إن التي ناولتني» هي الخمرة. وقوله: «قُتِلَتْ» يعني

(١) أحسننا بقيّةً: أحسننا رأياً.

مُزِجَتْ بالماء. وقوله: «كلتاهما حَلَب العصير» يعني به الخمرَ ومِزَاجَها، فالخمر عصير العنب، والماء عصير السَّحاب؛ قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿وأنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾**[1] انصرفوا إذا شئتم.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حَدَّثني أحمد بن يزيد المُهَلَّبيّ عن أبيه قال: غَنَّى مُخارِقٌ يوماً بحضرة الواثق: [السريع]

حَتَّى إذا اللَّيْلُ خَبَا ضَوْءُهُ   وغَابَتِ الجَوْزاءُ والمِرْزَمُ[2]
خَرَجْتُ والوَطءُ خَفِيٌّ كَمَا   يَنْسَابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الأَرْقَمُ[3]

فاستملح الواثقُ الشعر واللّحن، فصنع في نحوه: [السريع]

قَالَتْ إذا اللَّيْلُ دَجَا فَأْتِنَا   فَجِئْتُها حِينَ دَجَا اللَّيْلُ
خَفِيَّ وَطءِ الرِّجْلِ مِنْ حَارِسٍ   ولو درَى حلَّ بِيَ الوَيْلُ

ولحنه فيه من الرَّمَل، وصنع فيه الناس ألحاناً بعده، منها لِعَرِيبَ خفيفُ رَمَلٍ، ومنها ثقيلٌ أوّل لا أعلم لمن هو؛ وسمعت ذُكَاءَ ومحمد بن إبراهيم قُرَيضاً يغنّيانه وذكرا أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العَلاَء، ولا أدري لمن هو.

حَدَّثني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حَدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال: حَدّثني أبي قال: سرتُ إلى سُرَّ مَنْ رأى بعد قدومي من الحجّ، فدخلتُ إلى الواثق فقال: بأيّ شيء أَطْرَفْتَني من أحاديث الأعراب وأشعارهم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين جلس إليَّ فتىً من الأعراب في بعض المنازل، فحادثني فرأيتُ منه أحلى ما رأيت من الفِتيان منظراً وحديثاً وأدباً. فأستنشدته فأنشدني: [الطويل]

سَقَى العَلَمَ الفَرْدَ الَّذي في ظِلالِهِ   غَزَالاَنِ مَكْحُولانِ مُؤتَلِفَانِ
إذا أَمِنَا الْتَفَّا بِجِيدَيْ تَوَاصُلٍ   وطَرْفَاهُمَا لِلرَّيْبِ مُسْتَرِقَانِ
أَرَغْتُهُمَا خَتْلاً فلم أَسْتَطِعْهُمَا   ورَمْياً فَفَاتَانِي وقَدْ قَتَلانِي

ثم تنفَّسَ تنفُّساً ظننت أنه قد قطع حَيَازِيمَه. فقلت: ما لك بأبي أنت؟ فقال:

(١) سورة النبأ: الآية ١٤.
(٢) الجوزاء: برج في السماء. والمرزمان: من نجوم المطر وهما مع الشِّعْرَيَيْن.
(٣) الأرقم: أخبث الحيات وهي ما كان في لونها سواد وبياض.

إن لي وراء هذين الجبلين شَجَناً، وقد حِيلَ بيني وبين المرور به ونذَروا دمي، وأنا أتمتّع بالنظر إلى الجبلين تعلُّلاً بهما إذا قَدِمَ الحاجُّ، ثم يُحال بيني وبين ذلك. فقلت له: زِدْني مما قلتَ في ذلك. فأنشدني: [الطويل]

إذا ما وَرَدْتَ المَاءَ في بعضِ أَهْلِهِ ... حَضُورُ فَعَرِّضْ بي كَأَنَّكَ مَازِحُ
فإنْ سَأَلَتْ عَنِّي حَضُورُ فَقُلْ لَهَا ... بِهِ غُبَّرٌ مِنْ دَائِهِ وهو صَالِحُ

فأمرني الواثق فكتبتُ له الشعرين، فلمّا كان بعد أيّام دعاني فقال: قد صنع بعض عجائز دارنا في أحد الشعرين لحناً فاْسمَعْه، فإن اْرتضيته أظهرناه وإن رأيتَ فيه موضع إصلاح أصلحتَه. فغُنِّيَ لنا من وراء الستار، فكان في نهاية الجودة، وكذلك كان يفعل إذا صنع شيئاً. فقلت له: أحسن واللّه صانعُه يا أمير المؤمنين ما شاء! فقال: بحياتي؟ فقلت: وحياتِكَ، وحلفتُ له بما وَثِقَ به، وأمر لي بِرطْلٍ فشربتُه، ثم أخذ العود فغَنَّاه ثلاثَ مرات، وسقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم. فلمّا كان بعدَ أيّام دعاني فقال: قد صُنِعَ أيضاً عندنا في الشعر الآخر، وأمر فغُنِّيَ به؛ فكانت حالي فيه مثلَ الحال في الأوّل، فلمّا اْستحسنته وحلفت له على جودته ثلاث مرات، سقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم. ثم قال لي: هل قضيتُ حقَّ هديّتك؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ فأطالَ اللّهُ بقاءك، وتمّم نعمتك، ولا أفقدنيها منك وبك. ثم قال: لكنك لم تَقْضِ حقَّ جليسك الأعرابيّ ولا سألتَني مَعُونتَه على أمره، وقد سبقتُ مسألتَك وكتبت بخبره إلى صاحب الحجاز وأمرتُه بإحضاره، وخُطِبَت المرأة له وحُمِلَ صداقُها إلى قومها عنه من مالي. فقبّلتُ يده وقلت: السَّبْقُ إلى المكارم لكَ، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

منها الصوتان اللّذان في الأخبار المتقدمة:

صوت

حَتَّى إذا اللَّيْلُ خَبَا ضَوْءُه ... وغَابَتِ الجَوْزَاءُ والمِرْزَمُ
أَقْبَلْتُ والوَطْءُ خَفِيٌّ كَمَا ... يَنْسَابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الأَرْقَمُ

ذكر يحيى المكّي أنّ اللّحن لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر، وذكر الهشاميّ أنه منحولٌ.

[شيخٌ يَطْرَبُ للغناء فيلقي نفسه في الفرات]

فأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وإسماعيلُ بن يونس وغيرُهما قالوا: حَدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن ابن كُناسة قال: اصطحب شيخٌ مع شَباب في سفينةٍ في الفُرَات ومعهم مُغَنِّية، فلمّا صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ: معنا جاريةٌ لبعضنا وهي مغنّية، فأحببنا أن نسمع غناءها فهِبْناكَ، فإن أَذِنْتَ لنا فعلْنا. قال: أنا أصعَدُ إلى طَلَلِ[1] السفينة، فاصنَعوا أنتم ما شئتم. فصعِدَ، وأخذت الجاريةُ عودَها فغنّت:

حَتّى إذا الصُّبْحُ بَدَا ضَوْءُه ... وغَابَتِ الجَوْزاءُ والمِرزَمُ
أَقْبَلْتُ والوَطءُ خَفِيٌّ كَمَا ... يَنْسَابُ مِنْ مَكْمَنِهِ الأرقمُ

فطرِبَ الشيخ وصاح ثم رمَى بنفسه بثيابه في الفُرَات، وجعل يَغوصُ في الفرات ويطفو ويقول: أنا الأرقمُ! أنا الأرقم! فألقَوْا أنفسهم خلفَه، فبعد لأيٍ ما استخرجوه، وقالوا له: يا شيخ، ما حملك على ما صنعتَ؟ فقال: إليكم عنّي! فإنّي واللّه أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون. وقال إسماعيل في خبره: فقلت له: ما أصابكَ؟ فقال: دَبَّ شيء من قدمي إلى رأسي كدَبيب النّمل ونزل في رأسي مثلُه، فلمّا وردا على قلبي لم أعقِلْ ما عمِلتُ.

وأمّا ما في الخبر من الصَّنعة في: «قالت إذا اللّيل دَجَا» فإنّ لحن الواثق هو المشهور، وما وجدتُ في كتب الأغاني غيرَه، بل سمعت محمد بن إبراهيم المعروف بقُرَيض وذُكَاءَ وجهَ الرُّزّة يغنّيان فيه لحناً من الثقيل الأوّل المذموم؛ فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه، وذكرا جميعاً أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العَلاَء.

---

(١) طَلَل السفينة: غطاؤها.

[علمه بالغناء وعدد أصواته وأهمها]

وأخبرني الصّوليّ عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حَمّاد بن إسحاق قال: كان الواثقُ أعلمَ الخلفاءِ بالغِناء، وبلغتْ صنعتُه مائةَ صوتٍ، وكان أحذَقَ مَنْ غَنَّى بضرب العود. قال: ثم ذكرها فعَدَّ منها: [الخفيف]

يَفرَحُ النّاسُ بالسَّماعِ وأَبكِي ... أَنا حُزناً إذا سَمِعتُ السَّماعا
ولَها في الفُؤادِ صَدْعٌ مُقِيمٌ ... مِثلُ صَدْعِ الزُّجَاجِ أَعْيا الصَّناعا

الشعر للعبّاس بن الأحنف، والغناء للواثق خفيفُ ثقيلٍ، وفيه لأبي دُلَفَ خفيفُ رَمَلٍ.

ومنها: [الطويل]

أَلاَ أَيُّها النَّفسُ الَّتِي كَادَها الهَوَى ... أَفَأنتِ إذا رُمْتُ السُّلُوَّ غَرِيمِي
أَفِيقِي فَقَدْ أَفنَيْتِ صَبْرِي أَوِ اصْبِرِي ... لِمَا قد لَقيتِيهِ عَلَيَّ ودُومِي

الشعر والغناء للواثق خفيفُ رَمَل.

ومنها: [الطويل]

سَقَى العَلَمَ الفَرْدَ الَّذي في ظِلالِه ... غَزَالانِ مكحولانِ مؤتلِفانِ
أَرَغْتُهما خَتْلاً فلم أَسْتَطِعْهُمَا ... ورَمْياً ففاتَانِي وقد قَتَلانِي

الغناء للواثق ثقيلٌ أوّل، وفيه لإسحاقَ رَمَلٌ وهو من غريب صنعته، يقال إنه صنعه بالرَّقَّة.

ومنها: [الخفيف]

كُلَّ يَوْمٍ قَطِيعَةٌ وعِتَابُ ... يَنْقَضِي دَهْرُنا ونَحنُ غِضَابُ
ليتَ شِعرِي أنَا خُصِصْتُ بِهَذا ... دونَ ذا الخَلْقِ أَمْ كَذَا الأَحْبَابُ
فاصْبِرِ النَّفسَ لا تَكُونَنْ جَزُوعاً ... إنَّمَا الحُبُّ حَسْرَةٌ وعَذَابُ

فيه للواثق رَمَلٌ، ولزُرْزُور ثقيلٌ أوّل، ولعرِيبَ هَزَجٌ.

ومنها: [الطويل]

ولم أرَ لَيلَى بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ ... بِخَيْفِ مِنىً تَرْمِي جِمارَ المُحَصَّبِ
ويُبْدِي الحَصَى منها إذا قَذَفَتْ به ... مِنَ البُرْدِ أَطْرَافَ البَنَانِ المُخَضَّبِ

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الغَدَاةَ كَنَاظِرٍ مع الصُّبْحِ في أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ
أَلاَ إِنَّمَا غَادَرْتِ يَا أُمَّ مَالِكٍ صَدًى أينما تَذْهَبْ به الرِّيحُ يَذْهَبِ[١]

الصنعة في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل وهو لحن الواثق فيما أرى. ونسبه حَبَش، وهو قليل التحصيل، إلى ابن مُحْرِز في موضع، وإلى سُلَيْم في موضع آخر، وإلى مَعْبد في موضع ثالث.

ومنها: [البسيط]

أَمْسَتْ وُشَاتُكِ قَدْ دَبَّتْ عَقَارِبُها وقد رَمَوْكِ بِعَيْنِ الغِشِّ وٱبْتَدَرُوا
تُرِيكِ أَعْيُنُهُمْ ما في صُدورِهِم إنّ الصُّدورَ يُؤَدِّي غَيْبَها النَّظَرُ

الشعر للمجنون، والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ، وفيه لِمتيَّم ثقيلٌ أوّلُ، وقد نُسب لحنُ كل واحد منهما إلى الآخر.

ومنها: [الطويل]

عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بيني وبينَها فَلَمّا ٱنْقَضَى ما بيننا سَكَنَ الدَّهْرُ
فيا هَجْرَ لَيْلَى قد بَلَغْتَ بِيَ المَدَى وزِدْتَ على ما لم يَكُنْ بَلَغَ الهَجْرُ

الغناء للواثق رَمَلٌ، وفيه لمعْبدٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى، ولابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل بالبِنصر، ولِعَريبَ ثقيلٌ أوّلُ آخر.

ومنها: [المنسرح]

كَأَنَّ شَخْصِي وشَخْصَه حَكَيَا نِظَامَ نِسْرِينَتَيْنِ في غُصُنِ
فَلَيْتَ لَيْلِي ولَيْلَه أَبَداً دَامَ ودُمْنَا به فلم نَبِنِ

الشعر أظنّه لعليّ بن هِشام أو لمرَادَ[٢]، ولحن الواثق فيه ثقيلٌ أوّلُ، وفيه لِعَرِيب ثقيلٌ أوّلُ آخر، وفيه لأبي عيسى بنِ الرشيد ولمتيَّمَ لحنانِ لم يقع إليّ جنسُهما.

ومنها: [الطويل]

أَهَابُكِ إِجْلالاً وما بِكِ قُدْرَةٌ عَلَيَّ ولكن مِلءُ عَيْنٍ حَبِيبُها

(١) صَدًى: يريد جسماً نحيلاً.

(٢) مراد: شاعرة علي بن هشام وهي التي رثته لمّا قتله المأمون.

وما فَارَقَتْكِ النَّفسُ يا لَيلُ أَنَّها قَلَتْكِ ولَكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُها

لحن الواثق فيه ثقيلٌ أوّلُ مطلَق في مجرى الوسطى، وفيه لغيره لحن.

ومنها: [مجزوء الرمل]

في فَمِي مَاءٌ وهل يَنْـ طِقُ مَنْ في فِيهِ مَاءُ!
أَنَا مَمْلُوكٌ لِمَمْلُو كٍ عَلَيهِ الرُّقَبَاءُ
كُنْتُ حُرّاً هَاشِمِيّاً فَاسْتَرَقَّتْني الإِمَاءُ
وسَبَاني مَنْ لَه كا نَ على الكُرْهِ السِّبَاءُ
أَحْمَدُ اللَّهَ على ما سَاقَهُ نَحْوِي القَضَاءُ
ما بِعَيْنَيَّ دُمُوعٌ أَنْفَدَ الدَّمْعَ البُكَاءُ

الغناء للواثق رَمَلٌ.

ومنها: [الخفيف]

أَيُّ عَوْنٍ على الهُمومِ ثَلاثُ مُتْرَعَاتٌ مِنْ بَعْدِهِنَّ ثَلاثُ
بَعْدَها أَرْبَعٌ تَتِمَّةُ عَشْرٍ لا بِطَاءٌ لَكِنَّهُنَّ حِثَاثُ

فيه رَمَلٌ يُنسب إلى الواثق وإلى مُتَيَّم.

ومنها: [الطويل]

أَيَا عَبْرَةَ العَيْنَيْنِ قد ظَمِيءَ الخَدُّ فما لَكُما مِنْ أَنْ تُلِمَّا بِهِ بُدُّ
ويَا مُقْلَةً قد صارَ يُبْغِضُها الكَرَى كَأَنْ لم يَكُنْ مِنْ قَبْلُ بَينهما وُدُّ
لَئِنْ كان طُولُ العَهْدِ أحدثَ سَلْوَةً فَمَوْعِدُ بين العَيْنِ والعَبْرةِ الوُجْدُ[1]
ومَا أَنَا إلاّ كالَّذِينَ تُخُرِّمُوا على أَنَّ قَلْبِي مِنْ قُلوبِهِمُ فَرْدُ

الشعر والغناء للواثق رَمَلٌ، وفيه لأبي حَشِيشةَ هَزَجٌ، ذكر ذلك الهشامي الملقّب بالمِسْك، وأخبرني جَحْظَة أنه للمسدود، وأخبرني جَحْظة أن من صنعة أبي حشيشة في شعر الواثق خفيفَ رَمَلٍ وهو: [الرجز]

سَأَلْتُهُ حُوَيْجَةً فأَعْرَضَا وعَلِقَ القَلْبُ بِه ومَرِضَا
فاسْتَلَّ منّي سَيْفَ عَزمٍ مُنْتَضى فكانَ ما كانَ وكَابَرْنا القَضَا

---

(١) الوجد: اللقاء.

قال: وفي هذا الشعر أيضاً بعينه للواثق رَمَلٌ، ولِقَلَم الصالحيّةِ[١] فيه هَزَجٌ. وقد غلِطَ جَحْظَةُ في هذا الشعر، وهو لسعيد بن حُمَيْد مشهور، وله فيه خبر قد ذكرناه في موضعه.

أخبرني عمي عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه ابن حَمْدون عن أبيه حمدون بن إسماعيل قال: كان الواثق يحبّ خادماً له كان أُهْدِيَ إليه من مصر، فغاضبه يوماً وهجره، فسمع الخادمَ يحدِّثُ صاحباً له بحديث أغضبه عليه، إلى أن قال له: واللّه إنّه لَيَجْهَدُ منذُ أمسِ على أن أُصالحه فما أفعل. فقال الواثق في ذلك: [البسيط]

يـا ذا الّـذي بِـعَـذَابِـي ظَـلَّ مُـفْـتَـخِـرَا هَـل أنـتَ إلاّ مَـلِـيـكٌ جَـارَ إذا قَـدَرَا
لـولا الـهَـوَى لَـتَـجَـازَيْـنـا عـلـى قَـدَرٍ وإنْ أَفِـقْ مَـرَّةً مـنـه فـسـوفَ تَـرَى

قال: وغَنّى الواثق وعَلّويه فيه لَحْنَيْنِ، ذكر الهِشاميّ أن لحن الواثق خفيفُ ثقيلٍ، وفي أغاني عَلّويه: لحنه في هذا الشعر خفيفُ رَمَلٍ.

حدّثني الصُّولِيّ قال: حَدَّثني ٱبن أبي العَيْناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن بن سَهْل قال: كنّا وقوفاً على رأس الواثق في أوّل مجالسه التي جلسها لمّا وَلِيَ الخلافةَ، فقال: مَنْ يُنشدُنا شعراً قصيراً مليحاً؟ فحَرَصْتُ على أن أعمل شيئاً فلم يجئني، فأنشدته لعلي بن الجَهْم:

لَـو تَـنَـصَّـلْـتَ إلـيـنـا لَـوَهَـبْـنـا لـكَ ذَنْـبَـكْ
لَـيْـتَـنـي أَمْـلِـكُ قَـلْـبِـي مِـثْـلَـمـا تَـمْـلِـكُ قَـلْـبَـكْ
أَيُّـهـا الـوَاثِـقُ بِـالـلَّـ ـهِ لـقـدْ نَـاصَـحْـتَ رَبَّـكْ
سَـيِّـدي مـا أبـغـضَ الـعَـيْـ ـشَ إذا فَـارَقْـتُ قُـرْبَـكْ
أَصْـبَـحَـتْ حُـجَّـتُـكَ الـعُـلْـيَـ ـا وحِـزْبُ الـلّـهِ حِـزْبَـكْ

فٱستحسنها وقال: لمن هذه؟ فقلت: لعبدك عليّ بن الجَهْم. فقال: خذ ألف دينار لك وله؛ وصنع فيها لحناً كنّا نغني به بعد ذلك.

أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عَبَّاد قال: حَدّثني أبي قال: لما خرج

(١) قلم الصالحية: جارية مولّدة حاذقة بالغناء والضرب، أخذت عن إبراهيم وابنه إسحاق، اشتراها الواثق بعشرة آلاف دينار.

المعتصم إلى عَمُّورِيَّة[١] ٱستخلَف الواثقَ بِسُرَّ مَنْ رأى، فكانت أموره كلُّها كأمور أبيه، فوجَّهَ إلى الجُلَساء والمغنِّين أن يُبكِّروا إليه يوماً حُدِّدَ لهم، ووَجَّهَ إلى إسحاق، فحضر الجميعُ. فقال لهم الواثق: إنّي عزمتُ على الصَّبُوح، ولست أجلس على سرير حتى أختلطَ بكم ونكونَ كالشّيء الواحد، فٱجلسوا معي حَلْقةً، وليكن كلُّ جليس إلى جانبه مغنٍّ، فجلسوا كذلك. فقال الواثق: أنا أبدأ؛ فأخذ عوداً فغنَّى وشربوا وغنَّى مَنْ بعده، حتى ٱنتُهِيَ إلى إسحاق فأُعْطِيَ العودَ فلم يأخذه. فقال: دَعُوه. ثم غَنَّوْا دَوْراً آخر، فلمَّا بلَغَ الغِناءُ إلى إسحاق لم يُغَنِّ، وفعل هذا ثلاثَ مرّات. فوثَب الواثق فجلس على سريره وأمر بالناس فأُدخلوا، فما قال لأحد منهم: ٱجْلِسْ. ثم قال: عَلَيَّ بإسحاق!. فلما رآه قال: يا خُوزِيُّ يا كلب! أتنزَّلُ لك وأُغَنِّي وترتفع عنِّي! أتُرَى لو أني قتلتُكَ كان المعتصم يُقِيدُني بك! ابْطَحُوه! فبُطِحَ فضُرِبَ ثلاثين مِقْرعةً ضرباً خفيفاً، وحَلَف ألاَّ يُغَنِّيَ سائِرَ يومه سواه. فٱعتذر وتكلَّمَتِ الجماعة فيه، فأخذ العودَ وما زال يغنّي حتى ٱنقضى ذلك اليومُ، وعاد الواثق إلى مجلسه.

وجدتُ في بعض الكتب عن ٱبن المعتزّ قال: كان الواثق يهوَى خادماً له فقال فيه: [الطويل]

سَـأَمْـنَـعُ قَـلْـبِـي مِـنْ مَـوَدَّةِ غَـادِرٍ ... تَـعَـبَّـدَنِي خُـبْـثـاً بِـمـكْـرٍ مُـكـاشِـرِ

خَطَبْتُ إليـه الـوَصْـلَ خِـطْـبَـةَ رَاغـبٍ ... فَـلاَحَـظَـنِـي زَهْـواً بِـطَـرْفِ مُـهَـاجِـرِ

قال أبو العبّاس عبد اللّه بن المعتزّ: وللواثق في هذا الشعر لحن من الثقيل الأوّل.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حَدّثني الحسين بن يحيى أبو الحِمار قال: حَدّثني عبدُ أمّ غلام الواثق قال: دعا بنا الواثق مع صلاة الغَداة وهو يَسْتاك فقال: خذوا هذا الصوتَ، ونحن عشرون غلاماً كلُّنا يُغَنِّي ويضرِب، ثم ألقَى علينا:

أشكـو إلـى الـلّـهِ مـا أَلْقَـى مِنَ الـكَـمَـدِ ... حَـسْـبِـي بِـرَبِّـي فـلا أشـكـو إلـى أَحَـدِ

فما زال يردّده حتى أخذنا عنه.

---

(١) عموريّة: بلد من بلاد الروم غزاه المعتصم وفتحه وكان من أعظم فتوح الإسلام (معجم البلدان ٤/ ١٥٨).

نسبة هذا الصوت: [البسيط]

أَشْكُو إلى اللّه مَا أَلْقَى مِنَ الكَمَدِ حَسْبِي بِرَبِّي فلا أشكو إلى أَحَدِ
أَيـنَ الزَّمَانُ الَّذي قد كُنتِ نَاعِمَةً مُهلَةً بِدُنُوِّي مِنكِ يا سَنَدِي
وأَسْأَلُ اللَّهَ يَوماً مِنكِ يُفرِحُني فقد كَحَلْتِ جُفُونَ العَيْنِ بِالسَّهَدِ
شَوْقاً إِليكِ وما تَدْرِينَ ما لَقِيَتْ نَفْسِي عَليكِ وما بِالقَلْبِ مِنْ كَمَدِ

الغناء للواثق ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر، وفيه لِعَرِيبَ أيضاً ثقيلٌ أوّل بالوسطى.

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال: حَدَّثني محمد بن أحمد المَكِّيّ قال: حَدَّثني أبي قال: كان الواثق يَعْرِضُ صنعتَه على إسحاق، فيُصلِح الشّيءَ بعد الشّيء ممّا يَخْفَى على الواثق؛ فإذا صَحَّحه أخرجه إلينا وسمعناه.

حَدَّثنا جَحْظة قال: حَدّثني حَمّاد بن إسحاق قال: حَدّثني مُخَارِق قال:

لمّا صنع الواثق لحنَه في: [المنسرح]

حَوْرَاءُ مَمْكُورَةٌ مُنَعَّمَةٌ كَأَنَّما شَفَّ وَجْهَها نُزُفُ[1]

وصنع لحنه في «سأذكر سِرْباً طال ما كنت فيهمُ» أمرني وعَلّويه وعَرِيبَ أن نُعارض صنعتَه فيهما؛ ففعلنا واجتهدنا ثم غَنَّيناه. فضحك فقال: أَمِنّا معكم أن نجد مَنْ يُبَغِّض إلينا صنعَتَنا كما بَغَّض إسحاقُ إلينا «أيا مُنْشِرَ الموْتَى». قال حَمّاد: هذا آخر لحنٍ صنعه أبي. يعني الذي عارض به لحنَ الواثق في «أيا مُنْشِرَ الموْتَى».

أخبرني جَحْظة قال: حَدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: دخلتُ يوماً إلى الواثق وهو مُصْطَبِحٌ، فقال لي: غَنِّني يا إسحاق بحياتي عليكَ صوتاً غريباً لم أسمعه منك حتى أُسَرَّ به بَقِيَّة يومي، فكأن اللّه أنساني الغناء كلَّه إلاّ هذا الصوت:

[السريع]

يَا دَارُ إنْ كَانَ البِلَى قد مَحَاكْ فَإنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَراكْ
أَبْكِي الّذي قد كَانَ لي مَأْلَفاً فِيكِ فَآتِي الدَّارَ مِنْ أَجْلِ ذَاكْ

والغناء في هذا اللّحن للأَبْجَر رَمَلٌ بالوسطى عن ابن المكِّيّ وهو الصواب، وذكر عمرو بن بانة أنه لسُلَيْم ـ قال: فَتَبَيَّنْتُ الكراهيَةَ في وجهه، ونَدِمتُ على ما

(١) الممكورة: المستديرة الساقين.

فَرَط منّي، وتجلَّدَ فشرِبَ رِطلاً كان في يده، وعدَلْتُ عن الصوت إلى غيره، فكان واللّه ذلك اليومُ آخر جلوسي معه.

وممّن حُكِيَ عنه أنه صنَع في شعره وشعر غيره المنتصرُ: فإنّي ذكرتُ ما رُوِيَ عنه أنه غَنَّى فيه على سوء العُهدة في ذلك وضَعْف الصنعة، لئلا يَشُذَّ عن الكتاب شيءٌ قد رُوِيَ وقد تداوله النّاس، فمما ذُكر عنه أنه غَنَّى فيه:

صوت

[مجزوء الرجز]

سُقِيتُ كَأساً كَشَفَتْ عن نَاظِرَيَّ الخُمُرَا
فَنَشَّطَتْنِي ولَقَدْ كُنْتُ حَزِيناً خَاثِرا[1]

الشعر للمنتصر، وهو شعرٌ ضعيفٌ رَكيك إلا أنه يُغَنِّي فيه.

وحَدَّثني الصُّوليّ عن أحمد بن يزيد المهلَّبيّ عن أبيه قال: كان طبع المنتصر مُتَخلِّفاً في قول الشعر وكان متقدِّماً في كل شيء غيره فكان إذا قال شعراً صنع فيه وأمر المغنِّين بإظهاره، وكان حسنَ العلم بالغناء، فلمّا وَلِيَ الخلافةَ قطع ذلك وأمر بستر ما تقدّم منه. من ذلك صَنْعَتُه في شعره وهو من الثقيل الأوّل المذموم:

سُقِيتُ كَأساً كَشَفَتْ عن نَاظِرَيَّ الخُمُرَا

قال: ومن شِعره الذي غَنَّى فيه ولحنُه ثاني ثقيلٍ:

صوت

[الطويل]

مَتَى تَرْفَعُ الأيَّامُ مَنْ قد وَضَعْنَهُ ويَنْقَادُ لي دَهْرٌ عَلَيَّ جَمُوحُ
أُعَلِّلُ نَفْسِي بِالرَّجَاءِ وإِنَّنِي لأَغْدُو عَلى ما سَاءَني وأَرُوحُ

قال: وكان أبي يَستجيد هذين البيتين ويستحسنهما، ونذكر ها هنا شيئاً من أخبار المنتصر في هذا المعنى دون غيره أُسْوَةَ ما فعلنا في نُظَرائه.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حَدَّثني محمد بن يحيى بن أبي عبّاد قال: حَدَّثني أبي قال: أراد المنتصر أن يشرب في الزُّقَاق، فوافَى النّاسُ من كلِّ

(١) خثر الرجلُ: اضطرب.

وجه لِيَرَوْه ويخْدِمُوه؛ فوقف على شاطىء دِجْلة وأقبل على الناس فقال: [المتقارب]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرَتْ خَيْلُنا بِأَكْنَافِ دِجْلَةَ لِلمَلْعَبِ

الشعر «بأكناف دجلة للمُصعب» ولكنّه غيَّره لأنه تطيَّرَ من ذكر المُصْعَب.

فَمَنْ يَكُ مِنَّا يَبِتْ آمِناً وَمَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنا يَهْرُبِ

قال: فعُلِمَ أنه يريد الخَلْوَةَ بِالنُّدَماء والمغنِّين، فٱنصرفوا، فلم يبقَ معه إلا مَنْ يَصلُحُ لِلأُنْس والخدمة.

حَدَّثني الصُّوليّ قال: حدّثني أحمد بن يزيد المهلَّبيّ قال: كان أبي أخصَّ الناس بالمنتصر، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكّل، فدخل المتوكّل يوماً على المنتصر على غفلة، فسمع كلامَه فٱستحسنه، فأخذه إليه وجعله في جُلسائه. وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان، فلم يقدِرْ على ذلك لملازمته أباه؛ فعتَب عليه لتأخُّره عنه على ثقةٍ بمودّة وأُنسٍ به. فلمّا أَفْضَتْ إليه الخلافة استأذن عليه؛ فحجَبَه وأمرَ بأن يُعْتَقلَ في الدّار فحُبِسَ أكثرَ يومه. ثم أَذِنَ له فدخل وسلَّمَ وقبَّلَ الأرضَ بين يديه ثم قبَّل يده، فأمره بالجلوس؛ ثم ٱلتفت إلى بَنَان بن عَمْرو وقال له: غَنِّ، وكان العود في يده: [الطويل]

غَدَرْتَ ولم أَغْدِرْ وخُنْتَ ولم أَخُنْ ورُمْتَ بَدِيلاً بي ولم أَتَبَدَّلِ

ـ قال: والشعر للمنتصر ـ فغنّاه بَنَانٌ، وعلم أبي أنه أراده بذلك فقام فقال: والله ما ٱخترتُ خدمةَ غيرك ولا صرتُ إليها إلاّ بعد إذنك. فقال: صدقتَ؛ إنما قلتُ هذا مازحاً؛ أتُراني أتجاوز بك حكمَ الله عزّ وجلّ إذ يقول: ﴿**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾[1]. ثم ٱستأذنه في الإنشاد فأَذِنَ له فأنشده: [الوافر]

أَلاَ يَا قَوْمِ قد بَرِحَ الخَفَاءُ وبَانَ الصَّبْرُ مِنِّي والعَزَاءُ[2]

تَعَجَّبَ صَاحِبي لِضَيَاعِ مِثْلي ولَيْسَ لِداءِ مَحْرومٍ دَوَاءُ

جَفَانِي سَيِّدٌ قد كانَ بَرًّا ولم أُذْنِبْ فما هَذَا الجَفَاءُ

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥.

(٢) بَرِحَ الخفاءُ: زال فوضح الأمرُ.

حَلَلْتُ بِدَارِهِ وعَلِمْتُ أَنّي بِدَارٍ لا يَخِيبُ بِهَا الرَّجَاءُ
فَلَمَّا شَابَ رَأْسِي فِي ذَرَاهُ حُجِبْتُ بِعُقْبِ ما بَعُدَ اللِّقَاءُ
فَإِنْ تَنْأَى سُتُورُ الإِذْنِ عَنَّا فَمَا نَأَتِ المَحَبَّةُ والثَّنَاءُ
وإِنْ يَكُ كَادَنِي ظُلْماً عَدُوٌّ فَعِنْدَ البَحْثِ يَنْكَشِفُ الغِطَاءُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ بِالآفَاقِ مِنَّا جَمَاجِمَ حَشْوُ أَقْبُرِهَا الوَفَاءُ
وقَدْ وَصَفَ الزَّمَانَ لَنَا زِيَادٌ وقَالَ مَقَالَةً فِيهَا شِفَاءُ[1]
أَلاَ يَا رُبَّ مَغْمُومٍ سَيَحْظَى بِدَوْلَتِنَا ومَسْرُورٍ يُسَاءُ
أَمُنْتَصِرُ الخَلاَئِفِ جُدْتَ فِينَا كَمَا جَادَتْ عَلَى الأَرْضِ السَّمَاءُ
وَسِعْتَ النَّاسَ عَدْلاً فَاسْتَقَامُوا بِأَحْكَامٍ عَلَيْهِنَّ الضِّيَاءُ
ولَيْسَ يَفُوتُنَا مَا عِشْتَ خَيْرٌ كَفَانَا أَنْ يَطُولَ لَكَ البَقَاءُ

قال: فقال له المنتصر: واللّه إنكَ لمن ذوي ثقتي وموضع اختياري، ولك عندي الزُّلْفَى، فطِبْ نفساً. قال: ووصَلني بثلاثة آلاف دينار.

[حسين بن الضحّاك يهنّىء المنتصر بالخلافة]

حَدَّثني الصُّولِيّ قال: حَدّثني عَوْن بن محمد الكِنْديّ قال: لمّا وَلِيَ المنتصرُ الخلافةَ دخل عليه الحسين بن الضحَّاك فهنّأه بالخلافة وأنشده: [الطويل]

تَجَدَّدَتِ الدُّنْيَا بِمُلْكِ مُحَمَّدِ فَأَهْلاً وسَهْلاً بِالزَّمَانِ المُجَدَّدِ
هِيَ الدَّوْلَةُ الغَرَّاءُ رَاحَتْ وبَكَّرَتْ مُشَهَّرَةً بِالرُّشْدِ في كُلِّ مَشْهَدِ
لَعَمْرِي لقد شَدَّتْ عُرَا الدِّينِ بَيْعَةٌ أَعَزَّ بِهَا الرَّحْمَنُ كُلَّ مُوَحِّدِ
هَنَتْكَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ خِلافَةٌ جَمَعْتَ بِهَا أَهْوَاءَ أُمَّةِ أَحْمَدِ

قال: فأظهر إكرامَه والسرورَ به، وقال له: إن في بقائك بهاءً للملك، وقد ضَعُفْتَ عن الحركة، فكاتِبْني بحاجاتك ولا تَحْمِلْ على نفسك بكثرة الحركة. ووصَله بثلاثة آلاف دينار ليقضيَ بها ديناً بلغه أنه عليه.

قال: وقال الحسين بن الضحَّاك فيه وقد ركب الظهورَ وراءَه الناسُ، وهو آخر شعر قاله: [المتقارب]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي أَبَدْرٌ بَدَا نَهَاراً أَمِ المَلِكُ المُنْتَصِرْ

---

(١) زياد: هو زياد ابن أبيه.

إِمَامٌ تَضَمَّنَ أثوابُهُ على سَرْجِهِ قَمَراً مِنْ بَشَرْ
حَمَى اللَّهُ دَولةَ سُلطانِهِ بِجُندِ القَضاءِ وجُندِ القَدَرْ
فلا زالَ ما بَقِيَتْ مُدَّةٌ يروحُ بها الدَّهرُ أو يَبْتَكِرْ

قال: وغَنَّى فيه بَنَانٌ وعَرِيبٌ.

حَدَّثني الصُّولِيّ قال: حَدّثني أحمد بن يزيد المهلَّبيّ قال: أوّل قصيدة أنشدها أبي في المنتصر بعد أن وَلِيَ الخلافةَ: [الطويل]

لِيَهْنِكَ مُلْكٌ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهْ مَوَارِدُه مَحْمُودَةٌ وَمَصَادِرُهْ
فأنتَ الَّذي كنّا نُرَجِّي فلم نَخِبْ كَما يُرتَجَى مِنْ وَاقِعِ الغَيْثِ بَاكِرُهْ
بِمُنْتَصِرٍ بِاللَّهِ تَمَّتْ أُمُورُنا وَمَنْ يَنْتَصِرْ بِاللَّهِ فَاللَّهُ نَاصِرُهْ

فأمر المنتصرُ عَرِيبَ أن تغنّي نشيداً في أوّل الأبيات وتجعلَ البَسيط في البيت الأخير؛ فعمِلْته وغنَّته به.

حدّثني الصُّولِيّ قال: حَدَّثني أحمد بن يزيد قال: صَلى المنتصرُ بالناس في الأضحَى سنة سبع وأربعين ومائتين؛ فأنشده أبي لما ٱنصرف: [البسيط]

ما ٱستشرفَ النَّاسُ عِيداً مِثْلَ عِيدِهِمُ مَعَ الإِمَامِ الَّذي بِاللَّهِ يَنْتَصِرُ
غَدَا بِجَمْعٍ كَجُنْحِ اللَّيلِ يَقْدُمُهُ وَجْهٌ أَغَرُّ كَما يَجْلُو الدُّجَى القَمَرُ
يَؤُمُّهُمْ صَادِعٌ بِالحقِّ أَحْكَمَهُ حَزْمٌ وعِلْمٌ بما يأتي وما يَذَرُ
لو خُيِّرَ النَّاسُ فٱختاروا لأَنْفُسِهِمْ أَحَظَّ مِنْكَ لِمَا نَالُوه ما قَدَرُوا

قال: فأمر له بألف دينار، وتقدّم إلى ٱبن المكّيّ أن يُغنِّيَ في الأبيات.

حَدَّثني الصُّولِيّ قال: حَدَّثني الحسين بن يحيى قال: حَدَّثني بَنَانُ بن عمرو المغنِّي قال: غَنَّيتُ يوماً بينَ يَدَيِ المنتصر: [الكامل]

هل تَطْمِسونَ مِنَ السَّماءِ نُجُومَها بِأَكُفِّكُمْ أو تَسْتُرونَ هِلالَها

فقال لي: إيَّاكَ وأن تُغَنِّيَ بحضرتي هذا الصوتَ وأشباهَه، فما أُحِبُّ أن أُغَنَّى إلاّ في أشعار آل أبي حَفْصةَ خاصّة.

وممّن هذه سبيلُه في صنعة الغِناء المعتزّ بالله: فإني لم أجد له منها شيئاً إلاّ ما ذكره الصُّولِيّ في أخباره؛ فأتيت بما حكاه للعلَّة التي قدّمتُها من أنّي كرِهتُ أن يُخِلَّ الكتاب بشيء قد دوّنه الناس وتعارفوه. فمما ذكر أنه غنّى فيه:

صوت

[المتقارب]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرَتْ خَيْلُنا بِأَكْنَافِ دِجْلَةَ لِلْمُصْعَبِ
فَمَنْ يَكُ مِنَّا يَبِتْ آمِناً ومَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنا يَهْرُبِ

الشعر لعَدِيّ بن الرِّقَاع، والغِناء للمعتزّ خفيفُ رَمَلٍ، وهذه الأبيات من قصيدة لعديٍّ يقولها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مَرْوَانَ والمُصْعَب بن الزّبير بطَسُّوجِ مَسْكِن[1] فقُتِلَ فيها مصعَبٌ بقرية من مَسْكِن يقال لها دَيْرُ الجاثَلِيق، وذكَرَتْهُ الشّعراءُ في هذه الأبيات:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْحَرَتْ خَيْلُنا بِأَكْنَافِ دِجْلَةَ لِلْمُصْعَبِ
يَهُزُّونَ كُلَّ طَوِيلِ القَنَا ةِ لَدْنٍ ومُعْتَدِلِ الثَّعْلَبِ[2]
فِداؤُكَ أُمِّي وأَبْنَاؤُها وإنْ شِئْتَ زِدْتُ عَلَيها أَبِي
وما قُلْتُهَا رَهْبَةً إنّما يَحُلُّ العِقَابُ على المُذْنِبِ
إذا شِئْتُ نَازَلْتُ مُسْتَقْتِلاً أُزاحِمُ كَالجَمَلِ الأَجْرَبِ
فَمَنْ يَكُ مِنَّا يَبِتْ آمِناً ومَنْ يَكُ مِنْ غَيْرِنا يَهْرُبِ

(١) الطسوج: الناحية. ومسكن: موضع بالعراق على نهر دجيل عند دير الجاثليق كانت به الوقعة سنة ٧٢ بين عبد الملك ومصعب بن الزبير (معجم البلدان ٥/ ١٢٧).
(٢) الثعلب: رأس الرمح.

أخبار عَدِيّ بن الرِّقَاع ونسبه

[توفي نحو ٩٥ هـ/ ٧١٤ م]

[نسبه وطبقته بين الشعراء وخلافه مع جرير]

هو عَدِيّ بن زيد بن مالك بن عَدِيّ بن الرِّقَاع بن عَصْر بن عَكّ بن شَعْل بن معاوية بن الحارث وهو عامِلةُ بن عَدِيّ بن الحارث بن مُرَّةَ بنِ أُدَدَ. وأُمُّ معاويةَ بنِ الحارث عاملةُ بنت وَدِيعةَ من قُضاعة، وبها سُمُّوا عاملةَ. ونَسبه الناسُ إلى الرِّقَاع وهو جدُّ جدِّه، لشهرته؛ أخبرني بذلك أبو خَليفةَ عن محمد بن سَلاّم.

وكان شاعراً مُقَدَّماً عند بني أُميّة مَدَّاحاً لهم خاصًّا بالوليد بن عبد الملك. وله بنت شاعرة يقال لها سَلْمَى، ذكر ذلك ٱبن النَّطّاح. وجعله محمد بن سَلاّم في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام، وكان منزله بدمشق، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم. وقد تعرَّض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك، ثم لم تتمَّ بينهما مُهاجاةٌ، إلاّ أنّ جريراً قد هجاه تعريضاً في قصيدته:

حَـيِّ الـهِـدْمَـلَـة مـن ذات الـمَـواعِـيـسِ(١)

ولم يصرِّحْ لأن الوليد حلَف إن هو هجاه أَسْرجَه وأَلْجمه وحمله على ظهره، فلم يصرِّحْ بهجائه.

أخبرني أبو خَليفةَ إجازةً قال: حَدَّثنا محمد بن سَلاّم قال: أخبرني أبو الغَرَّاف قال: دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عَدِيّ بن الرِّقَاع العامِليّ، فقال الوليد لجرير: أتعرف هذا؟. قال: لا يا أمير المؤمنين. فقال الوليد: هذا عديّ بن الرِّقَاع. فقال جرير: فَشَرُّ الثّيابِ الرِّقاعُ، قال: ممّن هو؟

(١) الهدملة: موضع ذكره ياقوت في (معجم البلدان ٥/ ٣٩٥). والمواعيس: اسم موضع.

قال: العامليّ. فقال جرير: هي التي يقول فيها اللّه عزّ وجلّ ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾[(١)]. ثم قال: [الطويل]

يُقَصِّرُ بَاعُ العَامِلِيِّ عَنِ النَّدَى ... ولَكِنَّ أَيْرَ العَامِلِيِّ طَوِيلُ

فقال له عَدِيّ بن الرِّقَاع: [الطويل]

أَأُمُّكَ كانَتْ أَخْبَرَتْكَ بِطُولِهِ ... أَمَ أَنْتَ ٱمْرُؤٌ لم تَدْرِ كيفَ تقولُ

فقال: لا! بل أدري كيف أقول. فوثَب العامليّ إلى رِجْلِ الوليد فقبّلها وقال: أَجِرْني منه. فقال الوليد لجرير: لَئِنْ شَتَمْتَه لأُسرِجنَّكَ ولألجمنَّك حتى يركبك فيعيرَكَ الشعراءُ بذلك. فكنى جريرٌ عن ٱسمه فقال: [البسيط]

إنِّي إذا الشَّاعِرُ المَغْرُورُ حَرَّبَنِي ... جَارٌ لِقَبْرٍ على مَرَّانَ مَرْمُوسِ[(٢)]

قد كانَ أَشْوَسَ آبَاءٍ فَوَرَّثَنَا ... شَغْباً على النَّاس في أبنائِهِ الشُّوسِ[(٣)]

أَقْصِرْ فَإِنَّ نِزَاراً لَنْ يُفَاضِلَهَا ... فَرْعٌ لَئِيمٌ وَأَصْلٌ غَيْرُ مغروس

وٱبْنُ اللَّبُونِ إذا مَا لُزَّ في قَرَنٍ ... لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَنَاعِيسِ[(٤)]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة قال: قال أبو عُبَيدة: دخل جريرٌ على الوليد بن عبد الملك وعنده عديٌّ بن الرِّقَاع العامِلِيّ، فقال له الوليد: أتعرف هذا؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا ٱبن الرِّقَاع. قال: فشرُّ الثّياب الرِّقاع، فممّن هو؟ قال: من عاملةَ. قال: أمن التي قال اللّه تعالى فيها: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾! فقال الوليد: واللّه لَيركبنّك! لِشاعرنا ومادِحنا والرّاثي لأمواتنا تقول هذه المقالة! يا غلام عليّ بإكافٍ[(٥)] ولجام. فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعفيَه فأعفاه. فقال: واللّه لَئِنْ هجوتَه لأفعلنّ ولأفعلنّ. فلم يصرِّحْ بهجائه وعَرَّض، فقال قصيدته التي أوّلُها:

حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَوَاعِيسِ

(١) سورة الغاشية: الآية ٣.

(٢) حَرّبني: أغضبني. ومَرّان: موضع على أربع مراحل من مكة إلى البصرة (معجم البلدان ٥/ ٩٥)، وأراد بالقبر، قبر تميم بن مرّ بمران.

(٣) الشَّوَس: التكبّر والنظر بمؤخّر العين، والشَّغْب: كثرة الجلبة واللّفظ المؤدّي إلى الشر.

(٤) البُزْل: جمع البازل: البعير الذي طلع نابه، والقناعيس: جمع القِنْعاس: الجمل الضخم العظيم.

(٥) الإكاف: برذعة الحمار.

وقال فيها يُعَرِّضُ به: [البسيط]

قد جَرَّبَتْ عَرْكَتِي في كُلِّ مُعْتَرَكٍ غُلْبُ الأُسُودِ فما بَالُ الضَّغَابِيسِ(١)

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثني الزُّبَير بن بَكّار قال: حدّثني سليمان بن عَيّاش السَّعْديّ قال: ذُكِرَ كُثيِّر وعديّ بن الرِّقَاع العامليّ في مجلس بعض خُلفاء بني أُميّة، فٱمتَرَوْا فيهما أَيُّهما أشعر وفي المجلس جرير. فقال جرير: لقد قال كُثَيِّر بيتاً هو أشهر وأعرَف في النّاس من عَدِيٍّ بن الرِّقاع نفسِه؛ ثم أنشد قولَ كثيِّر:

أَأَنْ زُمَّ أَجْمَالٌ وفَارَقَ جِيرَةٌ وصَاحَ غُرَابُ البَيْنِ أَنْتَ حَزِينُ

قال: فحلف الخليفة لئن كان عديُّ بن الرِّقَاع أعرَفَ في الناس من بيت كثيِّر لَيُسْرِجَنَّ جريراً وليُلْجِمنَّه ولَيُرْكِبَنّ عَدِيَّ بن الرِّقَاع على ظهره. فكتب إلى والِيه بالمدينة: إذا فرغتَ من خطبتك فسَلِ الناسَ من الذي يقول: [الطويل]

أَأَنْ زُمَّ أَجْمَالٌ وفَارَقَ جِيرَةٌ وصَاحَ غُرَابُ البَيْنِ أَنْتَ حَزِينُ

وعن نسب ٱبن الرِّقَاع. فلمّا فَرغ الوالي من خطبته قال: إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أسألكم من الذي يقول:

أأن زُمّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ

قال: فٱبتَدروا من كلِّ وجه يقولون: كُثيِّر كثيِّر. ثم قال: وأمرني أن أسأل عن نسب ٱبن الرِّقَاع؛ فقالوا: لا ندري؛ حتى قام أعرابيٌّ من مُؤَخَّرِ المسجد فقال: هو من عاملة.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه قال: قال لي محمد بن المنجِّم: ما أحدٌ ذُكِرَ لي فأحببتُ أن أراه فإذا رأيته أمرتُ بِصَفْعه إلاّ عَدِيَّ بن الرِّقَاع. قلت: ولِم ذلك؟ قال: لقوله: [الكامل]

وعَلِمْتُ حَتّى ما أُسَائِلُ عَالِماً عَنْ عِلْمِ وَاحِدةٍ لِكَيْ أَزْدَادَها

فكنت أَعْرِضُ عليه أصنافَ العلوم، فكلّما مَرَّ به شيء لا يُحسنه أمرتُ بصفعه.

(١) الغُلْبُ: جمع الأغلب: الغليظ العُنُق. والضغابيس: جمع الضُّغْبوس: ولد الثعلب.

حَدّثني إبراهيم بن محمد بن أيُّوبَ قال: حَدّثنا عبد اللَّه بن مُسْلِم قال: كان عديٌّ بن الرِّقَاع ينزل بالشّام، وكانت له بنت تقول الشعر، فأتاه ناس من الشعراء لِيُماتِنُوه[١] وكان غائباً؛ فسمعت بنتُه وهي صغيرة لم تبلُغْ دَوْرَ وعَيدِهم، فخرجتْ إليهم وأنشأتْ تقول: [الطويل]

تَجَمَّعْتُمُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وبَلْدةٍ ... على وَاحِدٍ لا زِلْتُمُ قِرْنَ واحِدِ

فأفحمتْهم.

[أفضل من وصف المطايا]

وقال عبد اللَّه بن مُسْلِم: وممّا يَنْفرد به ويُقَدَّمُ فيه وصفُ المطيّة، فإنه كان من أوصف الشعراء لها.

حَدَّثني أحمد بن عُبَيد اللَّه بن عَمّار قال: حَدّثنا محمد بن عَبّاد بن موسى قال: كنت عند أبي عمرو أَعْرِضُ أو يَعْرِضُ عليه رجلٌ بحضرتي من شعر عَديّ بن الرِّقَاع وقرأتُ أو قرأ هذه الأبيات: [الكامل]

لولا الحَيَاءُ وأَنَّ رَأْسِيَ قد عَسَا ... فيه المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القَاسِمِ[٢]
وكَأَنَّها وَسْطَ النِّسَاء أَعَارَها ... عَيْنَيْهِ أَحْورُ مِنْ جَآذِرِ جَاسِمِ[٣]
وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ ... في عَيْنِهِ سِنَةٌ وليسَ بِنَائِمِ[٤]

فقال أبو عمرو: أحسنَ واللَّهِ!. فقال رجل كان يحضُر مجلسه أعرابيٌّ كأنه مدنيّ: أمَا واللَّه لو رأيتَه مشبوحاً بين أربعةٍ وقُضْبانُ الدِّفْلَى تأخذه لكنتَ أشدَّ له استحساناً، يعني إذا كان يُغَنَّى به على العود.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حَدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال: حَدّثني عبد اللَّه بن أبي سعد عن عليّ بن المغيرة قال: كان أبو عُبَيدة يستحسن بيت عديٍّ بن الرِّقَاع: [الكامل]

وَسْنَانُ أَقْصَدَهُ النُّعَاسُ فَرَنَّقَتْ ... في عَيْنِهِ سِنَةٌ وليس بِنَائمِ

---

(١) ماتنه في الشعر: عارضه.
(٢) عسا: كَثُرَ.
(٣) الجآذر: جمع الجُؤذُر: ولد البقرة الوحشية.
(٤) رنَّقَ النوم في عينيه: غشيهما.

جِدًّا ويقول: ما قال أحدٌ في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر. وفي هذا الشعر غناء، نسبتُه:

صوت

لَـوْلاَ الـحَـيَـاءُ وأَنَّ رَأْسِيَ قَـدْ عَـسَـا ... فـيـه الـمَـشِـيـبُ لَـزُرْتُ أُمَّ الـقَـاسِـمِ
وكَـأَنَّـهـا وَسْـطَ الـنِّـسَـاءِ أَعَـارَهـا ... عَـيْـنَـيْـهِ أَحْـورُ مِـنْ جَـآذِرِ جَـاسِـمِ
وَسْـنَـانُ أَقْـصَـدَهُ الـنُّـعَـاسُ فَـرَنَّـقَـتْ ... فـي عَـيْـنِـهِ سِـنَـةٌ ولـيـسَ بـنـائـم
أَلْـمِـمْ عـلـى طَـلَـلٍ عَـفَـا مُـتَـقَـادِمِ ... بيـن الـذُّؤَيْـبِ وبـيـن غَـيْـبِ الـنَّـاعِـمِ[1]

عروضه من الكامل، الجآذِر: جمع جُؤذُر وهي أولاد البقر الوحشيَّة. وجاسِمٌ: موضع. ويُروَى في هذا الشعر «عاسِم» مكان «جاسِم». والوَسْنَانُ: النائم، والوَسَنُ، النوم، الواحدة منه سِنَة. والتَّرْنيق: الدُّنُو من الشيء يريد أن يفعله، يقال: رَنَّقَتِ العُقابُ لِصَيدِها إذا دَنَتْ منه، وترنيقُها أيضاً أن تُقَصِّرَ عن الخَفَقَان بِجناحيها. ويقال: طيرٌ مُرَنِّقَةٌ إذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوعَ ومدَّتْ أجنحتَها فلم تَخْفُقْ وترجَّحَتْ. ويقال للقوم إذا قصَّروا في سيرهم، وللسابح إذا قصَّر في الخَفْق بيديه ورجليه: قد رنَّقوا ترنيقاً. الشعر لعَدِيٍّ بن الرِّقاع، والغِناء لابنِ مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاقَ، وفيه ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر يُنسب إليه أيضاً، وذكر الهِشاميّ أنه من منحول يحيى بن المكّيّ إليه.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال: حَدّثني محمد بن عبد الله المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو قال: كنت عند أبي ورجلٌ يقرأ عليه شعر عَدِيّ بن الرِّقَاع، فلمّا قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها:

لـولا الـحـيـاءُ وأنّ رأسـيَ قـد عَـسَـا ... فـيـه الـمـشـيـبُ لَـزُرْتُ أمَّ الـقـاسـمِ

قال أبي: أحسن والله عَدِيُّ بن الرِّقاع!. قال: وعنده شيخ مَدَنيّ جالس، فقال الشيخ: واللّه لَئِنْ كان عَدِيٌّ أحسن لَمَا أساء أبو عَبّاد. قال أبي: ومن هو أبو عَبّاد؟ قال: مَعْبَد. واللّه لو سمعتَ لحنه في هذا الشعر لكان طربُك أشدَّ واستحسانُك له أكثرَ. فجعل أبي يضحك.

---

(١) الذّؤيب: ماء بنجد لبني دهمان بن نصر بن معاوية (معجم البلدان ٣/ ٩).

أخبرني محمد بن خَلف بن المرزُبان قال: حَدَّثنا أحمد بن جَرير عن محمد بن سَلاَّم قال: عزل الوليدُ بن عبد الملك عُبَيْدَةَ بن عبد الرحمن عن الأرْدُنّ وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكّلين به: مَنْ أتاه متوجِّعاً وأَثْنَى عليه فأْتُوني به. فأتى عَدِيٌّ بن الرِّقَاع، وكان عُبَيْدة إليه محسناً، فوقف عليه وأنشأ يقول:

[الوافر]

فَمَا عَزَلُوكَ مَسْبُوقاً ولَكِنْ ... إلى الخَيْرَاتِ سَبَّاقاً جَوَادَا
وكُنْتَ أَخِي وما وَلَدَتْكَ أُمِّي ... وَصُولاً بَاذِلاً لي مُسْتَرادا
وقد هِيضَتْ لِنَكْبَتِكَ القُدَامَى ... كَذَاكَ اللَّهُ يَفْعَلُ ما أرادا

فوثَب المتوكِّلون به إليه، فأدخلوه إلى الوليد وأخبروه بما جَرى. فتغيَّظ عليه الوليد وقال له: أتمدحُ رجلاً قد فعلتُ به ما فعلت!؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إليّ مُحْسِناً، ولي مُؤْثِراً، وبي بَرًّا، ففي أيّ وقت كنت أُكافئه بعد هذا اليوم!. فقال: صدقْتَ وكَرُمْتَ! فقد عفوتُ عنك وعنه لك! فخُذْه وآنْصَرِفْ. فآنصَرَف به إلى منزله.

[جرير يقول: عديّ أنسب الشعراء]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حَدّثني أحمد بن يحيى ثَعْلَب قال قال نوح بن جَرير لأبيه: يا أبتِ مَنْ أَنْسَبُ الشّعراء؟ قال له: أَتَعْنِي ما قلتُ؟ قال إنّي لست أُريد من شعرك إنما أُريد من شعر غيرك. قال: ابنُ الرِّقَاع في قوله:

لولا الحياءُ وأَنَّ رأسيَ قد عَسَا ... فيه المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ القاسم

الثلاثةَ الأبياتِ، ثم قال لي: ما كان يُبالِي أَنْ لم يقل بعدها شيئاً.

أخبرني الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك، عن أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنيّ قال: قال جَرير: سَمِعْتُ عَدِيَّ بن الرِّقَاع يُنشد:

[الكامل]

تُزْجِي أَغَنَّ كأنّ إبرةَ رَوْقِه[1]

(١) الرَّوْق: القرن.

فَرحِمْتُه من هذا التشبيه فقلت: بأيِّ شيء يُشَبِّهه تُرَى! فلما قال:

قَـلَـمٌ أصـابَ مِـنَ الـدَّواةِ مِـدَادَهـا

رَحِمْتُ نفسي منه.

أخبرني اليَزيديّ قال: حدّثني عمِّي عُبيد اللَّه عن ابن حَبِيب عن أبي عُبَيْدة قال: مال رَوْح بن زِنْباع الجُذَاميّ إلى يزيد بن معاوية لما فصَل بين الخطبتين فقال: يا أمير المؤمنين، ألْحِقْنا بإخوتنا من مَعَدٍّ فإنَّا مَعَدِّيُّون، واللَّه ما نحن من قَصَب الشّأم ولا من زعاف اليمن. فقال يزيد: إن أجمع قومُكَ على ذلك جعلناك حيث شئتَ. فبلغ ذلك عَدِيَّ بن الرِّقَاع فقال: [البسيط]

إنَّـا رَضِـيـنَـا وإنْ غَـابَـتْ جَـمَـاعَـتُـنـا ... مـا قَـالَ سَـيِّـدُنـا رَوْحُ بـن زِنْـبـاعِ
مِـمَّـا يُـخَـالِـفُ أَحـيـانـاً عـلـى الـرَّاعِـي ... يَـرْعَـى ثَـمَـانِـيـنَ أَلْـفـاً كـانَ مِـثْـلُـهُـمُ

قال: فبلغ ناتِلَ بن قَيْس الجُذَاميّ، فجاء يركضُ فرسَه حتى دخل المقصورةَ في الجمعة الثانية. فلمّا قام يزيد على المنبر، وثَب فقال: أين الغادر الكاذب رَوْح بن زِنْباع؟! فأشاروا إلى مجلسه. فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال: يا أمير المؤمنين، قد بلغني ما قال لك هذا، وما نعرف شيئاً منه ولا نُقِرُّ به، ولكنّا قوم من قَحْطان يَسَعُنا ما يسعهم وَيَعْجِزُ عنّا ما يعجز عنهم. فأمسك رَوْح ورجع عن رأيه. فقال عَدِيٌّ بن الرقاع في ذلك: [الكامل]

أَضَـلالُ لَـيْـلٍ سَـاقِـطٍ أَكْـنَـافُـهُ ... فـي الـنَّـاس أَعْـذَرُ أَمْ ضَـلالُ نـهـارِ
قَـحْـطَـانُ وَالِـدُنـا الَّـذي نُـدْعَـى لـه ... وأَبُـو خُـزَيْـمَـةَ خِـنْـدِفُ بـن نِـزارِ
أَنَـبِـيـعُ وَالِـدَنـا الَّـذي نُـدْعَـى لـه ... بِـأَبِـي مَـعَـاشِـرَ غَـائِـبٍ مُـتَـوَارِي
تِـلْـكَ الـتِّـجَـارةُ لا زَكَـاءَ لِـمِـثْـلِـهـا ... ذَهَـبٌ يُـبَـاعُ بِـآنُـكٍ وإِبَـارِ (١)

فقال له يزيد: غَيَّرْتَ يأبنَ الرِّقَاع. قال: إنّ ناتِلاً واللَّه عَلَيّ أعزُّهما سُخْطاً، وأنصحُهما لي ولِعَشيرتي. قال أبو عُبَيدة: الإبار: جمع إبْرة.

[عديّ في حضرة الوليد مع ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن جدِّه إبراهيم أن

(١) الآنُك: الرصاص.

الأحوص وٱبن سُرَيج قَدِمَا المدينة، فنزلا في بعض الخاناتِ لِيُصْلِحا من شأنهما، وقد قدمَ عَدِيُّ بن الرِّقَاع وكانت هذه حالَه، فنزل عليهما. فلما كان في بعض اللَّيل أفاضوا في الأحاديث؛ فقال عَدِيُّ بن الرِّقَاع لابن سُرَيج: واللَّه لَخُروجُنا كان إلى أمير المؤمنين أَجْدَى علينا من المُقام معكم يا مولى بني نَوْفَل. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك تُوشِكُ أن تُلْهِينَا فتشغلَنَا عمّا قصدنا له. فقال له ٱبن سُرَيج: أَوَ قِلَّةَ شكرٍ أيضاً!. فغضِبَ عَدِيٌّ وقال: إنك لتَمُنُّ علينا أن نزلنا عليك؛ وإني أُعاهد اللَّهَ ألاّ يُظِلَّنِي وإيَّاكَ سقفٌ إلاّ أن يكون بحضرة أمير المؤمنين. وخرج من عندهما. وقدم الوليد من باديته فأذِنَ لهما فدخلا، وبلغه خبر ابن الرِّقَاع وما جَرَى بينه وبين ابن سُرَيج؛ فأمرَ بأبنِ سُرَيْج فأُخفِيَ في بيت ودعا بِعَدِيٍّ فأدخله، فأنشده قصيدةً ٱمتدحه بها. فلمّا فَرغ، أومأ إلى بعض الخَدَم فأمر ٱبنَ سُرَيج فغَنَّى في شعر عَدِيٍّ بن الرِّقَاع يمدح الوليدَ:

عَـرَف الـدِّيَـارَ تَـوَهُّـمـاً فَـاعْـتَـادهـا مِنْ بَعْـدِ ما شَـمِـلَ الـبِـلَـى أَبْلادَها[1]

فطرِبَ عَدِيٌّ وقال: لا واللَّه ما سمعتُ يا أمير المؤمنين بمثل هذا قطُّ ولا ظننت أن يكون مثلُه طِيباً وحُسْناً. ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلتُ طائفٌ من الجنّ، أيأذَن لي أمير المؤمنين أن أقول؟ قال: قل. قال مثلُ هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى ٱبن سُرَيج يتخَطَّى به قبائلَ العرب فيقال: ابنُ سُرَيج المغنِّي مولى بني نَوْفَل بعث أمير المؤمنين إليه!. فضحكَ ثم قال للخادم: أخْرِجْه فخرج. فلمّا رآه عَدِيٌّ أَطْرَق خَجَلاً ثم قال: المعذرةَ إلى اللَّه وإليك يا أخي، فما ظننتُ أنك بهذه المنزلة، وإنَّكَ لَحَقِيقٌ أن تُحْتَمَلَ على كلّ هفوةٍ وخطيئة. فأمر لهم الوليد بمال سَوَّى بينهم فيه، ونادمهم يومئذٍ إلى اللّيل.

نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر وسائرِ ما مضى في أخبار عَدِيّ قبله من الأشعار التي فيها غناء:

صوت

عَـرَفَ الـدِّيَـارَ تَـوَهُّـمـاً فـاُعـتَـادَهـا مِنْ بَعْـدِ ما شَـمِـلَ الـبِـلَـى أَبْلادَهـا
إلاّ رَوَاكِـدَ كُـلُّـهُـنَّ قَـدِ ٱصْـطَـلَـى حَـمْـرَاءَ أَشْـعَـلَ أَهْـلُـهـا إِيـقَـادَهـا

(١) الأبلاد: الآثار.

عروضه من الكامل، الشّعر لِعَدِيّ بن الرِّقَاع، والغناء لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال: حَدّثني أحمد بن الهَيْثَم بن فِرَاس قال: حَدَّثني العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيٍّ قال: أَنْشد عَدِيٌّ بن الرِّقَاع الوليدَ بن عبد الملك قصيدتَه التي أوّلُها:

عـرَف الـدِّيـارَ تـوَهُّـمـاً فـاعـتـادهـا

وعنده كُثَيِّر وقد كان يَبلُغه عن عَدِيٍّ أنه يطعن على شعره ويقول: هذا شعر حجازيٌّ مَقْرورٌ إذا أصابه قُرُّ الشأم جَمَد وهلَك. فأنشده إيّاها حتى أتى على قوله:

[الكامل]

وقـصـيـدةٍ قـد بِـتُّ أَجْـمَـعُ بَـيْـنَـهـا ... حَـتَّـى أُقَـوِّمَ مَـيْـلَـهـا وسِـنَـادَهـا[1]

فقال له كُثَيِّر: لو كنتَ مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً لم تأتِ فيها بميلٍ ولا سِنَاد فتحتاج إلى أن تُقَوِّمَها. ثم أنشد: [الكامل]

نَـظَرَ الـمُـثَـقِّـفُ فـي كُـعُـوبِ قَـنَـاتِـهِ ... حَـتَّـى يُـقِـيـمَ ثِـقَـافُـهُ مُـنَـآدَهـا

فقال له كثيِّر: لا جَرَمَ أنّ الأيام إذا تطاولَتْ عليها عادت عوجاءَ، ولأن تكونَ مستقيمةً لا تحتاج إلى ثِقَافٍ أجودُ لها. ثم أَنشد: [الكامل]

وعـلـمـتُ حـتـى مَـا أُسَـائِـلُ وَاحِـداً ... عَـنْ عِـلْـمِ وَاحِـدَةٍ لِـكَـيْ أَزْدَادَهـا

فقال كثيِّر: كَذَبْتَ ورَبِّ البيت الحرامِ! فليمتحنْكَ أميرُ المؤمنين بأن يسألك عن صِغارِ الأمور دون كبارها حتى يتبيَّنَ جهلك. وما كنتَ قطُّ أحمقَ منكَ الآن حيث تظنّ هذا بنفسك. فضحك الوليد ومَنْ حضر، وقُطِعَ بِعديٍّ بن الرِّقَاع حتى ما نَطَقَ.

[أخبار المعتزّ في الأغاني ومع المغنّين وما جَرَى هذا المجرَى]

حَدّثني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال: حَدّثني عليّ بن محمد بن نصر قال:

(١) السِّنَاد: من عيوب الشعر، وهو اختلاف الحرف الذي قبل الردّف بالفتح والكسر، والردف هو حرف اللين الذي قبل الرويّ.

حَدّثني جدِّي حَمْدون بن إسماعيل قال: اصطبحَ المعتزُّ في يوم ثُلاَثَاء ونحن بين يديه ثم وَثَب فدخل، وٱعترضَتْهُ جارية كان يحبّها ولم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبّلها وخرج؛ فحدّثني بما كان وأنشدني لنفسه في ذلك:

صوت [البسيط]

إنِّي قَمَرْتُكَ يَا سُؤْلِي ويَا أَمَلِي ... أَمْراً مُطَاعاً بِلاَ مَطْلٍ ولا عِلَلِ[1]
حتّى متى يا حبيبَ النَّفْسِ تَمْطُلُني ... وقد قَمَرْتُكَ مَرّاتٍ فلم تَفِ لي
يَوْمُ الثَّلاثاءِ يَوْمٌ سَوْفَ أَشْكُرُهُ ... إذ زَارَني فيه مَنْ أَهْوَى على عَجَلِ
فلم أَنَلْ مِنْهُ شيئاً غيرَ قُبْلَتِهِ ... وكانَ ذلك عِنْدي أَعْظَمَ النَّفَلِ[2]

قال: وعُمِلَ فيه لحن خفيف وشربنا عليه سائرَ يومنا، الغناء في هذه الأبيات لعَرِيبَ رَمَلٌ عن الهشاميّ، ولأبي العُبَيْس في الثالث والرابع هَزَجٌ.

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال: حَدّثني أبي قال: كان المعتزُّ يشرب على بستان مملوء من النَّمَّام[3] وبين النّمّام شقائق النعمان، فدخل إليه يونس بن بُغَا وعليه قَبَاءٌ أخضر؛ فقال المعتزّ:

صوت [الكامل]

شَبَّهتُ حُمْرَةَ خَدِّهِ في ثَوْبِهِ ... بِشَقَائِقِ النُّعْمَانِ في النَّمَّامِ

ثم قال: أَجِيزوا. فٱبتدرَ بَنَانٌ المغنِّي، وكان ربّما عَبِثَ بالبيت بعد البيت، فقال: [الكامل]

والقَدُّ مِنْهُ إذا بَدَا في قَرْطَقٍ ... كَالغُصْنِ في لِينٍ وحُسْنِ قَوَامِ[4]

فقال له المعتزّ: فَغَنِّ فيه الآن، فعمِلَ فيه لحناً. لحنُ بَنَانٍ في هذين البيتين من خفيف الثقيل الثاني وهو الماخُورِيّ.

---

(١) قمر: راهن فغلب. والمَطْل: التسويف.
(٢) النَّفل: الغنيمة.
(٣) النّمّام: نبت عِطري ورقه يشبه السذاب.
(٤) القرطق: لفظ معرَّب ومعناه: ثوب ذو طاق واحد.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حَدّثني محمد بن يحيى بن أبي عَبّاد قال: حدّثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال: شرب المعتزّ ويونس بن بُغَا بين يديه يَسْقيه والجلساءُ والمغنُّون بين يديه وقد أَعَدَّ الخِلَعَ والجوائز، إذ دخل بُغَا فقال: يا أمير المؤمنين، والدة عبدك يونسَ في الموت وهي تُحِبُّ أن تراه؛ فأذِنَ له فخرج. وفَتَرَ المعتزُّ ونَعَسَ بعده، وقام الجلساء وتفرَّقَ المغنُّون، إلى أن صُلِّيَت المغرب، وعاد المعتزّ إلى مجلسه، ودخل يونس وبين يديه الشّموع. فلمّا رآه المعتزّ دعا بِرطْلٍ فشربه وسقَى يونسَ رِطْلاً وغنّاه المغنُّون، وعاد المجلس أحسنَ ما كان؛ فقال المعتزّ:

صوت

[مجزوء المتقارب]

تَغِيبُ فلا أَفْرَحُ ... فَلَيْتَكَ ما تَبْرَحُ
وإنْ جِئْتَ عَذَّبْتَني ... بِأَنَّكَ لا تَسْمَحُ
فَأَصْبَحْتُ ما بَيْنَ ذَيْـ ... ـنِ لي كَبِدٌ تُجْرَحُ
عَلَى ذَاكَ يا سَيِّدِي ... دُنُوُّكَ لي أَصْلَحُ

ثم قال: غَنُّوا فيه، فجعلوا يفكِّرون. فقال المعتزُّ لسليمان بن القَصَّار الطُّنْبُورِيّ: وَيْلَكَ! ألحانُ الطُّنبور أملَحُ وأخفُّ فغنّ فيه أنت؛ فغنَّى فيه لحناً؛ فدفع إليه دنانيرَ الخَريطة وهي مائة دينار مكيّة ومائتان مكتوبٌ على كلِّ دينار منها «ضُرِبَ هذا الدّينار بالجَوْسَق بخريطة أمير المؤمنين المعتزِّ باللّه» ثم دعا بالخِلَع والجوائز لسائر الناس، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس.

لَحْنُ سليمانَ بن القَصّار في هذه الأبيات رَمَلٌ مطلق.

حَدَّثني الصُّولِيّ قال: حَدّثني محمد بن عبد السميع الهاشميّ قال: حَدّثني أبي قال: لما قُتِلَ بُغَا دخلنا فهنأنا المعتزَّ بِالظَّفَر، فأصطبحَ ومعه يونس بن بُغَا، وما رأينا قطُّ وجهين أجتمعا أحسنَ من وجهيهما. فما مضت ثلاثُ ساعات حتى سَكِرَ، ثم خرج علينا المعتزّ فقال:

[البسيط]

مَا إنْ تَرَى مَنْظَراً إنْ شِئْتَهُ حَسَناً ... إلاَّ صَرِيعاً يُهَادَى بينَ سُكْرَينِ
سُكْرِ الشَّرَابِ وسُكْرٍ مِنْ هَوَى رَشَأٍ ... تَخَالُهُ والَّذي يَهْواهُ غُصْنَيْنِ

ثم أمر فتغنَّى فيه بعضُ المغنِّين.

حَدَّثني الصُّولِيّ قال: حَدَّثني أحمد بن محمد بن إسحاق الخُرَاسانيّ قال: حَدَّثني الفضل بن العباس بن المأمون قال: كنت مع المعتزّ في الصيد، فانقطع عن الموكِب وأنا ويونس بن بُغا معه، ونحن بقرب قَنْطَرَة وَصِيف، وكان هناك دَيْرٌ فيه دَيْرانيٌّ يعرفني وأعرفه، نظيفٌ ظريفٌ مليحُ الأدب واللّفظ، فشكا المعتزُّ العطشَ. فقلت: يا أمير المؤمنين، في هذا الدَّير دَيْرَانِيٌّ أعرفه خفيفُ الرّوح لا يخلو من ماء بارد، أَفَتَرَى أن نميلَ إليه؟ قال: نعم. فجئناه فأخرج لنا ماءً بارداً، وسألني عن المعتزِّ ويونس فقلت: فَتَيانِ من أبناء الجُنْدِ؛ فقال: بل مُفْلِتَانِ من حُورِ الجَنّة. فقلت له: هذا ليس في دِينِكَ. فقال: هو الآن في ديني. فضحِكَ المعتزّ. فقال لي الدَّيْرَانِيُّ: أتأكلون شيئاً؟ قلت: نعم. فأخرج شطيراتٍ وخبزاً وإداماً نظيفاً، فأكلنا أطيبَ أكل، وجاءنا بأطرافِ أُشْنَانٍ[1] فٱستظرفه المعتزُّ وقال لي: قل له فيما بينك وبينه: مَنْ تحبّ أن يكون معك من هذين لا يفارقك. فقلت له، فقال: «كلاهما وتَمْرَا»[2]، فضحكِ المعتزُّ حتى مال على حائط الدَّيْر، فقلت للدَّيْرَانيّ: لا بدّ من أن تختار. فقال: الاختيار واللّهِ في هذا دَمَار، وما خلق اللّه عقلاً يُمَيِّزُ بينَ هذين. ولحِقهما الموكب، فٱرتاع الدَّيْرَانِيُّ. فقال له المعتزّ: بحياتي لا تنقطع عمّا كنّا فيه، فإنّي لَمِنْ ثَمَّ مولىً ولمنْ هاهنا صديق. فمَزَحْنا ساعةً؛ ثم أمر له بخمسمائة ألف درهم. فقال: والله ما أقبلها إلاّ على شرط. قال: وما هو؟ قال: يجيب أمير المؤمنين دَعْوتي مع من أراد. قال: ذلك لك. فٱتّعدْنا ليوم جئناه فيه، فلم يُبْقِ غايةً، وأقام للموكِبِ كلِّه ما ٱحتاج إليه، وجاءنا بأولادِ النصارى يخْدِمُوننا. ووصلَه المعتزُّ يومئذٍ صلةً سَنِيَّةً؛ ولم يَزَلْ يعتاده ويُقيم عنده.

[ولي الخلافة وهو صغير]

حَدَّثني الصُّولِيّ قال: حَدَّثنا عبد اللّه بن المعتزّ قال: بُويعَ للمعتزّ بالخلافة وله سبعَ عشرةَ سنةً كاملة وأشهرٌ، فلمّا ٱنقضت البَيْعة قال: [الطويل]

تَـوَحَّـدَنِي الـرَّحْـمَـنُ بِـالـعِـزِّ والـعُـلاَ ... فَـأَصْـبَـحْـتُ فَـوقَ الـعَـالَـمِـيـنَ أَمِـيـرَا

(١) الأُشْن: شيء من العطر أبيض دقيق.

(٢) كلاهما وتمرا: مثل يُضرَب في زيادة الإكرام، والمثل قاله عمرو بن حمران وقد مَرَّ به رجلٌ أضرَّ به العطش وبين يديه زبد وتامك وتمر فقال له الرجل: أطعمني هذا الزبد والتامك فقال له عمرو: نعم كلاهما وتمرا» فذهبت مثلاً.

هكذا ذكر الصُّولِيّ في قافية الشّعر، ووجدته في أغاني بَنَانٍ مرفوعَ القافية، وله فيه صنعة، ولعلّ المعتزَّ قال البيت، فأضاف بَنَانٌ إليه آخرَ وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتزّ فقال:

صوت

[الطويل]

تَوَحَّدَكَ الرَّحْمَنُ بِالعِزِّ والعُلاَ فَأَنْتَ على كُلِّ الأَنَامِ أَمِيرُ
تُقَاتِلُ عَنْكَ التُّرْكُ والخُزْرُ كُلُّها كَأَنَّهُمُ أُسْدٌ لَهُنَّ زَئِيرُ

الغناء لبَنانٍ لَحْنَانِ خفيفُ ثقيلٍ وخفيفُ رملٍ، وممّا قاله المعتزُّ وغَنَّى فيه قولُه ـ ذكر الصُّولِيّ أن عبد اللّه بن المعتزّ أنشده إيّاه لأبيه ـ:

صوت

[الوافر]

أَلاَ حَيِّ الحَبِيبَ فَدَتْهُ نَفْسي بِكَأْسٍ مِنْ مُدَامَةِ خَانِقِينَا[1]
فَإِنِّي قد بَقِيتُ مَعَ اللَّيَالِي أُقَاسِي الهَمَّ في يَدِهِ سِنِينَا

الغِناء فيه لِعَرِيبَ خفيفُ رَمَلٍ، ولِبَنَانٍ هَزَجٌ.

وممّن ذُكر أن له صنعةً من الخلفاء المعتمِد. قال محمد بن يحيى الصُّولِيّ: ذكر عبد اللّه بن المعتزّ عن القاسم بن زُرْزُور أن المعتمِد أَلقَى عليه لحناً صنعه في هذا الشعر وهو: [البسيط]

لَيسَ الشَّفِيعُ الَّذي يَأْتِيكَ مُؤْتَزِراً مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُرْيَانَا

الشعر للفرزدق، والغناء للمعتمِد، ولحنُه فيه خفيفُ ثقيلٍ. هذه حكاية الصُّولِيّ. وفي غناء عَرِيبَ: لها في هذا البيت خفيفُ ثقيلٍ، ولا أعلم لِمَنْ هو منهما على صحة، إلا أنّ المشهور في أيدي الناس أنه لِعَرِيبَ، ولم أسمع للمعتمِد غناءً إلاَّ من هذه الجهة التي ذكرتُها.

---

(١) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من حسن بغداد (معجم البلدان ٢/ ٣٤٠).

ذكر أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره

[توفي ١١٠ هـ/٧٢٨ م]

لأنّ أخباره كثيرة جدّاً، فكرهت أن أُثبتها هاهنا في غناء مشكوك فيه، فذكرت نسبه وخبره في هذا الشعر خاصة، وأخباره تأتي بعد هذا في موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه.

الفرزدق لقبٌ غلب عليه، وٱسمه هَمّام بن غالب بن صَعْصَعة بن ناجِيةَ بن عِقال بن محمد بن سُفْيان بن مُجاشِع بن دارِم بن مالك بن حَنْظَلة بن مالك بن زيد مَناةَ بن تَميم.

وهو وجرير والأخطل أشعرُ طبقات الإسلاميّين والمُقَدَّمُ في الطبقة الأولى منهم. وأخباره تُذْكَرُ مفردةً في موضع آخر يَتَّسعُ لها، ونذكر ها هنا خبره في هذا المعنى. فأخبرني خبَره في ذلك جماعة، فممّن أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حَدَّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرني به أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلاّم، وأخبرني به محمد بن العباس اليَزيديّ عن السُّكَّريّ عن محمد بن حَبيب عن أبي عُبَيْدة وٱبن الأعرابيّ، قال عمر بن شَبَّة خاصّة في خبره: حَدَّثني محمد بن يحيى قال: حَدّثني أبي: أنّ عبد اللّه بن الزُّبَير تَزوّجَ تُماضِرَ بنت منظور بن زَبَّانَ، وأمُّها مُلَيْكة بنت خارجةَ بن سِنان بن أبي حارثة، فخاصم الفرزدقُ امرأتَه النَّوارَ إلى ٱبن الزُّبَيرِ. هكذا ذكر محمد بن يحيى ولم يذكر السببَ في الخصومة، وذكرها عمر بن شَبَّة ولم يَرْوِها عن أحد، وذكرها ٱبن حَبيب عن أصحابه، وذكرها أبو غَسّان دَمَاذٌ عن أبي عُبَيْدة: أنَّ رجلاً من بني أُمَيَّة خطَبَ النَّوَارَ بنت أَعْيَنَ المُجَاشعيّة، فَرَضِيَتْه وجعلتْ أمرَها إلى الفرزدق. فقال لها: أشْهِدي لي بذلك على نفسك شهوداً ففعلَتْ، وٱجتمع النَّاس لذلك. فتكلَّم الفرزدق ثم قال: اشهَدوا أنّي قد تزوّجتها وأصدقتها كذا وكذا، فأنا ٱبن عمّها وأحقُّ بها. فبلَغ ذلك النَّوَارَ فَأَبَتْهُ

واستترتْ من الفرزدق وجزِعَتْ ولجأتْ إلى بني قيس بن عاصم المِنْقَريّ. فقال فيها: [الطويل]

بَنِي عَاصِمٍ لا تُلْجِئُوها فَإِنَّكُم ... مَلاَجِيءُ لِلسَّوْءات دُسْمُ العَمَائِمِ[1]
بَنِي عَاصِمٍ لو كَانَ حَيًّا أَبُوكُمُ ... لَلامَ بَنِيهِ اليَوْمَ قَيْسُ بنُ عَاصِمِ

فقالوا: والله لَئِنْ زدتَ على هذين البيتين لنقتلنَّكَ غِيلةً. فنافرَتْه إلى عبد اللّه بن الزُّبَير وأرادت الخروج إليه؛ فتحامَى النَّاسُ كِراءَها. ثم إن رجلاً من بني عَدِيٍّ يقال له زُهَير بن ثَعْلَبة وقوماً يُعْرَفون ببني أُمِّ النُّسَيْر أكْرَوْها؛ فقال الفرزدق:

[الوافر]

ولَوْلاَ أَنْ تقولَ بَنُو عَدِيٍّ ... أَلَيْسَتْ أُمَّ حَنْظَلَةَ النَّوَارُ
أَتَتْكُمْ يَا بَنِي مِلْكَانَ عَنِّي ... قَوَافٍ لا تُقَسِّمُهَا التِّجَارُ

يعني بالنَّوَار ها هنا بنت جُلٍّ بن عَدِيّ بن عبد مَنَاةَ وهي أُمُّ حَنْظَلةَ بن مالك بن زيد مَنَاة وهي إحدى جَدّاته. وقال فيها أيضاً: [الطويل]

سَرَى بِالنَّوَارِ عَوْهَجِيٌّ يَسُوقُهُ ... عُبَيْدٌ قَصِيرُ الشِّبْرِ نَائِي الأَقَارِبِ[2]
تَؤُمُّ بِلادَ الأَمْنِ دَائِبَةَ السُّرَى ... إلى خَيْرِ والٍ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ
فَدُونَكَ عِرْسِي تَبْتَغِي نَقْضَ عُقْدَتِي ... وإِبْطَالَ حَقِّي بِاليَمِينِ الكَوَاذِبِ

وقال أيضاً: [الوافر]

ولولا أَنَّ أُمِّي مِنْ عَدِيٍّ ... وأَنِّي كَارِهٌ سُخْطَ الرِّبَابِ
إذاً لأَتَى الدَّوَاهِي مِنْ قَرِيبٍ ... جَزَاءً غَيْرَ مُنْصَرِفِ العِقَابِ
وصَلْتُ على بَنِي مِلْكَانَ مِنِّي ... بِجَيْشٍ غيرِ مُنْتَظَرِ الإِيَابِ

وقال لزهير أيضاً: [الوافر]

لَبِئْسَ العِبْءُ يَحْمِلُهُ زُهَيْرٌ ... على أَعْجَازِ صِرْمَتِهِ نَوَارُ[3]
لقد أَهْدَتْ وَلِيدَتُنا إِلَيْكُمْ ... عَوَائِرَ لا تُقَسِّمُها التِّجَارُ[4]

---

(١) دسمت عمائمهم: وسخت وقذرت.

(٢) العوهجي: الجمل الطويل العنق. وقصير الشبر: متقارب الخطو. ونائي الأقارب: بعيد عن أهله.

(٣) الصُرمة: القطعة من الإبل واختلف في عددها فهي ما بين العشرين إلى الأربعين.

(٤) العوائر: يريد بها قصائده.

وقال لبني أُمّ النُّسَيْر: [الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَرْدَى النَّوَارَ وَسَاقَها إلى الغَوْرِ أحلامٌ خِفافٌ عُقُولُها
أطاعتْ بَنِي أُمّ النُّسَيْرِ فأصبحتْ عَلَى قَتَبٍ يعلو الفَلاةَ دَلِيلُها[1]
وقد سَخِطَتْ مِنِّي النَّوَارُ الَّذي ٱرْتَضَى به قَبْلَها الأَزْوَاجُ خَابَ رَحِيلُها
وإنَّ ٱمْرَأً أَمْسَى تَخَبَّبَ زَوجَتي كَمَاشٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُها
ومِنْ دُونِ أبوالِ الأُسُودِ بَسَالَةٌ وبَسْطَةُ أَيْدٍ يَمْنَعُ الضَّيْمَ طُولُها
وإنَّ أميرَ المؤمنينَ لَعَالِمٌ بتأويلِ مَا أَوْصَى العِبَادَ رَسُولُها
فَدُونَكَها يَاٱبْنَ الزُّبَيْرِ فإنَّها مُوَلَّعَةٌ يُوهِي الحِجَارةَ قِيلُها

فلمّا قَدِمَتْ مكّةَ نزلت على بنت منظور بن زَبَّانَ، وٱستَشفعتْ بها إلى زوجها عبدِ الله. وٱنضمّ الفرزدق إلى حمزة بن عبد الله بن الزُّبَير، وأمُّه بنت منظورٍ هذه، ومدحه فقال: [الكامل]

أَصْبَحْتُ قد نزلت بِحَمْزَةَ حَاجَتي إنَّ المُنَوَّهَ بِٱسْمِهِ المَوْثُوقُ

الأبياتَ. وقال فيه أيضاً: [البسيط]

يا حَمْزُ هل لكَ في ذِي حاجةٍ غَرِضَتْ أَنْضَاؤُه بِمَكَانٍ غيرِ مَمْطُورِ[2]
فأنتَ أَحْرَى قُرَيْشٍ أَنْ تكونَ لها وأنتَ بَيْنَ أَبي بَكْرٍ ومنظورِ
بين الحَوَارِيِّ والصِّدِّيقِ في شُعَبٍ نَبَتْنَ في طَيِّبِ الإسْلامِ والخِيرِ

هذه الأبيات كلُّها من رواية أبي زيد خاصّةً. قالوا جميعاً: وقال في النَّوار: [الوافر]

هَلُمِّي لابْنِ عَمِّكِ لا تَكُونِي كَمُخْتَارٍ على الفَرَسِ الحِمَارَا

وقال فيها أيضاً: [الوافر]

تُخَاصِمُني النَّوَارُ وغَابَ فيها كَرَأْسِ الضَّبِّ يَلْتَمِسُ الجَرَادَا

قال أبو زيد في خبره خاصّة: فجَعل أمرُ الفرزدق يضعُفُ وأمرُ النَّوار يَقْوى.

---

(١) القَتَب: الرَّحْل الصغير على قدر السّنام.

(٢) غرضت: مَلّت. وأنضاؤه: إبله الهزيلة.

وقال الفرزدق: [البسيط]

أَمَّا بَنُوهُ فلم تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُمْ وشُفِّعَتْ بِنْتُ مَنْظورِ بْنِ زَبَّانَا

صوت

[البسيط]

ليسَ الشَّفِيعُ الَّذي يَأتِيكَ مُؤتزراً مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذي يَأتِيكَ عُرْيَاناً

ـ غَنَّتْ في هذا البيت عَرِيبُ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبنصر ـ فبلغ ٱبنَ الزُّبَير هذا فدَعَا النَّوَار فقال: إنْ شئتِ فَرَّقْتُ بينكما وقتلتُه فلا يهجونا أبداً، وإن شئتِ سَيَّرْتُه إلى بلاد العدوّ. فقالت: ما أُريدُ واحدةً منهما. قال: فإنه ٱبنُ عمّك وهو فيكِ راغب، أَفَأُزوِّجُه إيّاكِ؟ قالت: نعم. فزوّجه إيّاها. فكان الفرزدق يقول: خرجنا متباغضَيْن ورجعنا مُتَحابَّيْن.

أخبرني أحمد قال: حَدّثني عمر بن شَبة قال: قال عثمان بن سليمان: شَهِدْتُ الفرزدقَ يوم نازَعَ النَّوارَ فتوجّه القضاءُ عليه، فأشفق من ذلك وتعرّض لابن الزُّبَير بكلام أغضبه، وكان ٱبن الزُّبَير حديداً. فقال له ٱبن الزُّبَير: أَيَا أَلأَمَ النَّاسِ! وهل أنتَ وقومُكَ إلاَّ جاليةُ العَرَبِ! وأمر به فأُقِيمَ. وأقبل علينا فقال: إن بني تميم كانوا وثَبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فٱستلبوه؛ وأَجْمعت العربُ عليها لما ٱنتَهكتْ ما لم يَنْتَهِكْه أحد قطُّ فأَجْلَتْها من أرض تِهامة. فلمّا كان في طائفة من ذلك اليوم لقيني الفرزدق فقال: هِيهِ! أَيُعَيِّرُنا ٱبنُ الزُّبَير جَلاءنا عن البيت! اسمَعْ! ثم قال: [الوافر]

فَإِنْ تَغْضَبْ قُرَيْشٌ ثُمَّ تَغْضَبْ فَإِنَّ الأَرْضَ تَرْعَاهَا تَمِيمُ
هُمُ عَدَدُ النُّجُومِ وكُلُّ حَيٍّ سِوَاهُمْ لا تُعَدُّ لَهُمْ نُجُومُ
فلولا بِنْتُ مُرٍّ مِنْ نِزَارٍ لَمَا صَحَّ المَنَابِتُ والأَدِيمُ
بها كَثُرَ العَدِيدُ وطَابَ مِنْكُمْ وغَيْرُكُمُ أَحَذُّ الرِّيشِ هِيمُ[1]
فَمَهْلاً عَنْ تَذَلُّلِ مَنْ عَزَزْتُمْ بِخَوْلَتِهِ وَعَزَّ بِهِ الحَمِيمُ
أَعَبْدَ اللّهِ مَهْلاً عَنْ أَذَاتِي فَإِنِّيَ لاَ الضَّعِيفُ ولا السَّؤُومُ
ولَكِنِّي صَفَاةٌ لم تُؤَبَّسْ تَزِلُّ الطَّيْرُ عَنْهَا والعُصُومُ[2]

---

(١) أَحَذّ الرِّيش: قصيره. والهيم: العطاش.

(٢) الصَّفاة: الصخرة ولم تُؤَبَّسْ: لم تُكسَر. والعصم: الظِّباء.

أنـا ٱبـنُ الـعَـاقِـرِ الـخُـورِ الـصَّـفَـايَـا بِـصَـوْأَرَ حَـيْـثُ فُـتِّـحَـتِ الـعُـكُـومُ[١]

وذكر الزُّبَير بن بَكّار عن عَمّه أن عبد اللّه بن الزُّبَير لمّا حكم على الفرزدق قال: إنّما حكمتَ عَلَيَّ بهذا لأُفارقَها فتثبَ عليها؛ وأمرَ به فأُقيمَ، وقال له ما قال في بني تميم. قال: ثم خرج عبد الله بن الزُّبَير إلى المسجد فرأى الفرزدقَ في بعض طرق مكّة وقد بلغتْه أبياته التي قالها، فقبض ٱبن الزُّبَير على عنقه فكاد يَدُقُّها، ثم قال: [الطويل]

لقد أَصْبَحَتْ عِرْسُ الفَرزدقِ نَاشِزاً ولو رَضِيَتْ رَمْحَ ٱسْتِهِ لاسْتَقَرَّتِ[٢]

قال الزُّبَير: وهذا الشعر لجعفر بن الزُّبَير.

أخبرنا أبو خَلِيفة قال: أخبرنا ٱبن سَلاَّم قال: أخبرنا إبراهيم بن حَبِيب الشَّهيد قال: قال ابن الزُّبَير للفرزدق: ما حاجتُكَ بها وقد كَرِهَتْكَ! كُنْ لها أكرهَ وخلِّ سبيلَها. فخرج وهو يقول: ما أمرني بطلاقها إلا ليَثِبَ عليها. فبلغ ذلك ٱبن الزُّبَير فخرج وقد ٱستهلَّ هلال ذي الحِجّة ولبِسَ ثياب الإحرام يريد البيتَ الحَرام، فألفَى الفرزدقَ بباب المسجد عند الباعة، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسَه بين ركبتيه وقال:

لَقَدْ أَصْبَحَتْ عِرْسُ الفرزدقِ نَاشِزاً ولو رَضِيَتْ رَمْحَ ٱسْتِه لاسْتَقَرَّتِ

قال الزُّبَير: وهذا البيت لجعفر بن الزبير.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حَدّثنا عمر بن شَبَّة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال: لمّا قال الفرزدق في ٱبن الزُّبَير:

أَمَّا بَنُوهُ فلَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُمْ وشُفِّعَتْ بِنْتُ منظورِ بْنِ زَبَّانَا

قال جعفر بن الزُّبير:

أَلاَ تِلْكُمُ عِرْسُ الفَرَزْدقِ جَامِحاً ولو رَضِيَتْ رَمْحَ ٱسْتِهِ لاسْتَقَرَّتِ

(١) الخور: جمع خَوَّارة: الغزيرة اللبن من النوق والشاء. وصوأر: ماء لكلب فوق الكوفة مما يلي الشام. ويوم صوأر من أيامهم المشهورة (معجم البلدان ٣/ ٤٣١). والعكوم: جمع العكم: وعاء الثياب والطعام.

(٢) عِرسه: زوجته.

فقال عبد اللّه بن الزُّبَير: أتُجْزِرُنا[١] كلباً من كلاب بني تَميم! لئن عُدْتَ لم أُكَلِّمْك أبداً.

قال: وتُمَاضِرُ التي عَناها الفرزدقُ أُمُّ خُبَيْب وثابتٍ ٱبنَيْ عبد اللّه بن الزُّبَير. وماتت عند عبد اللّه، فتزوج أُختها أمَّ هاشم فولدتْ له هاشماً وحمْزة وعَبَّاداً.

قال: وفي أمّ هاشم يقول الفرزدق يستعينها على ٱبن الزُّبَير ويشكو طولَ مُقامِه: [الطويل]

تَـرَوَّحَـتِ الـرُّكْـبَـانُ يَـا أُمَّ هَـاشِـمِ وهُـنَّ مُـنَـاخَـاتٌ لَـهُـنَّ حَـنِـيـنُ
وخُـيِّـسْـنَ حَـتَّـى لـيـس فِـيـهِـنَّ نَـافِـقٌ لِـبَـيْـعٍ ولا مَـرْكُـوبُـهُـنَّ سَـمِـيـنُ[٢]

قال: وهذا يدلّ على أن النَّوَار كانت استعانتْ بأُمِّ هاشم لا بتمَاضرَ.

فلمّا أذِنَتِ النَّوَارُ لِعبد اللّه في تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرةِ آلافِ درهم. فسأل: هل بمكّة أحد يُعِينه؟ فَدُلَّ على سَلْم بن زِياد، وكان ٱبن الزُّبَير حَبسه، فقال فيه: [الطويل]

دَعِـي مُـغْـلِـقِـي الأَبْـوَابِ دُونَ فَـعَـالِـهِـمْ ومُرِّي تَمَشَّيْ بي - هُبِلْتِ - إلى سَلْمِ
إلى مَنْ يَرَى الـمَـعْـرُوفَ سَـهْـلاً سَـبِـيـلُـهُ ويـفـعـلُ أفـعـالَ الـكِـرَامِ الـتـي تَـنْـمِـي

ثمّ دخل على سَلْم فأنشده. فقال له: هي لك ومثلها نفقتُك، ثم أمر له بعشرين ألفاً فقبَضها. فقالت له زوجته أُمُّ عثمان بنتُ عبدِ اللّه بن عثمانَ بنِ أبي العاصي الثَّقفيّة: تُعطي عشرين ألفاً وأنت محبوس! فقال: [الطويل]

أَلاَ بَـكَـرَتْ عِـرْسِـي تَـلُـوم سَـفَـاهَـةً عـلـى ما مَـضَـى مِـنِّـي وتَـأْمُـرُ بِـالـبُـخْـلِ
فـقـلـتُ لـهـا والـجُـودُ مِـنِّـي سَـجِـيَّـةٌ وهـل يَـمْـنَـعُ الـمَـعْـرُوفَ سُـؤَّالَـهُ مِـثْـلِـي
ذَرِيـنِـي فَـإِنِّـي غـيـر تَـارِكِ شِـيـمَـتِـي ولا مُـقْـصِـرٍ عَـنِ الـسَّـمَـاحَـةِ والـبَـذْلِ
ولا طَـارِدٍ ضَـيْـفِـي إذا جَـاءَ طَـارِقـاً فـقـدْ طَـرَقَ الأضـيـافُ شَـيْـخِـيَ مـنْ قَـبْـلِـي
أَأَبْـخَـلُ! إنَّ الـبُـخْـلَ لـيـسَ بِـمُـخْـلِـدِ ولا الـجُـودُ يُـدْنِـيـنـي إلـى الـمـوتِ والـقَـتْـلِ

---

(١) الجزر: الذبح، وأتجزرنا الفرزدق: أي أتبيح أعراضنا للفرزدق ينهشها.

(٢) خُيِّسْنَ: حُبِسْنَ. والنافق: خلاف الكاسد.

أَبِيعُ بَنِي حَرْبٍ بِآلِ خُوَيْلِدٍ   وما ذَاكَ عِنْدَ اللَّهِ في البَيْعِ بِالعَدْلِ[١]
وأُشْرِي ابنَ مروانَ الخَلِيفَةَ طائِعاً   بِنَجْلِ بَنِي العَوَّامِ! قُبِّحَ مِنْ نَجْلِ[٢]
فَإنْ تُظْهِرُوا لي البُخْلَ آلَ خُوَيْلِدٍ   فَمَا دَلُّكُمْ دَلِّي ولا شَكْلُكُمْ شَكْلِي[٣]
وإنْ تَقْهَرُوني حَيْثُ غَابَتْ عَشِيرَتي   فَمِنْ عَجَبِ الأَيَّامِ أَنْ تَقْهَرُوا مِثْلِي

[لم تحسن النوار عشرته فتزوّج عليها]

قال دَماذٌ في خبره: ثم اصطلحا ورضيتْ به، وساق إليها مهرها ودخل بها وأحبلها قبلَ أن تخرجَ من مكّة ثم خرج بها وهما عَدِيلانِ في مَحْمِلٍ. فكانت لا تزال تُشَارُّه وتخالفه، لأنّها كانت صالحةً حَسَنَةَ الدِّينِ وكانت تكره كثيراً من أمره. فتزوّجَ عليها حَدْراء بنت زِيق بن بِسْطام بن قيس بن مسعود بن قَيْس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان، فتزوَّجها على مائة من الإبل. فقالت له النَّوَارُ: وَيْلَكَ! تزوّجتَ أعرابيّةً دقيقة السَّاقين بَوَّالَةً على عَقِبَيْها على مائة بعير! فقال الفرزدق يُفَضِّلها عليها ويُعيّرها أنها كانت تربّيها أَمَةٌ:

[الطويل]

لَجَارِيَةٌ بَيْنَ السَّلِيلِ عُرُوقُهَا   وبَيْنَ أَبِي الصَّهْباءِ مِنْ آلِ خالِدِ[٤]
أَحَقُّ بِإِغْلاَءِ المُهُورِ مِنَ الَّتي   رَبَتْ وَهْيَ تَنْزو في حُجورِ الوَلائِدِ[٥]

ومدحها أيضاً فقال:

[البسيط]

عَقِيلَةٌ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ تَرْفَعُهَا   دَعَائِمٌ لِلْعُلاَ مِنْ آلِ هَمَّامِ
مِنْ آلِ مُرَّةَ بينَ المُسْتَضَاءِ بِهِم   مِنْ رَهْطِ صِيدٍ مَصَالِيتٍ وحُكَّامِ[٦]

---

(١) خويلد: هو الجدّ الثاني لابن الزبير.
(٢) أشري: أبيع.
(٣) الدَّلّ: حسن السيرة والهَدْي.
(٤) السّليل: هو السليل بن قيس أخو بسطام. وأبو الصهباء: بسطام بن قيس.
(٥) نزا: وثب.
(٦) الصِّيد: جمع الأصيد: الرجل الذي يرفع رأسه كِبْراً. والمصاليت: جمع المِصْلات: من الرجال الشجاع الماضي في الحوائج.

بيـنَ الأَحـاوِصِ مِـنْ كَـلْـبٍ مُـرَكَّـبُـهـا ... وبَيْـنَ قَـيْـسِ بـنِ مـسـعـودٍ وبِـسْـطـامِ (١)

وقال أيضاً يمدحها ويعرِّض بالنَّوار: [الطويل]

لَـعَـمْـرِي لأَعْـرَابِـيَّـةٌ فـي مِـظَـلَّـةٍ ... تَظَلُّ بِأَعْلَى بَيْتِها الرِّيحُ تَخْفِقُ (٢)

كَـأُمِّ غَـزَالٍ أو كَـدُرَّةِ غَـائِـصٍ ... إذا مَـا أَتَـتْ مِـثْـلَ الـغَـمَـامَـةِ تُـشْـرِقُ

أَحَـبُّ إِلـيـنـا مِـنَ ضَـنَـاكٍ ضِـفَـنَّـةٍ ... إذا وُضِـعَـتْ عَـنْـهَـا الـمَـرَاوِحُ تَـعْـرَقُ (٣)

فقال بعض باهِلَةَ يُجيبه: [البسيط]

أَعـوذُ بِـالـلَّـهِ مِـنْ غُـولٍ مُـغَـوَّلَـةٍ ... كَـأَنَّ حَـافِـرَهَـا فـي الـخَـدِّ ظُـنْـبُـوبُ (٤)

تَـسْـتَـرْوِحُ الـشَّـاةَ مِـنْ مِـيـلٍ إذا ذُبِـحَـتْ ... حُـبَّ الـلِّـحَـامِ كـمـا يَـسْـتَـرْوِحُ الـذِّيـبُ

وأَغْضب الفرزدقُ النَّوارَ بمدحه إيّاها، فقالت: واللّه لأُخزيَنَّكَ يا فاسق! وبعثتْ إلى جرير فجاءها؛ فقالت: ألا تَرى ما قال لي الفاسق! وشكَتْ إليه. فقال:

[الطويل]

فلا أَنا مُعْطَى الحُكْمِ عَنِ شِفٍّ مَنْصِبٍ ... ولا عَنْ بَنَاتِ الحَنْظَلِيّينَ رَاغِبُ (٥)

وهُنَّ كَمَاءِ المُزْنِ يُشْفَى به الصَّدَى ... وكـانـت مِـلاحـاً غـيـرَهُـنَّ الـمَـشَـارِبُ

لـقـد كُـنْـتَ أَهْـلاً أَنْ تَـسُـوقَ دِيَـاتِـكُـمْ ... إلـى آلِ زِيـقٍ أَنْ يَـعِـيـبَـكَ عَـائِـبُ (٦)

ومـا عَـدَلَـتْ ذَاتُ الـصَّـلِـيـبِ ظَـعِـيـنَـةً ... عُـتَـيْـبَـةُ والـرِّدْفَـانِ مـنـهـا وحَـاجِـبُ (٧)

أَلاَ رُبَّـمـا لـم نُـعْـطِ زِيـقـاً بِـحُـكْـمِـهِ ... وأَدَّى إِلـيـنـا الـحُـكْـمَ والـغُـلُّ لازِبُ (٨)

حَـوَيْـنَـا أَبَـا زِيـقٍ وزِيـقـاً وعَـمَّـهُ ... وجَـدَّةُ زِيـقٍ قـد حَـوَتْـهـا الـمَـقَـانِـبُ (٩)

---

(١) الأحاوص: هم عمرو وعوف وشريح وربيعة أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب.
(٢) المِظَلّة: الخباء الكبير.
(٣) الضناك: الضخمة من النساء. وضِفِنّة: حمقاء.
(٤) الظُّنبوب: حرف عظم الساق من قُدُم.
(٥) الشِّفّ: من الأضداد، وهنا النقصان.
(٦) الديات: الإبل المائة التي ساقها الفرزدق مهراً لآل زيق.
(٧) ذات الصليب: حدراء وهي نصرانية الأصل. والظعينة: المرأة. والرِّدفان: عتاب بن هرمى بن رياح وعوف بن عتاب بن هرمى.
(٨) اللاّزب: اللازم.
(٩) المقانب: جمع المقنب من الخيل: ما بين الثلاثين والأربعين وقيل ما دون المائة.

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها: [الطويل]

أَلَسْتَ إذ القَعْسَاءُ أَنْسَلَ ظَهْرُها ... إلى آلِ بِسْطامِ بنِ قيسٍ بِخَاطِبِ[1]

فَنَلْ مِثْلَها مِنْ مِثْلِهِمْ ثُمَّ لُمْهُمُ ... بِمُلْكِكَ مِنْ مالِ مُرَاحٍ وعَازِبِ

فلو كُنْتَ مِنْ أَكْفَاءِ حَذْرَاءَ لم تَلُمْ ... على دَارِمِيٍّ بَيْنَ لَيْلَى وغَالِبِ

وإنّي لأَخْشَى إنْ خَطَبْتَ إِلَيْهِمُ ... عَلَيْكَ الّتي لاَقَى يَسَارُ الكَوَاعِبِ[2]

ـ يَسَارٌ كان عبداً لبني دُدَانَةَ، فأراد مولاتَه على نفسها، فنهته مرةً بعد مَرَّةٍ، وألحَّ فوعدته. فجاء فقالت له: إنّي أريد أن أُبَخِّرَكَ فإنَّ رائحتك متغيِّرة، فوضعتْ تحته مِجْمرةً وقد أَعَدَّتْ له حديدةً حَادَّة، فأدخلتْ يدها فقبضتْ على ذكره وهو يرى أن ذلك لشيء، فقطعته بِالمُوسَى؛ فقالت: «صبراً على مجامر الكرام» فذهبتْ مثلاً ـ عاد الشعر: [الطويل]

ولو قَبِلُوا منّي عَطِيَّةَ سُقْتُهُ ... إلى آلِ زِيقٍ مِنْ وَصيفٍ مُقَارِبِ[3]

هُمُ زَوَّجوا قَبْلي ضِرَاراً وأَنْكَحوا ... لَقِيطاً وهم أكفاؤنا في المَنَاسِبِ

ولو تُنكِحُ الشَّمْسُ النُّجومَ بَنَاتِها ... إذاً لَنَكَحْنَاهُنَّ قبلَ الكَواكِبِ

وقال جَرير: [البسيط]

يَا زِيقُ أَنْكَحتَ قَيْناً بِأَسْتِهِ حَمَمٌ ... يَا زِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أَنْكحتَ يَا زِيقُ

غَابَ المُثَنَّى فلم يَشْهَدْ نَجِيَّكُمَا ... والحَوْفزان ولم يَشْهَدْكَ مَفروقُ

أَيْنَ الأُلَى أَنزلُوا النُّعْمَانَ مُقْتَسَراً ... أم أينَ أَبْنَاءُ شَيْبَانَ الغَرَانِيقُ[4]

يا رُبَّ قَائِلَةٍ بعدَ البِنَاءِ بِهَا ... لا الصِّهْرُ رَاضٍ ولا ٱبنُ القَيْنِ مَعْشوقُ

وقال الفرزدق لجرير في هذا:

إنْ كَانَ أَنْفُكَ قد أَعْيَاكَ مَحْمَلُهُ ... فَٱرْكَبْ أَتَانَكَ ثمّ ٱخْطُبْ إلى زِيقِ

قال: ولامه الحَجّاج وقال: أتزوّجْتَ ٱبنةَ نَصْرانيّ على مائة ناقة؟! قال: وما

---

(١) القعساء: الداخلة الصلب العظيمة البطن. وأنسل ظهرها: سقط وبرها، ويريد هنا الأتان.

(٢) الكواعب: جمع الكاعب: التي نهدَ ثديُها.

(٣) عطيّة: أبو جرير. والمقارب: الدُّون، أو هو الوسط بين الجيد والرديء.

(٤) الغرانيق: جمع الغرنوق والغرنيق: الشاب الجميل الأبيض.

هي في جُود الأمير! قال: فاشترى الإبلَ وساقها. فلمّا كان في بعض الطريق ومعه أَوْفَى بن خِنْزير أحدُ بني التَّيْم بن شَيْبَانَ بنِ ثَعْلبةَ دليلُه رأى كبشاً مذبوحاً، فقال: يا أوفى، هلكَتْ واللّهِ حَذْراءُ، قال: ما لك بذلك من علم!. فلمّا بلغ قال له بعض قومها: هذا البيتُ فانزل، وأمّا حَذْراء فهلكتْ. وقد عرفنا الذي يُصيبكم في دِينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا. فقال: لا والله لا أَرْزَأ منه قِطْميراً[1]، وهذه صَدُقَتُها[2] فاقبِضوها. فقال: يا بني دارِم! والله ما صاهرنا أكرمَ منكم. قال: وفي هذه القصة يقول الفرزدق: [الطويل]

عَجِبْتُ لِحَادِينَا المُقَحِّمِ سَيْره ... بِنا مُوجَفاتٍ مِن كَلالٍ وظُلَّعا
لِيُدْنِيَنَا مِمَّنْ إلينا لِقاؤُهُ حَبِيبٌ ... ومِنْ دارِ أَرَدْنَا لِتَجْمَعا
ولو يعلمُ الغَيْبَ الَّذي مِنْ أَمَامِنا ... لَكَرَّ بنا حَادِي المَطِيِّ فأَسْرَعا
يقولونَ زُرْ حَذْرَاءَ والتُّرْبُ دُونَها ... وكيفَ بِشَيءٍ وَصْلُهُ قَدْ تَقَطَّعا
وما مَاتَ عِنْدَ ٱبنِ المَرَاغَةِ مِثْلُها ... ولا تَبِعَتْهُ ظَاعِناً حَيْثُ وَدَّعا
يقولُ ٱبنُ خِنْزيرٍ بَكَيْتَ ولم تَكُنْ ... على ٱمْرَأَةٍ عَيْنا أخيكَ لتدْمَعا
وأَهْوَنُ رُزْءٍ لامْرِىءٍ غَيْرِ جَازِعٍ ... رَزِيَّةُ مُرْتَجِّ الرَّوَادِفِ أَفْرَعا

وقال ابن سَلاَّم فيما أخبرنا به أبو خَليفةَ عنه قال: حَدّثني حاجب بن زيد وأبو الغَرَّاف قالا: تزوّجَ الفرزدق حَذْراءَ بنت زِيق بن بِسطام بن قَيْس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجَدّين وهو عبد اللّه بن عمرو بن الحارث بن هَمّام بن مُرَّة بن ذُهْل بن شَيْبان على حكم أبيها، فاحتكم مائة من الإبل. فدخل على الحَجّاج فعذَله فقال: أتزوَّجْتَها على حكمها وحكم أبيها مائةَ بعير وهي نصرانية وجئتنا مُتَعَرِّضاً أن نَسُوقَها عنك! أُخْرُجْ ما لكَ عندنا شيء!. فقال عَنْبَسَة بن سَعيد بن العاصِي وأراد نفعَه: أيُّها الأمير، إنّها من حَوَاشِي إبل الصّدقة؛ فأَمَرَ بها. فوثَب عليه جَرير فقال:

يَا زِيقُ قد كُنتَ مِنْ شَيْبَان في حَسَبٍ ... يا زِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أَنْكحتَ يا زِيقُ
أَنْكحتَ وَيْحَكَ قَيْناً بِٱسْتِهِ حَمَمٌ ... يَا زِيقُ وَيْحَكَ هل بَارَتْ بِكَ السُّوقُ

(١) القطمير: هي القشرة الرقيقة التي على النواة. وما أصبتُ قطميراً: ما أصبتُ شيئاً.
(٢) الصُدقة: المهر.

ثم ذكر باقيَ القصيدة بمثل رواية دَمَاذ.

قال ابن سَلاَّم: وأراد الفرزدقُ أن تُحْمَل؛ فٱعْتلُّوا عليه وقالوا: ماتت، كراهةَ أن يَهْتِكَ جَرِيرٌ أعراضَهم. فقال جَرير: [الطويل]

وأُقْسِمُ ما مَاتَتْ ولَكِنَّه الْتَوَى ... بِحَذْراءَ قومٌ لم يَرَوْكَ لها أَهْلاَ
رَأَوا أنَّ صِهْرَ القَيْنِ عَارٌ عَلَيْهِمُ ... وأَنَّ لِبِسْطَامٍ على غَالِبٍ فَضْلاَ
إذا هِيَ حَلَّتْ مُسْحُلانَ وحَارَبَتْ ... بِشَيْبانَ لاَقى القَوْمُ مِنْ دُونِها شُغْلاَ[1]

وحَذْراءُ هذه هي التي ذكرها الفرزدق في أشعاره. ومن ذلك قوله:

صوت

عَزَفْتَ بِأَعْشاشٍ وما كِدْتَ تَعْزِفُ ... وأَنْكَرْتَ مِنْ حَذْراءَ ما كُنْتَ تَعْرِفُ
وَلَجَّ بِكَ الهِجْرَانُ حَتَّى كَأَنَّما ... تَرَى المَوْتَ في البيتِ الَّذي كُنْتَ تَأْلَفُ

عروضه من الطويل، عَزَفْتَ عن الشَّيء ٱنصرفتَ عنه، عزَف يَعْزُفُ عُزُوفاً. الشعر للفرزدق، والغناء لِسَلْسَل، ثاني ثقيلٍ بالوسطى، وفيه لحنٌ للغَريض من الثَّقيل الأوّل بالبنصر من رواية حَبَش.

[ابن أبي بكر بن حزم يتحدَّى الفرزدق بقصيدة لحسّان بن ثابت]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليَزِيديّ قالا: حَدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ قال: حَدّثنا محمد بن حَبِيب وأبو غَسّانَ دَمَاذٌ عن أبي عُبيدةَ قال: قال اليَرْبوعيّ: قال إبراهيم بن محمد بن سَعْد بن أبي وَقّاص الزُّهْرِيّ: قَدمَ الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أَبَانِ بن عثمان. قال: فَإنّي والفرزدقَ وكُثَيِّراً لجُلوسٌ في المسجد نتناشد الأشعار، إذ طلع علينا غلامٌ شَخْتٌ[2] آدَمُ في ثوبين مُمَصَّرين (أي مصبوغين بِصُفْرة غير شديدة) ثم قصدَ نحوَنا حتى جاء إلينا فلم يسلِّمْ، فقال: أيُّكم الفرزدق؟ فقلت مخافةَ أن يكون من قريش: أهكذا تقول لِسَيِّدِ العرب وشاعرها!

(١) مسحلان: موضع في بلاد بني يربوع (معجم البلدان ٥/ ١٢٥).
(٢) الشَّخت: الدقيق الضامر.

فقال: لو كان كذلك لم أقلْ هذا له. فقال له الفرزدق: ومَنْ أنتَ لا أُمَّ لك؟! قال: رجل من بني الأنصار ثم من بني النَّجَّار ثم أنا ٱبن أبي بكر بن حَزْم. بلغني أنك تزعُم أنك أشعر العرب وتزعُمُ مُضَرُ ذلك لك، وقد قال صاحبنا حَسَّان شعراً فأردتُ أن أعرِضَهُ عليك وأُؤَجِّلَكَ سنةً؛ فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنتَ كذَّابٌ مُنْتَحل. ثم أنشده قول حسَّان: [الطويل]

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى ... وأَسْيَافُنا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

مَتَى مَا تَزُرْنا مِنْ مَعَدٍّ عِصَابَةٌ ... وغَسَّانَ نَمْنَعْ حَوْضَنا أَنْ يُهَدَّما

ـ قيل إن قوله: «وغسان» ها هنا قَسَمٌ أقسم به، لأن غسّان لم تكن تغزوهم مع مَعَدّ.

أَبَى فِعْلُنا المَعْرُوفَ أَنْ نَنْطِقَ الخَنَا ... وقَائِلُنا بِالعُرْفِ إلاَّ تَكَلُّما

وَلَدْنا بَنِي العَنْقاءِ وٱبْنَيْ مُحَرِّقٍ ... فَأَكْرِمْ بِنَا خَالاً وأَكْرِمْ بِنَا ٱبْنَمَا

فأنشده القصيدة إلى آخرها وقال له: إنِّي قد أَجَّلْتُكَ بها حَوْلاً، ثم ٱنصرف. وٱنصرف الفرزدقُ مُغْضَباً يسحَبُ رداءه ما يَدْرِي أيَّ طريقٍ يسلُك، حتى خرج من المسجد. قال: فأقبل كُثَيِّر عَلَيَّ فقال: قاتلَ اللّهُ الأنصاريَّ! ما أفصحَ لهجتَه، وأوضح حُجَّتَه، وأجْوَدَ شعرَه!. قال: فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاري بقيّةَ يومنا. حتى إذا كان الغدُ خرجتُ من منزلي إلى مجلسي الَّذي كنت فيه بالأمس؛ وأتاني كُثَيِّر فجلس معي. فإنّا لنتذاكر الفرزدقَ ونقول: ليت شعري ما فعل، إذ طلع علينا في حُلّةٍ أَفْوافٍ[1] يَمَانِيَةٍ مُوَشَّاةٍ، له غَدِيرتان[2]، حتى جلس في مجلسه بالأمس، ثم قال: ما فعل الأنصاريّ؟ قال: فِنلْنا منه وشَتَمناه. فقال: قاتله اللّه! ما رُمِيتُ بمثله ولا سمعت بمثل شعره! فارقتُكما فأتيتُ منزلي فأقبلتُ أُصَعِّدُ وأُصَوِّبُ في كلّ فَنٍّ من الشعر، فَلَكأنِّي مُفْحَمٌ أو لم أقلْ قَطُّ شعراً حتى نادى المنادِي بالفجر، فرحَلْتُ ناقتي ثم أخذت بزِمَامِها فَقُدْتُها حتى أتيتُ ذِبَاباً[3]، ثم ناديتُ بأعلى صوتي: أخاكم أبا لُبْنَى ـ وقال سعدان: أبا ليلى! ـ فجاشَ صدري كما

(١) الأفواف: جمع الفوف: القطن.

(٢) الغديرة: الشعر المضفور.

(٣) ذِباب: جبل بالمدينة (معجم البلدان ٣: ٣).

يجيش المِرْجَلُ، ثم عَقَلْتُ ناقتي وتوسَّدْتُ ذراعها، فما قُمْتُ حتى قلتُ مائةً وثلاثةَ عَشَرَ بيتاً. فبينا هو يُنْشِدُنا، إذ طلع علينا الأنصاريّ حتى انتهى إلينا فسلَّمَ ثم قال: أمَا إنّي لم آتِكَ لأُعْجِلَكَ عن الأجل الذي وقَّتُّه لك، ولكنّي أحببت ألاّ أراك إلاّ سألتُك عَمَّا صَنَعْتَ. فقال: اجلس، ثم أنشده:

عَـزَفْـتَ بِـأعْـشَـاشٍ ومـا كِـدْتَ تَـعْـزِفُ

فلمّا فَرغ الفرزدقُ من إنشاده قام الأنصاريُّ كئيباً، فلمّا توارى طلع أبوه وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم في مَشْيَخة من الأنصار، فسلّموا علينا وقالوا: يا أبا فِرَاس، قد عرفتَ حلّنَا ومكانَنا من رسول اللهﷺ ووصيّتَه بنا. وقد بَلغنا أنّ سفيهاً من سُفَهائِنا تعرَّض لك، فنسألك بالله لَمّا حفِظْتَ فينا وصيّةَ النبيﷺ ووهبْتَنا له ولم تفضَحْنا. قال إبراهيم بن محمد: فأقبلتُ أُكَلِّمه أنا وكثيِّر؛ فلما أكثرنا عليه قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشيّ. قال: وقد كان جَرير قال: [الطويل]

أَلاَ أَيُّـهـا الـقَـلْـبُ الـطَّـرُوبُ الـمُـكَـلَّـفُ ... أَفِـقْ رُبَّـمَـا يَـنْـأَى هَـوَاكَ ويُـسْـعِـفُ

ظَلِلْتَ وقـد خَـبَّرْتَ أَنْ لَسْـتَ جَازِعـاً ... لِـرَبْـعٍ بِـسُـلْـمَـانَـيْـنِ عَـيْـنُـكَ تَـذْرِفُ[1]

فجعل الفرزدقُ هذه القصيدة نَقِيضة لها.

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

صوت

منها:

لَـنَـا الـجَـفَـنَـاتُ الـغُـرّ يَـلْـمَـعْـنَ بِـالـضُّـحَـى ... وأَسْـيَـافُـنَـا يَـقْـطُـرْنَ مِـنْ نَـجْـدَةٍ دَمَـا

وَلَـدْنـا بَـنِـي الـعَـنْـقَـاءِ وأَبْـنَـيْ مُـحَـرِّقٍ ... فَـأَكْـرِمْ بِـنَـا خـالاً وأَكْـرِم بـنَـا ٱبْـنَـمَـا

عَروضه من الطويل، الشعر لِحسّان بن ثابت، والغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة.

(١) سلمانان: اسم لعدة مواضع ذكرها ياقوت في (معجم البلدان ٣/ ٢٣٩).

[الخنساء وحسان والنابغة في سوق عكاظ يتبارون بالشعر]

أخبرني عَمِّي الحسن بن محمد قال: حَدّثني محمد بن سَعْد الكُرَانيّ عن أبي عبد الرحمن الثَّقَفي، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال: حَدّثنا عمر بن شَبّة، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوب الصائغ عن ابن قُتيبة: أن نابغةَ بني ذُبْيانَ كان تُضرَبُ له قُبّةٌ من أدَم بِسُوقِ عُكاظَ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حَسّان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعرَه وأنشدتْه الخَنْساءُ قولَها:

قَــذًى بِـعَــيْـنِـكَ أَمْ بِـالـعَـيْـنِ عُـوّارُ

حتى انتهتْ إلى قولها: [البسيط]

وإنَّ صَـخْـراً لَـتَـأْتَـمُّ الـهُـدَاةُ بِـه ... كَـأَنَّـه عَـلَـمٌ فـي رَأْسِـهِ نَـارُ
وإنَّ صَـخْـراً لَـمَـوْلاَنَـا وسَـيِّـدُنـا ... وإنَّ صَـخْـراً إذا نَـشْـتُـو لَـنَـحَّـارُ

فقال: لولا أَنَّ أبا بَصِيرٍ أنشدني قبلكِ لَقُلْتُ: إنّكِ أشعرُ النَّاسِ! أنت واللَّهِ أشعر من كل ذات مَثانة. قالت: واللَّه ومن كلِّ ذي خُصْيتين. فقال حَسّان: أنا واللَّه أشعر منكَ ومنها. قال: حيث تقول ماذا؟ قال: حيث أقول:

لَـنَـا الـجَـفَـنَـاتُ الـغُـرُّ يَـلْـمَـعْـنَ بِـالـضُّـحَـى ... وأسـيـافُـنـا يَـقْـطُـرْنَ مِـنْ نَـجْـدَةٍ دَمـا
وَلَـدْنـا بَـنِـي الـعَـنْـقَـاءِ وأَبْـنَـيْ مُـحَـرِّقٍ ... فَـأَكْـرِمْ بـنـا خَـالاً وأَكْـرِمْ بـنـا ٱبْـنَـمَـا

فقال: إنَّكَ لَشَاعِرٌ لولا أنك قَلَّلْتَ عَددَ جِفانِكَ وفَخرْتَ بمن وَلدتَ ولم تَفْخَرْ بمن ولَدك. وفي رواية أُخرى: فقال له: إنَّك قلت «الجَفَنات» فقلّلت العدد ولو قلت «الجفان» لكان أكثرَ. وقلت «يلمعن في الضُّحَى» ولو قلت «يَبْرُقْنَ بالدُّجَى» لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طُروقاً. وقلت «يَقْطُرْنَ من نجدة دما» فدلَلْتَ على قلة القَتْلِ ولو قلت «يَجْرِينَ» لكان أكثرَ لانصبابِ الدّم، وفَخَرْتَ بمن وَلَدْتَ ولم تفخَرْ بمن ولَدك، فقام حَسّان منكسِراً منقطعاً.

مما يُغَنّى فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قولهُ:

صوت

[الطويل]

تَـرَى الـنَّـاسَ مـا سِـرْنَـا يَـسِـيـرُونَ خَـلْـفَـنـا ... وإنْ نَـحْـنُ أَوْمَـأْنَـا إلـى الـنَّـاسِ وَقَّـفُـوا

فيه رَمَلٌ بالوسطى، يقال: إنه لابن سُريج، وذكر الهشاميّ أنه من منحولِ يحيى المكّيّ.

أخبرنا الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال: حَدّثني أبو مَسْلَمةَ موهوبُ بن رَشيد الكِلاَبيّ قال: وقف الفرزدق على جَميلٍ والناس مجتمعون عليه وهو يُنْشِد:

تَرَى النَّاسَ ما سِرْنا يَسِيرُونَ خَلْفَنا ... وإنْ نَحْنُ أَوْمَأنا إلى النَّاسِ وَقَّفُوا

فأَشْرعَ إليه رأسَه من وراء الناس وقال: أنا أحقُّ بهذا البيت منك. قال: أَنْشُدك اللّهَ يا أبا فِرَاس!. فمضَى الفرزدقُ وانتحله[1].

[أبيات مسروقة يعيّر الشعراء بعضهم بعضاً بها]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاَء قال: حَدّثني الزُّبَير قال: حَدّثني أبي عن جَدّي أن الفرزدق لَقِيَ كُثَيِّراً فقال له: ما أشعرك يا كثيِّر في قولك: [الطويل]

أُريدُ لأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّما ... تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

فعرَّض له بسرقته إيّاه من جَميل: [الطويل]

أريدُ لأَنْسَى ذِكْرَهَا فكَأَنَّما ... تَمَثَّلُ لي لَيْلَى على كُلِّ مَرْقَبِ

فقال له كثيِّر: أنت يا فرزدق أشعر منّي في قولك:

تَرَى النَّاسَ ما سِرْنا يَسِيرُونَ خَلْفَنا ... وإنْ نَحْنُ أَوْمَأنا إلى النَّاسِ وَقَّفُوا

ـ قال: وهذا البيت لجميل سرقه الفرزدق ـ فقال الفرزدق لِكُثَيِّر: هل كانت أُمُّك تَرِدُ البصرةَ؟ قال: لا! ولكن أبي كان نَزِيلاً لأُمِّكَ.

أخبرني الحَرَميّ قال: حدّثنا الزُّبَير قال: حَدّثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شِهاب عن طَلْحةَ بن عبد اللّه بن عَوْف قال: لَقِيَ الفرزدقُ كُثَيِّراً بقارعة البَلاط وأنا وهو نمشي؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صَخْر! أنت أنسبُ العرب حيث تقول:

أُريدُ لأَنْسَى ذِكْرَهَا فكأَنَّمَا ... تَمَثَّل لِي لَيْلَى بِكُلِّ سبيلِ

قال: وأنت يا أبا فِراس أفخر العرب حيث تقول:

تَرَى النَّاسَ ما سِرْنا يَسِيرون خَلْفَنا ... وإن نحنُ أَوْمَأْنا إلى النَّاسِ وَقَّفوا

ـ قال عبد العزيز: وهذان البيتان جميعاً لجميل، سرق أحدَهما الفرزدق، وسرقَ الآخَرَ كثيِّر ـ فقال له الفرزدق: يا أبا صَخْر، هل كانت أُمّك تَرِدُ البَصرة؟ قال: لا! ولكن أبي كان كثيراً يَرِدُها. قال طَلْحة: فوالّذي نفسي بيده لقد تعجّبتُ من كثيِّر وجوابه، وما رأيت أحداً قطُّ أحمقَ منه؛ لقد دخلتُ عليه يوماً في نَفَر من قريش، وكنّا كثيراً نَهْزَأ به، وكان يتشيّع تشيُّعاً قبيحاً، فقلنا له: كيف تجدكَ يا أبا صَخْر؟ فقال: بخير. هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ قلت: نعم! يتحدّثون أنك الدَّجّال. قال: واللّه إنْ قلتَ ذلك إنِّي لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام!.

ولجرير قصيدة يناقض بها هذه القصيدة في أوّلها غناء نسبته:

أَلاَ أَيُّها القَلْبُ الطَّرُوبُ المُكَلَّفُ ... أَفِقْ رُبَّما يَنْأَى هَوَاكَ ويُسْعِفُ

ظَلِلْتَ وقد خَبَّرْتَ أَنْ لَسْتَ جَازِعاً ... لِرَبْعٍ بِسُلْمانَيْنِ عينُكَ تَذْرِفُ

الشّعر لجرير، والغِناء لمحمد بن الأشعث الكُوفيّ ثاني ثقيل بالبِنصر، عن عمرو بن بانة، وقال حَبَش: فيه ثقيل أوّل بالوسطى. وليس ذلك بصحيح.

رجع الحديث إلى سياقة حديث الفرزدق والنَّوار

قال دَمَاذ: وتزوّج الفرزدق على النَّوَار أمرأةً من اليَرَابيع، وهم بطن من النَّمِر بن قاسط حُلَفَاءُ لبني الحارث بن عُبَاد القَيْنيّ، وقد أنتَسَبوا فيهم. فقالت له النَّوار: وما عسى أن تكون القَيْنيّة؟! فقال: [الطويل]

أَرَتْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ والشَّمْسُ حَيَّةٌ ... زِحَامُ بَنَاتِ الحَارِثِ بنِ عُبَادِ

نِسَاءٌ أَبُوهُنَّ الأَغَرُّ ولم تَكُنْ ... مِنَ الحُتِّ في أَجْبَالِها وهَدَادِ[1]

ولم يَكُنِ الجَوْفُ الغَمُوضُ مَحَلَّها ... ولا فِي الهِجَارِيِّينَ رَهْطِ زِيادِ[2]

أَبُوها الَّذي أَدْنَى النَّعَامَةَ بَعْدَما ... أَبَتْ وَائِلٌ في الحَرْبِ غَيْرَ تَمَادِ

ـ يعني بأبيها الذي أدنى النعامةَ الحارثَ بن عُبَاد، وأراد قوله:

قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي

عَدَلْتُ بها مَيْلَ النَّوَارِ فَأَصْبَحَتْ ... مُقَارِبَةً لِي بَعْدَ طُولِ بِعَادِ

(١) الحُتّ: قبيلة من كِندة. وهَداد: حيّ من اليمن.

(٢) الجوف: المطمئن من الأرض.

وَلَـيْـسَـتْ وإنْ أَنْـبَـأْتُ أَنِّـي أُحِـبُّـهـا ... إلـى دَارِمِـيَّـاتِ الـنِّـجَـارِ جِـيَـادِ

وقال أبو عُبَيْدة: حَدَّثني أعيَنُ بن لَبَطَةَ قال: تزوّجَ الفرزدق، مُضَارَّةً لِلنَّوار، امرأةً يقال لها رُهَيْمة بنت غُنَيْم بن دِرْهَمَ من اليَرابيع، قوم من النمِر بن قاسط في بني الحارث بن عُبَاد، وأمّها الْحُمَيْضَة من بني الحارث، فنافرته الحميضة فٱستَعْدَتْ عليه. فأنكرها الفرزدق وقال: أنا منها بريء؛ وطلّق ٱبنتها وقال: [البسيط]

إنَّ الـحُـمَـيْـضَـةَ كَـانَـتْ لِـي ولابْـنَـتِـهـا ... مِـثْـلَ الـهَـرَاسـةِ بـيـنَ الـنَّـعْـلِ والـقَـدَمِ[1]

إذا أَتَـتْ أَهْـلَـهـا مِـنِّـي مُـطَـلَّـقَـةً ... فَـلَـنْ أَرُدَّ عَـلَـيْـهـا زَفْـرَةَ الـنَّـدَمِ

مضى الحديث. ولم أجد لأحدٍ من الخلفاء الذين ذكرتُهم والذين لم أذكرهم، بعد الواثق، صَنْعةً يُعتَدُّ بها إلا المعتضدَ، فإنه صنَع صنعةً متقنة عجيبة، أَبَرَّت على صنعة سائر الخلفاء سوى الواثق، وفَضَل فيها أكثرَ أهل الزمان الذي نشأ فيه. وإنّما ذكرتُ صنعة مَنْ بينهما، لأنها قد رُوِيتْ، فأمّا حقيقة الغِناء الجيِّد فليس بينهما مثلهما. وذكر عُبَيد اللّه بن عبد اللّه بن طاهر صنعةَ المعتضدِ فقرَّظها، وقال: لم أجدْ لحناً قديماً قد جمع من النَّغَم ما جمعه لحن ابن مُحْرِز في شعر مُسافِر بن أبي عمرو وهو: [مجزوء الكامل]

يَـا مَـنْ لِـقَـلْـبٍ مُـقْـصِـرِ ... تَـرَكَ الـمُـنَـى لِـفَـوَاتِـهـا

فإنه جمع من النغم العشر ثمانياً، ولحن ٱبن مُحْرِز أيضاً في شعر كثيِّر:

[المتقارب]

تَـوَهَّـمْـتُ بِـالـخَـيْـفِ رَسْـمـاً مُـحِـيـلاً ... لِـعَـزَّةَ تَـعْـرِفُ مِـنْـه الـطُّـلُـولا

وهو أيضاً يجمع ثمانياً من النَّغَم. وقد تَلَطَّفَ بعضُ مَنْ له دُرْبةٌ وحِذْقٌ بهذه الصناعة حتى جمع النَّغَم العشرَ في هذا الصوت الأخير متوالية، وجمعها في صوت آخر غيرَ متوالية، وهو في شعر ٱبن هَرْمة:

فَـإِنَّـكِ إذ أَطْـمَـعْـتِـنـي مِـنْـكِ بِـالـرِّضَـا ... وأَيْـأَسْـتِـنـي من بـعـدِ ذلـكَ بِـالـغَـضَـبْ

وأعجبُ من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد باللّه؛ فإنه صنع في رَجَز دُرَيد بن الصِّمّة «يا ليتني فيها جَذَعْ» لحناً من الثقيل الأولّ يجمع النَّغَم العشرَ، فأتى به

---

(١) الهراسة: شوك كأنه الحسك.

مستوفَى الصنعة مُحْكَم البناء، صحيحَ الأجزاء والقِسْمة، مُشبعَ المفاصل، كثيرَ الأدوار، لاحقاً بجيِّد صنعة الأوائل. وإنّما زاد فضلُه على من تقدّمه لأنه عمله في ضرب من الرجز قصير جدّاً، وٱستوفَى فيه الصنعة كلَّها على ضيق الوزن، فصار أعجب مما تقدّمه؛ إذ تلك عُمِلتْ في أوزان تامّة وأعاريضَ طِوال يتمكّن الصانع فيها من الصنعة ويقتدر على كثرة التصرُّف؛ وليس هذا الوزن في تمكُّنه من ذلك فيه مثلَ تلك.

نسبة هذا اللحن

صوت

[مشطور الرجز]

يـا لَـيْـتَـنـي فـيـهـا جَـذَعْ أَخُـبُّ فـيـهـا وأَضَـعْ[1]
أَقُـودُ وَطْـفَـاءَ الـزَّمَـعْ كَـأَنَّـهـا شَـاةٌ صَـدَعْ[2]

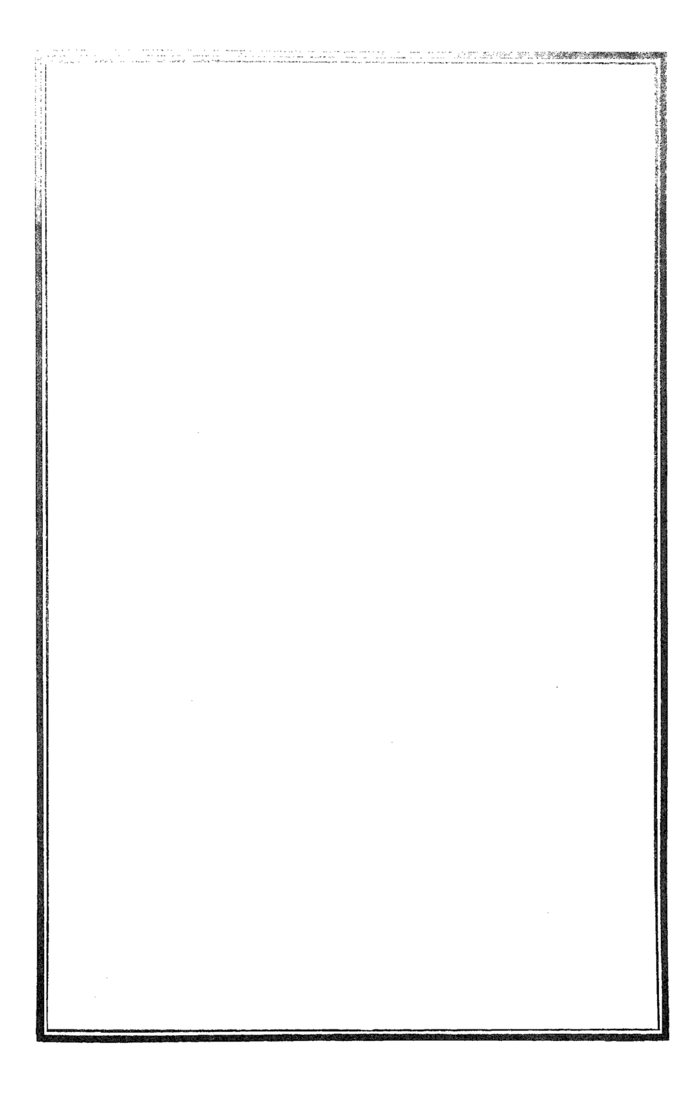
الشّعر لدُرَيْد بن الصِّمَّة، والغِناء للمعتضد، ولحنُه ثقيلٌ أوّل يجمع النَّغَم العشرَ.

الى هنا تم بحمد الله الجزء التاسع

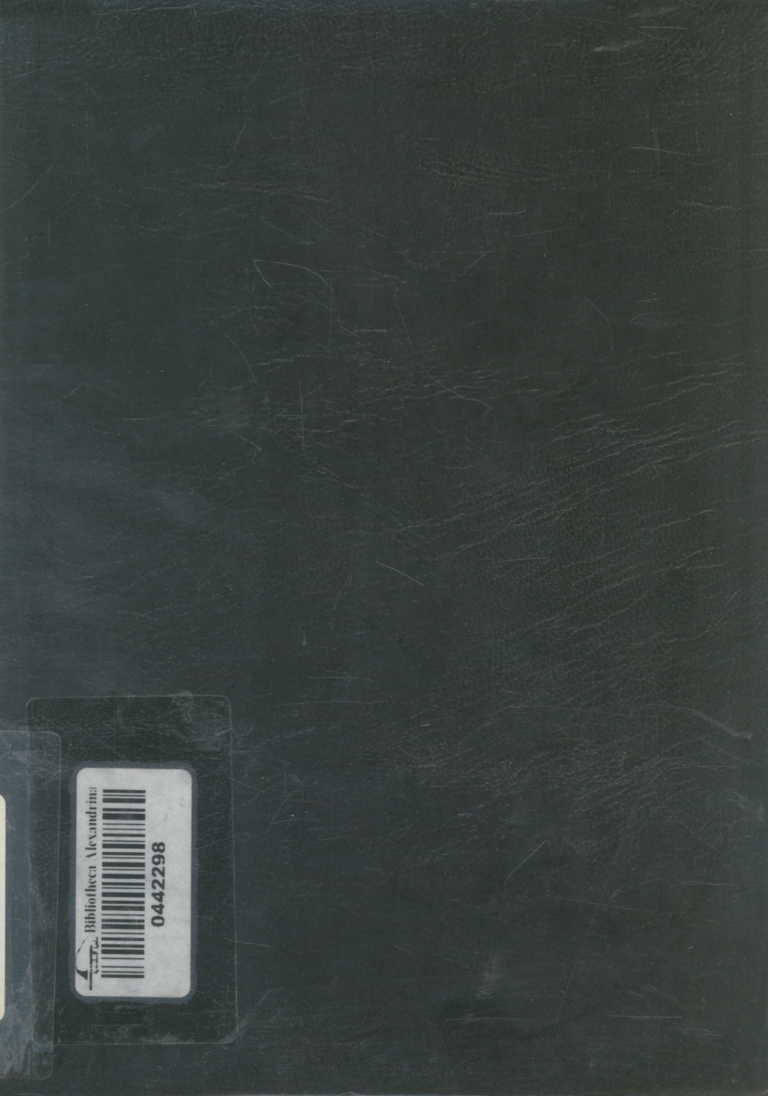
ويليه الجزء العاشر وأوله أخبار دريد بن الصمة ونسبه

(١) الجَذَع: الصغير السن. والخبب والوضع: نوعان من السير.

(٢) وطفاء: كثيرة الشعر ما سابغته وهو يصف فرسه.
والزَّمَع: ما يشبه الأظفار في الرسغ، والزمعة: الشعرة المدلاّة في مؤخّر رجل الشاة والظبي والأرنب.



الفهرست


Bibliotheca Alexandrina
04442298